جامعة الجزائر 2

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه

الموضوع:

زهرة الحدائق والبساتين
في الرحلة العمرية إلى بلاد السوادين
لصاحبه أحمد دهسي لعناية
دراسة وتحقيق

إعداد الطالبة: شارف فاطنة

إشراف الدكتور: شريف مريبعي

لجنة المناقشة

أ.د:...رئيسا

أ.د: الشريف مريبعي..مشرفا ومقررا

أ.د: ....عضوا

أ.د:...عضوا

أ.د:...عضوا

أ.د:...عضوا

السنة الجامعية:2018/2017

إهداء

الحمد لله حمدا كثيرا وبعد...

الشكر موصول لأستاذي شريف مريبعي

إلى والدي

إلى زوجي رفيق دربي

مقدمة

المقدمة :

إن الدارس لأدب الرحلات على مر الحقب والعصور يلاحظ النضج الذي بلغه هذا الفن الأدبي الزاخر بشتى الفنون والعلوم والمعارف، وهذا لعدم اقتصاره على علم دون سواه، إنما هو مصب لكل تلك الموارد، ويرجع هذا كونه يصور حياة الشعوب ومختلف الأقطار والأمصار بكل التنوع والغنى المتكامل .

فأدب الرحلات يجمع بين الإفادة والامتاع, والاكتشاف لأوطان لم يتسن لنا زيارتها، لكن هذا الفن الأدبي سهل لنا مشاهدتها, ولعل هذه الأسباب هي التي شجعتني على خوض مجال تحقيق ودراسة المخطوطات, رغم إدراكي صعوبة أغواره وهذا بعد دخولي التجربة من خلال رسالة الليسانس، والتي قمت فيها بتحقيق كتاب سلطان العلماء العز بن عبد السلام: " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ".

وقد عاودني الحنين أخيرا من خلال الرحلة العمرية، والتي حركت في نفسي الرغبة لاكتشاف المزيد فيها ومنها، وإحياءها من جديد، لما تميزت به من خصوصية سواء من ناحية الزمان :و هو وقت عصيب على المجتمع الجزائري فقد كانت الجزائر ترزح تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، والرحلة سبقت اندلاع ثورة نوفمبر المجيدة بسنوات معدودة فقط .

ومن ناحية أخرى تعدد البلدان والمناطق التي شملتها الرحلة أضاف لها التلون والتنوع اللذين جعلا منها مميزة بحق وتستحق الدراسة والتحقيق، وعموما يمكن إيجاز قيمة المخطوط فيما يلي :

- **الموضوع :**

أطلق المؤلف اسم: " زهرة الحدائق والبساتين في الرحلة العمرية إلى بلاد السوادين " وكما يظهر من العنوان، فإن المخطوط يؤرخ للرحلة التي قام بها الحاج بن عمر التيجاني ورفاقه إلى إفريقيا السوداء وبعض الدول العربية، وقد كان أحمد لعناية العين الناظرة التي لا تترك شاردة ولا واردة دون تدوين .

- **المضمون :**

يتكون ركب الرحلة من الحاج بن عمر سليل العائلة التيجانية وحفيد الشيخ أحمد التيجاني، وثلاث مرافقين هم: عمر بن عيسى الزياني وابنه المكلف بقيادة السيارة، ومحمد التيجيني(والذين ورغم بحثنا للظفر بمعلومات تخصهم إلا أن هذا الجهد لم يكلل بالنجاح)، وصاحب متن الرحلة الشيخ أحمد لعناية .

وكان الانطلاق من بلدة عين ماضي يوم 25 مارس من عام 1948، بداية الرحلة كانت برا عبر مدن جزائرية وصولا إلى الأراضي المغربية، ومنها جوا إلى المدن والبلدات الإفريقية التي تنوعت وسائل النقل بينها حسب طبيعة كل منطقة، وقد بلغ عدد المدن الإفريقية التي زارها أكثر من خمس وعشرين، في مدة تجاوزت الثلاث سنوات، سجل أحداثها الشيخ أحمد لعناية بكل تفاصيلها متبعا أسلوبا بسيطا في السرد، بلغة سهلة، واعتمد في حديثه عن نفسه على ضمير الغائب، وكثيرا ما أشار لشخصه بعبارة: "العبد الفقير"، ومرات "العبد الحقير "كنوع من التواضع عند التكلم عن نفسه.

أهمية المخطوط:

ألم صاحب الرحلة بمختلف الجوانب، فقد رصد المناحي الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الجغرافية والتاريخية للأمصار التي زاروها، فتنوع المضمون بتنوع ماشاهدوه وخبروه، وكان بحق فسيفساء ثقافية تكونت بألوان أطياف تلك البلدان، التي صبروا أغوارها واحتكوا بشعوبها وجاؤوا بأخبارها، في فترة استعمارية شحت فيها الأقلام العربية في هذا الميدان الذي بقي فسيحا للأقلام الغربية.

وقد اختلفت مدة الإقامة من بلد لآخر فبعضها كانت أياما وأخرى أسابيعا أو حتى أشهرا، وحرص الشيخ لعناية كل الحرص على ذكر مايميز كل بلد عن الآخر من الناحية الثقافية، وكذا اللغة والدين الرسميين في ذلك القطر، بل حتى المعتقدات الشعبية والعادات والتقاليد سواء الإيجابية أو السلبية، دون أن ينسى النواحي الاقتصادية التي أسهب فيها: من ذكر للمحاصيل الزراعية ووسائل العيش والسدود والخيرات الباطنية من معادن ثمينة، اليد العاملة ومدى استغلالها، دون أن يغفل المناخ والتضاريس وعدد السكان والحدود ونمط العيش في كل منها، ولم يغفل عن

بعض المسائل الشرعية التي أشار إليها بإيجاز أو بإطناب، حسب المقام، فهو رجل دين في المقام الأول، وكانت له إيضاءات نحويو خاصة ببعض المسائل اللغوية التي تعرض لها في متن الرحلة، إلى جانب أسماء بعض الأعلام الذين جاء على ذكرهم.

حول المخطوط :

كان لنجل صاحب الرحلة، السيد محمد دهسي، الدور الأساسي في الحفاظ على المخطوط من الضياع والتلف،و المخطوط عبارة عن سجل قديم من الحجم الكبير وكراس متوسط الحجم وبعض الأوراق التي تحوي قصائد ألقيت ترحيبا بالركب في البلدان التي زاروها، والأوراق مختلفة الخطوط أغلب الظن أنها بخطوط الشعراء أصحابها والشيخ لعناية احتفظ بها حتى لا تضيع، فذاكرته لن تستوعب كل تلك الأشعار.

وما يلاحظ أن المخطوط ينقصه جزء يسير، فقد توقف المتن عند عودة الركب إلى أرض الوطن ودخوله بلدة المشرية،وعموما المخطوط في حالة جيدة وبعض من أوراقه فقط بدأ يصيبها التلف وبالصبر والتمحيص يمكن قراءة مضمونها.

خطة البحث: قسمت البحث إلى قسمين هما :

1 . الفصل الأول: الدراسة: والذي قسم بدوره إلى:

المبحث الأول:

المطلب الأول: بلدة عين ماضي: نظرة عامة على مسقط رأس صاحب الرحلة, ومهد التيجانية.

المطلب الثاني :ترجمة الولي الصالح الشيخ: أحمد أبي العباس التيجاني .

المطلب الثالث: الطريقة التيجانية: التعرف على فقه الطريقة التيجانية .

المبحث الثاني:

المطلب الأول: ترجمة المؤلف الشيخ: أحمد لعناية دهسي.

المطلب الثاني: أهم الظروف والأسباب التي دعت إلى الرحلة .

المطلب الثالث: نظرة عامة حول الأقطار الإفريقية التي شملتها الرحلة .

2 . الفصل الثاني: التحقيق: متن الرحلة.

وقد تطرقت في الدراسة إلى كل ماله علاقة بمتن الرحلة ومايفيد في فهم بعض جوانبها كتاريخ بلدة عين ماضي والولي الصالح الشيخ أحمد التيجاني وكذا فقه الطريقة التيجانية وأهم أذكارها, وترجمة المؤلف الشيخ أحمد لعناية والتي أخذتها من عائلته الكريمة، ثم التعريف بالشيخ بن عمر الذي سميت الرحلة تيمنا باسمه وذكرت حيثيات الرحلة والدوافع من وراءها, أما في القسم الثاني من البحث وهو التحقيق, اعتمدت على الاختصار قدر الإمكان وعدم إثقال الهوامش، نظرا لكبر حجم المخطوط وطبيعة الشرح الذي اتبعه الشيخ لعناية في متن الرحلة والذي أحيانا لا يحتمل معه شرحا أكثر.

أخيرا منا الجهد ومن الله التوفيق، نسأله السداد .

الفصل الأول:

الدراسة

المبحث الأول:

المطلب الأول: نظرة عامة على بلدة عين ماضي مهد التيجانية:

الموقع:

تقع عين ماضي على بعد 05 كلم من قدم جبال العمور، تبعد عن عاصمة الولاية بأكثر من 60كلم يحدها من الشمال الشرقي تاجموت ومن الشمال الغيشة وبلدية واد مزي مع الحدود الغربية للغيشة وتاجرونة أما من الجنوب الغربي ولاية البيض، ومن الشرق الحويطة وحاسي الرمل.[1]

عين ماضي مدينة تقع على بعد حوالي 485 كم من الجزائر العاصمة، أرضها سهلة لا تحوي جبالا وتلالا.مليئة بالبساتين

أصل التسمية:

تجمع بعض الروايات والمصادر في إشارتها التاريخية وتحكي عن أزمة غابرة ; فحسب الأقوال المتداولة عن أصل التسمية وماجاء في كتاب " وشاح الكتائب" لقدور بن رويلة أن عين ماضي نسبة إلى :ماضي بن مقرب، ويروي أنه من سلاطينالعربمنذاك في أيام الدولة العبيدية، فالظاهر أنه حفر عين ماء بالمنطقة، ومن ذالك سميت بعين ماضي [2]، أما الكاتب الفرنسي جونميليا " jeon meliaفي كتابه الأغواط والمنازل المحاطة بالبساتين سنة 1923 يقول " كان يوجد بالجنوب الجزائري موقع خصيب بسبب ضيع المياه، الذي كان يتدفق منه بكثرة امتلكه المدعو سي أحمد في وقت كان فيه الإخوة بربروس يحكمون الجزائر العاصمة ويبنون المنازل كان لسي أحمد معلما لم يكن يعرف إلا تحت اسم الماضي أي "القاطع" وذالك نظرا لحله القاطع للمشاكل المطروحة عليه بدون رجعة"[3]......

[1]انظر مداني لبتر، الأغواط صفحات من التاريخ والحضارة، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر ط1، 2005،ص 10.

[2]الزبير بن عون، أصل السكان والمعالم الأثرية بالأغواط، مشروع جائزة البحث في علم الاجتماع، جامعة عمار ثليجي الأغواط، 2005 / 2006.

[3]يرى جون ميليا أن المنطقة استمدت اسمها من هذا المنطلق ويبقى القول الأول في التسمية قابل للمناقشة.

التأسيس:

نذكر أن مؤسس عين ماضي هو ماضي بن مقرب هذا الذي قال في شأنه ابن خلدون " وكان هؤلاء العرب لعهد دخولهم إفريقية رجالات مذكورون وكان من أشرافهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض وينسون هؤلاء في دريد بن الاثبح وماضي بن مقرب وينسبوه في قرة .... وذياب بن غانم وينسبوه في بني ثور ....فلما زحف أخوانهم الهلاليين من زغبة ورياح الاثبح وأتباعهم إلى افريقية كان ممن زحف معهم وكان من شيوخهم ماض بن مقرب المذكور في أخبار الهلال....ومن مزاعمهم أن الجازية لما مرت إلى افريقية وفارقت الشريف خلفه عليها,منهم ماضي بن مقرب. ".[1].....

تذكر بعض الروايات أن قصر عين ماضي أسس أولا عند " سيدي معين " بقدم جبل العمور وشمال القصر القديم بعين ماضي ولعل أسباب هجرته تعود إلى البعوض الخبيث وأدى إلى هلاك السكان إلتجؤوا إلى الجبال وإلى قرية بوسمغون. إلى أن قدم التجاجنة من قبيلة بني توجين واختطوا قرية تبعد بحوالي 05 كلم عن جبل عمور والتي تمثل القصر الحالي بعين ماضي.

-وهناك رواية مدونة عن سيدي أحمد التيجاني 1150هـ /1737م /1815/1214 يقول سيدي محمد الكبير نجل سيدي العرابي: " سمعت عن سيدي أحمد التيجاني يذكر أن عمارة عين ماضي فيما وصل إليه من أخبار من تقدمه من ثقاة أهلها بأول من بني هذه القرية السيد الأجل الصالح سدي محمد الذي أتى من القبيلة المعلومة بني توجين من الشلف تزوج أمة الله الحرة أمباركة بنت عيسى وولدت له السيدين الكريمين السيد أحمد والسيد عيسى وله ولد أخر مع ابنة عمه وذهب إلى بلاد القبائل بقسنطينة كان يقال له آنذاك سيدي محمدعبد الرحمن وله أولاد كثيرون[2].

السكان الأولون لعين ماضي:

ومما تقدم أن السكان الأولون لعين ماضي والذين اختطوا قصر عين ماضي فخذ من قبيلة بني توجين من شعوب ببني بادين بطن من بطون زناته البربرية الأمازيغية، يقول فيهم ابن خلدو:

---

[1] انظر عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،بيروت دار الكتاب اللبناني 1981 ، ج7 ، ص 100.

[2]الزبير بن عون ، المرجع السابق .

"وغلب الهلاليون قبائل زناته على جميع الضواحي، وأزاحوهم على الزاب وما إليه من بلاد إفريقية، وانتشر بني واسين هؤلاء من بني عبد الواد، وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بالصحراء بالمغرب الأوسط من مصاب وجيل راشد" كانوا أربعة شعوب: بني عبد الواد، بني توجين، بني رزدال وبني مصاب وكان معهم شعب آخر من إخوانهم بني راشد "..[1]...

سكن فرع من قبيلة بني توجين القادمين من الشلف وهم التجاجنة " تصحيف لتوجين " أول من عمر عين ماضي واستقر بها فبنوا المنازل وأنشؤوا الحدائق، تذكر بعض الروايات أن التجاجنة أصلهم من الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى والظاهر أن بعض العائلات ذات الأصل العربي انتسبوا الى التجاجنة واستظلوا تحت ظل العرش، فالتجاجنة هم بربر تعربوا مع مرور الزمن[2].

ونظرا لأن عين ماضي مهد الزاوية التجانية توافد عليها الأفراد والجماعات وسكنوا بها قدموا من شتى أنحاء البلاد وخاصة من الغرب الجزائري[3].

أهم آثارها قصر عين ماضي القديم الذي به منزل الشيخ أحمد التيجاني، و مسجد وضريح محمد الحبيب، وفيها مقبرة دفن فيها أبوي الشيخ وصاحبه وكاتبه الشيخ محمد بن المشري وضريح الواسطة صاحب الشيخ التيجاني العرابي الدمراوي التازي، وفيها قصر كوردان القديم الذي يعد من أجمل معالم البلدة .

واشتهرت بالعلم والعلماء حيث ذكرها الحاج العياشي: قال عن عين ماضي وجدت سكانها يقرؤون مختصر خليل.

ومن علماء عين ماضي عيسى بوعكاز والمبروك بن أبي عافية الماضوي وسيدي بن المشري صاحب كتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء والمرحوم أحمد العناية دهسي

[1]عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 101 .

[2]محمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية 1990، ص 167.

[3]مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، مكتبة النهضة الجزائرية 2004 ، ج2 ، ص 212.

صاحب الرحلة العمرية التي هي مجال بحثنا، والمرحوم محمد بن العيمش أول من ترجم القرآن الكريم باللغة الفرنسية في العالم[1].

المطلب الثاني: ترجمة الولي الصالح الشيخ أحمد أبي العباس التيجاني:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن العيد بن سالم بن أحمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن علي زين العابدين بن أحمد بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

والتجاني، نسبه إلى قبيلة معروفة يقال لها تجانة، وأهل هذه القبيلة هم أخوال الشيخ غلبت عليه النسبة لهم، فهو قد اشتهر بأخواله كما يأتي، لأن أمه هي السيدة عائشة بنت أبي عبد الله سيدي محمد بن السنوسي الماضوي التجاني, من تجانة فانتسب أولاده إليها، فصار يطلق عليهم التجانيون.

قيل له: أيكذب عليك؟ قال: "نعم إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه" ..

وممن ترجم للشيخ من غير أهل طريقته الشيخ محمد البشير ظافر في كتابه الشهير «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» فقال: "سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم الشريف التجاني الشهير القدوة الكامل العارف الراسخ جبل السنة والدين، والعلامة الدراكة الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، نادرة الزمان ومصباح الأوان قال عنه الشيخ العلامة حافظ المغرب الشيخ الكتاني :كان رحمه الله أحد العلماء العاملين والأئمة المجتهدين ممن جمع بين شرف الجرثومة والدين وشرف العلم والعمل واليقين، والأحوال الربانية الشريفة والمقامات العلية المنيفة.

---

[1]مداني لبتر ، المرجع السابق ، ص 73.

[2]انظر الزركلي خير الدين بن محمود الدمشقي (ت 1396 هـ)، الأعلام ،دار العلم للملايين ط15، 2002، ج 1، ص 265.

أما من ترجم له من أهل طريقته فلا يكاد يحصيهم العاد[1].

ولد الشيخ أحمد التجانى رضي الله عنه عام خمسين ومائة وألف 1150هـ/1737م[2] ببلدة عين ماضي بالجزائر مقر أسلافه، فجده الرابع سيدى محمد بن سالم انتقل من قبيلة عبدة مع أسرته إلى بني تجانة وتزوج منهم وصار أولاده وأحفاده يعرفون بالتجانيين.. كانت لعين ماضي أهمية علمية كبيرة إذ قام العلماء الأشراف الوافدين من المغرب بفتح الزوايا والرباطات العلمية، وكان لآباء وأجداد الشيخ التجاني رضي الله عنه باع طويل في نشر الإسلام وتعاليمه الروحية والعلمية في هذه البلاد ومنها إلى بلاد شمال إفريقيا والصحراء ووسط إفريقيا[3].

ومما يؤكد علو كعب أسرته رضي الله عنه في العلم والمعرفة ما ذكره التاريخ من أن السيد محمد ابن المختار والد الشيخ أحمد التجاني كان شيخاً كبيراً لزاوية عظيمة في عين ماضي، وصفه علي حرازم برادة بأنه شيخ الإسلام وملاذ الأنام, أما أمه فهي السيدة عائشة بنت الولي الجليل محمد السنوسي التجاني الماضوي، يذكر لها من الصلاح والمكانة العالية والمرتبة السنية[4].

أما أخوه السيد محمد المكنى بابن عمر فكان عالماً حافظاً للقرآن، مشاركاً في علوم الشريعة, متقناً لعلوم الفرائض.

وكان الشيخ أحمد التجاني أوسط الأبناء لأمه وأبيه .وكان حسن الأخلاق والخلال طيب النفس والفعال، كثير الحياء والأدب حسن السمت، طويل الصمت، كثير القراءة معتاداً للتلاوة يعلوه الوقار إذا سكت، والهيبة إذا نطق، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين برواية ورش على يد العلاَّمة المقرئ سيدي محمد بن حمو التجاني الماضوي والذي تتلمذ على شيخه العارف بالله سيدي عيسى بوعكاز الماضوي التجاني[5].

---

[1] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحديث)، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة والنشر، بيروت لبنان ط 2 ، 1980 .

[2] المرجع السابق ، ص 62.

[3] المرجع السابق، ص 61.

[4] بن قاسم عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص 51 .

[5] انظر الزركلي ، المصدر السابق ، ص 265.

وكان مع صغر سنه قوي الظاهر والباطن كامل الأنوار والمحاسن، وقد توفي أبوه وأمه في يوم واحد ودفنا بعين ماضي، وكان آنذاك لم يتجاوز الحادية عشر.

ثم صار خليفة لوالده على الزاوية رغم صغر سنه إذ كان في السادسة عشر من عمره فأخذ يُدَّرِس القرآن وعلوم السنة في زاوية والده خمس سنوات.

رحلته الأولى إلى فاس ونواحيها:

لما بلغ من العمر إحدى وعشرين سنة 1161هـ/1758م رحل إلى فاس (المدينة الإدريسية) فأخذ يحضر مجالس العلم من تفسير وحديث وفقه، وحصل فيها على إجازات، وصار يدخل في مساجلات ومناظرات مع كبار علماء فاس, وقد ساهمت الحظوة التي لقيها الشيخ التجاني لدى السلطان أبي الربيع مولاي سليمان بن محمد (1206– 1238م)، وقد تحدث أصحاب التراجم بإجمال عن العلاقة الودية والروحية بين السلطان وبين الشيخ التجاني[1].

بعض التواريخ المحددة لأهم المراحل التي قطعها الشيخ في مساره في حياته ثم أولاده من بعده:2

38/ 1737 م – 1150 هـ: ولادة أحمد بن محمد بن المختار التجاني

حفظ القرآن في السابعة من عمره

53/ 1752 م – 1166 هـ: وفاة والديه بالطاعون وعمره 16 سنة.

58/ 1757 م – 1171 هـ: غادر عين ماضي متوجها إلى جامع القرويين بفاس في بداية السنة الواحدة والعشرين من عمره.

---

[1] المصدر نفسه ، ص 265.

[2] اعتمدت في جمع التواريخ على المراجع المصادر الثلاث السابقة .وبالنسبة للشخصيات التي تم ذكرها في هذا المقام سنقوم بالترجمة لها في سياق حديثنا عن أهم شخصيات الطريقة,في قسم التحقيق.

68/ 1767 م – 1181 هـ: بعد تحصله على الإجازات العلمية رجع من فاس إلى عين ماضي ومن ثم رحل إلى زاوية عبد القادر الأبيض بالبيض حيث أقام خمس سنوات يدرس ثم انتقل إلى مدينة تلمسان.

1772/73 م– 1186هـ: فيسن السادسة والثلاثين قصد الحج إلى بيت الله الحرام.
1773م – 1187هـ: مر بتونس ثم بمصر حيث التقى بالشيخ محمود الكردي, وفي مكة المكرمة التقى أحمد بن عبد الله الهندي وفي المدينة المنورة التقى بالقطب محمد ابن عبد الكريم السمان ثم رجع إلى المغرب.

1188هـ التقى به محمد بن المشري.

1119هـ التقى به علي حرازم برادة.

82/ 1781م – 1196هـ: ولادة وتأسيس الطريقة الأحمدية التيجانية.

1204 هـ التقى به الحاج علي التماسيني.

-وفاة محمد بن العربي الدمراوي

99/ 1798 م– 1213 هـ: هاجر من أبي سمغون إلى فاس.

-لقاءه مع السلطان سليمان.

-بداية جمع كتاب جواهر المعاني على يد علي حرازم.

1218هـ التقى به إبراهيم الرياحي مفتي الديار التونسية

وفاة الشيخ علي حرازم.
1224 هـ وفاة محمد بن المشري.
1229 هولادة العربي ابن السائح.
1815 م – 1230هـ: وفاته في 17 شوال بعد صلاة الصبح في سن 80 سنة.
*انتقال الخلافة إلى الحاج علي التماسيني.

*وفاة محمود التونسي.

1224هـ :وفاة محمد الكبير التجاني.

1844م – 1260هـ: وفاة الحاج علي التماسيني.

*انتقال الخلافة إلى محمد الحبيب التجاني.

1852م – 1296هـ: انتقال الخلافة إلى أحمد عمار التجاني، ولكن نظرا لصغر سنه تولى أعباء الخلافة عنه محمد العيد التماسيني حتى عودته من المنفى بفرنسا سنة 1285 هـ.

انتقال الخلافة بعد وفاته إلى أخيه البشير التجاني.

1911م – 1329هـ: وفاة البشير التجاني.

*انتقال الخلافة إلى علال التجاني بعد وفاة عمه.

1919م – 1338: وفاة علال التجاني.

*انتقال الخلافة إلى محمد الكبير التجاني بعد وفاة ابن عمه.

1931م – 1350م: وفاة محمد الكبير التجاني

*انتقال الخلافة إلى محمود التجاني بعد وفاة أخيه.

1934م – 1353هـ: وفاة محمود التجاني.

*انتقال الخلافة إلى الطيب التجاني بعد وفاة عمه.

1973م – 1394هـ: وفاة الطيب التجاني.

*انتقال الخلافة إلى علي التجاني بعد وفاة ابن عمه.

طلب الشيخ أحمد التجاني العلم ورحلاته

أتقن الشيخ أحمد التجاني حفظ القرآن ومهر فيه وهو ابن سبع سنين كما أتقن حفظ الروايات السبع، وأتقن علوما كثيرة قبل سن الواحدة والعشرين...

حفظ الشيخ أحمد التجاني "متن البخاري"، و"متن مسلم"، و"مختصر خليل"، و"متن الرسالة لأبي زيد القيرواني"، و"الدردير"، و"الدسوقي"، و"المدونة"، و"موطأ الإمام مالك"،

لما كان عُمْر الشيخ أحمد التجاني إحدى وعشرين سنة وذلك عام 1171هـ الموافق لسنة 1757 ميلادية، توجه لطلب العلوم الدينية في رحلات ثلاث

1) الرحلة الأولى كانت لفاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى.

2) الرحلة الثانية من رحلاته، رحلة إلى الديار المقدسة بقصد حج بيت الله الحرام، وزيارة الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

3) الرحلة الثالثة إلى فاس: خلال إقامته الأخيرة بمدينة تلمسان، بعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، ارتحل منها إلى فاس، ولما فرغ من هذا المقصد المسطور وأراد التوجه في نفس العام المذكور، إلى تلمسان أخبر خليفته الذي قدم معه إلى فاس بأنه لم يستقم حاله بتلمسان، وأنه لابد من أن ينتقل منه إلى غيره من البلدان، فودع خليفته وطلب منه ملازمة العهد والمحبة وصدق التوجه إلى الله عز وجل إلى أن يحصل الفتح الموعود به ثم توجه إلى تلمسان وأقام بها إلى عام 1196هـ الموافق سنة 1781م[1].

طلبه للعلوم الدينية :

توجه أولا إلى فاس وسمع من علمائها شيئا من علم الحديث وعلم القراءات وغيرهما من العلوم.

ثم ارتحل ثانية إلى جبل العلم . قرب مشرع بلقصيري . فأخذ عن بعض أئمة القرآن الكريم علم التجويد والقراءات السبع المتواترة.

ثم توجه ثالثا إلى مدينة وزان فلقي بها الطيب الوزاني، وكان هو القائم بأعباء التربية والترقية في الزاوية الشهيرة بوزان، فلقنه الطريقة الوزانية وتمسك التجاني بها[2].

وقد لقي في هذه الرحلة التي قام بها للمغرب الأقصى عددا من أهل الله، الدالين بحالهم ومقالهم على الله، كما أنه تمسك بعدة طرق كالطريقة الطريقة القادرية المنسوبة إلى الولي الصالح عبد القادر الجيلاني المتوفى عام 561 هـ على يد من كان يلقنها في عصره.والطريقة الناصرية لمَحمد بن ناصر عن الولي محمد بن عبد الله التوزاني الشهير في الريف.والطريقة الوزانية عن الطيب الوزاني والطريقة الخلوتية عن أبي عبد الله سيدي مَحمد بن عبد الرحمان الأزهري والطريقة

[1]محمد بن المختار الشنقيطي، مطلع الجمال في مولد إنسان الكمال، المكتبة الأهلية: ط3، 1979، ص 24.

[2]المرجع السابق، ص 50.

الصديقية المنسوبة إلى أحمد الحبيب الأغماري السجلماسي الصديقي المتوفى رابع المحرم عام 1165هـ.الطريقة الطواشية عن صاحبها الولي الكبير أحمد الطواش نزيل تازة المتوفى بها في ليلة 18 جمادى الأولى عام 1204هـ[1].

ولما رجع من هذه الرحلة الفاسية اختار الإقامة في مدينة الأبيض سيدي الشيخ بالبيض، وبعد مرور خمس سنوات انتقل إلى مدينة تلمسان المسماة بالجدار فآثر المقام بها، واختارها للنزول والاستقرار ومكث بها على ما كان عليه من الجد والتشمير في العبادة وتدريس العلوم وخاصة منها التفسير والحديث وغيرهما من أنواع طاعات رب العباد، إلى عام 1186هـ[2].

و الملاحظ أنه ورغم أهمية شخصية الإمام أحمد التجاني، فإنها لم تُوَفَّ حقها من العناية والدراسة، حتى ليعجب الدارس والباحث من قلة ما كتب عليها ومن الخلط والغموض اللذين أحاطها بهما بعض المؤرخين رغم قربها التاريخي [القرن الثامن عشر]، والجغرافي [شخصية مغاربية]، ورغم الوضوح والصحة التي تميزت بهما سيرته. وقد كان أتباعه كثيرون، يتغالون فيه إلى حد يفوق الوصف، ويعظمونه تعظيما بليغا، ويصفونه بصفات عظيمة وأخلاق كريمة، وينسبون إليه النهي عن زيارة القبور، وبعض أهل العلم والدين يثني عليه ويصفه بالعلم والمعرفة.

تصدره للإفتاء:

وله فتاوى فقهية تخالف ما جرى به عمل بعض فقهاء فاس، كتحريم تدخين التبغ، وأخذ الأجرة على أعمال البر كالآذان، والإمامة، والشهادة، وتدريس العلم، والفتوى، وإعطاء الزكاة لأهل البيت النبوي؛ كما انتقد كثيرا من عادات المجتمع التي يرى أنها تتنافى مع قواعد الدين وسنن النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان يحض أتباعه على العمل، لأن التصوف في نظره ليس بطالة ولا توكُّلا وكسلا، كما لم يكن يستسيغ أن يلبسوا المرقعات والملابس الخشنة، لما فيها من التظاهر والادعاء، وإعلان الفقر، وسؤال الناس، ونزول بالكرامة، وإهدار للعزة، والإسلام دين يقوم على العزة والكرم والعمل[3].

[1] محمد بن مختار الشنجيطي، ديوان ترياق الفهوم في شم رائحة مناقب المكتوم، ط2، مكتبة القاهرة، 2000، ص 70.

[2] المرجع السابق، ص 81.

[3] محمد بن مختار الشنجيطي، ديوان ترياق الفهوم في شم رائحة مناقب المكتوم: ط2، مكتبة القاهرة، 2005، ص 66.

كما ركز على أن نهج الطريق الصوفي يقوم على تربية خالية من التزام الخلوة والاعتزال عن الناس، ونحو ذلك، مما فيه تشديد على النفس وتضييق، كما نبه على أن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول، التي هي الطريقة الأصلية، وهي طريقة الشكر والفرح بالمنعم سبحانه والرياضة القلبية، وذلك بالنظر في أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده، على سنن الاعتدال والتقييد بالشريعة المطهرة، والسنة الشريفة المنورة.

وقد كان يقول: "أخذنا عن مشايخ عدة، فلم يقض الله عز وجل منهم بتحصيل المقصود، وسندنا وأستاذنا في هذا الطريق هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم"[1].

بعد هذه الفترة، وفي سن السادسة والأربعين، والتي كان فيها مستقرا بتلمسان، خرج من خلوته، وارتحل إلى فاس، مرورا بوجدة، واستمر في تلقي علوم الصوفية .

مارس الشيخ التجاني المشيخة الصوفية في إطار طريقة مستقلة وهي الطريقة التجانية، مارس وظائف القدوة والقيادة، يقول صاحب الجواهر: "فمن ذلك الوقت والوفود ترد عليه من جميع النواحي والأقطار للأخذ عنه وللزيارة وأخذ الأسرار، ومن جملة فيوضاته، ما تلقيناه من إملائه علينا من حفظه ولفظه[2]".

بعد ذلك قرر الشيخ السفر إلى فاس والاستقرار بها، وكما أشار إلى ذلك صاحبه علي حرازم، شارحا سبب ذلك: "فعند هذا تنزل للخلق والإفادة وإظهار الطريقة والاستفادة"[3].

وفي سنة دخوله لفاس، أمر بجمع كتاب جواهر المعاني، أي بكتابة الإطار المرجعي لطريقته.

[1] المرجع السابق، ص 73.

[2] المرجع السابق، ص 62.

[3] المرجع السابق نفسه، ص 51.

تميزت هذه الفترة[1]:

– بكتابة مرجعية الطريقة وحراستها من التغيير والتبديل: ضبطت قواعد السلوك فيها وقواعد تنظيمها وعمره 63 سنة.

– بإنشاء زاويته بفاس بحومة البليدة سنتين بعد استقراره بفاس، وعمره 65 سنة.

– بانتشار الطريقة التجانية انتشارا عارما – في حياة مؤسسها – في جميع الأوساط والشرائح الاجتماعية، من العلماء والوجهاء، والطلبة وأصحاب الحرف، وأهل المخزن والشرفاء.

– بممارسة وظيفة المشيخة الصوفية بجانبيها – القدوة والقيادة – ممارسة تامة وأحادية، فلم يشاركه فيها صاحب ولا ولد.

مؤلفاته:

1. من مؤلفاته شرحه للنصف الأول من مختصر الشيخ خليل وهو موجود بخزانة عين ماضي.
2. ومنها تفسيره لنحو الخمسين آية من كتاب الله وهي موجودة بخزانة عين ماضي.
3. ومنها شرحه لعدد كثير من الأحاديث القدسية، والأحاديث النبوية
4. ومنها شرحه لكل صلاة على حدة من الصلوات الثلاث التي هي:

* جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال.
* والصلاة الغيبية في التعريف بالحقيقة الأحمدية.

ومما ميز الطريقة التجانية، الاستقامة والجد؛ فالمتتبع لحياة الشيخ، يجده لا يترك شيئا للصدفة يخطط لتنقلاته ولأسفاره، يسافر حيث يود لا حيث يتيسر. يخطط لمصارفه المالية وينظمها أشد ما ينظم، يخطط لطريقته ولانتشارها، فيوكل مقدما لجهة معينة ويأمر بعدم الظهور حتى تجتمع شروط الظهور، [سيدي محمد الحافظ الشنقيطي العلوي] ينظم توجهات مقدميه ومن بلغ منهم مرتبة المشيخة.

[1] المرجع السابق نفسه، ص 63.

التخطيط والتنظيم[1]

وقد أسهم حسن التنظيم في انتشار الطريقة التجانية انتشارا باهرا؛ وقد ساهم في ذلك أيضا، الحظوة التي لقيها الشيخ التجاني لدى السلطان أبي الربيع سليمان بن محمد (1206 – 1238)، وقد تحدث أصحاب التراجم بإجمال عن العلاقة الودية والروحية بين السلطان والشيخ التجاني، كما حاولوا أن يجمعوا أخبار باقي أصحاب الشيخ في دواوين فلم يتيسر لهم إلا النزر القليل من ذلك.

ومن المؤكد، هو تميز العلاقة بين الشيخ التجاني والسلطان، حيث عرض هذا الأخير على الشيخ أن يسكن أحد قصوره، وهو المعروف (بدار المرايا) بفاس.

وبقي سلاطين وأمراء الأسرة المالكة على عهدهم بالطريقة الأحمدية، زادها الله شرفا ورفعة، جريا على سنة أبي الربيع، كالسلطان مولاي عبد الرحمن، وأولاده سيدي محمد .

المطلب الثالث: فقه الطريقة التيجانية :

الطريقة التيجانية:

لا بد من التطرق لأساسيات الطريقة وفهم بعض مصطلحاتها وشروط الدخول فيها وكذا أهم أذكارها, وهذا لفهم كثير مما جاء في متن الرحلة, فالشيخ أحمد لعناية تيجاني الطريقة مالكي المذهب, وقد ركزت في هذا المطلب على مايلزمنا لفهم بعض ما جاء في المتن.

فقه الطريقة التيجانية[2]:

الاوراد اللازمة للطريقة: الورد (لازم) _ الوظيفة _ الهيللة .

شروط صحة الأوراد :

. النية

---

[1] المرجع السابق نفسه، ج1، ص 77.

[2] أحمد بن محمد العلوي الشنجيطي، روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، تحقيق الراضي كنون، منشورات الطريقة التيجانية، ص 54.

. الطهارة

. ستر العورة .

. عدم الكلام إلا للضرورة إن لم تكف الإشارة .

أركان الأوراد :

الورد صباحا ومساء: مئة مرة " أستغفر الله "، ومثلها من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .,. ومثلها " لا إله إلا الله "

الوظيفة: ثلاثون مرة " أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم "، وخمسون مرة " صلاة الفاتح " ولا ينصح بغيرها، ومئة مرة " لا إله إلا الله " . واثنتي عشر مرة " جوهرة الكمال "

الهيللة: وهي ذكر الكلمة المشرفة " لا إله إلا الله " بلا عدد بعد عصر يوم الجمعة إلى الغروب .

مكروهات الأوراد:

ذكر اللازم جهرا . التبسم . الالتفات للخلف . التفكير في أمور الدنيا .

مبطلات الأوراد:

تحريف ألفاظ الذكر . التسرع المؤدي إلى تغيير ألفاظ ومعاني الكلمات . الضحك.

أوقات الأوراد:

ورد الصباح: من بعد صلاة الصبح إلى قبل صلاة الظهر، أما ورد المساء من بعد العصر إلى العشاء

نص صلاة الفاتح: اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى حقه ومقداره .

نص جوهرة الكمال: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني وبورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني ......[1]

المبحث الثاني:

المطلب الأول: ترجمة مؤلف الرحلة الشيخ أحمد العناية دهسي رحمه الله:2

ولد الشيخ الحاج أحمد العناية دهسي سنة 1908 بعين ماضي بالأغواط، من عائلة اشتهر أسلافها بالعلم والفقه. بدأ دراساته الأولى بحفظ القرآن في كتاتيب القرية حيث أتمّ حفظه وهو ابن عشر سنوات.

التحق بعدها بالمدرسة النظامية الفرنسية، لكن حسب والديه لم يكن له اهتمام كبير بالمدرسة رغم ما كان يعرف عنه من اجتهاد وذكاء، حيث أنه كان دائما يرتّب ضمن الأوائل. وما يرويه عنه والداه بأن قلبه متعلق بالمسجد منذ الصغر، حيث أنه كان يحب الذهاب إلى المسجد العتيق ويؤذن به رغم صغر سنه، وتروي والدته بأنه كم من مرة أوتي به من المسجد بعد منتصف الليل، وكثيرا ما كان يذهب وحده في هذا الوقت من الليل إلى المسجد.

بعد أن أتمّ دراساته الابتدائية، لم يشأ إتمام الدراسة بالمدارس الفرنسية رغم الفرص التي أتيحت له، لكنه فضل التوجه إلى دراسة الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى، فسافر مع القافلة التي كانت تأتي من تماسين إلى عين ماضي فارتحل معها، حاملا معه "رسالة أبي زيد القيرواني" فقرأها كاملة أثناء رحلته مع القافلة.

حين وصوله إلى تماسين مكث بها مدة يدرس الفقه، ثم بعدها سافر لطلب العلم في حاضرة الجامعات الإسلامية آنذاك وهو . جامع الزيتونة . بتونس. تلقى الشيخ شتى أصناف العلوم

---

[1] نصها مازال طويلا ، انظر علي حرازم الفاسي بن العربي ، جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني ، مطبعة الزاوية التيجانية ط10 .

[2] اعتمدت في الترجمة على زوجة الشيخ لعناية و ابنه السيد محمد دهسي .

بالجامعة وتخرج منها بشهادة الأهلية العالية ومكث يدرس بها كأستاذ لعلوم الفقه والتصوف. نذكر هنا أن الشيخ أحمد العناية مكث بالزيتونة لمدة تزيد عن الـ17 سنة.

يجدر بالذكر أيضا أنه خلال سنوات دراسته الأولى عزم الشيخ على الذهاب إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج مشيا على الأقدام وخلال سفره، وهو يمر من خلال الصحراء الليبية التقى بمجموعة من الليبيين، فسألوه من أين هو وأين يقصد، فلما ردّ عليهم أخبروه بأنهم يقصدون بيت الله كذلك فطلبوا منه مرافقتهم فوافق، وأثناء الطريق ألقى الجيش الإيطالي القبض عليهم . في حقيقة الأمر كان أولئك الليبيون مجاهدين ضد الاستعمار الإيطالي- فاقتيدوا إلى ثكنة عسكرية ولما وجدوا الشيخ جزائريا اتهموه بالجوسسة رغم أنه قال لهم حقيقته.ورغم شهادة المجاهدين الليبيين بأنه ليس معهم وبعثوا إلى الجزائر وجامع الزيتونة ليتحققوا من كلامه، فلما طال الرد حُكم عليه بالإعدام مثلما فعلوا بالمجاهدين، وحين همّوا بتنفيذ الحكم جاءهم الرد من علماء الزيتونة بأن الموقوف هو فعلا طالب بجامعة الزيتونة، فأخلوا سبيله ومع ذلك أراد مواصلة سفره إلى الحج.

بالرغم من استقراره بتونس إلا أنه كان دائم الاتصال بمسقط رأسه عين ماضي. وقد أسس بها مدرسة لتحفيظ القرآن. بعد ذلك أشرف على توسعة وإعادة بناء المسجد العتيق. وفي عام 1948 كانت رحلته الكبرى إلى افريقيا من أجل نشر تعاليم الإسلام في تلك الدّيار، والتي هي موضوع بحثنا هذا فارتحل رفقة صاحبه الشيخ الحاج بن عمر التجاني انطلاقا من المغرب. وقد جال في أكثر من 20 قطرا افريقيا.

بعد عودته إلى الجزائر مكث بعين ماضي وكانت الحرب قد بدأت فانضم إلى المجاهدين وكان معيّنا قاضيا للجبهة وكان يقوم بتزويد المجاهدين في الجبال بالمؤونة أيضا، فألقي عليه القبض وسجن لمدة تفوق السنة بسجن بربروس بالعاصمة، وعند انتهاء مدة السجن حرّم عليه دخول عين ماضي ونفي للأغواط فمكث هناك مدرّسا، ثم واصل جهاده ضد الفرنسيين. وقد اتصلت به جمعية العلماء المسلمين للانضمام إليها لكن نفيه حال دون ذلك، فأعيد للسجن مرة أخرى لمدة قصيرة وخرج لتفرض عليه الإقامة الجبرية في بيته.

بعد الاستقلال، عرضت عليه عدة مناصب عليا لكنه رفضها وقال قولته المشهورة "إذا اشتغلت عند الدولة فلمن أترك المسجد العتيق بعين ماضي وهو وكري الذي أستأنس به". عاد

لعين ماضي واشتغل بالتدريس والتعليم وقد تخرّج على يديه العديد من الإطارات وكان دائم التّرحال بين تونس والمغرب وإفريقيا ناشرا للعلم متفقّدا لأصحابه.

أحيل على التقاعد عام .1979 وتوفي يوم 26 ماي من سنة 1981

Haut du formulaire

مؤلفاته :

تيسير الأماني _ ديوان شعر

الرحلة العمرية

ترياق الفهوم

العناية بمعالجة الأرواح مقدمة على معالجة الأجساد – كتاب التصوف

حضارتهم وحضارتهم

حزب الصلوات ومشارق التجليات

السيف المسلول في الرد على كل معاند جهول

بالإضافة إلى عدة مقالات في شتى المجالات خاصة في مجال التصوف.

المطلب الثاني: الرحلة تسميتها وأسباب القيام بها[1]:

سميت بالرحلة العمرية تيمنا بالشيخ بن عمر التيجاني الذي خطط للرحلة وأمر بها واختار مرافقيه فيها.

نسبه:

هو الحاج بن عمر بن الحاج محمد الكبير بن محمد البشير بن محمد الحبيب بن الولي الصالح الشيخ أحمد بن محمد التجاني.

مولده:

ولد سنة 1904، وتوفي يوم الأحد 25 فيفري 1962 عن عمر يناهز الثامنة والخمسين.كان عالي الهمّة اشتهر بالرحمة. اتّخذ من إفريقية مركزاً لهاته الدّعوة لأسباب عدّة منها: الحالة الدّينيّة والاجتماعية ولم نفصل بين الحالتين لأنّ المعتقدات الإفريقية تتجاوز الفرد، فكلّ معتقد يقابل نمطاً مميّزاً من أنماط المجتمع سواء كان المعتقد يخلق هذا النمط أم ينبثق منه ولأنّ أنماط السّلوك الإجتماعي تتحدّد بالمعتقدات فأوّل ما يشعر به كلّ إنسان الوازع الدّيني: أو الخوف من الخطر، ثم الثقة في مساندة الجماعة التي ينتمي إليها، ثم الخضوع للتقاليد التي تفرضها هذه الجماعة، أو تفرضها الطّقوس والشّعائر الدّينيّة، وعليه نقول إن الدّيانة التي سادت المجتمع الإفريقي هي الدّيانة الإحيائية، وهي مجموعة معتقدات يعتنقها مجتمع بدائي تدور في مجملها على اعتقاد أنّ في هذا الكون المنظّم قوّة تتحرّك يتعيّن على المعتقد تحديد مسار حركتها بطقوس دينيّة لمنع الكوارث التي يمكن أن تصيب الإنسان في نفسه أو ماله أو أبنائه، وهذه القوّة عندهم كائن يعلو فوق الكائنات قام بخلق العالم دفعة واحدة ثم تسامى عن البشر، وأخلد إلى الرّاحة، وأناب عنه في إدارة شؤون السّماء الإله " لوا "، حيث كلّفه بالبرق والرّعد والمطر، والخير والموت والحياة الخ، **وهو منزّه عن الصّفات البشريّة.**

وأناب عنه في إدارة شؤون الأرض الإله "سو"، حيث وضع في يده أدوات العمل والسّحر والخير والشّرّ، ويتوجّه الإحيائيون إلى عبادة الأسلاف ليكونوا وسطاء لهم عند تلك القوّة الخفيّة.

[1] الأسباب استقيناها من متن الرحلة و شروحات صاحبها الشيخ لعناية رحمه الله .

العادات والتقاليد السّائدة

وأد الأطفال: وهذا لأتفه الأسباب: إذا نقص إصبع أو زاد، **المهمّ إذا ولد خلاف العادة،** والاعتقاد السّائد أن روحاً شرّيرة أتت به

الكهانة: السّحر: صرف شيء عن حقيقته الشعوذة التي كانت السائدة.

الحالة السياسيّة والاقتصادية.

لم تكن أحسن حظّا من سابقتها، حيث تميّزت السياسة بنظام الملوكيّة: لكلّ قبيلة ملك ومعتقد... أمّا النّاحية الاقتصاديّة فكانت تعتمد أساساً على الزّراعة والتجارة، ولكنّ مردود هذه الأخيرة ضعيف. وبقيت إفريقية على هذه الحال قرونا إلى أن جاء الفتح الإسلامي بوفود المسلمين إلى الحبشة، ومنها بدأت تظهر بوادر هذا الدّين وتعاليمه السمحة ذكرنا هذه الأحداث حتى نعلم الأصول المكوّنة لهذا المجتمع الّذي سيقتحمه الحاج بن عمر التيجاني ومرافقوه حيث تتواجد أقليّات مسلمة، أغلبيات مسيحيّة، ثمّ مجوس ووثنيون. ولمّا كانت زيارة هذه الأقطار تتطلّب موافقة الهيئات العليا الحاكمة سألها هل إذا أراد مسلم زيارة إخوانه في مختلف الأقطار الإفريقية أهناك مانع؟، وكان الجواب أن لا مانع، فصرّحوا له بالسّفر، وتوجّه الركب نحو المغرب الأقصى لزيارة الزاوية التيجانية بفاس ومنها إلى الرّباط فالدّار البيضاء، ومن مطارها استقلوا الطّائرة إلى (داكار). وكان في استقبالهم جملة من الأفاضل وأكابر رؤساء الدّين في زياراتهم لمختلف بلدان إفريقية الاستوائية، مستعملين في ذلك الوسائل المتاحة حسب تضاريس المنطقة: طائرات، بواخر، سيارات، قطارات، وخيول. وكانوا إذا نزلوا ببلاد ازدحمت الجماهير حولهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على محبة الإسلام ومكانته في قلوب سكان هذه الأقطار. ولإدراك الركب التيجاني هذا كان الشيخ أحمد العناية كثيرا ما ينزل بالمساجد داعياً ومرشداً موجّهاً، وناصحاً أمينا شفوقاً.

وكان الهدف الأساسي الأسمى من هذه الرحلة الدّعوة إلى الإسلام وبثّ تعاليمه السّمحة الشرعيّة والرّوحيّة، وقد ألّفت في ذلك كتاباً منها (المجموع الواضح) يبيّن فيه عوائد الإسلام السّمحة، مواجهاً بها تلك العوائد القبيحة المنتشرة هناك. و كتاب الإجابة الشافية.

وبعث لهذا الغرض كذلك الشيخ ابن عمر إلى الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري يطلب منه كتباً في تعاليم الإسلام بلغات أجنبيّة ليستنير بها أهل هذه الأقطار ويتفقهوا في دينهم ..

وكان يتصلّ برؤساء كلّ منطقة يحلّ بها، ويدعو مَنْ لهم تأثير فيها إلى الإسلام، فأسلم على يديه الكثير من المجوس وغيرهم من الوثنيين.

مواجهة بعض الحركات الهدّامة البعيدة عن تعاليم الدين السمح كالقاديانية مثلا، التي غزتهم مع الحجيج، بل كان يعمل على نشر الوعي الديني المدعم بحبّ آل البيت ونصرة الأوليا.

حضّ الرّؤساء على الاهتمام بشؤون المسلمين وتقديرهم وساهم في بناء أو تجديد عدة مساجد ومدارس لتحفيظ القرآن.

الدّعوة إلى فتح مدارس لتعليم العربيّة، ومبادئ الشّريعة الإسلاميّة.

عند تعرّضه لمجموعة من المسلمين تفرقهم حزازات نفسيّة أو فوارق كان يبذل قصارى جهده لإصلاح ذات البيْن، ويعمل لإزالتها ومحو آثارها، كما وقع في (كنصاصة)، حيث فوجئ بوجود شقاق مستفحل بين المسلمين منذ سنوات، فقضى عليه، ووعظهم وأرشدهم، حتى صاروا إخوة بعد أن كانوا يعدّون ذلك ضرباً من المستحيل.

كان يدعو الحكّام إلى الاحتكاك بالمحكومين تحقيقاً للتواضع والمصالح العامّة، كما وقع للسلطان (أحمد بن بوبكر) حيث أمره بالصّلاة بالنّاس يوم الجمعة، فحقّق بذلك رابطة اجتماعيّة قويّة.

كانت الاجتماعات الخاصّة بالوظيفة تضمّ ما يزيد عن 1500 شخص في كلّ منطقة يؤمّه.

كانت بعض مجالسه الوعظيّة والمناظرات العلمية تستغرق السّاعات الطوال لتسفر على دخول المئات إلى الإسلام.

لم تقتصر دعوته على الجانب الوعظيّ والإرشاديّ فقط، بل تعدّتها إلى المساعدات المادّية كما وقع في قبيلة (بني عريان)، وهم قبيلة اعتادت على العري، فلمّا مرّ عليهم قطار الركب التيجاني محمّلاً بالألبسة، لحقوه بغية الرؤية والتوجيه، والحصول على ما يسترون به عريهم واستطاع الشيخ بن عمر ومن معه من علماء التأثير في مسؤولي الجهة بجعل حدّ للتعرّي في تلك الجهة، وقد كانت له الرّيادة في ذلك.

المطلب الثالث: نظرة عامة حول الأقطار الإفريقية التي شملتها الرحلة :

في الوقت الذي سعت فيه إنجلترا لتكوين مستعمرات في إفريقيا كان لفرنسا نشاط استعماري في القارة، خاصة في منطقة غرب إفريقيا ورغم أن فرنسا أصبح لها نصيب الأسد في المنطقة إلا أن بريطانيا منعتها من الاستحواذ على المنطقة بأسرها، فامتدت المستعمرات البريطانية محاصرة المستعمرات الفرنسية وقد حدثت منافسة شديدة في غرب إفريقيا بين الدولتين.

و فيما يلي سنتناول بالدراسة أهم التكتلات والمستعمرات التي شملتها الرحلة :

إفريقيا الغربية الفرنسية: اتحاد مكون من 8 مناطق في إفريقيا الغربية أدارتها فرنسا ما بين 1895_1958، وكانت داكار عاصمة هذا الاتحاد المكون من :

داهومي (البنين),غينيا الفرنسية (غينيا),السودان الفرنسي (مالي) ساحل العاج، موريتانيا, النيجر، السنيغال، وفولتا العليا(بوركينافاسو).

وتمتد على مساحة: 4.633.970. كلم 2 .[1]

[1]عتريس محمد معجم ، بلدان العالم ،الدار الثقافية للنشر، القاهرة،ط1 2001، ص 97

إفريقيا الإستوائية الفرنسية: مساحتها 2.509.994. كلم2 يتكون هذا الاتحاد من أربع دول هي: إفريقيا الوسطي تشاد الكونغو، الجابون. معظم سكان هذه المناطق إفريقيون سود، تعيش الشعوب المتحدثة بالبانتو في الجنوب أما جماعات الفولا والسارا والتوبو كانت تعيش شمالا[1] .

الداهومي (البنين) :

وعاصمتها بورتو نوفو تقع غرب إفريقيا، يحدها غربا الطوغو وشرقا نيجيريا ومن الشمال بوركينافاسو والنيجر، أما جنوبا فتطل على خليج بنين الذي سميت باسمه بعد الاستقلال سنة: 1960، بعد فرض فرنسا سيطرتها عليها عام 1892 وتسميتها بداهومي الفرنسية، وكان يطلق عليها قبلا في بدايات القرن السابع عشر <<ساحل العبيد>>، نظرا لانتشار تجارة الرقيق فقد وصلت مكاسب ملوك الداهومي منذ 1750 تقريبا نحو 250.000 جنيها إسترليني سنويا جراء تجارة العبيد.

أهم المدن: أتاكورا_ أبومو_ بوبيه_ لوكوسا_كاندي_أوبمي_ كوتونو[2].

أهم اللهجات المحلية: أبوجي، فون، يوروبا.

غامبيا:

وعاصمتها بانجول وهي إحدى دول الغرب الإفريقي ويحدها من الشمال والشرق والجنوب السنيغال، يخترقها نهر غامبيا الذي يصب في المحيط الأطلسي الذي يحدها من الغرب، يقوم اقتصادها على الفول السوداني.

دخلتها قبائل الألوف والماليتكي والفولاني في القرن 13، وفي القرن 14 أصبحت غامبيا جزءا من إمبراطورية مالي الإسلامية، في القرن 17أنشأ البريطانيون والفرنسيون مستوطنات صغيرة على النهر، ثم سيطرت إنجلترا بمقتضى اتفاقية فرساي 1783, إلى أن نالت استقلالها سنة 1965.[3]

---

[1] المرجع السابق ، ص 211.

[2] أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي ج 6.مكتبة النهضة . القاهرة. ص:410.

[3] Banjul nervspaper reporter freed on bail pending trial . reporters without borders 13-06-2006

التقسيمات الإدارية:

_القسم الغربي ورئاسته (بركاما).

_قسم أدنى النهر، عاصمته منساكونكو .

_قسم مكارتيأيلند وعاصمته جورج تاون.

_قسم أعالي النهر وعاصمته باسر.

_قسم الضفة الشمالية وعاصمته كيرام.

_قسم المنطقة العمرانية.

وهناك منطقتان عمرانيتان لا تنضويان في هذا التقسم وهما:

_مقاطعة كانفنج العمرانية .

_ مدينة البغال جزيرة سنت ميري.

الدين: 90 من السكان مسلمون يتبعون المذهب المالكي.

سيراليون:

عاصمتها فريتاون وهي دولة غرب إفريقيا على ساحل المحيط الأطلسي تحدها غينيا من الشمال وليبيريا من الجنوب الشرقي، استقلت سنة 1961، بعد احتلال بريطاني طويل الأمد، تتكون الكلمة من سيرا (القمة) وليون (الأسد) أي قمة الأسد وأهلها يطلقون عليها روما دونج بمعنى الجبل. وتشتهر بالماس.

السكان: أبرزهم جماعات المندي الثمني الماندج الفولاني صوصوبانوكافاي.

62 مسلمون /28 مسيحيون/ 10 من معتقدات أخرى.[1]

[1]Historical Dictionary of woman in sub_saharanafricaBykathleenE.Sheldon .pg 109.

ساحل الذهب(غانا) :

عاصمتها أكرا وهي جمهورية إفريقية على الساحل الشمالي لخليج غينيا الواقع في غرب إفريقيا تحدها بوركينافاسو من الشمال وتوغو من الشرق وساحل العاج من الغرب، وهي دولة محورية في غرب إفريقيا استقلت عن بريطانيا عام:1957 كانت تسمى ساحل الذهب من أهم المدن: كوماسي، تامالي، تيما، تاكورادي، كيب كوست.

السكان: الفانتي، أشانيتي، الموسي (داجومبا) الايوي، الهوسا الفولاني.

يمثل المسيحيون الغالبية، ويليهم المسلمون .

ليبيريا:

عاصمتها مونروفيا وهي دولة في غرب إفريقيا تحدها غربا سيراليون وشمالا غينيا وشرقا كوت ديفوار ،وجنوبا المحيط الأطلسي، استقلت عن إنجلترا سنة: 1847 [1].

أهم المحافظات: لوفا، نيمبا، بومي، بونغ مارغي، سينوي.

السكان: كيلي في وسط وغرب البلاد/ الليبيريون الأمريكيون الذين ينحدرون من المستوطنين الأمريكيين الأفارقة / شعب الكونغو المنحدرين من الكونغو/ العبير القادمين من البحر الكاريبي/ وصلو 1825/ عدد من الهنود واللبنانيين.

85 مسيحيون\ 12.2 مسلمون (قبائل مانينكا_فاي) الباقي ديانات أخرى .[2]

نيجيريا :

عاصمتها آنذاك لاجوس أما الآن أبوجا، تقع غرب إفريقيا تحدها بنين غربا، تشاد وكاميرون شرقا، النيجر شمالا، خليج غينيا جنوبا، استقلت عن بريطانيا سنة:1960.

---

[1]Liberia in perspective an orientation guide defenselang institue foreignlanguage center P2.

[2]AdekeyeAdebajoliberiasivilwar : Nigeria ECOMOG and regional security in west africa international peace Academy . (2002) P21

[2]Charles Mdialimu ، the Négerian legal sustem public lan peter lang 2005 P6

السكان: أهم الجماعات العرقية: الهوسا، اليوريا، الإيبو، الفولانية، الكانوري، الإغبو، إدوما.

50.4 مسلمون/ 48.2 مسيحيون/1.4ديانات أخرى.

الفول السوداني[1].

الكونغو البلجيكي:

عاصمتها كينشاسا، تقع وسط إفريقيا وهي مستعمرة بلجيكية تأسست عام 1908، خلال الحرب العالمية الثانية كانت أهم مصدر لليورانيوم إلى الولايات المتحدة، تناط مهمة إدارة المستعمرة بنائب ملك بلجيكا وقد تعاقب عليها عشر حكام خلال 52 عام، وخلال الرحلة كان حاكمها هو: Eugène jungers (1951_1946)[2]

السنيغال:

عاصمتها داكار سنة1902 بعد أن كانت العاصمة سانت لويس(أندر)، تقع غرب إفريقيا يحدها غربا المحيط الأطلسي، موريتانيا شمالا، مالي شرقا، غينيا جنوبا وداخليا تحيط السنيغال بشكل لاكلييغامبيا.استقلت عن فرنسا عام 1960

السكان: أهم العرقيات: الفلاتيون، الولوف، جولا، توكولو، جولا، وأقليات لبنانية، الحرادليين(عرب سمر) السونكي[3]

اللغة: الجولا، الفولانية، الولوف.

90 مسلمين/ – مسيحيين/ 1 أديان أخرى. [4]

أهم المدن والمناطق: دكار، لوغا، سانت لويس، كولاك....

[2]Républiquedémocratique du Congo . Laval university Canada

[3]تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العالمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)_أرفيرا_

[4]الأقليات المسلمة في إفريقيا، سيد عبد المجيد بكر إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.

ساحل العاج:(كوت د يفوار) :

عاصمتها ياموسوكو تقع غرب إفريقيا تحدها غانا من الشرق وغينيا وليبريا من الغرب ومالي وبوركينافاسو من الشمال Cote d'ivoire وتشرف من الجنوب على خليج غينيا والمحيط الأطلسي.

أهم مدنها: ياموسوكو، أدبيجان، بواكي.

إستقلت سنة 1960 عن الإستعمار الفرنسي.

السكان: أكان، ماند، غور.

اللغات: ديولية، باولية، دان، نغنارية[1]

التوغو :

عاصمتها لومي، وتقع غرب إفريقيا تحدها من الغرب غانا وبنين من الشرق، وبوركينافاسو من الشمال تمتد جنوبا إلى خليج Togoالتوغو:

السكان: الإيوي، الوناشي، المينا، اليوريا، الهوسا.

اللغات: الهوسا، مومبا، الكابي، وايفي، المينا.

الدين: 20 مسلمين /10.5 مسيحيين / والغالبية ديانات ومعتقدات أخرى[2].

النيجر:

غرب إفريقيا يحدها جنوبا نهر النيجر ونيجريا وبنين وبوركينافاسو ومالي غربا والجزائر وليبيا شمالا أما شرقا تشاد، استقلت عن فرنسا عام 1960.

السكان: أغلبهم الهوسا, الفولاني, الطوارق الكانوري، التوبو العرب، 90 مسلمون.

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص:112

[2] إلهام محمد علي دهني، بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتبة الأنجلو المصري ط1 2009.

اللغة: الهوسانة، الفولانية، كانوري[1].

الكاميرون:

عاصمتها ياوندي، تقع وسط الغرب الإفريقي تحدها غربا نيجيريا والشمال الشرقي التشاد، شرقاإفريقيا الوسطى جنوبا غينيا الاستوائية، والغابون والكونغو تطل على المحيط الأطلسي.

استقلت عن فرنسا 1960، وعن بريطانيا 1961.

السكان: الفولاني، الهوسا، الكوتوما، الماسة، الكانوري.

يرتكز الإسلام شمالا حيث "استقرب" جماعات الفولاني المسلمة[2].

الكونغو الفرنسي:

مستعمرة فرنسية تأسست 1880 شملت (الكونغو والجابون وسط إفريقيا) وكلها تحت اسم إفريقيا الإستوائية الفرنسية، ليبرفيل.

برازافيل:تقع على نهر الكونغو عبر بحيرة ستانلي في كنشاسا، وهي مركز صناعي ومركز حركة المواصلات تأسست 1884.

السكان: ينقسمون إلى مجموعات هم:

الكونغو / الباتيكي/ الأمبوكي/السانغا/ غالبيتهم مسيحيون.

الغابون:

كانت منطوية تحت حكم واحد مع الكونغو[3].

التشاد:

عاصمتها انجمينا، بلد حبيس (غير ساحلي) وسط إفريقيا تحده شمالا ليبيريا شرقا السودان، جنوبا إفريقيا الوسطى، الكاميرون نيجريا من الجنوب الغربي/غربا النيجر, استقلت عن فرنسا عام 1960 .

---

[1]عتريس محمد، معجم البلدان العالم، ص:98

[2]سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في إفريقيا ص:40.

[3]المرجع السابق، ص:87.

السكان: عدة مجموعات عرقية من بينها:

السارا/ اللكا/ العولا/الكيري/الدازا.زهاء نصف السكان مسلمين[1] .

هذه أهم العواصم والبلدات التي زارها الركب، وقد تعرضت لأهم المصطلحات والإحصائيات التي تعرض لها صاحب الرحلة في المتن .

إفريقيا الغربية الفرنسية:

إتحاد مكون من 8 مناطق في إفريقيا الغربية أدارتها فرنسا ما بين 1895_1958: وكانت داكار عاصمة هذا الإتحاد المكون من داهومي (البنين) غينيا الفرنسية (غينيا) السودان الفرنسي (مالي) ساحل العاج _ موريتانيا النيجر السينغال وفولتا العليا (بوركينا فاسو).

على مساحة 4.633.970 كلم2 ([2]).

إفريقيا الإستوائية الفرنسية: مساحتها 2.509.994 كلم2 (2)، يتكون هذا الاتحاد من أربع دول هي: إفريقيا الوسطى، تشاد، الكونغو، الجابون، معظم سكان هذه المناطق إفريقيو سود، تعيش الشعوب المتحدثة بالبانتو في الجنوب أما جماعات الفولا والسارا والتوبو كانت تعيش شمالا.

---

[1] إلهام محمد علي الدهني، المرجع السابق، ص: 120.

[2] غنتريس، محمد معجم بلدان العالم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط 1، 2001.

الفصل الثاني:

التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلّ على سيّدنا محمد

الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى ما هدى إليه وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ، عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" إنما الأعمال بالنيات ،وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[1] متفق عليه.

أحمد الله الذي أمر العباد بالسّير في أرجاء البلاد ، فقال ولم يزل قائلا عليها آمرا حكيما :" قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ "[2] فانطلق ليطلع عباده على عجائب الألوان في اختلاف الأماكن والبلدان ، وغير أنه خلق اللسان والألوان الدالة على وجوده وإنه الواحد المنفرد في موجوده ، الفاتحة على كرمه وجوده مقام الدليل والبرهان ليتذكروا آلاءه ويشكروا نعمائه وليعتبروا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد معلم أمته وغالب أفراد ملته من جنسين الأبيض والأسود المبلغ دعوته لسائر الأقاليم فكانت بين البشر حياة بعد الموت وتداركا في الفوت ، وجنة مفتحة الأزهار تجري من تحتها الأنهار بعد تسعير الجهل ودركات الجحيم فاعتبروا ياأولي الألباب, وعلى آله وأصحابه والتابعين الذين ذللوا المسألة في الممالك واستضاءت بأنوارهم دياجي الليالي الحالكة.

أشرقت شموس الهداية من حيهم وخضعت للإسلام الصناديد والجبابرة ,وبفضلهم وبفضل مجهودهم وسعيهم حتى أعطى الجزية للإسلام بوصف من كان يأخذها بوصف الإجلال ، والإكبار صلاة ما دامت الرياح تجري في أركان الأرض والفلك والبحورفي

---

[1]ساق البخاري هذا الحديث في صحيحه سبع مرات (كتاب الوحي , الإيمان , العتق ,مناقب الأنصار ,النكاح , الأيمان و النذور , الحيل) أما مسلم أورده في كتاب الإمارة .انظر البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي, الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم ,ضبطه مصطفى ديب البغا ,دار بن كثير 1993 .وانظر مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261 ه) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم , تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ,دار إحياء التراث العربي بيروت .

[2] العنكبوت 20

الطول والعرض وبعد فيقول العبد الفقير أسير ذنبه وشهواته ، أقال الله هفواته وغفر ذنوبه وسيئاته ، وبارك في حركات أحمد العناية الماضوي التجاني أن أجل ما يتنافس المتنافسون وأكمل ما تسعى وراءه همم الحفاوة الصناعة العلمية الذين تنسبوا أفكارهم عن التقاط ، والذي تحن إليه أقدامهم حين الجزع وتشتاق إليه الأعيان وما هو من أجناس البشر وغرائب الإكرام في اختلاف اللسان وتباين الألوان ، لا بمجرد اعتقاد الجنان آثار الواحد المؤثر في مؤثرة من العبيد إن في ذلك لذكرى، ممن كان له قلب أو عقل أسمع وهو شهيد فإنّ البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير لذلك تعلقت عناية العلماء الأعلام من أرباب الجغرافية وجمائدة التّاريخ وأهل الرحلات العالمية من سائر الأجناس على تحقيق هذا الغرض فأجادوا البحث فيما يتعلق بعلوم الأرض فعمدوا إلى تقسيم الكرة العالمية . فقسموها إلى خمس قارات سعيا وراء ما يتعلق بتحقيق تلك المهمات ولا زالوا آخذين بزمام البحث ولعمري إنها لمن أكرم المهن وأشرف المبادئ والغايات إذ كل نفس تتوق إلى معرفة ماهي فيه ، وجهل ذلك مما يجلب ضررها ويجتنيه ولما توجهت صحة أحد كبار أحفاد سيدنا و مولانا العارف الأكبر والكبريت الأحمر مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه دفين حضرة فاس وحرزها الرباني من كل سوء وبأس. توجهت همة هذا السبيل العظيم ذي القدر الفخيم والجلال الكريم إلى زيارة الأقطار السُّودانية التي حوت من أتباع جده رضي الله عنه وخدام ركاب فجده ومن يديه ما يعجز قلم البليغ عن حضره ويقف دونه فكر اللبيب ولو أعانه في هذا السبيل فحول قصره وصاحب هذه الشخصية العظمى الماجدة والطلعة اليوسفية التي ذكراها لا تزال في القلب خالدة .

هو سيدنا ومولانا الحاج ابن عمر نجل سيدنا ومولانا محمد الكبير التجاني من سلالة القطب المكتوم والبرزخ المحمدي المختوم رضي الله عنه ، وهو أحد كبار ربية الشريف الذي صار مضرب الأمثال بين الأصول والإجلال في سائر الأوقات والأجيال وتغنت

بذكره ومدحه الكهول والشبان في سائر الأقطار والبلدان وكنت بسابق العناية رفيقا في هذه الرِّحلة في البداية والنهاية تعلقت همتي والعناية من العناية وقد أقيد قدر الجهد المستطاع ما حوته هذه الرحلة الأحمدية العمرية من التحف وأحصر ماشتملت عليه من زيارات في مختلف النواحي والبلدان ومجالس حوت نجم الغفير من خاصة الأصحاب ونبغاء الأعيان وقد ملك هذا السبيل الشريف وركض بجواده في حلبة هذا الميدان المتين. وأجال القلم في مثل الطروس حضرة العالم العلاّمة السيد محمد عال العلوس الشنجبيطي رافق سيدنا رضي الله عنه في هذه الرِّحلة من أولها إلى آخرها فكان ممن حاك نسيج هذه الرحلة وهذه البردة ، فأجاد صنعه غاية الإجادة وفقنا الله وإيّاه وجعلنا جميعا من الذين لهم الحسنى وزيادة ، وربما أحجمت عن التفصيل في بعض الأوقات وكنت إلى الاجمال لكوننا في حالة سفر بين إنتقال وأشغال.

والسّفر قطعة من العذاب كما جاء عن صاحب الكمال وإكتفاء بما سطره أخونا المذكور من إقامة وارتحال وتسميتها زهرة الحدائق والبساتين في الرحلة العمرية إلى السّوادين وأسأل الناظر أن ينظر هذا الرقيم بعين الرِّضا والإفضال لا بعين النقد والإعلال و الإعتلال قال الشاعر :

وسترى عيبا لذي الود والإخا ولا بعض ما فيه إذا أنت راضيا

وعين الرضا عن كل عيب كلية ولكن عين السخط تبدي المساويا[1]

والله أسأل الإعانة في تحقيق هذا الغرض وأن يجعل الصواب فينا ذائبا والخطأ سريع الزوال حتى يكون الصواب ملكة والخطأ من قبيل الحال وأسأله تعالى أن يحفظ قلمي من الزّلل، فقلما سلم قلم كاتب من العثرات وجواد فارس من الهفوات والعلل .

[1] الشافعي (767- 819 م)

عسى عناية الله تلحقني بالصالحين فقد عوقتمن كسلي[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

مقدمة

فقه المسافر من الناحية الشرعية والإقتصادية والشخصية قبل الأخذ بزمام البحث فيما نحن بصدده نصدع بكلمة تكون قولا فعلا في هذا الموضوع الشريف ، وهي أن هذه الرحلة العمرية التجانية من أولها إلى آخرها كانت موضع العناية الإلهية والهمة الربّانية الأحمدية التجانية . ذلك أننا طالما ركبنا فيها جياد الأخطار ومطايا الصعوبات الكبار فكانت النتائج بحمد الله تعالى وعونه الحصول على المراد وطالما شردت أمام أعيننا الوسائل في المبتدأ حتى يباغتنا حادي الأخبار بنبأ الظفر بالأوطار ، ومن مارس أحوال هذه الرحلة يتحقق بدقة سرًها وجليل أمرها ويعلم علم اليقين لا يخامره فيه شك أنها نفحة من رب العالمين جاد بها عبيده من سكان السّوادين والحمدلله رب العالمين .

من المعلوم عند كل أحد أن السّفر قطعة من العذاب لما فيه من الأخطار كما جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم[2] ومجد وكرم وشرف وعظم بالمسافر إذا عرضه بجميع الأتعاب ففتح له الشارع رأفة به أبواب الراحة فخفف عنه من الأحكام التكليفية ما لم يخفف عن غيره حتى أن مسائل السفرأفردها العلماء رضي الله عنهم بأبواب نخصها قال المالكية من أسباب الجمع [3] بين الصلاتين مشتركتي الوقت في السفر والمراد به مطلق السّفر سواء كان مسافة قصر أم لا ويشترط أن يكون غير محرم ولا

---

[1] البيت منسوب لأم هانئ رضي الله عنها الكازروية (899 ه)

[2] يشير إلى قوله صلى الله عليه و سلم : (السفر قطعة من العذاب يمنع أحدهم طعامه و شرابه و نومه, فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله) و النهمة بلوغ الهمة و الحاجة ,انظر الموطأ ,الإمام مالك بن أنس (93 ه) , باب السفر و معاملة الأصدقاء , علق عليه هانئ الحاج ,المكتبة التوفيقية القاهرة , ج 1 , ص 90 .

[3] للمالكية شروط ثلاث للجمع بين صلاتين في السفر و إذا اختل أحدها لم يجز الجمع : 1- نية الجمع في الصلاة الأولى و تجوز في أثنائها /2 – الموالاة بين الصلاتين / 3 – الترتيب بين الصلاتين . انظر الموطأ ج 1 ص 92

مكروه, فيجوز لمن سافر سفرا عاما أن يجمع بين الظهرين جمع تقديم بشرطين أحدهما أن تزول عليه الشمس حال نزوله بالمكان الذي ينزل فيه المسافر للإستراحة ، ثانيهما أن ينوي الارتحال قبل دخول وقت العصر والنزول للاستراحة مرة أخرى . بعد غروب الشمس فإن نوى النزول قبل اصفرار الشمس صلى الظهر قبل أن يرتحل وأخر العصر وجوبا حتى ينزل لأنه ينزل في وقتها الاختياري ، فلا داعي لتقديمها فإن قدمها مع الظهر صحت مع الإثم وندب إعادتها في وقتها الإختياري في نزوله أو بعده ، وإن نوى النزول بعد الإصفرار وقبل الغروب صلّى الظهر قبل أن يرتحل و خير في العصر فإن شاء قدمها وإن شاء أخّرها حتى ينزل لأنها واقعة في الوقت الضروري المقدم لأجل السّفر وإن أخرها صلاّها في وقتها الضروري المشروع ، وإن دخل وقت الظهر بزوال الشمس وهو في حالة السير فإن نوى النزول وقت إصْفرار أو قبله جاز له تأخير الظهر حتى يجمعها مع العصر بعد نزوله ، فإن نوى النزول بعد الغروب فلا يجوز له تأخير الظهر حتى يجمعه مع العصر ولا تأخير العصر حتى ينزل لأنه يؤدي إلى إخراج كل من الصلاتين عن وقتها ، وإنما يجمع بينهما جمعا صوريا فيوقع الظهر آخر وقتها الاختياري والعصر في أول وقتها الإختياري والمغرب والعشاء كالظهر والعصر في جميع هذا التفصيل ولكن مع ملاحظة أن وقت المغرب وهو غروب الشمس ينزل منزلة الزوال بالنسبة للظهر وإن ثلث الليل ينزل منزلة إصْفرار الشمس بعد العصر وإن طلوع الفجر بمثابة غروب الشمس فيما تقدم فإذا دخل وقت المغرب وهو نازل فإن نوى الارتحال قبل دخول وقت العشاء ، والنزول بعد طلوع الفجر جمع العشاء مع المغرب جمع تقديم قبل ارتحاله وإن نوى النزول قبل الثلث الأوّل أخر العشاء حتى ينزل ، وإن نوى النزول قبل الثلث الأول من الليل صلى المغرب قبل ارتحاله وخير العشاء على هذا القياس والجمع للسفر حكمه الجواز يعني خلاف الأولى وإنّما يجوز إذا كان السّفر برّا فإن كان السّفر بحرا فلا يجوز لأن رخصة الجمع إنما ثبتت عن الشارع في السّفر البري لا غير ومسافة

القصر مسافة تبلغ ستة عشر فرسخا ذهابا فقط والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع بذراع اليد على بعض الأقوال، كما هو مبين في كتب الفروع وهذه المسافة تساوي 80 كيلومترا ونصفا تقريبا مسافة يوم وليلة بسير الإبل المتثقلة سيرا معتادا وتقدير المسافة بهذا متفق عليه بين الأئمة رضي الله عنهم الثلاثة ما عدا السادة الحنفية ، فإنهم قالوا أن المسافة تقدر بالزمن وهو ثلاثة أيام من أقصر أيّام السّنة ويكفي أن يسافر في كل يوم منها من الصباح إلى الزوال وخلاف العلماء رضي الله عنهم من عظيم الرحمة الإلهية بهذه الأمة السّعيدة أزلا وأبدا ، وقال المالكية رضي الله عنهم تكفي نية القصر في أول صلاة يقصرها في السفر ولا يلزم تجديدها فيما بعدها من الصّلوات فهي كنية الصوم في أول ليلة من رمضان .

(مسألة) :

اقتداء المسافر بالمقيم[1] وبالعكس صحيح لكنه مكروه في الحالتين وتشتد الكراهة في اقتداء المسافر بالمقيم لمخالفته سنته فإنه يؤم خلفه ، فإن اقتدى المقيم به فكل على سنته فيصلي المسافر فرضه فإذا سلم من ركعتين أتى المقيم بما يقي من صلاته والقصر في السفر سنة مؤكدة . وإن دخل مصل مع قوم ظنهم سفرا فظهر خلاف ظنه وأنهم مقيمون أولم يظهر شيئا عاد أبدا إن كان الداخل مسافرا لمخالفته إمامه لأنه سلم من اثنتين خالفه نية وفعلا ، وإن أتم فقد خالفه نية وفعلا خلاف ما دخل عليه هذا أن ظهر خلافه وإمّا أن لم يظهر شيئ يوجه البطلان احتمال حصول المخالفة المذكورة فقد جعل الشك في الصحّة وهو يوجب البطلان، وإمّا إن كان الداخل مقيما يتم الصلاه ولا يضره كونهم على خلاف ظنه موافقته للإمام نية وفعلا وعكس هذه المسألة أيضا بوجيه البطلان وهو أن يدخل مصل مع قوم في ظنه أنهم مقيمون فينوي الإتمام فيظهروا أنهم مسافرون أو لم يتبين

---

[1] الأفضل في المذهب المالكي أن لايؤم المسافر مقيما و لا عكسه في غير المغرب أو الصبح , إلا أن يكون الإمام ذا سن أو فضل أو رب منزل . انظر الموطأ ج1 ص 94 .

شيئ فإنه يعيد أبدا إن كان مسافرا وهو ظاهر أنه قصر لمخالفة فعله لنيته ، وإما إن لم يتم فكان مقتفى القياس الصحة مع إن ظاهر كلام المختصر وظاهر كلام الفقهاء بطلان الصلاة في هذه الحالة والدليل على سنية القصّر قوله صلى الله عليه وسلم صدقه تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته[1] و بداية القصر بعد مجاوزة البساتين المسكونة لأهل الحضر و منتهى القصر في الدخول هو مبدأ القصر في الخروج ويشترط في السفر كونه سفر طاعة فالمسافر للهو كالصّيد من غير حاجة ، و العاصي بسفره كالأبق والعاق هؤلاء لا يقصرون يعني يحرم في حقهم القصراتفاقا في الثاني ، وهو العاصي وعلى الأصح في الأوّل وهو المسافر للهو ،وأما السفر المباح والمندوب الذي هو كل هذه الرخصة كسفر الحج والتجارة وطلب العلم وزيارة الأولياء ..إلخ .

وفي الموطأ عن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت :" فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت في صلاة السّفر"[2] وزيد في صلاة الحضر وحدثني عن مالك أنّه بلغه أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان يقصر الصلاة مثل ما بين مكة والطائف وفي مثل ما بين مكة وعسفان وفي مثل ما بين مكة وجدة قال مالك وذلك بأربع يرد ذلك أحب ما تقصر إليّ فيه الصّلاة قال مالك لا يقصر الذي يريد السّفر الصّلاة حتى يخرج من بيوت القرية ولا يتم حتى يدخل أول بيوت القرية أو يقارب ذلك[3]

.

- وفي الموطأ أيضا ما به في العمل في السّفر

حدثني مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السّفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فإذا قضىأحدكم نهمته فليعجل إلى أهله ، قال في النهاية النهمة بلوغ الشيئ بهمة وفيه أيضا

---

[1] الحديث أورده مسلم عن يعلى بن أمية , كتاب الصلاة

[2] الموطأ كتاب الصلاة ج 1 , ص 93

[3] الموطأ باب مايجب فيه قصر الصلاة ج 1, ص94 .

- كم يؤمر به من الكلام في السّفر:

حدثني مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وضع رجله في الغرز وهو يريد السّفر يقول : بسم الله اللهم أنت الصّاحب في السّفر والخليفة في الأهل اللّهماطو لنا الأرض وهون علينا السّفر، اللهم إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر ومن كآبة المنقلب ومن سوء المنظر في المال والأهل[1] .

وحدثني مالك عن الثقة عنده عن يعقوب بن عبدالله الأشبح عن بشري بن سعيد عن سعيد بن أبي وقاصْ عن خولة بنت حكيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لن يضره شيئ حتى يرتحل[2] وفيه أيضا :

- ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء:

حدثني مالك عن عبدالرحمن بن حرملة عن عمروبن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراكب الشيطان والراكبان الشيطانان والثلاثة ركب وحدثني مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد المسيب أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الشّيطانٌ يهم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لا يهم بهم " [3].

وحدثني مالك عن سعيد ابن أبي سعيد المقري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها [4].

- ما ورد من الأذكار النبوية في السّفر[5]:

---

[1] أخرجه مسلم عن ابن عمر في باب الحج , و ورد في الموطأ في باب مايؤمر به من الكلام في السفر , ج2 ,ص 323.

[2]المرجعنفسه.

[3] الموطأ ج2 , ص 324

[4]المرجعنفسه.

[5] انظر الموطأ باب مايؤمر به من الكلام في السفر ج 2 , ص 323 ـــ و باب مايؤمر به من العمل في السفر ج 2 , ص324 .

يستحب للمسافر عند إرادة الخروج أن يصلي ركعتين لحديث المقطّم ابن المقدام الصّحابي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا رواه الطّبراني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلمقال :" من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال " إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا والأحسن أن يودعهم بالصيغة التي كان يودع بها النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.

وروينا في كتاب التّرميذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر، فأوصيني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف فلما ولّى الرجل ، قال : اللهم اطوله البعيد وهون عليه السّفرقال الترمذي حديث حسن .

وروينا في كتب أبي داود والترمذي والنسائي بالأسانيد الصّحيحة عن علي بن ربيعة قال شهدت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أتى بدابة يركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمدلله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا منقلبون الحديث.

وروينا عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد سفرا إلا قال حين ينهض من جلوسه اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت ، اللهم اكفني ما همني وما لا أهتم له ، اللهم زودني التقوى واغفرلي ذنبي ووجهني للخير أينما وجهت .

وروينا في كتاب سنن النسائي وكتاب ابن السّني عن صهيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السماوات السّبع وما أظللن والأرضين السّبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين

أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشرً أهلها وشر ما فيها، وروينا في كتاب السّني أيضا عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من سفره فدخل على أهله قال توبا توبا لربّنا أوبا لا يغادرحوبا فتوبا توبا سؤال للتوبة وهو منصوب على تقدير الفعل .

وينبغي للمسافر أن يدعو لأهله بظهر الغيب وكذلك أهله يدعون له وقد ذكر العلاّمة النووي رضي الله عنه في كتاب الأذكار أحاديث في هذا الكتاب فقال:

- أدلة فضل الدُّعاء بظهر الغيب :

قال الله تعالى :" والّذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان " [1]وقال تعالى :" واستغفر لذنبك ، وللمؤمنين والمؤمنات "[2]وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسّلام "ربنا اغفرلي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مومنا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب"[3], وقال تعالى إخبارا عن نوح عليه السّلام : "وربّ اغفرلي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات "[4] وروينا في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " ما من عبد مسلم يدعوا لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بالمثل ،وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن أبي الدّرداء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول دعوة المرء المسلم لأخيه مستجابة (بظهر الغيب)عند رأسه ملك موكل كلما دعى لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك مثله [5].

[1] (و الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا على الذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) الحشر 10 .

[2] محمد 19.

[3] إبراهيم 41 .

[4] نوح 28 .

[5] أخرجه مسلم في باب الدعاء ص 210.

وروي في كتابي أبي داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب ضعفه الترمذي[1].

- باب استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل :

وإن كان الطالب أفضل من المطلوب والدعاء في المواضع الشريفة اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصى وهو مجمع عليه ومن أدل ما يستدل به ما روينا في كتابي أبي داود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :" استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن وقال لا تنسنا يا أخي من دعائك فقال كلمة " ما يسرني أن بها الدُّنيا وفي رواية قال أشركنا يا أخي في دعائك قال الترمذي حديث صحيح[2] .

وفي الموطأ ما جاء في طلب العلم :

حدثني عن مالك أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحي القلوب بنورالحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السّماء[3].

وعن أبي هريرة رضيالله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " [4]رواه مسلم .

وعنه أيضا قال : سمعت رسول الله يقول :" الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما "[5] رواه الترمذي وحسنه .

---

[1] ضعفه الترمذي2248, انظر محمد بن عيسى بن الضحاك الترمذي (ت 279), الجامع الصحيح (سنن الترمذي) , تحقيق بشار عواد معروف , دار الغرب الإسلامي,بيروت 1988 .

[2] الحديث ضعفه الترمذي 3815 ــ ضعيف الجامع الصغير6278.

[3]انظر الموطأ ج 1, ص683

[4] رواه مسلم في كتاب العلم 2453 .

[5] حسنه الترمذي , و هو مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه , و المقصود من الحديث أنها مبعدة عن الله و الدار الآخرة و لذلك لذلك ذمت , انظر سنن الترمذي باب فضل طلب العلم 2646 .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع "[1]رواه الترمذي .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لعلي كرم الله وجهه فوالله لأنّ يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"[2] يعني من الإبل الحمر وهي أشرف أموال العرب .

يستحب للقادم من السّفر أن يبدأ بزيارة المسجد (عن كعب من مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين) متفق عليه .

والسفر لطلب العلم سواء كان عينيا أو كفائيا من المحاسن العظيمة التي تدل على الشعور الإنساني الكامل قال تعالى :" قُلْ هلْ يستوِي الّذِين يعْلمُون والّذين لا يعلمُون "[3] وقال تعالى :" يرْفعُ اللهُ الّذِين آمنُوا مِنْكُمْ والّذِين أُوتوا العِلْم درجات "[4] وقال تعالى أيضا :" إنما يخْشى الله مِنْ عِبادِهِ العُلماء "[5] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه[6]على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) متفق عليه . و المراد بالحسد في الحديث الشريف الغبطة . وهو أن يتمنى مثله وفي ارتكاب المشاق والسّفر في طلب العلم الشريف الدّيني ، فهذا خدمة لاستبقاء الكرامة الإنسانية وحياة للمجتمع البشري الذي

---

[1] قال الترمذي حديث حسن و هو مروي عن أنس بن مالك ,انظرسنن الترمذي باب فضل العلم 2647 .

[2] متفق عليه .

[3] الزمر 9

[4] المجادلة 11

[5] فاطر 28

[6] و في رواية فسُلط .

تتوقف سعادته كل التوقف على العلم قال تعالى :" فلوْلا نفرُ مِنْ كلِّ فِرْقة منْهم طائفة ليتفقهُوا في الدِّين ويُنْذِروا قوْمهُمْ إذا رجعُوا إليْهِم لعلهُم يحذرُونْ "[1].

ما جاء في الطّاعون :

عن عبدالرحمن بن عوف أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال :" إذا سمعتم به (يعني الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه", فرجع عمر بن الخطاب من سرخ[2] .وكذلك قد ورد النّص في بعض الأحاديث الأحادية أن الطاعون من وخز الجن [3]والذي يقوله الأطباء أن مرض الطاعون من فساد الدم الناشئ من فساد الهواء نقول إذا نحن ما يقوله الأطباء يمكن أن يقال أن السّبب الأصلي في الطاعون هو تسليط الله تعالى الجن على بني آدم بإفساد هوائهم ودمهم فيتولد عن ذلك تلك الغدد الطاعونية ، فالنص الشرعي أخبر بالسبب الأصلي وكنى عنه بوخز الجن والأطباء اطلعوا على السّبب الأخير ، فقالوا بما اطلعوا عليه ولا إشكال في ذلكو الله أعلم.

وإن قيل قد جاء في حديث أحادي ، أنه عليه الصلاة والسلام قال: لا يوردن ذو عاهة على مصح[4] وقال: فر من المجذوم فرارك من الأسد[5] وجاء في حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال لا عدوى[6], فما التوفيق بينهما قلنا من المعلوم أن اعتقاد أهل الإسلام أنه لا تأثير لشيئ بطبعه بل كل أثر فهو خلق الله تعالى ،قال صاحب الخريدة[7]

---

[1] التوبة 122

[2]صحيح البخاري , كتاب الطب , باب ما ذكر في الطاعون

[3]نفسه

[4] ورد في صحيح البخاري بلفظ : "لا توردوا الممرض على المصح"باب الطب باب لا عدوى .

[5] أخرج الحديث البخاري في صحيحه ,كتاب الطب , باب الجذام

[6] بل هو من الحديث السابق المروي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :لا عدوى و لا طيرة و لا هامة و لا صفر , و فر من المجذوم فرارك من الأسد .

[7] الخريدة البهية لصاحبها أحمد بن محمد محمد العدوي الشهير بالدردير (ت 1201 ه ــ 1601 م) , تحقيق و تعليق عبد السلام السلام بن عبد الهادي شنار , دار المعارف 1997

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاككفر أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك يدعى فلا تلتفت

وإنما قد أوجدالله أسبابا عادية للآثار والله قادر على تخلف تلك الآثار عن أسبابها إذا تقرر هذا ، فنقول يمكن والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم أن المراد من قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى أن لا يجوز اعتقاد الأمراض ، هي المعدية بطبعها وإماتة الإنسان قبل أجله مثلا ، ولكن توجد في بعض الأمراض مثل السل والجدري وأمثالذلك رائحة كريهة ومادة سامة تنفعل من صاحبها ربما تكون سببا عاديا لحدوث المرض في من يخالطه ويقاربه ، فيمكن حينئذ والله أعلم أن يكون هذا الأمر هو المعنى الذي أشار صلى الله عليه وسلم إليه في قوله عليه الصلاة والسلام : لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله : فر من المجذوم فرارك من الأسد ، فكما أن شدة البرد وشدة الحرارة والتخمة ،وأمثال ذلك تكون سببا للمرض كذلك تلك الرائحة الخبيثة والمادة السّامة التي تنفعل من المريض قد تكون سببا عاديا لمرض الصّحيح المخالط فإذا تجنب المرء أصحاب تلك الأمراض تحاشيا للأسباب المادية مع اعتقاده أن تلك الأمراض ليست مؤثرة بطبعها ، وأن تحاشيه يكون مانعا لقدر الله تعالى ما نع من ذلك التحاشي مع مراعاة تلك الشروط لصحّة الإعتقاد وقد قال صلى الله عليه وسلم في الطاعون : إذا كان في البلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال أيضا : إذا كان في بلد فلا تدخلوه قال بعض العلماء يريد بقوله : لا تخرجوا منه إذا كان فيه كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد في قوله : إذا كان في بلد فلا تدخلوه أن مقامكم في البلد الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لأنفسكم مع ذلك لا مانع للإنسان أن يخالط أصحاب الأمراض اتكالا على الله ، وثقة به تعالى لأن حصول الضرر بمخالطتهم غير مقطوع به وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام

أكل مع مجذوم في إناء واحد، وقال ثقة بالله فبالتأمل في هذا المقام يظهر التوفيق بين الأحاديث الشريفة ويعلم اعتقاد المسلمين في مسألة العدوى .

وهذا باب عظيم من الفقه الإسلامي يضمن للمسافر سعادته إذا حافظ عليه فينبغي الإحاطة علما وعملا لأن مدلول كل هذه الأثار يعترضه في سفره غالبا هذا ما يلزم المسافر معرفته من الناحية الشرعية .

أما من الناحية الإقتصادية فيجب على المسافر أن يحفظ ماله من دواعي التلف التي هي أقرب إليه من شراك تعله كما يجب عليه أن يحتاط لحفظ نفسه وكرامته التي هي حلية الإنسانية إذا حفظ هذه الأشياء في الجملة مما أجمعت عليه سائر الملل في مختلف الشرائع فلا يتسارع إذا الإنسان إلى شراء السّلع والبضائع متأثرا بأوّل نظرة يعقبها حسرة كما يقع لكثير من الناس الذين لا يفرقون بين الحسن والقبيح مغترين بأول رؤية ذاهبين مع حاوي الشهوة والداعي النفساني لأقرب شيئ ظهرت عليه ملامح الجمال مبدئيا وهو في الحقيقة من القبح بماكان ومن مارس هذه الأشياء يعلم هذا علما يقينا بل ينبغي للمسافر خاصة أن يجعل التنفيذ هو آخر أعماله لأنهم يقولون في المثل : إذا قطع المقص الكتان فلا دواء ، و المثال العربي سبق السّيف العدل ، وينبغي له أن يسعى في تحصيل الأخبار والأنباء من كل بلاء . لأنه إذا فقد الإعانة المادية في الأخيار فإنه لا يفقدها رأيا منهم وإشارة ويرشدونه إلى طريق النجاح التي تدور عليها رحى بلادهم بالخصوص ويحذرونه من طرف الفساد التي مرجعها إما الناحية الإقتصادية أو الإجتماعية والأخلاقية تلكم النواحي التي تخفى غالبا على الأجنبي إذ لكل بلاد عرف ، وعوائد ومقتضيات لا يعرفها المعرفة الجيدة إلا الوطني ويجب عليه إذا كان في بلاد أجنبية عمولتها وصرفها يغاير صرف بلده أن يسأل بالضبط على مقدار التفاوت بين العمولتين حتى يعرف قيمة هذه من الأخرى . ونتيجة هذه المعرفة تنفعه كثيرا لأنه إن كان صرفه هو الأعلى قيمة هان عليه أمر الشراء لما في ذلك من الفائدة التي تعود بالنفع وإن كان صرفه هو الأخفض قيمة

يقلل من الشراء بقدر الحاجة الضرورية وينبغي للمسافر إذا كان في المجلس أي مجلس أهل الحضرة[1] التي هو بها أن لا يتسارع لإظهار المعرفة لأن ذلك ربّما يسد عليه أبوابا من المعرفة سيما التظاهر بالدعوى فيشارك في الكلام بقدر الحاجة خصوصا في المواقع والإقتصادية والإجتماعية وليعلم أنه وماله بين حاسدة وأخرى للشر قاصدة ، و ينبغي له أن يبتعد عن مواقع الرِّيب والشبه التي ربما أدت به أن يزج به في السُّجون حتى يقف أمام المحاكم الأجنبية فتجرى عليه الأحكام المدنية أو العرفية على حسب الجريمة التي ربما ارتكبها جهلا لا عمدا ، وذلك تلطيخ لعرضه من جهة وسمعة كافة وطنه من جهة أخرى وليقدر الأمور حق قدرها وليعلم أنه أجنبي كالثوب الأبيض أقل وسخ يظهر فيه ، وعليه مدة الإقامة في البلدان بتعاهد المساجد والجوامع محافظة على الصّلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعات إذ في ذلك من البركة التي تعود عليه بالنفع العاجل والآجال ، قال تعالى :" إنّما يعْمُرُ مساجِد اللهِ منْ آمن بالله واليوْم الآخِر"[2] ويقول صلى الله عليه وسلم :" إذا رأيتم الرجل يتعاهد المساجد فاشهدوا له بالإيمان[3] فإن الله تعالى يقول :" إنّما يعْمُرُ مساجد اللهِ " الآية .

وينبغي له أن يحضر مجالس العلماء رضي الله عنهم فإنهم هداة الأمّة ومصابيح الأنام يسمع فائدة لم تكن عنده والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أينما وجدها ، قال صلى الله عليه وسلم :" فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم "[4] ثم قال صلى الله عليه وسلم " إن الله وملائكته وأهل السّماوات والأرض حتى النملة في حجرها و حتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير" رواه الترمذي وحسنه[5].

---

[1] الحضرة عند الصوفية تعني حضور القلب مع الله تعالى في حلق الذكر .

[2] التوبة 18

[3] رواه الترمذي (2617) كتاب الإيمان , و ابن ماجة (802) كتاب المساجد و الجماعات , باب لزوم المساجد

[4] رواه الترمذي كتاب العلم (2685).

[5] قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب ,أورده في كتاب العلم (2685).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[1] رواه مسلم وقد مرّ لنا ذكر بعض الآثار في هذا الباب وينبغي للمسافر أن لا يهمل السُّؤال عن خواص النبات والأعشاب التي ربّما لا توجد في وطنه ولها تأثير عظيم في دواء الأمراض المعضلة الفتاكة بالأنفس البشرية فيرجع إلى وطنه بدواء أو أدوية تشفى بها كثير من الأمراض فيجعل النفع وهو السبب في ذلك ، قال الله تعالى " ومنْ أحياها فكأنّما أحْيا النّاس جمِيعا"[2]ومن تناثر هذا الباب أننا سمعنا بعْض النّاس من إخواننا أهل السُّودان المصْري أن في القرض[3] دواء للمريض بمرض السُّكري ، وكذلك سمعنا في بلاد الدهمي في كشف أن في بعض الأشجارهناك دواء لمرض السل و السعال الشديد الذي ربما يؤدي إليه نسأل الله السّلامة والعافية من ذلك وينبغي له أن يتخلق بالأخلاق الكريمة ليكون مثالا صادقا للهيئة الإسلامية عموما ، ولهيئة وطنه على الخصوص وأن لا يتسارع بالغضب ويعمل بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم مرشدا "لا تغضب "[4] وأن لا يكون أبلها ولا غافلا حتى تطمع فيه الذئاب، وليحذر كل الحذر من مخالطة النًساء ففيها الشرك الخفي والحبال التي ربما اصطادته كالحوت في الماء إذ لا فائدة منالتخبط بعد الحصول في الشرك والكيس العاقل يحتاط لنفسه ولغيره إذ قل أن يسلم من خالط النساء إلا إذا تداركته العناية الإلهية .

وإذا العناية الإلهية لاحظتك عيونهاففي المخاوف كلهن أمان[5]

---

[1] انفرد مسلم عن البخاري بإخراج هذا الحديث ,أخرجه في باب(من دعا إلى هدى)

[2] المائدة 32 .

[3] نبات القرض و يسمى كذلك السنط و الميموزا و الطلح و الصمغ العربي , مر الطعم و هو شجرة تنبت شرق إفريقيا حيث مهدها الأصلي , يصل طولها من 10 إلى 20 متر في المناطق الرطبة و يقال : (بلاد فيها قرض ليس فيها مرض) .

[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للرسول صلى الله عليه و سلم : أوصني , فقال له : " لا تغضب " فردد , فقال " لا تغضب " رواه البخاري .

[5] البيت للشاعر عمر اليافي (1759 ــ 1817 م) ,انظر قطب العصر عمر اليافي , عمر موسى , منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1996.

قال الله تعالى :" إنّ كيْدهُنّ عظِيم"[1] وينبغي للمسافر أن يتجنب المحادثات السياسية التي تمس خصوصا بالحكومة التي هو بأرضها وليعلم أنه بين عين ناظرة وأذن واعية وسيف قاطع لا يرحم وخصم نافذ لا يفهم .

إذا ما خلوت الدّهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب[2]

ولا يغتر بتساهل الحكومة الوطنية مع أهل البلاد لأن ذلك من الطرق السياسية التي تتفاوت فيها الأمم النِّطامية العصْرية وهو ضرب من الإستعمار الأدبي والإمتحان الأجنبي والحكومة تتساهل مع الوطني ما لا تتساهل مع الأجنبي لأن أول شيئ يرمي بالأجنبي وصف التجسس وأعظم به من وصف يجلب له الضرر العاجل وينبغي للمسافر إذا نزل ضيفا في محل ، أن لا يكثر النظر في أحوال المنزل وتأثيثه ورفع الأشياء بدون إذن من ربّ المنزل بل ولايلمسها باليد لأن وقوع ذلك منه يدل على ضعف الإرادة وضعف حالته الماديّة في وطنه ، وهو من الطيش بمكان حتى يكون في أعينهم مثل الصبيّ و ينبغي للمسافر أن يكون ذا خبرة بعلوم جغرافيّة وإصطلحاتها ونبذة من فن التّتاريخ ليعرف مواقع البلدان والأوطان التي هو بصدد السّير في أرجائها وأحوال تقلبات الأمم في أطوارها وينبغي له أن لا يطيل المكث في المحل الوافد إلا بقدر الحاجة محافظة على الشرف الإنساني لأن كثرة الإقامة بدون حاجة أكيدة ، موجبة للملل والسّآمة و ليعمل بمقتضى الأثر ترغبا تزدد حبا ولو عند الإثارة وإبناء العمر فضلا عن غيرهم ، وأن يتجنب الفضول الذي لا يعنيه وأن لا يكون مثل الريشة تتخطفه رياح الإستدعاءات بأقل مناسبة حتى يعجل المفهوم محرّ وبأقل مناسبة يدخل في اللجة فإن ذلك يدل على انحطاط

---

[1] يوسف 28 – و انظر ديوان عمر بن محمد اليافي الحسيني , ترجمة و تحقيق عاصم الكيلاني , دار الكتب العلمية ط1 2007 , ص 97 .

[2] البيت للقاضي الفاضل , انظرالقاضي الفاضل, ديوان القاضي الفاضل , تحقيق عبد الرحيم بن علي لبيساني , دار المعارف , ج 1 ص 78 .

قيمته العائلية وأن لا يكثر من قوله أنا أنا فإن ذلك موجب للعنا ، وأن يختار الرفيق قبل الطريق إن كانت الطريق غير مأمونة ودعت الحاجة إليها .

إذا لم تكنغير الأسنة مركبا   فلا يسع المضطر إلا ركوبها[1]

ويتأكد في حقه أن لا يكثر من إخراج الدراهم أمام النّاس و ليعلم أن ذلك موجب للباس وأي باس ولا يخرج إلا ما بدا لحاجة الضرورية و أن لا يكثر من الدخول في الأسواق العامة التي يكثر بها الإزدحام فقل أن ينجو شخص زج بنفسه فيها لأنها لا تخلو من السيئات الخفية ومن لازم المدن يعرف هذا جيدا ,وينبغي له أن يصحب لأهله وأقاربه هدايا السّرور وأن لا يطرق أهله ليلا كالسّارق خصوصا إذا طالت غيبته قال في المرشد[2] :

وادخل ضحى وأصحب هدية السرور   إلى الأقاربومن بك يدور[3]

وفي الجامع الصّغير لجلال الدين السَّيوطي رضي الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد لولده ودعوة الصّائم حتّى يفطر والمظلوم حتّى ينتصر والمسافر حتى يرجع"[4] فينبغي له أن يكثر من حمدالله تعالى الذي خوله هذه النعمة بمحض فضله من دون استحقاق ، وهي نعمة إجابة الدُّعاء وهذا يدل على الاعتناء

---

[1]البيت : إذا لم تكن غير الأسنة مركبا   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

نسبه الثعالبي في الإعجاز و الإيجاز للكميت بن زيد الأسدي و كذلك فعل ابن حمدون في التذكرة الحمدونية و النويري في نهاية الإرب في فنون الأدب , انظر لأبي منصور الثعالبي , الإعجاز و الإيجاز (ت 429 هـ) مكتبة القرآن القاهرة , ص 125 / وأبي المعالي بهاء الدين بن حمدون البغدادي (495 ــ 562 هـ) , التذكرة الحمدونية, دار صادر بيروت ط 1 ,1417هـ , ص 341 / أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري ,نهاية الإرب في فنون الأدب , تحقيق مفيد قميحة , دار الكتب العلمية , ط1 , 2004 ,ص 94 .

[2] المرشد المعين على الضروري من علوم الدين منظومة لعبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي (990 ــ 1040 هـ) من أبرز فقهاء المذهب المالكي ,

[3] البيت من منظومة ابن عاشر , من كتاب الحج , انظر أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي, شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي , , دار الفضيلة

[4] الحديث مروي عن أنس بن مالك في الجامع الصغير , انظر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, الجامع الصغير من حديث البشير النذير , دار الكتب العلمية 1997 , ص 456.

الربّاني بالمسافر لأنه كسير الظن حزين الضّمير بمفارقة الأوطان ، والابتعاد عن الأقارب والخلان والإخوان فينبغي له أن يقيد هذه النعمة بالتشبث بأذيال الطّاعة والتقوى والوقوف عند الحدود الإلهية أمرا فقهيافإنه يجد بركة ذلك و يجتني ثمارها في أثناء سيره وسفره في تيسير قضاء الحوائج وجميع المآرب في أقرب الأوقات وبأهون الكيفيات حتى إنه يجد الإعانة وقت اليأسوالرحمة إثر القنوط ، والإرشاد وقت الظلال ،واليسر عقب العسر.

أما من الناحية الصحية البدنية التي تتعلق بجوهر ذاته فإنه يجب على المسافر أن يحافظ على هذا الهيكل الإنساني الشريف كل المحافظة إذالنفس قبل المال والوقاية قبل انحراف الحال فإنه خصوصا وقت السّفر المتتابع غرضه بجميع الأمراض بعضها وطريق العدوى على الوصف المتقدم وبعضها سبيل الأتعاب وإرغام النفس على تحمل ما لا تستطيع وبعضها سبيله كثرة اختلاط المأكولات والمشروبات المتباينة الأذواق فينشأ عن ذلك الاختلاط القبض ، ويتعب الجهاز الهضمي فتتصاعد الأبخرة الفاسدة النّاشئة عن الفضلات الراكدةفي محلها تحت تأثير القبض فيأتي وجع الرّأس وتتلوه في الغالب الحمى ويتسمّم بذلك الدّم فينشأ بذلك كثير من الأمراض خصوصا إذا كان المسافر في الأوطان الوخيمة[1] فليحذر كل الحذر من هذه الأمور ويأخذ بزمام الوقاية قبل الوقوع في شرك الإصابة ، وينبغي له أن يتجنب السّفر في الأوطان الوخيمة إلا إذا دعت لها الحاجة ،فلا يطيل المكث فيها لأن الصّحة كما يقول تاج على رؤوس الأصحّاء لا يراه إلا المرضى وفي مدة الإقامة بالبلدان الوخيمة لا يهمل استعمال حبات المكينة فإنها نافعة جدا وكذلك يتفقد نفسه في كل خمسة عشر يوما بشرب الأملاح التي توقع الإسهال ، فإن ذلك ينظف المعدة كما ينظف الثوب الوسخ عند غسله بالماء، والصّابون وينبغي للمسافر أن ينام في

[1] الوخيمة : الوبيئة . انظر لسان العرب , محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري , دار صادر بيروت ,المجلد 12 (و . خ . م) ص 3456

أول الليل إذا أمكنه أن يقوم باكرا ويتفسح في البساتين العامة ترويضا لنفسه وينبغي له أن يكثر من تلاوة التحاصين الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والآيات القرآنية كآية الكرسي التي هي أفضل آية في كتاب الله تعالى وفيها من السر لا يعلمه إلا العالمون وكذلك سورة يس والأحزاب المأثورة عن الصالحين رضي الله عنهم . وهذا باب عظيم من أبواب المعرفة بالله تعالى أوله ذكر وآخره شكر ومن أجل الأذكار في هذا الباب الحزب السّيفي[1] الذي تغنت بذكره الركبان وشاع وذاع في سائر الأمصار العربية والبلدان وحزب البحر[2],فإن الأخذ بزمام الحصن الروحاني أجدر وأولى من المحافظة على الحصن الجسماني وليكن ذا خلق عظيم مع جميع الناس فإنه ربّما تولهم مصلحة في جليل فكانت عين المفسدة وبالعكس قال الشاعر:

يـــزين الغريـــب إذا اغتـــرب ثـــلاث مـــنهن حســـن الأدب
وثانيـــة حســـن أخلاقـــه وثالثـــة اجتنـــاب الرّيـــب[3]

وينبغي للمسافر أن لا يهمل أمر الوصيّة الشرعية يكتبها بخطه لما يتعلق بها من المصالح الشرعية التي مداها حفظ الحقوق عامّة وخاصّة وقد حض عليها الشارع صلى الله عليه وسلم غاية التخضيض ، وحرض عليها غاية التحريض حتى في الحضر فما بالك بالسّفر الذي هو عرضة التلف في الغالب والمنية أقرب للإنسان من شراك نعله:

وإذا المنيّـــة أنشـــبت أظفارهـــا ألفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع[1]

[1] الحزب السيفي دعاء اتفقت عليه أغلب الطرق الصوفية , وينسبونه لسيدنا علي كرم الله وجهه و هناك نسخة مخطوطة منه في مكتبة النور العثمانية في اسطنبول تحت رقم (2851) في فن التصوف . انظرعلي كرم الله وجهه, الحزب السيفي عن سيدنا علي بن أبي طالب , ترجمة و تحقيق محمد سيد التيجاني ــ مكتبة القاهرة , ط1

[2] الحزب البحر ينسب لأبي الحسن بن عبد الله الشاذلي المغربي انظر, أبو الحسن بن عبد الله الشاذلي المغربي , الحزب البحر ,مكتبة لبنان 1986

[3] البيت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي من أعلام التصوف السني في ق3 هــ ,انظرأبو عبد الرحمن السلمي , طبقات الصوفية ,دار الكتب العلمية 2003

ويجب عليه وجوبا مؤكدا لا يسعه تركه بحال أن يتمم قبل مغادرته الوطن والبلاد الواجبات الحكومية ويستصحب معه بدون مفارقة رخصة السّفر المسماة عند الفرنج " الباسبور" Passport أو "الصوفكندوي" Saufconduit[2]وكذلك الأوراق الصّحيّة التي يسأل عنها في بعض الأسفار خصوصا البلدان الأجنبية وكذلك إذا كان السّفر في الخطوط الجويّة والسبل البحريّة كورقة التلقيح من الحمى الصّفراء[3] المسماة Fievre Jaune وبطاقة التلقيح من مرض الجذري المسماة عندهم Certifica de veinatir لأن هذه الأوراق تطلبها الإدارات التي تحافظ على الصّحة العامة فينبغي له أن لا يهمل شيئا من ذلك اذ رب صغير في العاجل له قيمة كبيرة في الآجل ومن مارس الأسفار يعلم هذا علم اليقين وينبغي له عند الرجوع والحلول بأهله وأصدقائه أن يحدثهم حديثا صادقا يبعد كل البعد فيه من المبالغات إذ كثير من الناس من يروم المبالغة ، و الافتخارا بسفره واطلاعه على ما لم يطلع غيره عليه فيقع في الكذب والمستقبل شاق بل يقتصر على التحديث بما رأى فحسب وبما تسمعه من الثقات وينبغي له ويتأكد عليه غاية التأكيد إذا كانت غيبته في الحجاز لأداء فريضة الإسلام وزيارة سيد البشر وخير الأنام عليه الصلاة والسّلام أن يكف لسانه عما رآه من النقائص في أهل مكة المكرمة وأهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسّلام إذ ربّما انقلبت طاعته معصية من حيث لا يشعر ، والعياذ بالله تعالى وقد تساهل كثير من النّاس في هذا الأمر وتراهم يتكلمون في سكان الحرمين

---

[1] البيت لأبي ذؤيب الهذلي الهذلي (ت 648 م) من قصيدة مطلعها : أمن المنون و ريبها تتوجع و الدهر ليس بمعتب من يجزع

انظر أبو سعيد السكري, شرح أشعار الهذليين , حققه عبد الستار فراج , مكتبة دار العروبة ص 243

[2]تأشيرة عبور تضمن لحاملها السلامة و الحماية

[3] حمى نزيفية تحدث بسبب فيروس يسري عن طريق بعوض ناقل له و ترجع كلمة صفراء إلى اليرقان الذي يصيب المريض , يتوطن هذا الوباء المناطق الدارية من إفريقيا و أمريكا اللاتينية و ظهر في البرازيل سنة 1932. انظر الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية ,الحمى الصفراء ,19 / 08 / 2005 .

الشّريفين بما شاهدوه من النقص الذي لا يخلو منه إنسان كيف ما كان وفي أيّ مكان وزمان إنا لله وإنا اليه راجعون "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم"[1] :

مــن الــذي مــا ســاء قــط ومــن لــه الحســنى فقــط

إلا محمــد النّبــي عليــه جبريــل هــبط[2]

فإن التفوه بذلك يفسد نيات الناس في سكان الحرمين الشريفين وفي ذلك من المفاسد العاجلة والآجلة ما هو ظاهر كالشمس في رابعة النهار ، ولا شك أن الذي يتساهل في هذا الأمر يفتح على نفسه وعلى المسلمين بابا عظيما من الغضب الإلهي للمتكلم فما جناه لسانه ، والسّامع إذا ساء إعتقاده إذ كل واحد منّا لا يود بمقتضى ما أودعه الله فيهمن حب وطنه أن يتكلم في بلاده بسوء ، ولو كان الشيئ موجودا في نفسه قال الشاعر معبرا لحبه عن وطنه :

أحب بلاد الله مــا بــين مــنهج إلــيَ وســلمى أن يصــوب ســحابها

بلاد بها نيطت علــى تمــائمي وأول أرض مــس رجليترابهــا[3]

فما بالك ببلاد كانت موطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحي الإلهي وفاح من أرجاء ترابها مسك النبوة وعبير الرسالة ، وبلاد وطأتها أقدام الخليل واسماعيل عليها الصلاة والسّلام فالله يغار على بيته الشريف ، وحرم نبيه صلى الله عليه وسلم ذي القدر المنيف من غيرة أحدنا على بلده ووطنه بل حسب العاقل أن لا يذكر إلا خيرا وأن

---

[1] الحديد 16

[2] البيتان من المقامة الشعريَة للحريري , انظر أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي, شرح مقامات الحريري , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية 1992 , ص 1441

[3] نسب البيت لأعرابي في معجم البلدان , انظر ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ,معجم البلدان, دار الفكر , بيروت ج 5 , ص 213

يحسن الظن بالمسلمين وليعلم أن الله تعالى والحقيقة رفع على عباده المشيئة والإختيار وأن الكل أمام القضاء والقدر مسلوب الإرادة. والأمر وراء تفكيره وذكائه قال إمام الطائفة الصوفية الجنيه الناس إذا نظرت إليهم بعين الشريعة لمتهم وإذا نظرت إليهم بحقيقة عذرتهم وينبغي للمسافر إذا كان تحت سلطة دولة أجنبية عن البلاد التي هو بها أن يذهب فورا إلى إدارة القنصل الذي يمثل دولة وطنه في تلك البلاد الأجنبية إذا كان بها قنصل فإن الذهاب إليه ينفعه كثيرا في عدة حاجات ، فيطلعه هذا المثل على أمور شتى تجلب له نفعا هو في حاجة إليه ، ويطلعه على أحوال البلاد التي هو بها من النواحي الإدارية الحكومية ، و الأمور الإقتصادية والأعراف الوطنية فيكون في مأمن مما تمشي أن يقع فيه حتى لا يكون ألعوبة في أيد المغرضين أو يكاد به كيدا يعرف هذا جيّدا من مارس الأسفار وأشرف على الأقطار الأجنبية وما من قنصل من القناصل الفرنسيّة في البلاد الأجنبية التي مررنا بها إلا وقابلنا مقابلة نادرة وقد استدعو سيّدنا إلى مجالسهم إظهارا للحفاوة به والإكرام له ، ولحاشيته مثل قنصل بنجون في بلاد يطورس من قطرغمبيا المستعمرة الإنجليزية وكذلك قنصل عاصمة مرتاون قطر سرليون وقنصل الكرفي وطن ساحل الذهب فقد أظهروا حفاوة نادرة لسيدنا رضي الله عنه وكذلك الوزير الفرنسي الذي بعاصمة مروفيا من قطر ليبيريا وكذلك قنصل عاصمة لاقوس في قطر نيجيريا وكذلك القنصل العام الفرنسي بعاصمة كنصاصة قطر الكنغو البلجيكي، فينبغي للمسافر أن لا يهمل هذا الباب وينبغي للمسافر أن يشارك في لغتين هما اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية خصوصا لمن يتعاطى الأسفار في الأوطان الإفريقية بصفة عامة إلاّ على الأقل يعلم لغة واحدة من المذكورين سابقا فإن معرفة هاتين اللغتتين أو إحداهما ينفعه كثيرا في أموره الضرورية والحاجة والكمالية لأن اللغات الوطنية في أفريقيا وغيرها من الأ وطان كثيرة خصوصا في إفريقيا الغربية والإستوائية، والجنوبية بل تزيد هذه اللغات عن 185 لغة مختلفة حتى أنك تجد قريتين ليس بينهما إلا نحو الميل أو يفصل بينهما نهر

صغير وتجد مع هذا القرب لكل واحدة منهما لغة وطنية خاصّة بها. غير أنهما بموجب الخلطة يعلمان لغة بعضهما بعضا وأغرب من هذا أنك تجد في القرية الواحدة التي يدير أمرها حاكم واحد عدة لغة كلغة هوسه وفولائه وزيرمه ونيره والولوف ، و لغة الكونغو وسوسو والماتك إلى غير ذلك من اللغات الوطنية الكثيرة وكان سيدنا رضي الله عنه في مجالسه الوعظية مع سكان الوطن بصحبة عدة مترجمين يترجمون لغته العربية فالعارف باللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية أو إحداهما يكون في غنية عن هذه اللغات كلها لإنتشار هاتين اللغتين في كافة هذه الأوطان التي الكلام فيها .

- **الكلام على قرية عين ماضي من الناحية التاريخية باختصار :**

اللهم يا من جعلت حبّ الأوطان من الإيمان سخر قلمي في سبيل الصّواب إنك سميع قريب كريم وهّاب مهلا أيها القارئ واقبل عذر أخيك ولا تؤاخذني إن نسيت فإن بحر التحقيق عميق زاخر ، والأمر كما يقولون كم ترك الأول للآخر وكأني لجيوش الأفكار قد ساقها حادي الأقلام إلى التحرير ، والإبتكار ولا شك أنها غيرة وطنية أحيت المعالم بعد التدارس وشيدت قصور المجد الأثيل والفخر الأصيل على ما نفي من الرّسوم والأطلال وأحمد الله تعالى على أنني من أبناء هذه القرية الشريفة ، قال الشاعر:

بلد صحبت بــه الشــيبة والصّــبا	ولبستثوب العــيش وهــو جديــد
فإذا تمثــل فـــي الضــمير رأيتــه	وعليه أغصان الشــباب تميــد [1]

لا يجهل أحد منا أن شرف الدّيار والأقطار يكون بسبب من حلها أو ولد فيها من الأخيار وشاهد هذا قول الشاعر:

[1] البيتان لأبي الحسن علي بن عباس بن جريح الشهير بابن الرومي (221 ــ 283 ه), انظر إميل ناصيف , من أروع ما قال ابن الرومي , دار الجيل 2006 ط 1 , ص 234

ما عـــرف الأرجـــاء إلا رجالهـــا وإلا فلا فضل لترب على تـــرب[1]

ويتجلى هذا غاية التّجلّي ويظهر كل الظهور في نكتة الخلاف الواقع بين أعلام الإسلام في التفضيل بين مكة والمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسّلام بعد الإجماع على فضل البقعة الشريفة التي حوت حضرته صلى الله عليه وسلم فما ذاك إلا أن مكة إكتسبت الشرف بسبب احتوائها على البيت الشريف الذي يقصده الأنام من كل فج عميق على الصوافيوالعتاق[2] قال تعالى :" إنّ أوّل بيْت وُضِع لِلنّاسِ للّذي ببكة " وقولهم بيت الله الإقامة للشريف إذا الله تعالى منزه عن الزمان والمكان والمدينة المنورة شرفها لكونها دار الهجرة المحمدية واكتساب الأماكن الشرف بسبب من حلها من الأكابر أمر معروف بين النّاس فإنك ترى العاشق الولهان الذي أعماه الحب والصبابة يتحنن ويتشوق الى الدّيار ومراده من سكن لا الجدار والمكان :

أمر علـــى الـــديار ديـــار ليلـــى أقبـــل ذا الجـــداروذا الجـــدار
وما حـــب الـــديار شـــغفن قلبـــي ولكن حب مـــن ســـكن الـــدّيار[3]

حتى أنهم قالوا أن البقعة التي قضى فيها الإنسان عبادة تفخر على البقع الأخرى فمن بين الأماكن الشريفة التي لها الشّرف الخالد ، و المجد التالد قرية عين ماضي لا زالت مقر الخيرات والبركاتومهبط النفحات فقد اكتسبت هذه القرية هذا الشرف بسبب من حلّها من صالحي السّلف هذه القرية توجد بجنوب القطر الجزائري ، وقد مرت القرون العديدة

---

[1] البيت للحسن اليوسي , فقيه مالكي أديب يلقب بغزالي عصره (1040 ــ 1102 ه), انظرالحسن بن مسعود نور الدين اليوسي, المحاضرات , صفحة أصناف بقاع الأرض , سلسلة الأدب , دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر .

[2] الصوافي : الأملاك و الأراضي التي جلا عنها أهلها و ماتوا ولا وارث لها / العتاق : السور التي نزلت أولا بمكة , انظر طارق بن عوض الله المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة , طبعة دار الخير (ص.و .ف)1471 , (ع.ت.ق)1480.

[3]البيتان لقيس بن الملوح , انظر قيس بن الملوح , ديوان مجنون ليلى , تحقيق يسري عبد الغني , دار الكتب العلمية 1999,ص 87

على هذه القرية الماجدة فكانت في كامل هذه العصور الغابرة مضرب الأمثال بين القرى والبلدان بسبب ما أنجبت من نبغاء أعيان ومجوال من الرجال يعرف هذا جيدا من له أدنى اهتمام بتاريخها العظيم حتى أن أهل الرحلات من فحول العلماء ندهوا كثيرا بقدرها وتشريف مجدها كصاحب الرحلة الناصرية[1] الذي قال فيها ، أنه لقي عند مروره للديار المقدسة من رجال العلم والفقه الإسلامي وجهابذة النقد والتحرير خمسين عالما ممن يجيد حفظ مختصر خليل[2] على ظاهر قلب وأخبر أن أكثر العلماء في ذلك العصر الزاهر رجل من أجدادنا يقال له سيدنا عبدالرحمن بن الدهماء[3] هكذا على وزن حمراء وكان شيخا كبيرا به علّة على إحدى رجليْه وكان يركب حمارا وذكر أنّ الذي صحّ عندهم أنّهم من آل البيت ووصفهم بالكرم الجبلي ، والأخلاق الحميدة وكذلك صاحب الرحلة العباسية[4] فإنه بالغ في مدحها ومدح رجالها ووصفهم بجودة الفهم في العلوم حتى أنه أوصى صاحبه الذي هو بصدد السّفر إلى الحجاز قائلا له واشحذ ذهنك عند المذاكرة مع علمائها هذا من حجة العلوم الرسمية آلة ومقصدا ويكفي اللّبيب شهادة هذين العالمين و هذا العهد مر على عين ماضي قبل ظهور البضعة المحمدية والطلعة الأحمدية المنيفة حتّى أننا سمعنا من كبار هذه الأمّة ، وهذه القرية الطاعنين في السن أن عين ماضي في الثلث الأخير من

[1] لأبي العباس ناصر الدرعي (ت 1129 ه ــ 1717 م) انظر أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي , الرحلة الناصرية ,تحقيق عبد الحفيظ ملوكي , دار السويدي للنشر و التوزيع ط1 ,2011 .

[2] مختصر العلامة خليل لصاحبه خليل بن إسحاق الجندي المصري أحد أشهر فقهاء المالكية , و يعتبر مختصره من أشهر المختصرات التي وضعت في فروع الفقه المالكي , انظر خليل بن إسحاق الجندي المصري, مختصر العلامة خليل في فقه الإمام مالك , ,تحقيق الطاهر أحمد الزاوي دار الحزم .

[3] عبد الرحمن بن عبد القادر بن أبي زيد الفاسي , فقيه و باحث من أهل فاس ,نعته المؤرخ بن زيدان بسيوطي زمانه , من أهم مؤلفاته مفتاح ــ أزهار البساتين , انظر خير الدين الزركلي, الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعمرين و المستشرقين) ج 3, دار العلم للملايين 2002 , ط 15 ,ص 319 .

[4] هو رحالة إسباني اسمه الحقيقي دومينغو باديا لبليتش ولد ببرشلونة (1767) تقدم بمشروع الرحلة إلى شمال إفريقيا سنة 1801 م لأهداف سياسية و تقمص شخصية إسلامية , و اتجه صوب المغرب ثم إلى مكة متنكرا بالزي العربي و مدعيا أنه ينتمي إلى الأسرة العباسية و اتخذ من " علي باي عباس " اسما له , انظر صحيفة الشرق المطبوعة , العدد 1071 ص 17 ,بتاريخ09 ــ 11 ــ 2014 .

الليل كان يسمع لها دوي كدوي النحل يتخلل ديارها ويعلو سطوحها وذلك من كثرة تهجد أهلها وقت هذه الحصة الليلية والذي إختصها على ما قيل هو ماضي ابن يقرب من أمثال العرب والله أعلم والذي رأيه منسوبا سيّدنا رضي الله عنه بخط صاحب الجامع سيدنا محمدابن المشري[1] أن الذي أسس هذه القرية رجل يقال له سيدنا محمد وأظنه جاء من الناحية المغربية ، وتزوح بامرأة يقال لها السيّدة مباركة بنت سيدنا معمر مولى العالية ومن قال وفيه ابن العالية فقد غلط في نسبه وأتى منها بثلاثة أولاد ذكور أحدهم يقال له سيّدنا أحمد والآخر سيدي عيسى ، والثالث يقال سيد عبدالرحمن ولما بنى مسجدها العتيق ترك أولاده الثلاثة في القرية وأراد الرجوع إلى بلده فقال له أولاده لمن تركتنا قال تركتم في مجر الإمام الجبلي[2]رضي الله عنه وأبي معروف [3] الكرخي غير أن سيدنا عبد الرحمن بمفرده ذهب إلى ناحية قسنطينة واستوطن هناك والاثنان بقيا في عين ماضي وذريتهما هم سكان القرية الآن.

والذي جاء أوّلا إلى عين ماضي من أجداد سيدنا رضي الله عنه إنما هو جده الرابع وهو سيدنا بن سالم دفين المقبرة الموجودة قرب الباب الكبير لقرية عين ماضي كذلك بقية أجداده رضي الله عنه ، فلا زالت عين ماضي تزخر في حلل المجد فوق عرش تاريخها الماجد حتى ظهرت شمس الختم وطلع حاجب قمر الكلم وهي حضرة سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ، وبظهوره رضي الله عنه جرت عين ماضي أذيال الفخر وصارت ذات شرف بين البلدان كشرف ليلة القدر نشأ سيدنا رضي الله عنه بهذه القرية

---

[1] محمد بن محمد بن المشري الحسيني السايحي السباعي من قرية تكرت بقسنطينة , التقى بالشيخ أبي العباس أحمد التيجاني بتلمسان سنة 1188 ه و اتخذه إماما للصلاة , انظر محمد العربي بن السايح, بغية المستفيد لشرح منية المريد , , المكتبة التيجانية , ص 256 .

[2] عبد الكريم الجبلي سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني و صاحب ديوان المناظرات الإلهية , انظر العلامة محمد الحجوجي الحسني, إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التيجانية , ,مكتبة المدينة ,ص 233.

[3]– أما أبو معروف الكرخي رضي الله عنه فهو من أعلام القرن الثاني بعد الهجرة وهو من أهل العراق ومن أئمة التصوف المتوفى سنة 200 هــ ، وهو القائل التصوف الأخذ بالحقائق واليأس من ما في أيد الناس وهو غير أبي الحسن عبيد الله الكرخي رئيس الحنفية في العراق في عصره المتوفى في سنة 340 هــ .انظر المصدر السابق ,ص 196.

الشريفة بين أم شريفة عفيفة وأب صالح مهذب ومعلم ، وأستاذ مقرب حتى أن الّذي علمه القرآن سيدي عيسى بوعكاز رضي الله عنه الذي كان قائما بأمر التعليم في القرية المذكورة رأى رب العزة في المنام وقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره برواية ورش فقال رب العزة هكذا أنزل فأجاد رضي الله عنه حفظ القرآن في سبع سنوات مضين من عمره وبعد ذلك طلب العلوم الإسلامية في القرية المذكورة حتى رأس فيها بين فحول هذه القرية والشيوخ الذين تلقى منهم العلم والعلوم كلهم من سكان هذه القرية كما هو مذكور في أمهات الطريقة كالجواهر والجامع[1] وذلك كله في مدّة إحدى وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الكاملة إلى البحث وراء الحقيقة بعد التضلع والتبحر في الشريعة فترك البلاد ومسقط الرّأس العزيز إلى ما هو أعز منه. قال الشاعر:

فــإذا كانـــت النفـــوس كبـــار   تعبت فـــي مرادهـــا الأجســـام[2]

وقال شاعر آخر:

له همم لا منتهى لكبارها   وهمته الصغرى أجل من الدّهر[3]

وقد قال ابن السائح [1]رضي الله عنه عن قوله صاحب النظم حصل مفخر العلاجين ولد بعين ماضي ذا بفضلها شهد أن الماضي في اللغة يطلق على معاني منها الأسد والسّيف

---

[1] يقصد كتابي : جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سي أبي العباس التيجاني لصاحبه حرازم بن العربي برادة المغربي , و كتاب : الجامع لما افترق من من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم لصاحبه محمد بن المشري الحسني السايحي , انظر مقدمة الإتحاف للعلامة محمد الحجوجي .

[2] البيت لأبي الطيب المتنبي (303 ــ 354 ه)انظر أبي البقاء العسكري, التبيان في شرح الديوان (ديوان أبي الطيب المتنبي) ,تحقيق إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ,مطبعة مصطفى البابي الحلبي , مصر 1355 ه , ص231

[3] البيت للشاعر العباسي بكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي أمير الكرخ ,انظر صنعة حاتم الضامن , شعر بكر بن النطاح , عالم الكتب , ط1.و أبا فرج الأصفهاني ,كتاب الأغاني, تحقيق علي مهنا و سمير جابر , دار الكتب العلمية , ج 19, 1992 , ص 2435

فلعل وجه تسميتها بهذا الاسم للإشارة إلى هذا المعنى السامي ، ولو لم يكن لهذه القرية من الشرف إلا كونها مسقط رأس سيدنا رضي الله عنه لكفاها فخرا قال القاضي عيّاض :

ومما زادنـــي شـــرفا وتيهـــا	وكـــدت بأخمصـــي أطـــأ الثريـــا
دخولي تحت قولك يا عبـــادي	وأن صـــيرت أحمـــد لـــي نبيّـــا[2]

ولا يفوتنا أن نقوله أن في هذه القرية مقبرة قديمة التي فيها أجداد سيدنا رضي الله عنه كما مر فإننا سمعنا رواية عن الثقات من كبار هذه القرية أن سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا رضي الله عنهما قال أن هذه المقبرة انطوت على أربعين وفي رواية سبعين وليا من كبار الرِّجال الذين كل واحد منهم نوره يبلغ عنان السّماء وقد جدد حصنْها المتصدع بركة سيّدنا ومولانا محمد الكبير التجاني رضي الله عنه ،ولعمري أنّها لحسنة خلدها له التّاريخ ولا تصدر إلا عن أمثاله من الكرام رضي الله عنه وأرضاه ومما يدل على رسوخقدم أهلها في مقام التعبد أنه يوجد إلى حد الآن في هذه القرية ، في أحد مساكنها خلوة يقال أنها خلوة سيدنا بلقاسم من كبار الأولياء وفي سقفها حبل مربوط كان يجعله سيدنا بلقاسم رضي الله عنه في عنقه وقت التهجد ليلا ليذهب عنه النّوم والحبل إلى الآن موجود أيضا والذي ضاعف شرفها أيضا وخلد مجدها هو وجود الضريح الحبيبي المحمدي على صاحبه أفضل التكريم والرِّضوان ذالكم المقام الشّريف الذي حوى بضعة سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه سيدنا محمد الحبيب ، و أحفاده الكرام رضي

---

[1] العربي بن السايح (1813 ــ 1891 م) ضريحه متواجد في الرباط و يعد مركز التقاء أتباع الزاوية , من مؤلفاته : شرح لامية البوصيري , بغية المستفيد

[2] البيتان لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (456 ــ 544ه)قاض مالكي علامة علامة فقيه و مؤرخ من مؤلفاته : مذاهب الحكام في نوازل الأحكام , قال عنها ابن خلكان في وفيات الأعيان (كل تواليفه بديعة) انظر عبد الرزاق البيطار , حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ,دار الكتب العلمية 1988 .ص 78 / ابن خلكان , وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان , تحقيق إحسان عباس , دار صادر بيروت 1972 , ج 7 , ص 3256.

الله عنهم أجمعين وفيه قبر بضعة سيدنا ومولانا محمد الكبير بن سيّدنا رضي الله عنه سيدتنا رقية رضي الله عنها التي تزوجها سيدنا أحمد عمار ابن عمها وآتت منه ببنت ، وهي سيدتنا فاطمة العمرية رضي الله عنه التي كانت مضرب لأمثاله في الصّلاح وجليل الأحوال وقد تزوجها سيِّدنا محمد الكبير رضي الله عنه بن سيدنا البشير غير أنها لم تخلف عقبا وفي هذا المقام العظيم جثمان سيِّدنا أحمد الأكبر بن سيدنا محمد رضي الله عنه الذي مات قبل والده وهو مع والده في ضريح واحد وكانت وفاة سيدنا محمد الكبير ابن سيدنا رضي الله عنه عام 1238 أو بعدها بيسير وتوفيسيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ابن سيدنا رضي الله عنه سنة 1269 وتوفي البشير بن سيِّدنا محمد الحبيب أواخر سنة 1327 وتوفي سيدنا أحمد عمار بن سيدنا الحبيب سنة 1315 وتوفي سيدنا علال بن سيدنا أحمد عمار سنة 1339 وتوفي سيدنا محمد الكبير بن سيدنا البشير سنة 1350 السّاعة السّادسة أفرنجي من صبيحة الجمعة 18 ربيع الثاني وصار الخلافة إلى صنوة أخيه سيدي محمود المتوفي سنة 1352 وكل هؤلاء رضي الله عنهم في الضريح مع سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ما عدا سيِّدنا أحمد عمار رضي الله عنه فإنه دفين زاوية كوردان المعمورة ، وضجيعه ولده سيِّدنا محمد الطاهر المتوفي سنة 1361 هـ ،ومقام سيِّدنا أحمد عمار رضي الله عنه في زاوية كوردان التي تبعد من قرية عين ماضي سبعة أميال ، والضريح الشريف داخل البستان ووسط الضريح شجرة أصلها ثابتة فيه ، وفرعها في السّماء بقرب سيدنا أحمد عمار خارج المقام قبور الشريفات بنات سيدنا علاّل رضي الله عنه وأولاده الذين ماتوا في سن الشباب كسيدنا التجاني وكذلك قبر الشريفة سيِّدتنا بيري بنت سيدنا البشير رضي الله عنه وقبر سيدنا أحمد بلعباس بن سيدنا محمد الطّاهر الذي لم يكن بين وفاة والده ووفاته إلا نحو 12 يوما فقط وليس لسيِّدنا محمد الطاهر من الذرية غيره وزاوية كوردان تمثل المدينة في قلب الفيافي القاحلة فترى أبنيتها الشامخة من بعد تذكرك المدينة الصوفية التي كانت عليها هذه الزّاوية في

مدة سيدنا أحمد عمار رضي الله عنه الذي أسّسها وخلد له التّاريخ الأحمديمن الآثار ، والذكرالحميد الذي لا تمحوه الدهور وإن طال الأمد بزاوية كوردان مملكة الصّالحين وخلوة العابدين المتحدثين فلا تحس بضجر فيها ، وإن طالت بك الإقامة وبقرب تلك الأبنية الشامخة ترى بستان الزاوية الكبير الذي في نظامه لا تفوقه البساتين العامة الموجودة في الحواضر وكبار المدن ، وقد قام بمجهود عظيم في سبيل تحسينه في المدة الأخيرة صاحب الشهامة الكبرى والهمّة العظمى صاحب هذه الرحلة التي نحن بصدد جمعها سيِّدنا ومولانا الحاج بنعمر بن سيدنا ومولانا محمد الكبير التجاني أكبر شخصية في عائلة سيِّدنا البشير رضي الله عنه الذي فاق الأقران وأبناء العم ، وله من المزايا والمآثر والمناقب مالا يحصر فكم وكم وأقول ما قال شاعر العرب:

كأن مكنون[1] فهم الدّهر في يده ... ويرى لها غائب الأشياء لم يغب
ما يرفع الفلك العالي سماء غلا ... إلا علاها شريف كوكب العرب
يا من بعين الرِّضا يلقى مؤمله ... والبخل يطبق أجفانا على الغضب
لو يكتب الملك أسماء الملوك إذا ... أعطاك موضع بسم الله في الكتب
عرفت في كل يوم منك مكرمة ... فليس ذكرك في أرض بمغترب[2]

قال الآخر:

أطلّ على الأشياء حتى كأنما ... له من وراء الغيب مقلة شاهد[3]

[1] في بعض الروايات : كأن مرآة فهم الدهر .
[2] الأبيات لأبي العباس الناشئ قالها مادحا سعد الدولة أبا المعالي شريف بن سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان , انظر أبا إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني , زهر الآداب و ثمر الألباب ,شرحه زكي مبارك, حققه محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الجيل ,بيروت ط4 , ص 1016 .
[3] البيت لأبي تمام , انظر

ونراه دائما يهتم رضي الله عنه وطال حياته بإحياء معالم الزاوية التجانية فتراه دائم بين تفكير وعمل في تسديد أمور الزاوية التجانية داخليا وخارجيا ويذود عنها وعن حياضها المطهرة قال الشاعر:

والناس أسد تحامي عن فرائسها إما عقرت وإما كنت معقورا[1]

قال الآخر[2]:

والحر تنهضه إما شجاعته إلى الملم وإما خشيةالعار[3]

قال الآخر:

وما الليث إلا الذي بذل بنفسه ويمضي إذا ما بادرته العظائم

فتراه مع الجبابرة ليث غيور وشهم جسور وأما مع الأصدقاء والأحباب خافض لجناح الصفح والعفو وقبول المعذرة يصدق عليه قوله تعالى :" أذلّة على المُؤْمِنِين أعِزّة على الكافِرِين يُجاهِدُون فِي سبِيل اللهِ ولا يخافون لوْمة لائِمْ "[4] الآية

قال الشاعر:

كشف خلال المرء قبل طقطه وقبل سؤالي عنه في القوم ما اسمه
ولا تيأسن من عفو حر فإنما تحلمه باق إذا ضاع حلمه[5]

---

[1] البيت للشريف الرضي, انظر الشريف الرضي , ديوان الشريف الرضي ,تحقيق محمود مصطفى حلاوي , دار صادر , بيروت 1961 , ص 78

[2]البيت للشاعر نفسه : الشريف الرضي .

[3]نفسه , ص 73 .

[4] المائدة 54 .

[5] الشريف الرضي , ديوانه , ص 81 .

وكم أصلح من فاسد وحل من مشكل يشهد له بهذا الخاص والعام ولا قدرة لي أن استقصي خصاله الكاملة ، وإنما هذه نبذة من مناقبه الفائقة ولترجع إلى الكلام على ما بقي لنا من التّاريخ الماضوي الذي نحن بصدد البحث فيه ، فنقول أن الذي زاد هذه القرية شرفا على شرف ونور على نور نو وجود ضريح سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه الذي توفي في عين ماضي كما هو قد سبق ، وقبره وضريحه أشهر من نار على علم وقد تجلى فيه الأنوار المحمّدية وبزغت من بين زوايا أركانه الشموس الأحمدية أما أخوه سيدنا ومولانا محمد الكبير رضي الله عنه فإنه توفّي قرب بلدة معسكر التي استشهد بها خلال معركة وقعت بينه وبين الأتراك حكام الجزائر في ذلك العصر . غير أنه من بين الكرامات المأثورة أنهم لم يعثروا على جثمانه الشريف رغم الفحص عنه ودقة البحث فإنهم لم يجدوه ، وقد إعتنى الأتراك عناية خاصة في الحصول عليه بيد أنهم لم يتحصلوا على منّتهم وأما أصحابه الذين ساهموا معه في المعركة الّذين كانوا من أنصاره فإنهم عثروا على جثتهم ولم يشذ منهم أحد رحمهم الله رحمة واسعة . قيل أنهم لما اشتد وطيس المعركة رأوا سيدنا محمد الكبير رضي الله عنه ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، وقد رأوه فوق حصانه يعلو رؤوس المتحاربين ولم ير بعد ذلك ومثل هذه الكرامة لا تستغرب في مثل أولاد الشيخ سيدنا رضي الله عنهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وضريح سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه بناه السيد ريّان الذي كان ملازما لسيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه وكان واقعا على ساق الجد والاجتهاد في شؤون الزاوية في حياة سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه، فقد شهد معه المشاهد كلها خصوصا فيما جرى بين سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه والأمير عبد القادر الجزائري وقت محاصرة عين ماضي التي دامت حوالي سبعة أشهر وقد حفظ تاريخ الزاوية التجانية لهذا الرجل رحمه الله تعالى المآثر الجميلة وكان مضرب الأمثال بين النّاس واستمروا أيضا على هذه الحالة

حتى بعد وفاة سيِّدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ، وهو الذي قام بأمر تزويج الشريفات بنات سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه بعد وفاته بأولاد سيدنا الحاج علي التماسين رضي الله عنه ومن شرف هذه القرية كونها إلى الآن المأوى الوحيد لعائلة سيدنا رضي الله عنه وجميع أولاد سيدنا رضي الله عنه لا يدفنون إلا بها رغم وفاتهم بالخارج وقد حازت هذه القرية أيضا الدار التي ولد بها سيدنا رضي الله عنه التي تسمي الآن بدار سيدنا بلقاسم إلى الآن مولد سيِّدنا رضي الله عنه يقصد للزيارة والتبرك به ، وكذلك في هذه البلدة برج النظرة وهو المحل الذي صعد فيه سيِّدنا رضي الله عنه و خرجت ناس البلاد للنظر في طلعته الزكيّة فقد ورد عنه رضي الله عنه أنه قال في هذا اليوم أن كل من رآه فهو مضمون أن يكون من أصحاب الجنّة وهذه قضية بلغت مبلغ التواتر القطعي .

وحازت هذه القرية أيضا ضريح سيدنا ومولانا الخليفة المعظم والواسطة المكرّم سيدنا محمد بن العرب الدّمراوي التازي[1] رضي الله عنه الذي مناقبه بين أصحاب الشّيخ رضي الله عنه كالشّمس في رابعة النّهار ، وقد كان هذا السيّد العظيم هو الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سيدنا رضي الله عنه في تبليغ الأسرار، وكان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم 24 مرة في اليوم بين الليل والنهار رغم صغر سنه الذي لم يتجاوز عند وفاته خمس وثلاثين سنة . حتى أنه قال لأهل عين ماضي لما علمت الأماكن التي وطأتها أقدام النبي صلّى الله عليه وسلم في عين ماضي لما وجدتم أن تصنعون الكنف توفي بعين ماضي مقتولا تمت سلطان القضاء والقدر وقد تروج من أهل عين ماضي وقد ترك بنتين ولهما أحفاد إلى الآن في قرية عين ماضي لا زالوا محل التعظيم والإحترام ، ويوجد أيضا بهذه القرية ضريح أم سيدنا رضي الله عنه السيّدة

[1] أبو عبد الله محمد بن العربي التازي الدمراوي , من أقطاب الطريقة التيجانية (ت 1204 ه)انظر القاضي أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي , كشف الحجاب عمن تلاقى مع التيجاني من الأصحاب , تحقيق محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني , مكتبة المدينة , ط1 , ص 68.

عائشة رضي الله عنها وأرضاها و ضريح والدة سيدنا محمد رضي الله عنه وأرضاه ويقربهما ضريح صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدنا محمد بن المشري صاحب الجامع ، ونصرة الشرف ولا بأس أن نذكر قصيدة غراء جادت بها فكرة أحد اخواننا شعراء تونس السيد محمود قبادو رحمه الله[1] .

أحمد سراك بليـل شـك عسعسـا	أو مـا تـرى صـبح اليقـين تنفسـا
هذه المعالم من حمى فـاس بـدت	كادت تطيـر مـن الجسـوم الأنفسـا
أفديك يا حـادي الركائـب نحوهـا	أمـا دونـت إلـى حملهـا عرسـا
خل المطايـا ودس حماهـا راجـلا	وارتـع بـواد لا يـزال مقدسـا
أو مـا عملـت بأنـه قـد حلّهـا	خـتم الولايـة وابتغاهـا مرمسـا
أكرم بماض مشـرق فـي مغـرب	انحـى علـى ليـل الظـلام فأشمسـا
لله أي مثابـة مـن حلّهـا	خلعت عليـه حلـى السـعادة ملبسـا
أو ما نـرى أنوارهـا قـد طبقـت	سـبع الطبـاق وقـد بلغـن الأطلسـا
لا غرو قد شمخت ديار الغرب فـي	يوم الفجـار علـى سـداتها معطسـا
نـور الهدايـة قـدبكلى مـن طيبـة	لكنـه فـي الغـرب صـادقا فقبسـا
فاليوم شمس الحق قد طلعـت لنـا	من مغـرب إثـر الظـلام معسعسـا
فـاتبع لهـا نسـيا تجـد أنوارهـا	فـي عـين ماضـي مـنهلا متبجسـا
وأكرم بهـا مـاء الحيـاة تعـش إذا	قصـر الزمـان تصـرفا وتفرسـا
إن الـذي يممـه برحـا بهـا	بحـر مـلأ الكـونين فيضـا أقدسـا
قـدم سـمت تيجـان تجـان بـه	وحـوت أكفهـم النهـار الأفعسـا

[1] محمود قبادو (1812 ــ 1870 م) يعتبر من سادة القلم في تونس أواسط القرن 19 , نثره مسجوع مليئ بالمحسنات البديعية و شعره يحاكي جزالة المتقدمين , انظر محمود قبادو , ديوان محمود قبادو , تحقيق عمر بن سالم , الجامعة التونسية 1984 , ص 91 .

من نظم الشيخ الشريف قبادو التونسي المتوفي صبيحة الأربعاء ثالث رجب سنة 1288[1]
.

وفي عين ماضي يقول محمد بن سيدنا عبدالله العلوي الشجيطي[2] جسده الطريقة رحمه الله تعالى في قصيدته المشهورة في مدح سيِّدنا رضي الله عنه التي مطلعها : حي دارا لدى أبي سمعون .

حي دارا لـدى أخــي ســمعون	وأسقها من مصون ماء الشـؤون
والسق دارا تبوأت عين ماضـــي	بمعـــين مـــن الـــدموع ســخين
تلك كانت للشــيخ مســقط رأس	ومحــــلا لســـره المكنـــون

وفي هذه القرية الكريمة جامعان لأداء صلاة الجمعة الجامع العتيق الذي مرت عليه القرون العديدة منذ تأسيسه ، وهو أول ما أسّس في هذه القرية سيدنا محمد الذي مر ذكره فالتواتر على السُّنة سكان القرية أنه يناهز التسعة قرون، والذي يدخل في هذا الجامع بالتأثير الإلهي ،يأخذ بمجامع قلبه ويجد السكينة بحالة لا توصف و يرى جلالا تقف دون شرحه العبارة ولا يدرك هذا إلا بالذوق وكفاه شرفا أنّ أجداد سيِّدنا رضي الله عنه وسيدنا أيضا بدوره كانو يصلون به ويتعبدون ،وكذلك سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه كان يصلّي به قبل تأسيس الجامع ، والذي بلغني أن سيدنا البشير رضي الله عنه كان يصلي به الجمعة قبل صدور الفتوى من سيدنا علي بن عبد الرحمن مفتي وهران[3] في إنشاء جمعة ثانية في جامع سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ، والمكان الذي كان يصلّي فيه

---

[1] يوافق 17 سبتمبر 1871 م .

[2] من علماء شنقيط , لم نعثر على ترجمته ولا استطعنا التحقق من القصيدة.

[3] العلامة أبو الحسن علي بن عبد الرحمن مفتي الديار الوهرانية (ت 1324 ه) انظر أبا القاسم محمد الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف , مؤسسة الرسالة , ط 2 , 1985, ج 1 , ص 526 .

سيِّدنا رضي الله عنه في هذا الجامع معروف إلى الآن المشهور على ألسنة أهل القرية أنّ في هذا الجامع الإسم الأعظم في زاوية معروفة من زواياه مما يدل على تقدم سلف هذه القرية في علم الأسرار الربّانية العالية أما الجامع الثاني فهو جامع الزاوية الذي به ضريح سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه وسبب إنشاء هذه الخطبة الثانية في جامع الزاوية هو أن الجامع العتيق المذكور ضاق بالمصلّين فرفعت الفتوى إلى إمام العصر إذ ذاك سيدنا علي بن عبدالرحمن المذكور في طلب إحداث خطبة ثانية في جامع سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه نظرا للضرورة ، فأفتى سيدنا علي بن عبدالرحمن بالجواز وشراح خليل قد أشبعوا القول في هذه المسألة عند قول المصنف بجامع مبني متحد والجمعة للعتيق إن تأخرا آداء ....الخ . وخلافه الفقه عدم الجواز عند فقد الضرورة والجواز عند وجودها هذا الذي عليه خلاف أو خراق العلماء والفقهاء.

- **مبحث تعدد المساجد للجمعة عند المالكية:**

قال السّادة المالكية إذا تعددت المساجد للجمعة أي عند المالكية فإن الجمعة لا تصح إلا في أول مسجد أقيمت فيه الجمعة في البلد ، ولو كان بناؤه متأخرا مثلا إذا كان في البلد زوايا لم همّ فيها الجمعة ثم بني مسجد أقيمت فيه الجمعة ، ثم بني له مسجدا آخرا أقيمت فيه الجمعة أولا ، ولكن هذا الحكم عندهم مشروط بأربعة شروط : أحدها أن لا يهجر القديم بالصلاة في الجديد، بأن يترك الناس الجمعة في القديم رغبة في الجديد بدون عذر ثانيها أن يكون القديم ضيقا[1] ولا يمكن توسعته فيحتاج الناس إلى الجديد والمسجد الضيق هو الذي لا يتسع من يغلب حضورهم الجمعة ، وإن لم تكن واجبة عليهم ثالثها أن لا يخشى من اجتماع أهل البلدة في مسجد واحد حدوث فتنة أو فساد كما إذا كان في البلدة

---

[1] بين الدسوقي أن المقصود بضيق العتيق , الضيق الذي لا يمكن معه توسعته و إلا فليس بضيق حقيقة , قال في حاشيته : و حاصله أنه لا يتأتى الاحتياج للجديد لضيق العتيق , لأن العتيق إذا ضاق يوسع و لو بالطريق أو المقبرة , و يجبر الجار على البيع لتوسعته , ولا يمكن توسعته إذا كان العتيق بجوار بحر أو جبل . انظر محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت 1230 هـ) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير , دار الفكر , ج1 , ص 376 .

أسرتان متنافستان أحداهما شرقي البلد والثانية غربها، فإنه يصح لكل منهما أن يتخذ متنفسا مسجدا رابعها أن لا يحكم حاكم بصحتها في المسجد الجديد.

ولا يوجد في هذه القرية إلا أولاد الشيخ رضي الله عنه وإخوانه الماضويون وخدام الزاوية التجانية عمرها الله تعالى بخيراته آمين ، وقد حازت هذه الإدارة الخط الوافر والنصيب البين الظاهر في الحديث والغابر من جودة الهواء ولطافه موقعها وناهيك بوصفها الجميل الرائع أن هذه البلدة محاطة بالبساتين التي يشتغل فيها أهل البلاد بزراعة الفواكه والثمار المتباينة والخضروات المناسبة لكل فصل من فصول السّنة التي عليها مواد المعاش والتحسين الغذائي ،وتسقى بعين معينها يتفجر من سفح جبل يبعد عن هذه البلدة بأربعة أميال ، وهي سلسلة جبال الأطلس الصّحراوي وهواؤها جاف معتدل في الصيف يبدأن الحرارة تتغلب أحيانا بالنّهار فقط أما الليل فهو في غاية الاعتدال دائما وفي فصل الخريف والرّبيع الأشهر الأخيرة في الربيع والأولان في الخريف غير أن صفو هذا الإعتدال تارة تكدره الريّاح وتوجد هذه البلدة بين جبل الأطلس كما قلنا من الناحية الشّمالية وجبل الحويطة[1]من الناحية القبلية أما الرجال كما قلنا شغلهم البساتين وأما النساء فشغلهن خدمة الصّوف قد عرفن بجودة الصنعة خصوصا في هذه المدة الأخيرة قد ارتقت هذه الصنعة وصارت النساء يتعاطين خدمة الزرابي بغاية الاتقان والأحكام ، ومن بركتها أن قليلها كثير وأهلها مشهورون معروفون في تلك النواحي بالنجابة ، وفصاحة اللّسان وكانت في القديم حتى قبل ظهور سيدنا رضي الله عنه كعبة القاصدين وحوض الواردين وشاهد هذا المزية الإلهية التي ظهرت فيها دون غيرها من القرى . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم فإذا رضع الطفل الأجنبي من امرأة كانت أمة فيحرم عليه أن يتزوجها كما يحرم عليه أن يتزوج بنتها او بنت بنتها وإن نزلت لأنها أخته وبنت أخته ولا بنت ابنها وإن نزلت لأنها بنت أخيه ولا أختها لأنها خالته، ولا أمّها

[1] الحويطة إحدى بلديات ولاية الأغواط , تقع بين بلديتي الخنق و تاجرونة , تبعد عن عين ماضي ب 22 كلم

لأنها جدّته ومثل ذلك زوج مرضعته الذي جاءها اللبن منه فإنه يكون أبا له فيحرم عليه ان يتزوج بنته لأنها أخته ولو كانت منه أي من امرأة أخرى غير المرضعة و لا بنت بنته وإن نزلت ولا بنت ابنه كذلك وكذا يحرم عليه أن يتزوج أخت اليه من الرضاع لأنها عمته ولا أمّه لأنها جدته.

وكذا يحرم على الرجل زوج المرضعة أن يتزوج بنت ابنه من الرضاعة ولا بنتها وإن نزلت، أما أمه فإنها تحل له كما حلت لأم ابنه نسبا وكذلك جدته وأخته.

ولأخ الرّضيع أن يتزوج أخت أخيه من الرضاع كما لغيره من حواشيه وذلك لأن الحرمة بالنسبة للرضيع لاتسري إلا فروعه فقط فلا بأس أن يتزوجوا بأم المرضعة وأخواته من الرضاع ، وكذلك حواشيه من أعمامه وأخواله وإخوته وغير ذلك ، أمّا المرضعة فتحرم أصوله وفروعه وحواشيه فلا يحل للرضيع أحدا منهم فإذا كان الطفل أنثى فإنه يد على ويعزى فيه التفعيل المذكور وهو أن المرضعة تكون أما ويكون زوجها الذي جاءها منه اللّبن أباها ، فترحم البنت الرضيعة على أصول هذه المرأة وهم أباؤها لأنهم أجدادها لأمها كما تحرم على فروعها لأنهم اخواتها ، وكذلك تحرم على أخوات المرضعة لأنهم أخوالها وعلى أخوال المرضعة لأنها بنت أختهم وعلى اعمام المرضعة لأنها بنت بنت أختهم .

ومثل المرضعة في ذلك زوجها الذي جاء منه اللّبن فإن الرضيعة له من الرَضاع فلا تحل له ،وأخت اولاده مطلقا سواء كانوا من أمها المرضعة كما قلنا أو من زوجة أخرى فلا تحل لواحد منهم كما لا تحل لإخوته لأنّهم أعمامها ، ولا لأعمامه لأنّها بنت أخيهم ولا لاخواله لأنها بنت ابن أختهم ، وأما اولاد الرّضيعة فإنهم لا يحلون كذلك لأمها من الرضاع لأنها حدّتهم ولا لأولادها لأنهم أخوال وخالات امهم ، ولأباء المرضعة لأنهم أجدادهم وجدّاتهم وبالجملة فلا يحلون لأصول المرضعة وفروعها وحواشيها وكذلك الرجل صاحب اللّبن فإن أولاد الرضيع لا يحلون لأصولهم وفروعه، و حواشيه أما

أصول الرضيعة وحواشيها فلا يسري اليهم التحريم فعل لأب البنت الرضيعة أن يتزوج أمها من الرضاع وجدتها وأختها و خالتها وعمتها وهكذا كما يحل ذلك لاخيها وعمًها.

تمهيد :

قيل الأخذ بزمام راحلة هذه الرحلة وقيل ركوب جواد هذا السفر وقبل سماع نغمات الآلات الميكانيكية سواء كانت جوية من طائرات أو أرضية من سيّارات وقطارات أو بحرية من بواخر سابحات قبل النزوح ، والبعد عن ظلال الديار ومفارقة أبناء الأوكار و أنس الوطن واقتحام المشاق وركوب مطايا المحن ، وقبل سماع قول القائل من أين أتيت وموجب ذلك مفارقة الوطن الذي عنه نأيت فارقت كل معرفة من المعارف وصارت موضع الأعلام وسكان الضمائر نكرة به أذكر الذكرات لا تعرف لها أشباح ولا تدرك من السرائر وليس في هذا من مخالف يعترضني المانع حين أريد التعارف وأعدم الوصول إذا رغب التآلف فلا أنيس ولا حبيب ولا من صديق ملاطف نرى أهل البلاد في الأعياد والمواسهم يتزاورون وأخو الاغتراب لا يسألون عنه ولكن تحتم السّفر ، وجرى قلم القضاء على صفحات القدر امتطيت مطية التوكل، وركبت جواد العزم من تأن ولا تأمّل وسليت نفسي الشّاردة بأن للسّفر مزايا لا تدرك في الحضر ولو حلت العطايا وحانت ساعة الكلام وعلى الله بلوغ الأمل والمرام بنط الرحلة مأخوذ من الارتحال الذي هو التنقل من مكان لآخر ومن المعلوم أن الرحلة من فروع التاريخ البشريلأن علماء التاريخ قسموا التاريخ إلى قسمين عام وخاص. أما العام فهو الذي يبحث عن كافّة الأمم العالمية على إختلاف أجناسها وأديانها وأخلاقها فهو إذا يتعلق بضبط الحوادث العامة فلا يختص بأمة دون أخرى أما الخاص فهو الذي يقف في أحواله و أبحاثه على أحوال أمة خاصة أو أسرة خاصة أو بلد خاص من عموم القطر فالتاريخ الخاص لا يعدوالبحث في دائرة مخصوصة ،فالرحلة إذا من التاريخ الخاص والغالب فيها أنها لا تخرج في بحثها على

أحوال شخصية واحدة حازت نوعا من أنواع العظمة والاحترام ، فهي تخلد الذكرى وتثبيت روح التعارف بين شخصية وأخرى رغم البعد بينهما ، ورغم إختلاف الجنسية وصاحب الرحلة يلزم أن يتحلى بالصبر والاستقامة لأنه بذلك يبرأ من كل كلامه فإن البعد عن الأقارب مرّ المذاق وهيهات أن يجد الإنسان في سفره ما يعهده من الأخلاق وفي هذا المعنى يقول أبو الأسود الدؤلي[1] :

وكن معدنا للخيـــر وأصـــفح عــن الأذى ... فإنك راء مـــا علمـــت وســـامع

وأحــــب إذا أحببــــت حبـــــا مقاربـــــا ... فإنك لا تدري متى أنـــت نـــازع

وأبغـــض إذا أبغضــــت غيـــر مبـــاين ... فإنك لا تدري متى أنت راجـــع[2]

ويلزمه مداراة الناس وصف المداراة من مكارم الأخلاق وهي النفاق المحمود قال الشاعر:

وما هذه الدنيا لنا بمطيعة ... وليس لخلـــق مـــن مداراتهابـــد[3]

وقال شاعر آخر:

يعرفك الإخوان كل بنفسه ... وخير أخ من عرفتك الشّدائد[4]

ويلزمه أيضا أن لا يقول أيضا إلا خيرا ولا ينطق إلا بعد التأمل العميق

قال الشاعر :

---

[1] ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني (ت 69 ه) وضع النقاط على الأحرف العربية و شكل حروف القرآن الكريم و وضع علم النحو .انظر أبا الأسود الدؤلي , ديوان أبي الأسود الدؤلي , تحقيق محمد آل ياسين , دار و مكتبة الهلال ط 2 , 1998 .

[22]نفسه , ص 122.

[3] البيت لعنترة العبسي , انظر عنترة بن شداد العبسي , ديوان عنترة بن شداد العبسي , تحقيق مجيد طراد , دار الكتاب العربي , ط 1 , 1992 , ص 54.

[4] الشريف الرضي , ديوانه , ص 87.

ومن قيد الألفاظ عنـــد نزاعهـــا   بقيد النُّهى أغنته عـــن طلـــب العــذر[1]

وقد اختلف الناس في التفصيل بين الحاضرة و البادية فبعض يفضل الحواضر نظرا لما حوته من حسان المناظر، والثقة السّائدة فيها والحصول على المرغوبات وبعض يفضل البادية نظرا لما فيها من الحريّة حتى قال الإمام عبد القادر الجزائري رحمه الله لما حكم في هذا الموضوع في قصيدته المشهورة ، وقد سكن الحاضرة والبادية ورأى أن البادية أحسن فقال :

يا عاذرا لامرئ قد هام فـــي الحضـــر   وعـــاذلا لمحـــب البـــدو والقفـــر

لا تـــذممن بيوتـــا خـــف محملهـــا   وتمدحن بيـــوت الطـــين والحجـــر

حتى قال :

أنعامنا إن أتت عنـــد العشـــا تحلـــو   أصـــواتها كـــدوي الرعـــد بالسَّـــحر

لنا المهاري ومـــا للـــريم ســـرمحها   بهـــا وبالخيـــل نلنـــا كـــل مفتخـــر

إلى أن قال :

ما للبداوة مـــن عيـــب تـــذم بـــه   إلا المروءة والإحســـان كالبـــدر[2]

وهي طويلة والذي أراه في الموضوع أن المسألة مسألة أذواق ، لا مسألة تعصب وغرور بما رأته الأحداق فأقل حسنات الحضر البعد عن كل خطر والحصول على كل مطلوب ومبتغى واستماع الأصوات المطربة لمن يريد ترويض نفسه وأكبر حسنات

---

[1] نفسه ص 91 .

[2] قصيدة البدو و الحضر للأمير عبد القادر الجزائري قصيدة طويلة من أروع ما نظم , انظر الأمير عبد القادر الجزائري , ديوان الأمير عبد القادر , جمع و تحقيق العربي دحو , دار النشر ثالة , ط3 , 2007 , ص 75.

البادية أن تهنأ ليلة من الطوارق العادية، والحق أحق أن يتبع أن البادية أفضل إن كان فيها خصب ومربع.

- **الكلام على المناخ في الأقطار الإفريقية الشمالية :**

الأقطار الإفريقية الشمالية تشغل مساحة واسعة الأطراف وعبارة على المغرب الأقصى والقطر الجزائري ، والعمالة التونسية فهذه الأقطار الثلاثة هي مسمّى إفريقيا الشمالية فقد امتازت هذه الأقطار عن غيرها بمزايا محسوسة يعرفها جيدا كل من له إلمام وإطلاع بفن الجغرافية ، ومواقع الأقطار العالمية في الكرة الأرضية أولا أن مناخ هذه الأوطان حسن جدا وفي الجملة في غاية الاعتدال لأنك إذا نظرت إلى مناخ الأمم الأخرى كأوروبا مثلا فجوها في غاية البرد في الشتاء خصوصا جهة روسيا التي يصل فيها ميزان الهواء تحت الصفر بدرجات ، وإذا نظرت إلى الأوطان الجنوبية مثلا كإفريقيا الغربية والاستوائية والشرقية تجدها في غاية الحرارة لكونها قريبة من خط الإستواء أما الأوطان الشمالية الإفريقية ، فإنها وضعت بين وبين وخير الأمور أوسطها ومن زج بنفسه في الأوطان يعلم هذا علما يقينا وليس الخبر كالعيان ،وأقوى شاهد على إعتدال الهواء في الشمال الإفريقي وأصدق برهان هو ما شاهدناه من كثرة ورود الزوار الأجانب لهذه الأقطار تاركين للعواصم والقواهر الأوروبية نازحين عن أوطان سيادتهم ، وسيطرتهم فهذا يؤيد ما ذكرناه ادعاءا مدللا وتوجيها معللا لأن الفصول السنوية الأربعة نجدها موافقة تمام الموافقة لما تتطلبه النفس ففي فصل الشتاء تشتد البرودة فيها . باختلاف موقع البلدان ارتفاعا وانخفاضا على سطح البحر وتنزل فيها الأمطار الكثيرة في آخر فصل الخريف إلى أواخر فصل الربيع ويختلف ذلك باختلاف البلدان القرية من ساحل البحر والبعيدة منه كأراضي الجنوب فإن أمطارها أقل وكذلك تكثر الأمطار في الأراضي الجبلية في الغالب غير أنها قلت بصفة مدهشة في هذه السنوات الأخيرة إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرو ما بأنفسهم وما ربك بظلام للعبيد، ومن علامة الغضب الإلهي إذا

انتشرت الفواحش أن يمسك المطر وقت الحاجة وفي فصل الربيع تخضر الأرض وتبسم الأزهار بين أوراق النبات ، وترى المزروعات الواسعة من القمح والشعير وغيرها يقذف بحرها المحيط بأمواجها المتتابعة وفي فصل الربيع تارة تكثر الأمطار في بعض السنوات ، وتعقبها الرّيّاح بين قوة وضعف وفي بعض السّنين تأتي الرياح أشكالا عظيمة فتكثر بذلك الحوائج في المزروعات ربما سارت على الكل وفي فصل الصيف تشتد الحرارة وفي ذلك أيضا تختلف وفي فصل الخريف يعتدل المناخ ، وتكثر الثمار وغالب السكان في إفريقيا الشمالية مسلمون سنيون ويوجد في بعض الأماكن خصوصا في الجنوب بعض الخوارج ونسبة المسلمين من غيرهم 90في المائة تقريبا .

تقدم لنا أن أسباب احتباس المطر على الناس من كثرة اقتراف المعاصي والتجاهر بها سيما في هذه الأزمنة التي صارت الناس فيها لكثرة فساد الوقت ، وانتشار الجهل يتباهون بها ويرون ذلك من الشعور النفسي الكامل فبذلك اشتد غضب الله تعالى حتى ظهرت آثاره في الخارج ، فلا ملجأ من الله إلا إلى الله وتجب المبادرة بالتوبة إذ التوبة مقبولة قطعا إذا كانت جارية على شروطها المقررة في آداب الشريعة الإسلامية قال الله تعالى " ومنْ يعْملء سُوءا أوْ يظْلِمْ نفْسهُ ثُم يسْتغْفِر اللهِ يجِدْ اللهُ غفُورا رحِيما"[1] وقال تعالى :" يا عِبادِي الّذِين أسْرفُوا على أنْفُسِهِمْ لا تقْنطُوا مِنْ رحْمةِ اللهِ إن الله يغْفِرُ الذُنُوب جمِيعا"[2] وقال تعالى :" وما كان اللهُ ليُعذّبهُمْ وأنْت فِيهِمْ وما كان اللهً معذّبُهُمْ وهم يسْتغْفِرُون "[3] فالاستغفار أمان الخائفين وملجأ الهاربين وقد حذرنا الله تعالى من عواقب الفتن فإن وبالها يعم كافة الأمة قال تعالى :" واتّقُوا فِتْنة لا تُصِيبنّ الّذِين ظلمُوا مِنْكُمْ خاصّة "[4] وقد جاء في صحيح البخاري رضي الله عنه في كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه

[1] النساء 110
[2] الزمر 53.
[3] الأنفال 33 .
[4] الأنفال 25.

وسلم:سترون بعدي أمورا تنكرونها[1],وقال عبدالله بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصبروا حتّى تلقوني على الحوض ، حدثنا مسدد حدثنا يحي بن سعيد حدثنا الأعمش حدثنا زيد بن وهب سمعت عبدالله قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا فتنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله . قال : أدّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)[2]وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتنة)[3]،وقال[4] البخاري رضي الله عنه حدثنا عبدالله بن عثمان أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس عن الزّهري أخبرني حمزة بن عبدالله بن عمر أنّه سمع بن عمر رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم)[5] فينبغي للنّاس إذا وقع قحط وجدب أن يفروا إلى الله بإدامة الإستغفار ، والابتعاد عن الذنوب والمحافظة على سنة صلاة الاستسقاء المأمور بها شرعا ومما جرب في هذا الباب قراءة صحيح البخاري فإنها كفيلة بحصول هذا الرضى حتى أن علماء الزيتونة عمرها الله جرت العادة عندهم ، أنه مهما وقع احتباس المطر وقت الحاجة إليه يواظبون على قراءة صحيح البخاري في الجامع فتحصل بركة ذلك في أقرب وقت ، اللهم أرفع مقتك وغضبك عنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا آمين .

- **مغادرة عين ماضي :**

---

[1] رقم الحديث في صحيح البخاري 2588.

[2]نفسه , تحت رقم 6644 .

[3]نفسه , كتاب الإيمان , باب من الإيمان الفرار من الفتن, حديث يوشك ...

[4]– وفي صحيح البخاري قالت زينب ابنة جحش ، قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ، قال نعم إذا كثر الخبث " تعني قوله تعالى : " ماكان اللهُ لِيُعذّبهُمْ وأنْت فيهُمْ " .

[5] نفسه , باب إذا أنزل الله بقوم عذابا, رقم الحديث 6691 .

لما قرر سيَّدنا الحاج بنعمر رضي الله عنه أمر السّفر إلى المغرب الأقصى أولا ثم السّوادين ثانيا ، واختار من يرافقه من الأتباع في هذه الرَّحلة وكنت سابق العناية الربانية ممن أختير أما الباقون من الأصحاب هم عمر بن عيسى الرباني القائم بشؤون الزراعة مراقبة وتنفيذا ، وولده عمار سائق سيّارة سيَّدنا الذي يصحبه في كثير من أسفاره ومحمد التجاني القائم بأمور الخدمة للجناب العمري أمرنا سيَّدنا رضي الله عنه نحن ثلاثة العبد الحقير أحمد العناية وعمربن عيسى ومحمد، بأن تتقدموا قبله إلى بلدة آفلو[1] التي سيكون بها اجتماعنا بسيدنا بعد خروجه من عين ماضي فإن سيدنا تأخر في الزّاوية بعد خروجنا بيوم ، لتنظيم الشؤون التجانية الداخلية والخارجية سواء كانت من الوسائل أوالمقاصد ضرورة لأن هذه الغيبة ستكون طويلة ، خرجنا نحن الثلاثة من عين ماضي قبيل صلاة العصر بقليل متوجهين إلى الحاجب[2] والمحل الذي أنشأه سيَّدنا محمد الكبير رضي الله عنه وبه مساحات زراعية واسعة وما يقرب من أربعة آلاف شجرة كلها مثمرة من مختلف الثمار وبها عيون سيالة بالمياه العذبة غادرنا بلاد الآباء والأجداد ومركز العشيرة وحصن البلاد غادرناها، وفي القلوب شيئ من الأسى ما لو عرض على الجبال الشوامخ لأشفقتمن تحمل ذلك التنقل ، وشردت عن حمل ما يحويه ذلك الحمل لكونه أمرا مهولا، وتحمله الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ، ولا شك أنك أيها القارئ عند تلاوة هذه العبارة ورموز هذه الإشارة التي تمس بالعواطف وتخمد عند هبوب ريحها العواصف لا تستطيع أن تبرهن عما تجده في نفسك من الأسى ، و يخشى أن تكون هذه الورقة العصا التي خشي منها موسى ويكن يخفف عنك وطأة ذلك سيل العبرات المنهمر وتصاعد الزفرات بالبكاء المستمر بعد استعراض ما يلاقيه الغريب من المشاق في اختلاف الأذواق والأخلاق وما ينوبه من سعير الأشواق لما وصلنا إلى الحاجب الذي يبعد عن قريتنا الماضوية 40 كلم

---

[11] تقع شمال الأغواط , تابعة لعمالة وهران آنذاك و عينت كدائرة سنة 1954.

[2] بلدة تقع شمال ولاية الأغواط تابعة لبلدية تاجموت .

أتيناه بعد العشاء بنحو ساعة . لأننا لم نبارح عين ماضي على السّاعة الثانية ونصف بعد الزّوال تلقانا أصحاب سيدنا المكلفون بخدمة هذه الأراضي الزراعية بكل حفاوة وإكرام وقضينا تلك اللّيلة بين أظهرهم ، فما جاءت السّاعة الثامنة صباحا حتى ذهبنا مصحوبين بأحمد بن ستت الذي يبغي توديعنا يوصينا بوصايا لأخيه الساكن في بلدة قرين محمد بن ستت فلما وصلنا إلى الطريق التي تربط بين بلدة الأغواط ، وبلدة آفلو انتظرنا مجيئ السيارة الكبرى التي تحمل المسافرين من إحدى البلدتين إلى الأخرى ونحن تارة نرتقي هذه الربوة وتارة أخرى عسانا نرى ما نحن في انتظاره بفارغ صبر فما مضت نصف ساعة فلكية حتى سمعنا دوي المحركات يحاكي زئير الأسد في الغابات ، تارة يضعف بسبب انخفاضها وتارة يقوى بسبب الارتفاع فإذا بالسيّارة جاءت مشحونة بالمسافرين فحمدنا الله، وركبناها وقلنا بسم الله مجراها ومرساها وهي لا تزال تخترق بنا الفياقي بدويها المتتابع وسيرها السريع حتى وصلنا إ لى بلدة آفلو في حفظ وأمان، وشربنا من حياض الشكر وارتوت أكبادنا من سلسبيل الحمد وطعمنا من دائرة الفضل والامتنان استغرق هذا السير ثلاث ساعات ونصف تقريبا ولا يفوتنا أن نقول أن يوم خروجنا من عين ماضي هو يوم 25 مارس 1948 ،وبلدة آفلو هي أول مركز كبير من الإيالة الوهرانية ،وهي تبعد عن عين ماضي 80 كيلومترا وبمجرد حلولنا للبلدة المذكورة قصدنا دار السيّد الحاج علي بن النعيم الزياني أحد الكبراء من عرش أولاد صالح وله علاقة خاصّة بدار الشيخ رضي الله عنه فلما آتينا محله وجدناه فيه فرحب بنا غاية الترحيب عادة الكرام أمثاله ، وحبسنا في ضيافته أعني العبد الحقيرأحمد العناية وعيسى بن عمر ومحمد بن التجاني حتى وفد علينا سيدنا ابنعمر رضي الله عنه ليلا ونحن نستعد لوروده علينا في تلك اللّيلة نظرا للوعد الذي أعطاه لنا ، وسيدنا خرج من عين ماضي عند الغروب في سيارته ومعه السائق عمار بن عيسى و الطريق التي سلكها سيدنا هي طريق رداد جبل قرب عين ماضي بنحو 15 كم فازداد فرحنا وانشرحت صدورنا بهذا الاجتماع

المبارك ، والنعمة المترقبة وفي الغد جاء للسّلام على سيدنا وزيارته الكثير من أعيان البلاد ، و وجهائها منهم القائد علال الساكن ببلدة آفلو والقائد بولفعة قائد بلدة الغيشة والفقيه السيد محمد بن داود الماضوي الذي له شغل إداري في هذه البلدة وغيرهم من الوجهاء ، وجرت بينهم وبين سيدنا محادثة استغرقت زمنا ليس بالقصير وبلدة آفلو تقع بين أحضان سلسلة جبال الأطلس الصّحراوي وهي عاصمة جبل العموراسم للقبائل التي تعبر هذه النواحي ولما كانت قرب هذه المرتفعات الشامخة ببرد طقسها بشدة في فصل الشتاء حتى تنزل فيها الثلوج الكثيرة لشدة ارتفاعها على سطح البحر ارتفاعا لا يقل عن ألف مترا تقريبا وهواؤها في الصيف جميل لمن له تعود البرد وفيها جامع عظيم للصلوات الخمس وصلاة الجمعة وبناؤه جديد شيدت معالمه في السنوات الأخيرة وقبر والدنا المرحوم موجود في هذه القرية لأنه توفي بها بعد مرض إعتراه أغدق الله عليه سحائب الرحمات وبعد إقامة ليلة في هذه البلدة توجه سيِّدنا في سيارة إلى بلدة السُّوقر ونحن لحقناه في السيارة العامة التي تحمل المسافرين من بلدة آفلو إلى السُّوقر[1] التي تبعد عن آفلو بنحو 70 كلم فما مضت علينا بعض السّاعات حتى وصلنا إلى بلدة السوقر التي هي مركز تجاري عظيم حيث أن سوقها الأسبوعي تقصده الناس من أقاصي البلاد لماله من أهمية تجارية كبرى فنرى فيه من بهيمة الأنعام مالا يدخل تحت حصر ومن مختلف البضائع التي تفد بها التجار من كل فج عميق ليبتغوا منافع لهم ونحن نشاهد كل هذه الأشياء والقلوب لها التفات إلى الديار النائية التي تركناها وراءنا.

قال الشاعر :

لئن غبتتم عن نــاظري وتباعــدت	منــازلكم عنــي فــذكركم أنســي
به تنطفــئ نــار البعــاد ويشــفى	فؤادي وأسلو به وفيه مــن نفســي

[1] تابعة لولاية تيارت , تأسست عام 1883 ,كانت تسمى إبان الإستعمار تريزال نسبة للجنرال الفرنسي كاميل تريزال.

وقال شاعر آخر :

خليلـــي إن المــــال لـــيس بنـــافع إذا لـــم ينـــل منـــه أخ وصـــديق

وكنـــت إذا ضـــاقت علـــي محلـــة تيممت أخـــرى مـــا علـــي تضـــيق

وما خاب بـــين الله والنـــاس عامـــل له في التقى أو في المحامـــد ســـوق

ولا ضاق فضل الله عـــن متعفـــف ولكـــن أخـــلاق الرجـــال تضـــيق[1]

وقال شاعر آخر :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ماالله صانع[2]

فما وصلنا السُّوقر حتى باغتتنا سيِّدنا بالوصول في سيّارته فتوجه إلى الزاوية التجانية حيث كان التجانيون في انتظاره حيث أقيم احتفال عظيم بقدومه رضي الله عنه ، ومن أعيان الحاضرين القائد المقلولي وفي نفس هذا المجلس المبارك ولّى سيِّدنا المقدم الجديد لأن مقدم هذه البلدة خبر وفاته كان قد جاء لسيدنا ،وهو لا يزال بعين ماضي فأمر سيدنا رضي الله عنه العبد الحقير يكتب إجازة للمقدم الذي اختاره الأحباب فأعطاه سيدنا الإجازة في خلال هذه الزيارة واستمر هذا المجلس بالزاوية نحو الساعين ثم في الختام دعا سيدنا بدعائه الصّالح للجميع وودعهم، ثم ركب سيدنا في سيارته متوجها صوب بلدة تيارت التي اجتمعنا فيها مرة أخرى بعد ساعات ، وكان نزول سيدنا ورفقائه عند السيد محمد بن زرنان الماضوي التجاني المقيم في هذه المدينة منذ عدة سنوات بتعاطي أمر التجارة فأكرم مثوانا غاية الإكرام جزاه الله خيرا ، وله صداقة خاصة مع سيدنا رضي الله

---

[1] الأبيات لبشار بن برد ,من قصيدة مطلعها :خليلي إن العسر سوف يفيق , انظر بشار بن برد , ديوان بشار بن برد , جمع وتحقيق محمد الطاهر عاشور , وزارة الثقافة 2007 , ص 97.

[2] البيت للبيد بن ربيعة العامري , من قصيدة مطلعها :بلينا و ماتبلى النجوم الطوالع , انظر لبيد بن ربيعة العامري , ديوان لبيد بن ربيعة , تحقيق د.إحسان عباس , دار النشر وزارة الإعلام بدولة الكويت 1962,ص 54.

عنه الذي يحي بأخلاقه الكبيرة الكرم والقلب الكبير ، ويزيل كدر الغربة عمن يتلظى بنار ذلك السّعير والغريب للغريب رحمة ولو كان أحدهما عظيما والآخر حقيراوممن جاء لملاقاة سيدنا من إخواننا الماضويين النازحين منذ مدة عن البلد السيد محمد البكيري بن السيد البني رحمه الله رحمة واسعة وهذا السيد يسكن بلدة فرندة منذ أعوام وبلدة تيارت مدينة جميلة لها موقع من القيمة الإقتصادية والزراعية بمكان عظيم وهذه المدينة في وسط الميدان الزراعي كالقصر العظيم الذي تحيط إحدى الحدائق حيث أرضها خصبة جدا صالحة لكافة أنواع الزراعات سواء كانت غذائية أو تحسينية كالبقول وأنواع الفواكه والخضراوات والوقت المناسب لزيارة هذه المدينة يكون من أواخر الربيع ، والصيف بتمامه لأن البرودة فيها تشتد في فصل الشتاء وهواؤها في غاية الجودة وهي من أجمل المدن الجزائرية حتى أنك تستطيع من دون مبالغة لولا أنها في الدّنيا فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين غير أن الخلود ليس في الدنيا من المعهود وبها جامع عظيم والذي زاده جمالا ، و جودة في مكان مرتفع عن بقية دور المدنية وأنهج هذه المدينة واسعة الأطراف مزينة بالأشجار التي تكثفها يمينا وشمالا على الشكل الحديث الذي عليه المدن مع النظافة التامة حتى أنك لا ترى وسخا ، أو ما يكدر الرّؤية وفي هذه المدينة المحاكم المدنية والجناحية الأولى للقانون الفرنسي في القطر الوهراني ومنها تنقل النوازل رأسا إلى عاصمة وهران الكبرى التي لها النظر الأعلى فيما ذكر ويربطها بعاصمة وهران سكة حديدية ويوجد بها القضاء الإسلامي والمحكمة الشرعية الإسلامية للنظر في نوازل المسلمين ،وكذلك صاحب الفتوى وخلاصة القول أنها مركزا عظيم من الناحية الإدارية والتجارية والاقتصادية والتقينا أيضا مع أخينا الماضوي السيد أحمد الراجع وولده علي وهذه العائلة لها مدة طويلة منذ فراقها لمسقط رأسها بلدة عين ماضي، ومن هذه المدينة تفارقنا مع سيدنا رضي الله عنه حيث أنه ذهب إلى مدينة أم عسكرللوفاء بعهد كان وعد به بعض الأ صحاب من أهل المشرية مداره الصلح بين طائفتين من الأصحاب كانت

بينهما مناقشة ومشاجرة سببها الأدوار الانتخابية المعروفة والذي نخص بالذكر من أفراد هذه الطائفة هو الأديب السيد محمد بن الكبير البكري مقدم التجانية بالمشرية فهذا السيد الفاضل رغم الشباب قد حاز من الفضائل ومكارم الأخلاق والعلم الديني ما خوله أن يعد في سلسلة العلماء الأفاضل وقد كان والده السيد الحاج محمد بن الكبير مقدما على التجانية بالمشرية و كان عالما ورعا كاملا وخلفه هذا العقيد الصالح والولد المبارك زاده الله حرمة وشرفا وكان جاء مع والده إلى حاضرة تونس قرب أيام الحرب الماضية سنة 1939 م بقصد إدخال ولده المذكور إلى الكلية الزيتونية لدراسة العلوم الإسلامية .قد أوصلناعند سيدنا ومولانا ابنعمر مواصلة وقام بشؤونه السيّد الأخ إسماعيل بن شعبان غاية القيام وكذلك السيد الحاج محمد بن الحاج صندتلمين مقدم البئر الأحمر[1] بالجنوب التونسي وبعد رجوعه إلى المشرية قام بتشريع تعليم أهل البلاد وأسّست مدرسة عظيمة أعانه الله تعالى على بث العلم الذي هو أشرف الحرف والمهن وذكر والده المرحوم لا زال بوجود هذا النجل الصالح قال النبي صلى الله عليه وسلم :(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاعن ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم يبثه في صدور الرًجال)[2] وقد استقرأ جلال الدًين السيوطي رضي الله عنه من الأحاديث إحدى عشر خصلة ينتفع بها صاحبها بعد موته ونظمها في قوله :

إذا مات ابن آدم لــيس يجــري	عليه مــن خصـــال غيــر عشـــر
علـــوم بثهـــا ودعـــاء نجـــل	وغرس النخل والصدقات تجــري
وراثة مصــحفه وربــاط ثغــر	وحفــر البئــر أو إجــراء نهـــر
وبيـــت للغريـــب بنـــاه يـــأوي	إليـــه أو بنـــاء محـــل ذكـــر

[1] البئر الأحمر تابعة لولاية تطاون جنوب تونس , نمت في بداياتها بواسطة قوافل الصحراء التي تتجمع حول منبع المياه و من هنا سميت بهذا الاسم .

[2] النص الصحيح للحديث : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له), أورده مسلم في صحيحه في كتاب الوصية ,باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

وتعلـــــيم لقـــــرآن كـــــريم   فخذها بأحاديـــث مـــن بحصـــر[1]

غير أن سيدنا لما ذهب الى أم عسكر للغرض المذكور للملاقاة مع هؤلاء الناس لم يتمكن غاية التمكن من الصلح بينهم وألجأته الضرورة إلى السفر معهم إلى بلدة المشرية ليجتمع مع سائر الناس ، ويعقد بينهم صلح لا تنفصم عراه كما هي عادته رضي الله عنه في كل المسائل التي يطرقها والصُّلح بين المسلمين من أهم الأغراض السّامية التي يجتمع بها شتات الإسلام قال الله تعالى :" إِنّما المُؤْمِنُون إِخْوة فأصْلِحُوا بيْن أخويْكُمْ "[2] وقال أيضا :" مُحمدْ رسُولُ اللهِ والذِين معهُ أشِدّاءُ على الكُفّار رُحماءُ بيْنهُمُ "[3] وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)[4] متفق عليه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال :فأنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا)[5] رواه مسلم . ومكث سيدنا بالمشرية ثلاثة أيّام سعيا وراء الصلح الذي أحكم عراه ، وظهر بوجوده نور سناه وزالت الشحناء بين الناس ، وحل محلها السرور والإخاء والإيناس ونحن الثلاثة بعد مفارقة سيِّدنا من بلدة تيارت ذهبنا في الحين إلى إدارة السيارة الكبرى التي تسافر فيها من تيارت إلى عاصمة وهران بأمر من سيِّدنا أخذنا بطاقات السّفر وأخذنا

[1] انظر , محمد بن السيد علوي المالكي الحسني , تحقيق الآمال فيما ينفع الميت من الأعمال , مؤسسة الإمام زيد الثقافية ط 2, ص233.

[2] الحجرات 10 .

[3] الفتح 29 .

[4] خرجاه في الصحيحين من رواية الأعرج عن أبي هريرة , أخرجه البخاري في النكاح برقم4747 و في الأدب برقم5604و 5605و 5606و في الفرائض رقم6229 و أخرجه مسلم في البر و الصلة برقم4641و 4646و 4647و 4648و 4649و 4650.

[5] أخرجه مسلم برقم 2565.

مجالسنا في السيارة حتى طاب المستقر فغادرت هذه السيارة الكبرى مدينة تيارت متوجهة صوب عاصمة وهران ونحن في كامل الطريق الذي حان من الجودة ، والإتفاق مالا يوصف حتى أن السيّارة في شدة سيرها كأنها سفينة بحرية تعبر لجة بحر هادئ ساكن ولا نرى في كامل هذا السّير المتتابع الذي استغرق عدة ساعات من الساعة الثانية عشر نهارا إلى غروب الشمس لا نرى إلا الخضرة كأنها بساط ، وفرش على سطح الأرض مزينة بالزهر على اختلاف ألوانهاوتباين أشكالها ، فتراها كأنها تبسم بثغرها تحت سلطان أشعة الشمس التي تبدو تارة وتحجب أخرى بتأثير السحب الجارية في الأرجاء الجويّة ، وترى الأعشاب تكتنف الطريق وقد خلف الرذاذ فوق أوراقها القطرات الفضية التي جاد بها ذاك الجو الكريم ، وفي الغالب إذا أجلت النظر ترى المساحات الواسعة التي تنتهي بنهاية البصر من أنواع الزراعات ، وترى الفلاحين الساكنين قرب مزارعهم مثل أكوام الثلج من شدة البياض بين هذه الخضرة وتارة ترى هذه الأبنية في بياضها فوق الجبال المخضرة كأنها حمام أبيض نازل يبتغي خشاش الأرض وقرب الطريق ترى في وسط الزراعات في البعد مجاري المياه العذبة المجلوبة من بعيد لسقي الزراعات كأنها في بريقها ، ولمعانها تحاكي المرآة في كف الأمثل تحت الأشعة الشمسية و خلاصة الأمر أنك لا ترى في كامل هذه المسافة التي تربط بين المدينتين الأجنة مفتحة الأبواب بتشخيص نعيمها على سطح هذه الأراضي الوهرانية ومن آونة إلى أخرى ندخل قرية من القرى التي تعترضنا في الطريق ،ونمر عليها مرّ السَحاب ولا تنس أيها القارئ أننا زيادة على هذه الأوصاف الخلقية الجذابة في فصل الرّبيع الذي هو أجمل الفصول في الأراضي الإفريقية الشّمالية فلا زلنا على هذا النمط بين منظر بديع ومحفل بهيج حتى وصلنا عند الغروب عاصمة وهران الكبرى التي يستقر بها الحاكم الكبير الذي يمثل الحكومة الفرنسية وصلناها بخير وعافية ، و انشراح لا يوصف متأثرين بما رأيناه فقصدنا من حيننا التماس مرشد الزاوية التجانية التي بها العالم العلامة الفقيه سيَّدنا الحاج بلقاسم بن

كينو تلميذ سيدي علي بن عبدالرحمن مفتي الديار الوهرانية سابقا فوجدنا الناس في الزاوية الميمونة الوهرانية يتأهبون لصلاة المغرب فوضعنا الأمتعة عند المكلف بشؤون الضيوف وأدينا فريضة المغرب مع الجماعة ،وهذه الزاوية أجمل زاوية في هذه العاصمة والإمام الراتد فيها هو السيد عبد الرحمان بن السيد الحاج بلقاسم وبعد إتمام الصلاة وما لزمنا من الأوراد تناولنا الحديث مع السيَّد المذكور وبعض المغاربة والإخوان فسألونا عن أخبار سيدنا هل يأتي إلى وهران في هذه اللّيلة أم لا حيث أننا وجدناهم في استعداد تام لملاقاته بموجب تلغراف كان وردهم من سيَّدنا فأخبرناهم بأن سيدنا كان ذاهبا إلى المشرية لأن ليس لنا تحقيق في ذهابه إلا من بعد وليس لنا خبر حقيقي بقدومه الليلة إلى وهران فما تمت حلقة هذه المسافرة حتى جاءت صلاة العشاء فصليناها في الزاوية وبعد ما شغرت الزاوية من الناس جاءنا السيد عبدالرحمن بالعشاء والآتاي على أحسن الهيئات وأجمل الحالات وأصحاب هذه الزاوية يصدق عليهم قول القائل :

ومــــا صــــحبوا الأيــــام إلا تعففــــا	وما وجدوا من حــب ســيدهم بــدا
أفاضــــل صــــديقون أهــــل ولايــــة	إلى سيد السادات قد جعلوا القصــدا
تحلل عند الصبر مــن كــان صــابر	وما حلت الأيام من عقــدهم عقــدا

وبعد تمام الطعام تناولنا الآتاي مع السيّد المذكور وهو لا يزال يأمرنا في مختلف الأنحاء التي لا تخرج عن الدين وفق الطريقة التجانية لله دره من سيد كريم وطالما شرح لنا اشتياقه إلى سيَّدنا وكافة الأحباب كذلك ، وتعرض لذكر بعض الخلاف الواقع بينهم الذي لا تخلو منه بلدة ، ولا وطن مع أهل زاوية أخرى ولكن يأمل زواله بقدوم سيَّدنا رضي الله عنه قال الشاعر يصف في الدنيا وأهلها :

أحســـنتظنك بالأيـــام إذ حســـنت ولم تخف سوءا مما يأتي به القـــدر

وسالمتك الليالي فـــاغتررت بهـــا وعند صفو الليالي يحـــدث الكـــدر[1]

فبتنا تلك الليلة في الزاوية ثم في صباح الغد بعد آداء فريضة الصبح توجهنا إلى محطة السكك الحديدية بوهران[2] التي تعد من أجمل المحطات بالشمال الإفريقي وليس الخبر كالعيان قاصدين بلدة قرسيف بالقطر المغربي ، والتي سيكون فيها إجتماعنا مرة ثانية بسيِّدنا رضي الله عنه أنه الذي يدخل الوطن المغربي من المشرية إلي وجده ثم قرسيف قادما على طريق العريشة طريق بالناحية الجنوبية للسيارات ، فكان اللقاء كذلك ونحن غادرنا عاصمة وهران التي هي أعظم ميناء كبير بعد العاصمة الجزائر بعدما تسلمنا بطاقات السّفر من إدارة السكة الحديدية ، وتوادعنا مع الأحباب ركبنا القطار السّريع الذي يربط بين القطر الجزائري والقطر المغربي، ولا زال يسير بنا كامل النهار حتى وصلنا مدينة تلمسان العظمى التي خلدها التاريخ تاريخ المجد و الشرف الذي لا تمحوه الدهور وإن طالت فكانت هذه المدينة الإسلامية معقل ، ومأوى العلماء الكبار والصالحين السّالكين وجهابذة الأقطار في كافة العلوم النقلية والعقلية نذكر منهم العلامة ابن مرزوق الحفيد [3]رحمه الله تعالى والشيخ السَّنوسي[1] وغير هؤلاء من الفحول وإذا رمت الإطلاع

---

[1] الأبيات لأبي العتاهية مع أن البعض نسبها خطأ للشافعي , انظر أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم (130 ـــ211) , ديوان أبي العتاهية , تحقيق أنطوان قوال , دار الفكر العربي 2003 , ص109.

[2] قام بتصميمها الفرنسي أبير بالي , بنيت ما بين 1913 ـــ 1917 , أرادت فرنسا أن تجمع بين الديانات الثلاث في المحطة ـــ المسيحية بالزخارف , اليهودية بنجمة داوود و الإسلام بالصومعة و القبة ,و هذا النوع من الهندسة أشاعته فرنسا للطمس الممنهج للهوية و صار يصعب التفريق بين جامع و محطة قطار أو دار بريد . انظر محمود شاكر , التاريخ الإسلامي , المكتب الإسلامي ط1 , 2000 م , ص 533.

[3] ابن مرزوق الحفيد (766 ﻫ ـــ 1364 م / 842 ﻫ ـــ 1439 م) جده شمس الدين بن مرزوق الملقب بالجد للتفريق بينه و بين حفيده ,من أهم مؤلفاته الروض البهيج في مسائل الخديج ,أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك ,انظر عادل نويهض ,معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ,مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر بيروت لبنان , ط 2 , 1980,ص 290.

على تراجم علمائها ومناقب صلحائها في العصور العابرة فعليك بكتاب الأولياء، و العلماء بتلمسان[2] تجد فيه ما يشفي العليل ويبرئ مرض المضنى العليل وهي مدينة جميلة تقع بين جبال مغمورة بالزيتون هواؤها في الصّيف من أجود الأهوية وأنفع الأدوية وماؤها أعذب ما يكون وطقسها شديد البرودة في فصل الشتاء نظرا للجبال التي تحيط بها من كل جانب والتي تدل على ارتفاعها على سطح البحر وبها الجامع الأعظم الذي كانت تدرس به العلوم قديما على شكل المغربيين بعاصمة فاس وأهلها يكثر بينهم الجمال ويمثلون الهيئة الإسلامية الحاضرة رغم المدنية الحاضرة بين هذه الشعوب والتلال وأسواقها إلى الآن تحض البلاد بالصناعات الوطنية القديمة و أهلها تغلب عليهم الشهامة العربية ، وحب النفس والثمار فيها والفواكه وأنواع البقول لم تصنف غيرها في المدن الأخرى،ولا تنقص بل فيها زاوية تجانية جميلة كأنها نسخة من زاوية سيدنا رضي الله عنه التي بفاس وخارج المدينة يوجد ضريح خليفة سيدنا رضي الله عنه الذي أخذ عنه مباشرة هو الطاهر بوطيبة[3] ضريحه في الجبل خارج البلدة بعدة أميال وللأسف لمننزل في هذه المدينة في سيرنا هذا لولا معرفة السابقة لها و حسبنا الوقوف في المحطة لأن الراحل يواصل سيره إلى الأمام وبعد حين من الزمن انتقل القطار من هذه المحطة بعد إنذاره الرعدي، وأخذ يسير لجهة وحيدة أول مدينة مغربية تقع غرب الحدود الجزائرية المغربية وبعد ساعتين من السّير السّريع وصلنا مدينة وجدة فمن حيننا نزلنا من القطار بمقتضى القانون الحكومي لمصلحة الدوّانة[4] فقصدنا بأمتعتنا الإدارتين إدارة الشؤون القمرقية للنظر فيما

---

[1] محمد بن علي السنوسي بن العربي ,يعرف بالسنوسي الكبير (1787 ــ 1859 م)مؤسس الطريقة السنوسية , انظر عادل نويهض .المرجع السابق ,ص 344.

[2] نظنه يقصد كتاب البستان بذكر الأولياء و العلماء بتلمسان , انظر ابن مريم التلمساني , البستان بذكر الأولياء و العلماء بتلمسان , اعتنى به محمد بن أبي شنب , المطبعة الثعالبية الجزائر ,1986 .

[3] أبو عبد الله الطاهر بوطيبة التلمساني , على يديه اشتهرت الطريقة التيجانية في تلمسان , كان يحرض تلاميذه على الثورة ضد الاحتلال و يدعو إلى مقاطعته حتى تعرض للاضطهاد و نفي إلى جزيرة سانت مرقريت من 1863 إلى 1871 م هناك فقد بصره , توفي بتلمسان سنة 1978 , انظر الراضي كنون , كشف الحجاب ص 114.

[4] مصلحة الجمارك .

تحويه هذه الأمتعة من أثاث على ما يقض يه النظام القانوني وإدارة الإطلاع على الرخص وجوازات السّفر فما تمت أشغال الإداريين حتى سمعنا القطار و صوت الإنذار فأخذنا مجالسنا متوجهين إلى بلدة قرسيف وقد علا وجوهنا السرور حيث سلمنا من هذه العقبة .

قال الشاعر :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقــل خلوت ولكــن قــل علــي رقيــب[1]

وقال آخر:

خليلـــي قطـــاع الفيـــافي إلـــى الحمـــا كثيـــر وأمـــا الواصـــلون قليـــل[2]

ولا زال القطار يقطع بنا هذه الفجاج الواسعة حتى وصلنا إلى محطة بلدة قرسيف على الساعة الثامنة مساءا فخرجنا من المحطة بأمتعتنا قاصدين دار السّيد الحاج محمد ابن سعيد رجل من أهل عين ماضي استوطن هذه البلدة منذ مدة وأخوه السيد إبراهيمابن سعيد معه ، فلما وصلنا المحل المذكور قابلنا السيد المذكور بكل حفاوة وإكرام وبشاشة تبرهن على فرحه الكامن ، والبشاشة عنوان القبول وأدخلنا في الحين محله الخاص بارك الله فيه وفي أمثاله من الإخوان، ولا زلنا ضيوفا عنده في حفاوة مستمرة وإكرام متنوع حتى جاء سيدنا من المشرية بعد ما سبقناه في هذه البلدة بثلاثة أيام ولا زلنا نردد الأقدام على الزاوية التجانية في هذه البلدة لأداء الصلوات ، وقراءة الوظيفة مدة إقامتنا ولله الجهد حتى

---

[1] أبو العتاهية ,الديوان , ص 50.

[2] البيت لعبد القادر الجيلاني (470 ه ــ 561 ه) مؤسس الطريقة القادرية , انظر القاضي نور الله التستري الشهيد , الصوارم المهرقة في جواب الصوامق المحرقة , صححه السيد جلال الدين المحدث , مطبعة نهضة طهران 1987, ص 269.

أننا قرأنا كامل حديث جبريل الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] المذكور في الصحيحين ولم نستوف الكلام فيه إلا في الليلة الثالثة تشرع في الدرس بعد تمام الوظيفة التي تقرأ عندهم بعد المغرب وهو الذي كان عليه عمل سيدنا رضي الله عنه ولا نفرغ من القراءة حتى دخول وقت العشاء يحضر هذا الدرس كافة أصحاب الوظيفة التجانية منهم المقدم السيد الحاج محمد بن الأزرق ، الذي هو المقدم في الزاوية المذكورة وهو رجل صالح فاضل يشتغل بأمر التجارة في دكانه بسوق البلدة المذكورة ، وقد استدعى سيِّدنا رضي الله عنه إلى محله الخاص لتناول الغداء ، ومعه كافة رفقائه بعض الأحباب المغاربة من أعيان البلدة ومنهم السيد الحاج محمد بن سعيد الذي بينهما صداقة تامّة والسيد محمد بن ستت وهو أيضا من أهل عين ماضي وممن نزح منذ مدة عن البلاد وقد استدعانا مرارا إلى محله الخاص جزاه الله خير جزاء ، وبلدة قرسيف كثيرة المياه وأصل هذه المياه في الغالب تأتي من الجبال وتتجمع في واد بقرب البلدة المذكورة وأصلها من الثلوج التي تسقط في فصل الشتاء ، فإذا جاء عليها فصل الرّبيع تذوب تحت حرارة الشمس وتتكون منها سيول عظيمة يستعملها أهل البلدة لسقي الزراعات والبساتين ، وبعد ذلك بأيّام ركب سيِّدنا سيّارته و توادع مع الأحباب قاصدا مدينة فاس العليا ليجتمع فيها الأصل بفرعه والرفيق بالرفيق والسيد بالرفيق أما نحن فركبنا في القطار متوجهين إلى فاس فلا زال الرجل يقطع بنا الفجاج الواسعة تحت حاجب الظلام و سحب الغياهب الليلية لأننا خرجنا من قرسيف على الساعة التاسعة ونصف ليلا ولا نزال يسمعنا في دويه الرّعدي حتى وصلنا محطة مدينة تازة[2] التي لم يقف بها إلا نصف ساعة ثم استمر في سيره فما جاء منتصف الليل حتى بلغنا أحواز العاصمة الإدريسية وتجلت علينا

---

[1] الحديث ورد في الصحيحين و نصه طويل ,مروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضور سيدنا جبريل على هيأة رجل و سؤاله للنبي صلى الله عليه و سلم عن الإسلام و الإيمان و عن الساعة و أماراتها , انظر البخاري في صحيحه كتاب الإيمان , باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه و سلم برقم 4499, و مسلم في صحيحه برقم 10, ص 4.

[2] تقع 100 كلم شرق فاس من أقدم المدن المغربية .

بأنوارها القدسية فإذا نحن بالمحطة، ولما وقف الرتل الوقوف النهائي ونزلنا منه وجدنا في انتظارنا في نفس المحطة السيّد محمد بلحاج مقدم زاوية فاس الجديد بأمرمن سيّدنا رضي الله عنه الذي وصل إلى فاس قبلنا بكثيرفذهب بنا السيِّد المذكور إلى زاوية فاس المذكورة حيث بتنا فيها تلك الليلة ، وفي الصّباح بعد الصّلاة وقراءة الوظيفة وما جاءت السّاعة الثامنة حتى وصلنا صحبة السيِّد المذكورة لملاقاة سيدنا في دار السيِّد الحسين الدويراني السويسي ، فاجتمعنا بسيدنا في هذه الدار وتناولنا معه الفطور الصباحي ،و تجاذبنا أطراف الحديث فيما يتعلق بالسّفر بكل فرح وسرور حيث زالت الأتعاب وحمدنا الله تعالى حمدا كثيرا أن كنا في ضيافة إمام العارفين وقطب الأقطاب .

- **فاس مدينة السّعادة :**

هذه العاصمة الإدريسية من أقدم العواصم الإسلامية ، وفضلها مشهور عند الخاص والعام منها صدرت ينابيع العلوم ، والمعارف الإسلامية حتى صارت مضرب الأمثال في سائر الأعصار والأجيال وشهد لها من الأباعد الرحال وهي في حسن و جمالها وجلالها وكمالها كالعروس ، في خدرها معدن اكسير الصلاح وبها من الصلحاء والأشراف وكبار العلماء والمجاذيب ما لا يأتي عليه الذكر ، ولا يدخل تحت قيد وحصر ولا زالت قديما وحديثا تنجب من أبناء الشريعة الإسلامية وحفاظ الملة ما خلّد لها الذكر الماجد في العالم الإسلامي حتى أنك إذا سمعت ذكرها في المجالس تضع الكأس إشرافا وتطأطئ الرأس إكراما وأنى لمثلي أن يستوفي مجالس هذه المدينة التي أفرادها العلماء الأعلام بالتأليف وخصّصوا بها عدة تصانيف كانت بكورة الفجر الإسلامي منذ أن طلعت شمس الإسلام بالديار المغربية ومن أراد استقصاء أخبار صلحائها ،ومن خير فيها من العلماء النظار والأقطاب الكبار فعليه بكتاب سلوة الأنفاس بمن أقبرمن العلماء والصلحاء بفاس للشيخ

محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله[1]، ويكفيها شرفا الذي لا يعادله شرف أنها ضمت ريح خاتم الأولياء وتاج أكابر الأصفياء القطب المكتوم والبرزخ المحمّدي المعلوم سيدنا و مولانا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه الذي رام الارتحال من المغرب إلى الديار الشرقية في أواخر أمره حتى شق ذلك على الأصحاب حتى كادت أن تتفتت منهم الأكباد كارهين مفارقة قطب الأقطاب فيما هم في بحر المحنة يموجون . حتى جاء الله بفضله وجاء أمره بما يشتهون فأمر النبي صلى الله عليه وسلم شخصا بأن لا يبارح هذه المدينة الطّاهرة وأمره ببناء الزاوية لتجمع شتات الأحباب وكذلك مما يدل على هذا الشرف العتيق وجود ضريح مولانا إدريس[2] رضي الله عنه مؤسس هذه البلدة ويرجع عهد تاريخها إلى ما سنذكره وحاصل الأمر أنّ الإمام ادريس عليه الرضوان بنى جامع الأشياخ[3] المعروف الآن بجامع الأنوار للخطبة بعدوة الأندلس سنة 195 هـ ، وفي السنة التي بعدها بني جامع الأشراف للخطبة أيضا بعدوة القرويين ،وفي أيّام حامد ابن حمدان العمراني عامل عبيد الله الشيخي نقلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره وأقيمت بالقرويين لكبرة وذلك سنة سبع وثلثمائة وبعد هذا بأربع عشرة سنة نقلت من جامع الأشياخ لجامع الأندلس[4] ومن هذا يعرف أن جامع القرويين هو أحد المعاهد الثلاثة الإسلامية الكبرى التي تخرج منها فحول الشريعة الإسلامية حفاظ المذهب المالكي ممن جمعوا بين المعقول والمنقول وكانت تدرس في هذا المعهد الشريف في غابر الأزمان

---

[1] محمد بن أبـــي جعفر الكتاني (1274 ــ 1345 هـ) كان مفتي المالكية و رئيس رابطة علماء سوريا ,جمع في سلوة الأنفاس تراجم للكثير من أعلام فاس , انظر محمد بن جعفر الكتاني , سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس , تحقيق حمزة الكتاني , دار الثقافة البيضاء.

[2] إدريس الثاني (793 ــ 828 م) ثاني حاكم مسلم في إدارة الأدارسة, أسس فاس و جعل منها عاصمة الأدارسة عام (182 هـ ــ 808 م) بلغت الدولة في عهده أقصى اتساع لها , انظر سعدون عباس نصر الله , دولة الأدارسة في المغرب , دار النهضة العربية للطباعة و النشر , ص 104 .

[3] يعتبرأول مسجد بني بعدوة الأندلس بفاس على عهد الإمام إدريس بن عبد الله و يعرف بجامع الأشياخ و بمسجد الأنوار كذلك , انظر عبد الرحمن بن زيدان , الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة ,طبع سنة 1937 , ص 40.

[4] ينظر عبد الواحد المراكشي , المعجب في تلخيص أخبار المغرب , تحقيق خليل عمران المنصور , دار الكتب العلمية , ط1 , 2005 .

والتاريخ لحفظ تلاد الذكر وإن غائب الأعيان ما يبلغ خمسة وعشرين منا حتى أن كثيرا من هذه الفنون قد اندرس .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أن الله لا يقبض العلم انتزاعا بنتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا "[1] متفق عليه.

قال الشاعر:

قل للذي بصروف الـــدهر عيرنـــا	هل حارب الدّهر إلا من لـــه خطـــر
أما ترى البحر تعلو فوقـــه جيـــف	وتســـتقر بأقصـــى قعـــره الـــدّرر
فـــإن تكـــن أيـــدي الزمـــان بنـــا	ومسنا من تمـــادي بؤســـه ضـــرر
ففي السماء نجـــوم لاعـــداد لهـــا	وليس يكسف إلا الشـــمس والقمـــر[2]

وأول مسيحي بث اللغة العربية في أوروبا تلقاها من كلية القرويين وكان مختفيا مدة مزاولته للعلوم اللغوية على ما قيل فأين هذه العلوم الآن وأين رجالها أخفى عليها وعليهم الذي أخفى على لبيد قال الشاعر:

تلـــك آثارنـــا تـــدل علينـــا	فـــأنظروا بعـــدنا إلـــى الآثـــار[3]

وقال الآخر :

أولئك آبائي فجئنـــي بمـــثلهم	إذا جمعتنا يا جريـــر المجـــامع[1]

---

[1] أورده البخاري في كتاب العلم , باب كيف يقبض العلم برقم 1511.

[2] الأبيات شمس المعالي قابوس الديلمي (ت 1015 م), انظر صلاح الدين خليل بن عبد الله الصفدي (ت 764 هـ) , الوافي بالوفيات , تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى , دار إحياء التراث بيروت 2000 ,حرف القاف ص 6448 .

[3] ذكره الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب , انظر الفخر الرازي , مفاتيح الغيب , المكتبة التوقيفية بمصر , ج 19 , ص12

وله أبواب أظنها أربعة عشر بابا وبيت الصّلاة تشغل مساحة واسعة لتسعة آلاف من المصلين على ماقيل و 17 ألفا من الأنفس به عدة أساطين بنيت على شكل بديع من الاستقامة ويوجد فيه عدة منصات يجلس عليها المدرسون وقت الدراسة ليكون الأستاذ مشرفا على كافة التلاميذ الحاضرين في حلقة درسه،وبأسفلها عجلات صغيرة يمكن بذلك نقل المنصة من سارية إلى أخرى عند الحاجة إلى ذلك وله مكتبة عظيمة حوت أسس الكتب العتيقة والمجلدات العلمية التي هي الآن أندر من فيض الأنوق ولولا أن عبثت بها الأيد لكانت جديدة وبابها وله محق واسع الأرجاء أرضه مفروشة بالجليزالظفرفي وتشققه ساقية من الماء العذب الزلال آتية من الخارج تتصل بصهريج في زاوية من زواياه تحف فنية من البناء فترى الناس في أوقات الصلوات على كل من ضفتي هذه السّاقية الجارية ليلا ونهارا و يتطهرون الطهارة الشرعية للصلاة ، ولهذا الجامع العظيم مئذنة عالية تشرف على غالب البناءات، وتسمع من آونة إلى أخرى المؤذن يردد صوته الرباني للإعلام بدخول وقت الصلاة ، فترى أرباب الدكاكين والأسواق التي تقرب الجامع والمدارس يتسابقون إلى الجامع لأداء ما فرضهم الله به وأهل فاس لهم عناية عظمى بالمحافظة على الصلوات الجماعية حتى أنك ترى المساجد، والجوامع مملوءة بالمصلين كأيّام الجمعة ويباكرون لصلا ة الصبح للغاية وبمدينة فاس مئات من المساجد أما الجوامع فهي تزيد عن العشرين وترى أسواقها التجارية عامرة بالبضائع الوطنية وأهلها أصحاب عمل وجد فيما هم فيه من الاشتغال يعرف هذا جيدا من مارسهم ولهم دراية تامة بأحوال التجارة ولهم محافظة نادرة على تقاليدهم ومدينة فاس هواؤها ثقيل جدا خصوصا على الأجنبي الذي لم يتعوده لأن بها كثير من الرطوبات التي سببها المياه الجارية في أطراف

---

[1] البيت للفرزدق , انظر همام بن غالب أبو فراس الفرزدق , ديوان الفرزدق , تحقيق علي ناعور ,دار الكتب العلمية ط 1 , 987 1,ص 122.

المدينة ووسطها وتحت جدرانها ولهذا الشتاء فيها بارد جدا والصيف حار يتعين على من يسكنها أن يكثر من النظافة ولا يغفل عن الإسهال بعد كل خمسة عشر يوما حتى لا يتقوى عليه سرطان القبض فإن ذلك يضره كثيرا لا سيما مع الرطوبات الموجودة ، و ينبغي لصاحبها أن يتعاهد الحمام لأن فيه نفع عظيم لكن الحمامات فيها لا تليق بذي المروءة ، وينبغي لساكنها أن يخرج خارج المدينة في بعض أوقات استراحته طلبا للهواء الجيد وتباعدا من عقوبات الرطوبة وصناعاتهم الوطنية هي أنهم يجيدون خدمة النحاس الأصفر والأحمر وأواني الفضة وكذلك صنع الأحذية التي يستعملها أهل الوطن المسمات بالبلغة الحاصل أنك إذا مررت بأسواقها لا تسمع إلا دوي الحركات ، ولا ترى إلا يدا عاملة وترى المستودعات الكبرى مشحونة بالسلع والبضائع الوطنية والأجنبية كالكتان و الأقمشة الرجالية والنسائية والملف والحرير والقناطير المقنطرة من الأتاي والسكر وللبلاد الفاسية المكانة السامية والدرجة الرفيعة من الناحية التجارية والإقتصادية ، وترى الدكاكين يمينا و شمالا في أسواق المدينة تحت ظلال حدائق العنب مرتفعة على سطح الأرض ارتفاعا ما والسر في ذلك أن المياه وقت نزول الأمطارتكثر في أزقة المدينة نظرا لانحدارها حتى تصير الأنهج أشبه شيئ بالأودية وجداول المياه ومدينة فاس نظرا للنهر الذي يجوب أطرافها أشبه شيئ بالسفينة فوق البحر حتى إنك تسمع خرير المياه في جميع أطراف العاصمة وكانت مدينة فاس هي العاصمة للدولة المغربية في عهد السلاطين الأقدمين وبعد نصب الحماية الفرنسية تحولت وصارت العاصمة للدولة برباط الفتح حيث يستقر سلطان المغرب والمقيم العام للحكومة الحامية ولم يبق بفاس من الناحية الإدارية إلا التاريخ القديم وفيها دار المخزن التي ينزل بها سلطان المغرب عند زيارته لهذه المدينة ، ونائب السلطان فيها هو الباشا ونائب فرنسا جنرال عسكري بيده زمام الأمر والمدينة القديمة التي يوجد فيها القرويين وضريح سيدنا رضي الله عنه وضريح مولانا إدريس رضي الله عنه تسمى فاس البالي ويوجد بأطراف هذه المدينة

الملاّح[1] الذي في الغالب يسكنه اليهود وبقربها أيضا فاس الجديد، وهي المدينة المستحدثة بعد الاحتلال الفرنسي والتي بها الأجانب والمتاحف واللوكاندات لقبول المسافرين الأجانب ويقرب منها محطة لإدارة السكك الحديدية ، وكل المواقع الحديثة الصناعية والتجارية والاقتصادية والإدارية والمستشفيات الطبية وغير ذلك من وسائل المدينة الحاضرة وبها بستان عام معد للنزهة في أوقات الفراغ من الشغل يتجول فيه كل من له رغبة في ذلك وبها كثير من المدارس العلمية التي يسكنها الطلبة منها مدرسة العطارين القريبة من جامع القرويين والتي بها بيت الشيخ المكودي[2] شارح ألفية ابن مالك وآخر من أقرأ كتاب سيبويه في فاس وأهلها لهم عناية عظيمة بتحصيل العلوم ، ولذا تراهم في المساجد خصوصا في الدروس التي تعقد بين العشائين يزدحمون على الحصول على أقرب مكان من المدرس والجبال التي تحيط بالحضرة الفاسية معمورة بالزيتون فلا ترى إلا الغابات المخضرة تعلو أطراف المدينة وبفضل وجود هذه الغابات الزيتونة يتحسن هواؤها بصفة محسوسة إذ من المعلوم أن رائحة شجر الزيتون تنفع كثيرا الجسم الإنساني ،وكيف لا وقد وصفها الله تعالى في كتابه العزيز بكونها شجرة مباركة والآن حان الوقت أن نتكلم على المقصود بالذات من هذه المدينة وهو زيارة سيدنا القطب الأكبر السيد أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعناية آمين.وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

فصل في زيارة السيد أحمد التجاني رضي الله عنه :

أول شيئ تعلقت به همته رضي الله عنه ونحن أصحابه هي زيارة سيدنا في ضريحه الأنور ، ومقامه الشريف الأزهر توجهنا إلى الزاوية الكبرى بفاس حيث المقام ونيل

---

[1] أول حي يهودي بني في المغرب , يعود أصل التسمية إلى عهد المرينيين ق 15 م ,حين كانت تخزن فيه مادة الملح تمهيدا لتصديرها إلى أوروبا انظر عبد الواحد المراكشي ,المعجب في تلخيص أخبار المغرب , ص344.

[2] الشيخ عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت 801 هـ) اشتهر بشرحه العظيم لألفية بن مالك ,انظر الكنوني ,كشف الحجاب ,ص 221.

المرام ونحن كامل طريقنا نمر على الأسواق مر السحاب إذ مالنا في ذلك من غرض، ولا حاجة إذ المقصود الأهم من هذه الرحلة كلها هي هذه الزيارة فلما وصلنا إلى أبواب الزاوية الكبرى دار السعادة والأمان والظفر دخلنا الزاوية على الساعة التاسعة والنصف صباحا فبادرناإلى الوضوء ثم صلينا ركعتين وبعد ذلك تقدمنا بخشوع وراء سيدنا رضي الله عنه إلى الضريح الشريف بأكمل الأداب مع الخجل والإحتشام وإجلال وإكبار وإحترام حتى قرأنا السلام من حيث يقرأ ،وتوسلنا بجاهه وفخيم مقامه وسعينا إليه من حيث إليه يسعى نحن أمام الحضرة التجانية حقيقة الحقائق ودرة النفائس والرقائق بين كافة الخلائق ولسان حالنا يقول :

وذهلنـــا عنـــد اللقـــاء وكـــم إذ ... هل صـــفا مـــن الحبيـــب لقـــاء

ووجهنـــا مـــن المهابـــة حتّـــى ... لا كـــــلام منـــــا ولا إيمـــــاء

ورجعنـــا وللقلـــوب التفاتـــا ... ت إليـــه وللحســـوم انثنـــاء

وسمحنا بما نحـن وقـد يســـ ... ـمـح عنـد الضـرورة الــبخلاء

*****

أي نـــور وأي نـــور شـــهدنا ... يـــوم أبـــدت لنـــا القبـــاب قبـــاء

قرن منها دمعي وقل اصـــطباري ... فدموعي سيل وصـــبري خفـــاء[1]

وقد مدح العلامة أبو إسحاق سيدنا إبراهيم الرياحي التونسي[1] رضي الله عنه هذه الحضرة التيجانية بقصيدة منها هذه الأبيات :

[1] الأبيات من همزية البوصيري الشهيرة , انظر ابن حجر الهيذمي شرف الدين أبي عبد الله , شرح همزية البوصيري , حققه و علق عليه فاطمة الراجحي , الناشر جامعة الكويت , ص 125 .

يا ترى ممرضي درى بسـمات	فهـو أن يرضـه أعـز مـرام
فاعدا هجـره فأجيـاد صـبري	ما اسـتطاعت لحملـه مـن قيـام

إلى أن قال :

أه الفـا علـى ليـال قضـت	نظمـت شـملنا بـأي انتظـام
حيـث فـاس قرارنـا وهـي	مالدار فـي حسـنها مـن خصـام
مالمصـروما لبغـداد معنـى	مشـيه لا ولا العـراق وشـام
أي سـرفيها وأي سـرور	قـد قطفنـا وأي شـرب مـدام

إلى أن قال :

كيف لا والإمام أحمـد قطـب	ماله فـي المقـام قطـب مسـام
خـاتم خصـه إلالـه بفضـل	وعطايـا مـن المزايـا عظـام
دورهـا تنتهـي النهـر لعلـو	وارتقـاء عـن مـدرك الأفهـام
هكـذا أنبـئ النبـي فصـدق	أو تهيـا هيـا لتسـرف سـهام[2]

وهذه القصيدة البليغة مرفوعة بأجمعها بالخطوط الذهبية على ضريح سيِّدنا رضي الله عنه وأرضاه وقد مدح الإمام المذكور سيدنا رضي الله عنه بقصيدة أبلغ من هذه سينية مطلعها :

---

[1]إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي أبو إسحاق(1180 ــ 1266 هــ / 1766ــ 1860 هــ)فقيه مالكي و شاعر تونسي تيجاني الهوى , من مؤلفاته حاشية علي الفاكهي و التحفة الإلهية و ديوان شعر مطبوع , انظر إبراهيم الرياحي , ديوان إبراهيم الرياحي , ترجمة و تحقيق محمد البعلاوي و حمادي الساحلي , الناشر دار الغرب الإسلامي ط1 , 1990 .

[2] الرجع نفسه , ص 122.

صاح اركب العزم لا تخلد إلى اليــأس   واصحب أخو الحزم ذا جد إلى فــاس

واقرأ السلام على تلـك المعاهـد مــن   حيــران تلفظــه نــاس إلـــى نـــاس

وقــل لهــم ذلــك المضــنى وحقكــم   باق على العهـد ذو وجـد بكـم راس

لا يبصر الحســن إلا فــي وجــوهكم   وليس يجــنح فـــي حــب لوســواس

وحـــج إلـــى مـــن عينـــي لفرقتـــه   تبكـــي وتزفـــر الأشـــواق لفــــاس

إلى أن يقول :

أعني التجاني تـــاج العـــارفين ومـــن   بسابقه الفضل من عرفانه كاســـي[1]

وقد فني الشاعر رضي الله عنه تمام الفناء ، واستغرق في حضرة الشيخ رضي الله عنه غاية الاستغراق حتى صار يتكلم بلسان الشيخ رضي الله عنه لا بلسانه ، وغاص في لجج هذا المحيط الأحمدي العميق حتى جاء بالدرر والذهب والإبريز والكبريت الأحمر.

حتى غاب عن حسه وصار لا يشاهد إلا الأنوار التجانية الجمالية تارة والجلالية أخرى و يعطي لكل مقام مقاله حتى أن سيدنا العربي بن السّائح رضي الله عنه حضر أصحابه على تلاوة هذه القصيدة ، وكان يود دائما سماعها و يأخذه حال عظيم وأخبر صاحبه أن من تلى هذه القصيدة في خلوة كانت كفيلة بالإجابة له والإجابة لا تتخلف عنها أبدا .

ولولده رضي الله عنه سيدي الطيب الرياحي [2] رحمه الله قصيدة في مدح سيدنا رضي الله عنه يشرح فيها اشتياقه إلى زيا رة فاس مطلعها :

عسى نفحة تأتي بعطــف وإقبـــال   تفيق بها مـــن غشيةالعســـر أحـــوالي

وتنفك مـــن قيـــد الأســـر عـــزائم   عتاق ســـراها غيـــر وخـــد وارقـــال

---

[1]نفسه , ص 187.

[2] محمدالطيب الرياحي (1226 ــ 1267 هــ / 1811 ــ 1850 م)عمل مدرسا بجامع الزيتونة , انظر محمد النيفر , عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب ,دار الغرب الإسلامي ,بيروت 1996 ,ص 231.

هنالك لا غيــر الكواكــب رفقتــي   إلى حين جيد الفصل ليســوا بعطــال
إلى المغرب الأقصى وما هو إنمــا   مناي به من لسريع بغرب عــن بــالي
مــلاذي وأســتاذي ومــن بأتباعــه   أجــر علــى هــام الكواكــب أذيــالي
إمام الهدى غــوث العــوالم كلهــا   ميدا لعدا ميرئ الضنى عند أعصــال
همام لسوّاه الله مــن فــيض ســره   كــأس لهــا مــزج بــود وإجــلال
وعلاه حتى نــال بــالقرب رتبــة   حوى فضلها مجــد المقــدم والــدّالي
وأولاده مــن خيــر الأنــام برؤيــة   ومتعــة منـــه بقــرب وإيصــال[1]

وختمها بذكر كراماته رضي الله عنه وما اختص أصحاب المزايا الإلهية

من جملة من مدح الحضرة التجانية من التونسيين الشيخ العلامة سيدنا محمد حفيظ المفتي المالكي [2]رحمه الله تعالى بقصيدة هذا مطلعها :

أجل لجياد القول في حلبة الطــرس   بأمــداح خــتم العــارفين بــلا لــبس
وقل ما تشا فالقول رحــب مجــالس   لمن طبعــت فأثــاره مطلــع الشــمس
أمــام البرايــا رحمــة الله للــورى   به ســطعت شــمس الهدايــة للــنفس
أمام الهمى العرفان من لــيس ســره   وأحي بما اسدى إلــى ميــت الغــرس
رقى مرتقى لا يدرك العقــل وصــفه   تحجب بالكتمان عــن مــدرك الحــس
لقد جل عــن قــول المــردد مدحــه   فلقبــه بالســيد الغــوث والجــرس
بلــى إنــه خــتم الولايــة أحمــد   تسم دست الختم في حضــرة القــديس
هو البحر والأقطاب والغــوث النّهــر   وكلهم فــي بحــر أســراره يرســى
فكــل فيضــان الرســول محمــد   رسول الإله العــرش للجــن والأنــس

---

[1] المرجع نفسه , ص 334.

[2] ينظر محمد محمد مخلوف , شجرة النور الزكية ,المطبعة السلفية ,القاهرة 1349 هــ / 1930 م, ص 221.

لهـــا وارد يســـئ رحيـــق ختامهـــا ومنه يكون الفيض من غيرمـــا لـــبس
وفيض الكرام الرسل يحويــه ذاتــه ومنـــــه للجبلـــي مـــع المرســـي[1]

إلى آخرها وكذلك هذا الشاعر العظيم ختم قصيدته بالتحدث بما أنعم الله تعالى به سيدنا رضي الله عنه وأصحابه :

و لنذكر شيئا من قصيدة السيد محمد بن مختارالشنجيطي[2] التي مدح بها سيدنا رضي الله عنه واحتوت على أسرار عظيمة تدل على شفوف صاحبها للمقامات العلية مطلعها :

إن ســـما ورد أم خـــز ام تبـــددا أم الروح من تلك المعاهــد قــد بــدا
أم العـــارض هطـــال لاح بطلـــه على صفحات النــور درا وعســجدا
أم الزهــر مــن روض القلــوب مفتــق وأنهــره مــن دمــع صــف تفقــدا
وهـــب نســـيم المـــدجنات عشـــية على فنن الأغصان والطيــر غــردا
وقامت سقاه ألحــان تطــرب كناريــا برشـــفه كـــأس لهمـــوم مبـــددا
وأوضـــح بـــارق الســـاريات معالمـــا بها الصــف مــأمور الفــؤاد مقيــدا
وباحـــث قـــدر نحـــو عـــزة بـــالتي تحراها الأرواح في الغيــب ســجدا
ولمـــا بـــدت فـــي ســـتائر حســـنها تــزاحمن أشــباح يــرافقن مشــهدا
وأظهر حســن الوجــه منهــا مطامعــا تســابق رب القــرب فيهــا وأبعــدا
فعـــامر ليلـــى بـــل ســـلمى وعـــزة ربتنا ودعــد مــن مظــاهر أحمــدا
فهـــن ســـتور والجمـــال وراءهـــا بعيد علــى العشــاق والعقــل بعــدا
ومهـــم طليـــت القـــرب منهـــا تمتعـــا فحب أحمد التجــاني تتــزل مقعــدا

---

[1] المصدر نفسه ,ص 222.

[2] محمد بن المختار بن عبد الرحمن الشنجيطي مولدا , شاعر موريتاني , توفي بالسودان سنة 1881 م , انظر محمد بن مختار الشنجيطي , ديوان ترياق الفهوم في شم رائحة مناقب القطب المكتوم ط 2 . مكتبة القاهرة 2000 , ص 12.

فهذا هو المكتــوم عــن كــل عــارف وهذا هــو المقصــود لكــن ســرمدا
ولـــم لا وذا خـــتم لخـــاتم ربنـــا قــد اختــاره للنـــاس قطبــا ســيدا

إلى أن قال :

فذا برزخ الأهواء لكــل يــا فتــى وذا المساق للأقطاب جمعا ومفــردا
فخلفه الرحمن فــي الملــك حاكمــا تحكــم إلــه الكــل أدنــى وأبعــدا

****

ولوباح خــتم الســر بــالأمر جهــرة لكثرة الأقطاب حتما ومــن عــدا
فهذا هو المنصوص في الكتــب لفظــه فمهما مشكك فيه طــالع لترشــدا

وللختم علــم لــيس يعلــم كنهــه سوى حده المختــار جــاد وأرشــدا
وما قضــينا المكتــوم إلا عبــارة عن الوجه للمعلوم في الكون أبــدا[1]

وهي قصيدة طويلة نكتفي منها بما ذكر
ولا زلنا في حمى سيدنا رضي الله عنه في كامل هذه الصّبيحة إلى أن صلينا بالزاوية الميمونة صلاة الظهر ، ولا زلنا مدة إقامتنا بالديار الفاسية نتردد على الزاوية لزيارة سيدنا رضي الله عنه التي هي روح الآمال ،وأقل مزاياها أنها تقبل فيها كافة الأعمال على أي حالة كانت قال صاحب المنيّة[2] :

---

[1] المصدر نفسه , ص 122.

[2] المنية و الأمل هناك من ينسبه لابن المرتضى لكن الحقيقة أن هذا الكتاب نقل عن كتاب آخر للقاضي عبد الجبار الهمذاني حيث يقول ذلك ابن المرتضى نفسه في صدر كتاب المنية و الأمل : (رتب القاضي عبد الجبار طبقاتهم و نحن نشير إلى جملتها ,و لما فرغنا من الطبقات التي ذكرها القاضي , ذكرنا طبقتين آخرتين حادية عشر و ثانية عشر ذكرهما الحاكم), انظر القاضي عبد

ومـــــا بزاويتـــــــه يصـــــــلّي قطعـــا يكـــون للقبـــول أهـــلا

فعلى العاقل اللبيب أن يغتنم الفرص ولا يشتغل بزخارف الدُّنيا و ملاهيها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة فعليه أن يقدر قيمة هذه السّاعات ويعلم أن الليالي تلد العقبات قال الشاعر :

والليـــالي كمـــا علمـــت حبـــالي مـــثقلات يلـــدن كـــل عجيـــب[1]

ويعمر الصدر والأوقات بالأذكار والصّلوات أمام المقام الشريف على صاحبه أفضل السلام والرضوان ، وليعلم أنه في حضرة الله و رسوله و أنه واقف أمام الباب روى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأنه واقف الباب روي أن الشيخ ألفا هاشم الفوتي[2] دفين المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أنه قال لبعض الأحباب نحن بالمدينة ولكن باب دخولنا في فاس فانظر هذه العبارة ، وحقق معناها وليسأل الله الموت على حسن الخاتمة والوفاة على محبة هذا الشيخ العظيم رضي الله عنه فإن المحبة هي إكسير القبول والظفر بالمقصود و المأمول والأحسن على ما يقتضيه مقام آداب الزيارة أن لا يتسلق شباك الضريح الشّريف فإن المراد على ما في القلب لا على ما تظهره الجوارح والخشوع الظاهري ويروى عن سيدنا محمد الغالي رضي الله عنه كيفية تتعلق بآداب الزيارة فالوقوف عند آدابها أولى وأفضل وأن الإنسان ليجد في هذه الزاوية القدسية من

الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي (ت 415 هـ) المنية و الأمل , تحقيق الدكتور سامي النشار و د . عصام الدين محمد , دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية 1972 .

[1] لم أعثر لهذا البيت على اسم قائله , هو من أشعار ألف ليلة و ليلة , انظر ألف ليلة و ليلة , الناشر مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح ميدان الأزهر بمصر , ج1 , ص 255.

[2] محمد هاشم بن محمد الفوتي المدني المالكي , الشهير ب ألفا هاشم (1283 ــ 1349 هــ) ولد ببلاد فلاته بالصحراء الكبرى بإفريقيا ,هاجر إلى الحجاز عام 1322 هــ و درس بالحرم المكي حتى عام 1326 هــ ثم انتقل إلى المدينة المنورة و أقام فيها مدرسا و مفتيا بالمسجد النبوي حتى توفي انظر أنس يعقوب كتبي , أعلام من أرض النبوة ,مكتبة المدينة ط 1 ,1414 هــ , ج 1 ,ص 206 ــ 213 .

الراحة النفسية والإطمئنان القلبي من الدّنيا ، ودواعيها وأنه يود أن لا يخرج من هذه الرياض الربّانية لو كان في غنى عن الضروريات النفسية ولا يعرف هنا ولا يدرك إلا بالذوق لا بالعبارة قال الشاعر :

لا يعرف الشــغف إلاّ مــن يكابــده ولا الصـــبابة إلا مـــن يعانيهـــا[1]

وزاوية سيدنا رضي الله عنه لا شك ، أنها روضة من رياض الجنة يعلم هذا من جلس فيها بالقلب لا بالجارحة ، وتسمع باستمرار خرير المياه السيالة في صهاريج الضريحالشريف الرخامي واسع الأرجاء من أبدع وأجمل ما يوجد وترى الناس بثيابهم البيض كالحمام يترددون على صهاريجه للطهارة من ذلك الماء المعين، والشرب من زلاله بنية الشفاء من الأمراض المعضلة وأمر الشفاء لمن شرب من هذه المياه مشاع لا يتخلف حتى أنهم يضعون أباريق الآتاي والماء ، والأواني المملوءة بالحليب طلبا لذلك الغرض المقصود ويحصل ذلك سريعا ببركة سيدنا رضي الله عنه وموقع الضريح الشريف هو وسط الزاوية بعد الزيارة الأخيرة مثل العرش الملكي بل أجل وأفضل وأجمل وأحسن وعبر عنه بما شئت أن تعبر من ألفاظ الثناء وألقاب الكمال، ولا تخف إذ العبارة بلغت ما بلغت لا تفي بالمراد وترى في الصباح بعد طلوع الشمس الأشعة الشمسية الداخلة من الكوات الواقعة على الضريح الذهبي الشريف تكون أنوارا شديدة البريق واللمعان فوق الضريح الأنور تحرك القلب الساكن حتى لا يود البصر أن يفارق هذا المنظر حتى كان الضريح الشريف شمس طالعة مكتنفة بالسحب الذهبية من كل جانب ، وترى في الليل الأنوار الكهربائية فالأنجم الذرية فوق سماء الزاوية وأصوات الذاكرين للوظيفة الشريفة تتردد نعماتها بين أرجاء هطه الرياض وخصوصا وظيفة المغرب من كثرة الذاكرين مخايل الصّلاح ويخطر ببالك كأنك في هذه الحصة لست من أبناء الدنيا،

[1] البيت للمتنبي , انظر المتنبي , الديوان , ص 130.

وأن تلك السّاعة من ساعات جنة النعيم وبعد الفراغ من الوظيفة يقعد درس علمي أما في الحديث الشريف أو في الفقه الإسلامي على حسب ما تقتضيه الأمور والظروف وكونه في الحديث هو الغالب يستمر هذا الدرس الذي يلقيه أحد العلماء من إخواننا التجانيين الفاسيين إلى صلاة العشاء يجلس المدرس في المحراب مواجها للضريح الشريف وقد أمرني سيدنا ابنعمر بإلقاء درس في الحديث الشريف بمناسبة هذه الزيارة للحضرة التجانية الشريفة فامتثلت لأمره وأقرأت حديث (إنما الأعمال بالنيات الذي رواه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المذكور في الصحيحين[1] مكثنا في تحقيق مباحثه العقلية والنقلية إلى صلاة العشاء التي أخرت عن وقتها المألوف بمناسبة هذا الدّرس، وقد حضره جمع غفير من أصحاب الشيخ رضي الله عنه من أهل فاس وكثير من طلبة العلم ومن جملة ما تعرضنا إليه من الناحية الفقهية مبحث بيوع الآجال[2] المشار إليه بقول خليل ومنع للتهمة ما كثر قصده كبيع وسلف بمتبعة للامام ...الخ . وذكرنا ضابطا لصور المنع وصور الجواز وصورة هذا الضابط ما ذكره الفقهاء وهو أنه إذا اتحد الزمان فالجواز ولو اختلفت الأثمان، وإن اتحدت الأثمان فكذلك ولو اختلفت الأزمان وإذا اختلفت الأثمان فينظر إلى اليد السابقة إن أعطت قليلا ، وأخذت كثيرا فالمنع وإلا فالجواز لانتفاء التهمة ، وهذا التفصيل خاص بمذهب مالك رضي الله عنه وأما غيره من الأئمة فإنه يرى جواز الصور كلها وذكرنا أن هذا الحديث غريب باعتبار أوله مشهور باعتبار آخره ورغم شهرته أنه لم يبلغ حد التواتر اللفظي لأن شرط التواتر لم يجر في سائر الطبقات ، ومع ذلك فهو متواتر تواترا معنويا ومن الأسف أن هذا الدرس الشريف لم يتم نظرا لضيق

---

[1] سبق تخريج الحديث .

[2] هي بيوع دخل فيها الأجل و اتحدت فيها السلعة ,و اتحد فيها المتعاقدان , وقد أبرزها فقهاء المالكية و بينوا أن ظاهرها الجواز لكنها قد تؤدي لممنوع , لأنها قد تؤدي إلى بيع و سلف أو سلف جر منفعة و كلاهما ممنوع , كما وضعوا ضوابط لهذه البيوع , انظر محمد الأمين بن محمد المختار الشنجيطي (ت 1393 هـ) , أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , بيروت لبنان 1995 ص 182 ,و محمد بن أحمد بن جري الكلبي , قوانين الأحكام الشرعية و مسائل الفروع الفقهية , تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ,طبعة جديدة و منقحة دار العلم للملايين , ص 275 .

الوقت بحضور صلاة العشاء ولم نستوف الكلام فيه إلا في زاوية سيد العرب بن السائح رضي الله عنه برباط الفتح ، وفي يوم ذهب سيدنا رضي الله عنه ونحن معه ، وكان معه أيضا السيّد عبد القادر فاس في حياة والده سيدنا محمد الكبير رضي الله عنه وهي أول زيارة من زياراته للديار المغربية وكان مصحوبا إذ ذاك بالسيّد محمد بن يوسف بن غميم وترى الناس تزدحم على سيّدنا للتبرك به عند دخوله لزيارة جده رضي الله عنه ، وفي يوم من الأيّام عقد سيدنا مجلسا حوى أعيان الزاوية أخص منهم بالذكر السيد محمد الكتاني[1]للتفاهم معهم في إدخال بعض الإصلاحات على الزاوية المباركة كما هي عادته التي لا تخرج عن تحسين أو تأسيس .

قال الشاعر المتنبَي :

على قدر أهل العزم تــأتي العــزائم   وتأتي على قدر الكــرام المكــارم[2]

وعاصمة فاس فيها ثلاث زوايا سيّدنا رضي الله عنه أمّا الكبرى فحدث عن البحر ولا حرج ، فإنها لا تغلق في الأربع والعشرين ساعة إلا بعض سويعات من منتصف الليل إلى السّاعة الثالثة صباحا ، فلا ترى فيها ولا تبصر فيها إلا ذاكرا مستغرقا ومتعبّدا فإننا والناس نرد عليها أفواجا أفواجا مسرعين للدُّخول في أبوابها المنفتّحة متسابقين للطاعات مقبلين غاية الإقبال إلى الحسنات .

واغتنم ركعتين فــي ظلمــة الليــل   إذا كنـــــت خاليـــــا مســــــتريحا

وإذا ما هممــت اللغــو فــي البــا   طـــل اجعـــل مكانـــه تســـبيحا

---

[1]محمد عبد الكبير بن محمد الكتاني الشهير بأبي الفيض الكتاني (1873 ــ 1909 م) فقيه متفلسف متصوف مؤسس الطريقة الكتانية, معارض للوجود الفرنسي فيي المغرب , من مؤلفاته الجوهر الثمين في ترجمة أمهات المؤمنين , و حياة الأنبياء , انظر محمد الكتاني , ديوان محمد الكتاني , جمع و تحقيق إسماعيل المساوي , أطروحة دكتوراه , جامعة مراكش 2001,و محمد بن محمد السرغيني ,روض الجنان بما لشيخنا بن أبي عبد الله الكتاني من الخصوصية و العرفان , دار صادر ط1 1993 .

[2] المتنبي المرجع السابق , ص 298.

ولزوم السَّكوت خير مـــن النطـــق   وإن كنـــت فـــي الكـــلام فصـــيحا[1]

وزاوية الطالعة[2] مقدمها الفقيه العالم النحرير الشيخ سليم الحسن مزور[3]صهر سيدي الطيب السفياني المتوفي رحمه الله، وزاوية ثالثة في فاس الجديد مقدمها السيد محمد بلحاج وزاوية سيدنا رضي الله عنه التي بها ضريحه ، وكافة زواياه كالجنات تجري من تحتها الأنهار ولكثرة المياه التي تتخلل أركانها ، وما من زاوية من زوايا المغرب الأقصى إلا وتجدها عامرة بتلاوة الوظيفة في الصّباح والمساء ، وتلاوة الحزب القرآني كذلك وبعض الدروس خصوصا بين العشاءين تعميرا للوقت وزاوية سيدنا رضي الله عنه تتلى فيها الوظيفة ثلاث مرّات بعد صلاة الصُّبح وتلاوة حزبين من القرآن الكريم يفتتحها السيد ادريس بلعابد وبعد صلاة العصر ، وبعد صلاة المغرب و يحضرها أكثر الناس ولا بأس أن نتعرّض لذكر أصحاب سيِّدنا رضي الله عنه قدر الجد ممن أخذ عنه رضي الله عنه مباشرة ذكر صاحب روض الشّمائل[4] إنهم عشرون ، ومن أخذ عنه بواسطة وهم عشرون على ما ذكره صاحب الكتاب المذكور أولهم سيدنا الخليفة الحاج

---

[1] ذكر الخطيب في (اقتضاء العلم العمل) : وفي مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: كان عبد الله بن مبارك كثيرا مايتمثل بأبيات حميد النحوي (الأبيات) , و في ترتيب المدارك للقاضي عياض : كان (أي ابن مبارك)ينشد الأبيات , وقوله ينشد يوحي بأن الشعر ليس له و لكنه يتمثل به . انظر أبو بكر أحمد بن علي بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) اقتضاء العلم العمل ,تحقيق محمد نصر الدين الألباني ,طبعة الكتاب الإسلامي ,ص 344.

[2] الزاوية الإدريسية ,بفاس زنقة الطلعة.

[3] هو الحسن بن عمر بن الحاج إدريس , ولد بفاس (1286 ـــ 1376 هـ) كان من الموقعين على عريضة الاستقلال عام 1944 , و عند استقلال المغرب عين رئيسا للمجلس العلمي لجامعة القرويين , انظر الزركلي ,الأعلام ج2 , ص 209 .

[4] هو العلامة أحمد بن محمد العلوي الشنجيطي حوى كتابه روض الشمائل على تراجم لأعلام الطريقة التيجانية , ينظر أحمد بن محمد بن العباس العلوي , روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة ,تحقيق الراضي كنون , منشورات الطريقة التيجانية 1998.

علي حرازم براده الفاسي[1] رضي الله عنه الذي مناقبه لا تحصى ، ومآثره لا تستقصى توفي في حياة الشيخ رضي الله عنه سنة 1318[2] .

ومنهم سيدي حمودة التونسي[3] رضي الله عنه نزل به سر عظيم بعد وفاة سيِّدنا رضي الله عنه ما استطاع عمله من قيام و شهد به الشيخ رضي الله عنه بالأمانة وله من المناقب ما لا يدخل تحت حصر ، وهو الذي ورث سر الشيخ رضي الله عنه بعد وفاته مكث بعد الشيخ رضي الله عنه نحو عشرة أيّام وهو يصيح بأعلى صوته يقول ما قدرت ، ما قدرت الى أن خرجت روحه الكريمة توفي بفاس سنة 1230 ,ومنهم سيدي محمد بن العربي الدّمراوي التازي[4] رضي الله عنه دفين عين ماضي قال الشيخ رضي الله عنه فيه وفي سيدي الحاج على حرازم رضي الله عنه والله ما رأيته من قبل أقبل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) على أحد مثل على أحد مثل ما أقبل على سيدي محمد بن العربي وسيدي علي حرازم والله ما أحبهما إلا محبة أولادها صلّى الله عليه وسلم و له تأليف في الصّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على سيدي محمد وقال فيه الشيخ رضي الله عنه أوصاني صلى الله عليه وسلم على سيدي محمد بن العربي وقال لي له حق عليّ مات شهيدا في حياة سيِّدنا رضي الله عنه قبل أن يرتحل سيدنا إلى فاس سنة 1214 هـ .

ومنهم الغوث الجامع والفرد الكوكب اللامع الخليفة سيِّدنا الحاج التماسيني[5] رضي الله عنه فقد صرح في حياته بأنه هو قطب ومناقبه جلّت أن يحصرها قلم البليغ توفي رضي الله

---

[1] علي حرازم بن العربي برادة الفاسي (ت 1214 هـ) من خاصة أصحاب الشيخ أحمد التيجاني ,كان من العلماء الأجلاء وهو مؤلف (الجواهر)انظر كشف الحجاب ص 287, و روض الشمائل ص 276 .

[2] تاريخ الوفاة في كل من المصدرين السابقين 1214 هـ .

[3] الأديب الشاعر المقدم الجليل أبو حمودة بن محمد تاج التونسي , من خاصة علماء جامع الزيتونة توفي 8 صفر الخير 1838 هـ .انظر كشف الحجاب ص 322, و روض الشمائل ص 511 .

[4] سبق التعريف به .

[5] أبو الحسن علي التماسيني (1180 ــ 1260 هـ / 1766 ــ 1844 م) من صفوة أصحاب الشيخ أحمد التيجاني , وهو مؤسس الزاوية في تماسين.انظر محمد الحجوجي ,الإتحاف , ص 114 و كشف الحجاب ص 230.

عنه بزاوية تملاقت قرب تماسين ودفن بها وله ضريح عظيم تشرق منه الأنوار توفي سنة 1260 .

ومنهم سيدي محمد الغالي رضي الله عنه أبو طالب الشريف الحسني[1] مكث مع الشيخ رضي الله عنه ثلاثين سنة ، وقال عنه الإسم الأعظم توفي رضي الله عنه في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسّلام ودفن بالبقيع الشريف سنة 1238 .

ومنهم بحر الفضائل المتلاطم وكوكب الفواضل والمكارم الشيخ سيدنا محمد الحافظ الشنجيطي العلوي[2] رضي الله عنه أجازه الشيخ رضي الله عنه الإجازة المطلقة بخط سيدنا رضي الله عنه ، وهي لا تزال محفوظة عند آله الكرام وفيها يقول محمد بن سيدي عبدالله العلوي[3] :

هــاح شــجوني ولــوعتي لحــروف	كتبتهـــــا أنامــــل التيجــــاني
ففـــداء لصــــاحب الخـــط نفســـي	وبنانـــا لـــــه بكــــل بنــــاني
فجــــزى الله آذنــــا ومجيــــزا	ومجـــازا بأكمــــل الرضــــوان
رضــــي الله عــــنهم وجــــزاهم	عدد الرمــل والحصـــى والزمــان[4]

وهو أول من جاء بالطريقة التجانية للمغرب الأقصى من جبال الاترور وأحوازها ، وقد روى عن سيدي العربي بن السّائح رضي الله عنه أنه قال أن السّند الحافظي محفوظ بعناية الله تعالى ورشد إلى هذا قول سيدنا رضي الله عنه لصاحب الترجمة لما أعطاه

---

[1] أبو عبد الله محمد بم علي الشريف الإدريسي (1310 ــ 1370 هــ) علامة بلاد المغرب , كان بارعا في الفلك و الحساب و المنطق و علم الأصول . انظر ابن مريم , البستان ص 169

[2] محمد بن المختار بن المختار بن الحبيب العلوي الشنجيطي نسبة لبلاد شنجيط بموريتانيا (ت 1243 هــ / 1829 م)اشتغل بتدريس علوم الدين و اللغة بمنطقة الصحراء و مدينة فاس ,كما قام على تعليم مريدي الطريقة .

[3] محمد الحافظ بن عبد الله بن إسماعيل العلوي المالكي (1134 ــ1204 هــ)من مؤلفاته :الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية , انظر الحسن العبادي , الملك المصلح محمد بن عبد الله العلوي , مؤسسة بنشرة للطباعة و النشر , الدار البيضاء 1987.و أعلام الزركلي ج 6 ص 241 .

[4] انظر الحسن العبادي المرجع السابق , ص 187.

الطريقة له فظهر هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى وسيأني مزيد بسط لمناقب هذا السيد عندما تأتي المناسبة في هذه الرحلة توفي , سنة 1248 .

ومنهم سيدي ومولاي محمد بن أبي النصر رضي الله عنه الفاسي[1] مكث مع الشيخ رضي الله عنه سنة عشر سنة ما فاتته صلاة واحدة خلفه رضي الله عنه وله كرامات جليلة توفي في فاس سنة 1276 .

ومنهم سيدي المفضل السقاط[2] كان رضي الله عنه بأرياف مصر في قرية يقال لها قنا وفيه يقول الشيخ رضي الله عنه أوصاني صلى الله عليه وسلم على سيدي المفضل السقاط وقال لي لا تفرط فيه وماكنت أنت له في الطريق والآن أذنت له وأطلقت من هنا.

ومنهم سيدي الطاهر ابن أبي طيبة التلمساني مكث مع الشيخ رضي الله عنه خمسين سنة وقد حصلت مصاهرة بينه وبين أولاد الشيخ رضي الله عنه وقد أعطى بنتيه إليهم واحدة تزوجها سيدي أحمد عمار رضي الله عنه ، والأخرى ولده سيدي علال رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الطيب السفياني[3] رضي الله عنه صاحب كتاب الإجارة توفي سنة 1239 .

ومنهم سيدي محمد بن المشري[4] رضي الله عنه صاحب الجامع أمّ الشيخ رضي الله عنه نحو ثلاثين سنة توفي بعين ماضي كما مرّ ذكره سنة 1224 .

ومنهم الإمام العالم العلاّمة وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه سيدي أبو اسحاق إبراهيم بن عبد القادرالرياحي التونسي[5] رضي الله عنه فكان مرجع العلماء الكبار والأئمة الأعلام

---

[1] محمد بن أبي النصر العلوي الفاسي, من خاصة أصحاب الشيخ أحمد التيجاني , توفي سنة 1273 هـــ . انظر كشف الحجاب ص 119, و روض الشمائل ص 221.

[2] من أصحاب الشيخ أحمد التيجاني , ولد في فاس و مقامه في المهدية , انظر كشف الحجاب ص 321.

[3] هو مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية , كان من خاصة الشيخ التيجاني , توفي حسب مؤلف كشف الحجاب سنة 1259 هـــ , انظر كشف الحجاب ص 144.

[4] سبق التعريف به .

[5] سبق التعريف به .

في الفتوى وحل المشاكل العلمية اجتمع بسيدي الحاج حزارم وصاحبه كثيرا وأخذ عنه أسرارا عظيمة واجتمع بعد ذلك بسيدنا رضي الله عنه بالديار الفاسيّة كما يعني ذلك من ترجمته في كتاب تعطير النواحي[1] بترجمة سيدي ابراهيم الرياحي الذي ألفه حفيده رحمه الله تعالى سيدي عمر الرياحي ، وله زاوية عظمى بعاصمة تونس تقصد قبره الشريف للتبرك الوفود وكافة الجهات توفي بتونس سنة 1260 .

ومنهم المقدم سيدي محمد بن أبي القاسم البصري المكناسي[2] من أجلة أصحاب الشيخ رضي الله عنه .

ومنهم العالم العلامة الشيخ السّالك بن الإمام الحاج الوداني[3] رضي الله عنه ورحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ومنهم فقيه عصره وعالم مصره الطالب جد العلوي الشنجيطي[4] رضي الله عنه وأرضاه .

ومنهم سيدي عبدالله بن الأحمر الفاسي[5] رضي الله عنه صاحب المزايا العظام والكرامات والكرامات الفخام الذي قال فيه الشيخ الكنسوسي[6] رضي الله عنه أن أسرار الطريقة ماتت ماتت بموته.

ومنهم سيدي الحفيان العمري الشرقاوي[1] ، كان من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه.

---

[1] ينظر : عمر الرياحي ,تعطير النواحي في ترجمة الشيخ إبراهيم الرياحي , مطبعة بكار 1903 .

[2] من أجلة أصحاب الشيخ (1229 ــ 1309 هــ) من مؤلفاته : شرح لامية الإمام البوصيري , انظر كشف الحجاب ص 98 .

[3] محمد بن الحسن الحاج الوداني نسبة لمدينة ودان بموريتانيا ,من مؤلفاته قرة العين , إزالة الشكوك و الريب , (ت 1245 هــ) . انظر بن محمد عبد الله سيد محمد , معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي , منشورات سعيدان سوسة ط 1996 .

[4] هو الطالب بن مختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (1036 ــ 1107 هــ) من علماء المالكية , أشهر ما ألف : المنن العديدة في شرح الفريدة انظر بن محمد عبد الله, المرجع السابق , ص 167.

[5] عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي توفي سنة 1131 هــ .ينظر المرجع السابق نفسه ص 120.

[6] محمد بن أحمد بن محمد أكنسوس بفتح الألف نسبة لقبيلة إداو أكنسوس من أكبر قبائل و أعرقها (1211 ــ 1294 هــ)من أهم آثاره : تحقيق القاموس المحيط ,وتأليف في علم الكيمياء , انظر أعلام الزركلي ج 7 ص 88.

ومنهم الحاج عبد الكريم بنيس الفاسي[2] رضي الله عنه كان أعمى فقال للشيخ رضي الله عنه يوما يا سيدي التلاميذ يرونك، وأنا لا أراك فقال له سيدنا رضي الله عنه أن عبد الله ابن أم مكتوم كان من أكابر الصّحابة وهو لا يرى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومنهم أبو يعزى بن سيدنا الحاج علي حرازم[3] رضي الله عنه وأرضاه ويكفيه شرفا أنه بضعة سيدنا المذكور رضي الله عنه.

ومنهم الحاج محمد الكبير العلوي الفاسي[4] توفي سنة 1255 انتهى هنا ذكر العشرين الآخذين عن الشيخ رضي الله عنه مكانتهم ، ولعمري إنها لمرتبة فاقت مراتب غيرهم ممن لم يتصل بهذه المزية الكبرى ، وإن كنا ولله الحمد قد شاركناهم في الإتصال بحبل سيدنا رضي الله عنه .

أما العشرون الآخذون عن الشيخ رضي الله عنه بواسطة فهمهم :الإمام الكامل والعالم الفاضل السيّد مولود فاس العلوي الشنجيطي[5] رضي الله عنه سافر إلى الشيخ رضي الله عنه بقصد الإجتماع به لكنه وجده توفي قبل وصوله إلى فاس بمدة السير واجتمع بأكابر أصحاب سيّدنا رضي الله عنه كسيدي محمد الغالي وسيدي عبد الواحد وغيرهم من خاصة الخاصّة من أصحاب الشيخ رضي الله عنه توفي رضي الله عنه في الربيع الأول عام سبع وستين ومائتين وألف .

---

[1] محمد الشرقي العمري الفاروقي , ينتهي نسبه لسيدنا عمر رضي الله عنه ,هو من أعيان الدار الشرقاوية بمدينة مكناس , انظر بن محمد العلوي الشنقيطي , روض الشمائل ص 217.

[2]عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي مولدا و قرارا (1267 ــ 1350 هــ)كان فقيها من أهل الفتوى , من مؤلفاته درة التاج و عجالة المحتاج , انظر الحجوجي , إتحاف أهل المراتب , ج 7 .

[3] سبق التعريف به .

[4] ولد في فاس و توفي فيها سنة 1930 م ,برز في الأدب و الشعر , له ديوان شعر و رسائل مخطوطة منها رسالة في القضاء الإسلامي , انظر إبراهيم السولامي , الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية , دار الثقافة , الدار البيضاء 1974 .

[5] سبق التعريف به .

ومنهم أمير المؤمنين عمر بن سعيد الفوتي[1] رضي الله عنه الذي فتح الأقاليم والبلدان وكسر الأصنام والأوثان وتاريخه مشهور كنار على علم وكالشمس في رابعة النّهار وقد مهد للدين الإسلامي مهدا واسعا ، وميدانا فسيحا في هذه الأقطار السَّودانية الذي لا يزال ذكره ينشر بينهم ويأخذونه جيل بعد جيل ولو لم يكن له من المؤلفات إلا كتابه الرماح لكان شاهدا بانفراده على مكانته السامية في علمي الظاهر والباطن وقد ذكر صاحب الروض أن سيدي عمر الفوتي رضي الله عنه أن من مآثره الواضحة الشمس أنه يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة الثانية إدراكه للاسم الأعظم الكبير والثالثة سماعه لكلام القلب والرابعة أنه تلقى الإذن الخاص في التربية ، والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى قال صاحب الرّوض أنه سيدي عمر الفوتي سمع منه هذه الخواص والخامسة تلقيه الإذن الخاص في الجهاد وذكر صاحب الروض أن سيدي عمر الفوتي رضي الله عنه أخبره أنه ربما يلقن الورد التجاني لألوف في وقت واحد وإن له تلاميذا من الجن وابنه أمير المؤمنين أحمد الكبير[2] كان وارثا لسره ونائبا عنه وخليفة له أمام الشيخ مقامه في كل شيئ ومن الأمور الدنيوية والآخروية .

ومنهم السيد محمد بن الحنف ابن العباس العلوي رضي الله عنه [3] وله كرامات عديدة ,توفي عام 1262 .

ومنهم حسان الطريقة محمد بن سيدي عبدالله العلوي[4] رضي الله عنه خليفة الشيخ سيدنا محمد الحافظ العلوي الشنجيطي رضي الله عنه وحموه و وارث سره وحامل هديه ,ونوره دب عن الطريقة ونصرها ، وكافح عنها ونافح عن أهلها وكان كثير المدح للشيخ

---

[1] عمر تال الفوتي , سبق التعريف به .

[2] ينظر محمد الصغير بن إبراهيم الفوتي , تاريخ استخلاف أمير المؤمنين أحمد الكبير , مخطوطات الغرب الإفريقي (دون ذكر تاريخ الطبع).

[3]– هذا السيد من كبار العارفين في الطريقة التجانية ووالدته من الواصلات في الطريقة العارفات بالله قومها الشيخ سيدي محمد الحافظ وجعلها من العشرة الذين أمره الشيخ رضي الله عنه بتقديمهم .

[4] هو السلطان محمد بن عبد الله العلوي , سبق التعريف به .

التجاني رضي الله عنه وله القدم الراسخ في علوم الشريعة ، ومن كراماته المأثورة أنه جمع الناس في وقت الضحى في اليوم السّابع والعشرين من رمضان وأخبرهم بحضورأجله وهو إذ ذلك غير مريض في غاية الصحة وولده أحمد وارثه ونائبه وخليفته في العلم الظاهر والباطن أخبر بذلك سيدي مولود قال رضي الله عنه .

ومنهم العلامة العالم الذي سارت بذكره الركبان سيدي الفقيه الكنسوسي رضي الله عنه اجتمع سيِّدنا بسيدنا رضي الله عنه قيد حياته ، ودعى له الشيخ رضي الله عنه وبشره بأمور وحضر جنازته والصّلاة عليه إلا أنه ما أخذ عنه لانشغاله بالعلوم الرسمية في ذلك الزمان ثم أخذ الطريقة بعد وفاة الشيخ رضي الله عنه من وارث أسراره سيدي عبد الوهّاب بن الأحمر[1] المذكورفيما تقدم وما هجر عليه في شيئ من أسرار الطريقة إلا مرئية صلاة الفاتح مما غلق باطنه ، فإنه ذكرها ونهاه عن إعطائها وهو دفين حاضرة مراكش خارج المدينة المذكورة بالمقبرة وقبره مشهور يقصد للزيارة حتى أننا سمعنا رواية ذكرها سيد محمد تاه تاه عزاها الواحد من أكبر كبار أصحاب الشيخ رضي الله عنه إن من زار الشيخ الكنسوسي وله عليا محال ناله ، وله زاوية عظيمة بعاصمة مراكش وبها الغرفة التي اجتمع فيها سيدي الكنسوسي وسيدي العربي بن السائح رضي الله عنهما وتذاكر فيها من الأسرار ما تذاكر وله مؤلفات عديمة النظير منها الجواب المسكت والأجوبة الطيفرية وغير ذلك من المؤلفات وله اليد الطولى في الطريقة التجانية بالبلاد المغربية في وقته .

ومنهم محمد بن عبدالله بن واع العلوي من كبار الطريقة وعلماء الشريعة ببلاد الشنجيط رحمه الله ورضي الله عنه ومنهم عبدالله بن محمد بن سيد الأمين[2] كان من

---

[1] عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر , من أصحاب الشيخ التيجاني .انظر كشف الحجاب ص 110.

[2] عبد الله محمد المختار بن السيد الأمين الشنجيطي ولد (1337 هـــ / 1918 م) درس التفسير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة , وله شرح سنن النسائي , توفي عام 1405 هـــ . انظر كشف الحجاب ص 220 , و روض الشمائل 198 .

خواص الطريقة وعلماء الشريعة والحقيقة سافر مع سيدنا مولود فال الى فاس ولقي الأكابر من أ صحاب سيدنا رضي الله عنه فانتفع منهم بكثير من الأسرار التجانية.

ومنهم والد صاحب روض الشمائل السيد محمد من الفاس الشنجيطي كان من أكابر العلماء العاملين رحمه الله تعالى ومن خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه الواصلين .

ومنهم العالم العلامة الكامل الزاهد الورع سيدي أحمد بن القاسم الفاسي[1] رحمه الله أرسل إليه سيِّدنا محمد الحبيب بن الشيخ رضي الله عنه بعين ماضي، وأمره بالانتقال من فاس إلى عين ماضي وانتقل إليه بعياله ، ولازمه إلى أن توفي رضي الله عنه وهو الذي غسله وصلى عليه ثم رجع إلى فاس بعد ذلك .

ومنهم إمام العارفين وأستاذ الواصلين بحر العلوم الزاخرة والأموال الباطنة والظاهرة الشيخ سيد العرب ابن السّائح رضي الله عنه دفين رباط الفتح صاحب بغية المستفيد التي برهنت على مكانته العليا في علمي الظاهر ، والباطن وقدمه الراسخ في آداب التصوف وعلم الحقائق وندور ذلك الأسلوب الفائق,كان أولا بكناسة الزيتون وانتقل إلى رباط الفتح وضريحه بزاوية الرّباط تشد له الرحال وله من المآثر والمناقب مالا يحصر وقد صرّح في حياته بأنه خليفة الشيخ رضي الله عنه، وقد أدرك مقام القطبانية رضي الله عنه وأرضاه وله مراسلات مع سيدي علي بن عبدالرحمن مفتي وهران في مختلف المسائل وكان رضي الله عنه آية من آيات الله العظام يصدق عليه قول القائل :

خلـــق الزمـــان ليـــأتين بمثلـــه   حنثت يمينـــك يـــا زمـــان فكفـــر[2]

---

[1] هو أبو العباس أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن الفاسي , أحد فقهاء المغرب , من قضاة المذهب المالكي , اشتهر بالقباب توفي بفاس عام 779 هـــ , انظر كنون عبد الله , الينبوع المغربي في الأدب العربي ج 1 , دار الفكر , ط2 , ص 106 .

[2] البيت للشريف الرضي , انظر الشريف الرضي , ديوان الشريف الرضي , ص 211.

ومنهم سيدي محمد العيد بن الخليفة سيد الحاج علي التماسيني[1] رضي الله عنه هو الذي ورث سر والده من بعد وفاته من سائر إخوانه مع أن سيدي احميدة أخيه كان أكبر منه سنّا.ومنهم العالم الكبير والحبر الشهير باب بن أحمد بيب العلوي[2] المتوفي سنة 1272.

ومنهم التجاني باب بن أحمد بن حبيب العلوي[3] صاحب منية المريد واجتمع بسيِّدهم محمد الحبيب رضي عنه بن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ومكث عنده طويلا حتى أتم نظم المنية وكذلك سافر إلى تماسين و اجتمع بالخليفة سيدنا الحاج علي التماسيني رضي الله عنه وهذا في طريقه للحرمين الشريفيين رحمه الله تعالى توفي بالمدينة المنورة على صاحبها أعلى وأفضل الصّلاة والسّلام عام 1262 .

ومنهم سيدي محمد بن الصغير بن انبوحا صاحب الجيش والسرية وهو من أكابر العلماء المشاهير توفي رحمه الله سنة 1274 .

ومنهم عبيدة بن محمد الصغير بن أنبوحا الشيشي[4] صاحب رحلة الثماني وميزان الرّحمة وميدان الفضل والافضال في شم رائحة جوهرة الكمال وراية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة توفي في جمادى الأخيرة عام 1284 .

ومنهم العالم العلاّمة باغم بن مختار الحاج الوداني[5] كان آية من آيات الله في العلوم النقلية والعقلية رحمه الله تعالى .

---

[1] محمد العيد الشريف الحسني (1766 ــ 1844 م) والده الحاج علي التماسيني مؤسس الزاوية في تماسين . انظر روض الشمائل ص 203 .

[2] باب بن أحمد بن حبيب بن الطالب العلوي (1794 ــ 1859 م) فقيه كبير من أهل شنقيط , له ديوان شعر " القتل بالمثقل " , انظر كشف الحجاب ص 223 , و روض الشمائل ص 211 .

[3] التيجاني بن باب بن أحمد بن لحبيب العلوي توفي بالمدينة المنورة عام 1846 م كان شيخ التيجانية في المغرب و له ديوان شعر: " منية المريد " , انظر روض الشمائل ص 115 , و كشف الحجاب ص 95 .

[4] عبيدة الشنجيطي من مؤلفاته كذلك : رحلة الهاني في مدح القطب التيجاني , انظر كشف الحجاب ص 98 .

[5] سبق التعريف به .

ومنهم الولي الصالح العارف الكبير عبد الكريم الفوتجلي[1] رضي الله عنه. وهو الذي لقن الطريقة للشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه قبل إجتماعه بسيدي محمد الغالي رضي الله عنه.

ومنهم العالم الفاضل الناسك سيدي المختار بن وديعة الله التماسني[2] كان من أشبال الطريقة رضي الله عنه. وله تآليف عديدة مفيدة منها البروق اللاّمعة في أصحاب الفيوض الجامعة والفتوح الربانية في شواهد المغني القرآنية وأشعاره في الطريقة كثيرة وعلومه غزيرة ، قال صاحب الروض: واعلم أن هؤلاء السّادات الأربعة المتأخرن أخذوا عن الشيخ رضي الله عنه بواسطتين ولولا ذلك لقدمتهم على بعض من قدمتهم عليهم .

ومنهم ممن لم نر تراجمهم عند صاحب الروض ، وذكرهم في آخر كتابه السلطان مولانا سليمان رضي الله عنه أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى في حياة سيدنا رضي الله عنه وقد تلقى من سيدنا رضي الله عنه أسرارا عظاما لا يدركها إلاّ من تأهل لها من أمثاله رضي الله عنه .

وكذلك الشيخ البنامي المصري رضي الله عنه ، الذي اجتمع مع الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه بمصر وأطلعه على مراتب الفاتحة الثلاث ومراتب الفاتح لما أغلق الثلاث وجدها عنده مقيدة في كتابه، وأخبره أن سيدي علي الحاج حرازم رضي الله عنه أتاه يوماوفي يده كتاب أخذ الورقات في و سطه بإصبعه وقال له أذنتك في نسخ فنسخها فوجدها محتوية على المراتب الست.

هذا ما ذكره من أصحاب سيِّدنا رضي الله عنه صاحب الكتاب المذكور جزاه الله خيرا ورحمه رحمة واسعة ، ونحن سنتعرض لأصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين أدركناهم وهم لا زالواعلى قيد الحياة من إخواننا الفاسيين أهل الزاوية الميمونة المباركة .

[1] تلقى الورد في الثلث الأول من القرن التاسع عشر , ترجم له في روض الشمائل ص 56 .

[2] المعروف بالشيخ يركي طلف , أحد أعلام الزاوية التيجانية (ت 1280 هـ) له ديوان شعر صوفي و مؤلفات منها جامع الأنوار في الصلاة على البر المختار , انظر روض الشمائل ص 165.

أولهم الناسك العارف بالله تعالى الشريف الحسني سيدي الحاج الطيب السفياني[1] رضي الله تعالى عنه ، ومناقب هذا السيد لا يأتي عليها الحصر ، وكان يجلس تجاه ضريح سيدنا رضي الله عنه كامل نهاره حتى يصلي صلاة العشاء كأنه حمامة الزاوية الكبرى من شدة الملازمة ، وبيده الحل والعقد في أمور الزاوية وولده سيدي أحمد بن سيدي الطيب[2] المذكور السّفياني صاحب الإمارة الأحمدية حدثني سيدي الطيب المذكورأن جده سيدي الطيب ذهب يوما لزيارة سيِّدنا رضي الله عنه، وأخذ ولده سيدي أحمد معه وهو إذ ذاك صغير السِّن ، فأسر الولد إلى والده في أذنه بحضرة سيدنا رضي الله عنه بكلام بينهما فقال سيدنا رضي الله عنه لسيدي الطيب ما قال لك الولد فقال له قال لي ما رأيت أحدا أجمل من الشيخ رضي الله عنه فقال له داعيا له بالخير حسن الله حاله مع الله .

فما أحسن هذه الدعوة ، وما أجملها فاز بها هذا الولد الصغير توفي رحمه الله آخر ذي القعدة الحرام من عام 1357 بفاس. ومنهم ولده سيدي الغالي السُّفياني الذي أخذ بزمام الزّاوية بعد وفاة والده المذكور ، فكان رحمه الله مضرب الأمثال في النزاهة ، ورفع الهمة الذكاء وكمال العدالة، وقد ملك مسلك آبائه الكرام وأسلافه العظام ، فكان لا تأخذه لومه لائم في خدمة الزّاوية التجانية الخدمة التي خلدت له الذكر الجميل في كل جيل توفي رحمه الله عام 1347 بفاس ، وقد اجتمعنا به في هذه الرحلة ، وهو في حالة مرض وتوفي بعد خروج سيدنا من المغرب ووصوله إلى عاصمة دكار بالسّنغال .

ومنهم البركة الفاضل سيدي محمد الزيزي الذي كان بيده مفتاح الضريح الشريف بالزاوية المباركة ، وله المناقب العظمى والكرامات الشامخة .وهو مثال الزهد والنزاهة

[1] الحاج الحسني الطيب الودغيري السفياني (الأب) , صاحب كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية .

[2] الحاج أحمد بن الطيب السفياني (الابن) (1262 هــ / 1357 م) , انظر روض الشمائل ص 221.

ومكارم الأخلاق ومنهم سيدي الحاج أحمد بن سالم حفيد سيِّدنا الحاج علي حزارم رضي الله عنه برادة الفاسي توفي رحمه الله .

ومنهم الفقيه العالم العلامة سيدنا محمد بن عبدالله صاحب هل الوفي شرح السيفي وله مؤلفات عديدة تدل على مكانته العلمية وهو الذي قام بتصميم الجريدة للشيخ رضي الله عنه سيدنا الحاج محمد النظيفي أخبرني، بذلك وقت اجتماعنا به بفاس وطالما درس العلوم بالزاوية التجانية بفاس وكان يصلي التراويح في رمضان بالزاوية المذكورة قبيل الفجر، وكان يتقن القراءات غاية الإتقان ومناقبه أوضح من الشمس في رابعة النهار توفي رحمه الله تعالى

ومنهم البركة العالم العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بن الفاسي ، الذي كان يلقب بعالم التجار وتاجر العلماء كان يشتغل بأمر التجارة وكان شاعرا معلما وله عدة قصائد في مدح سيدنا رضي الله عنه التي تبرهن عن مقامه الأدبي قرأت عليه بعض الأبواب من قطر الندى للعلامة ابن هشام توفي رحمه الله تعالى بفاس .

ومنهم سيدي محمد بن العابد العراقي هذا السيد العظيم قد تقلد إمامة الزاوية الكبرى بفاس مدة تزيد عن خمس وعشرين سنة وكان مثال الزهد والعدالة وفي الوقت الحاضر تقلد إمامة الزاوية ولده المبارك العلاّمة الدراكة الفهامة سيدي ادريس بلعابد وزيادة على الإمامة أنه قائم بأمر الدراسة بالزاوية ، وهو في غاية اللطافة والنباهة والعدالة أطال الله حياته.

ومنهم العلامة الفاضل سيدي محمد البردعي رحمه الله تعالى كان هذا السيد يحفظ مختصر خليل على ظاهر قلب ، وكان يرأس الجزاية بقراءة المختصر جماعة بالقرويين وعلى ذلك حصن خاص قرأنا عنه متن الأجرومية[1] .

[1] متن الأجرومية , كتاب ألفه ابن آجروم (1273 هـ / 1323 هـ) تحدث فيه عن أنواع الكلام و إعرابه ,انظر ابن آجروم , متن الأجرومية في مبادئ علم العربية ,مطبعة دار الهدى في الرياض , 1313 هـ .

ومنهم الشريف مولاي العربي المحب الذي كان يجلس قرب الذي كان يجلس فيه سيدي الطيب السفياني بالزاوية وحدثنا : أن الشيخ رضي الله عنه أمره بالتخلي عن ذلك المكان وصار يجلس شرقي الضريح الشريف توفي رحمه الله .

ومنهم العالم العلامة الناسك الإمام سيدي عبد السّلام العلوي[1] كان هذا الرجل علامة زمانه ، ودراكة أوانه وكان يقرأ صحيح البخاري بعد الوظيفة بين العشاءين بالزاوية ومن جملة شيوخه المعبّرين سيدي عبدالمالك الضرير الفاسي ، حدثني سيدي عبد السّلام المذكور أن عبد المالك الضرير كانت أمّه مصابة بعلة أعجزت المهرة من الأطباء فذهب سيدي عبد المالك إلى الزاوية وقدم شكواه لسيدنا رضي الله عنه راجيا تعجيل الشفاء بهذه المرأة ، فرأى ليلة في منامه كأن ضريح سيدنا الشيخ رضي الله عنه صار محكمة والناس يقدمون مطالبهم أمام هذه المحكمة فذهب هو أيضا ليقدم شكواه فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم والشيخ رضي الله عنه جالسين وسط الضريح فتقدم سيدي عبد المالك للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع للأمة وأخبره بأنه قدم شكواه لسيدنا رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم " أمثل هذا يقال لأحمد" يعني أن جاه سيدنا رضي الله عنه الله ورسوله عظيم وصار النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المنام يكتب كتابا على وجه الرقية للمصاب فاستيقظ سيدي عبد المالك من منامه من أثر تصويب القلم فإذا بامرأته أخبرته بأن الأمة شفيت ، ولا تشتكو شيئ من الألم الذي كان بها فكأنها نشطت من عقال وسيدي عبدالمالك المذكور كان من جلة أصحاب سيدنا رضي الله عنه وكان معروف بالإجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم .

[1] عبد المالك بن عبد الله العلوي الضرير الفاسي , من علماء فاس , له مؤلفات من بينها : مفيد العباد لطرق الرشاد ,و ديوان شعر محقق المسمى باقتطاف من حدائق الأفكار (ت 1318 هـ), انظر عبد السلام العلوي ,ديوان اقتطاف من حدائق الأفكار , تحقيق زهراء الكحيلي ,رسالة جامعية كلية الآداب ,الرباط .

ومنهم العالم العلامة الدراكة الفهامة الشيخ كلا[1] كان هذا السيد مرجع العلماء الأعلام ومقصد الأكابر والكرام من أهل الفضل والاحترام ، وقد أدركته يقرأ كتاب المرشد المعين بالزاوية بين العشاءين وكان يجلس على منصة مرتفعة ثم بعد وفاته هجر الجلوس على المنصّة بالزاوية المباركة لأن ذلك مخل بمقام الأدب مع حضرة سيدنا رضي الله عنه

ومنهم سيدي عبد السلام الكتاني[2] من الأشراف الكتانيين وأخوه سيدي محمد الكتاني هو ناظر الزاوية المباركة جاءت من أولاد الشيخ رضي الله عنه توفي رحمه الله وأما سيدي محمد الكتاني لا زال حيّا اطال الله حياته.

ومنهم العالم العلامة الفقيه القصبي[3] فكان يدرس كتاب التصريح للعلامة الشيخ خالد الأزهري[4] بالقرويين وكان يلقب بسيبويه زمانه .

ومنهم سيدي محمد بن العبدلاوي[5] بن سيدي أحمد العبدلاوي من ملازمي سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه بن سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، وقد أخذ عن الخليفة الأعظم سيدنا الحاج علي التلمساني رضي الله عنه وقد أخذ عنه سيدنا البشري بن سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه على ما رأيناه من شدة لأن سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ترك سيدنا البشير ولده صغيرا ابن عامين تقريبا وقد مر لنا أيضا أن سيدنا البشير أخذه هو، وأخوه سيدنا أحمد عمار علي سيدي الظاهر أبو طيبة دفين تلمسان الذين أخذ عن سيدنا رضي الله عنه مباشرة فليس بينهما وبين الشيخ رضي الله عنه على هذا إلا واسطة

---

[1] هو أحمد بن أحمد بناني كلا الفاسي مولدا و نشأة من أئمة التيجانية (1223 / 1306 هـ), انظر روض الشمائل ص 155 .

[2] سبق التعريف به .

[3] قد يكون مؤسس الزاوية الخلوتية بدلتا مصر .انظر كشف الحجاب ص 217.

[44] التصريح من كتب النحو لصاحبه خالد بن عبد الله الجرجاوي المعروف بالوقاد (ت 905 هـ) , ينظر خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري , التصريح بمضمون التوضيح في النحو , دار الكتب العلمية , بيروت ط 2000 .

[5] هو محمد بن أحمد بن محمد بن قويدر ,عالم و فقيه صالح (1815 ــ 1910 م), انظر محمد الحجوجي , نيل المراد في معرفة رجال الاسناد , دراسة و تحقيق مروان يوسف 2007 . ج 1 ص 93 .

والذي يدعم هذا الأمر هو وجود المصاهرة الواقعة بين سيدي الطاهر وأولاد الشيخ رضي الله عنه فقد ترك سيدي الطاهر بوطيبة بنتين تزوجا بأولاد الشيخ رضي الله عنه.

ومنهم السيد جلون الفاسي فهذا السيد كان يقوم بشؤون الوافدين على الزاوية لزيارة سيِّدنا رضي الله عنه فيما يحتاجونه من أمر الشراء والبيع .

ومنهم سيدي محمد بن المشري بواب الزاوية المباركة الذي لا ينفك عن باب الزاوية إلا عند النوم بعد منتصف الليل، وهو جاد غاية الجد ومنهم الفقيه سيدي بن المكي .

ومن أصحاب سيدنا رضي الله عنه العلماء الأكابر الذي لا زال في قيد الحياة سيدي الحاج محمد الحجوجي[1] صاحب التصانيف العديدة والتآليف المفيدة وجدته يدرس أبا الحسن على الرسالة على الساعة الحادية عشرة صباحا وكذلك فكان يقرأ الأربعين النووية بين العشاءين بالزاوية يحضر درسه الجمع الغفير من أصحاب الشيخ رضي الله عنه وله كتاب في تراجم العلماء من أصحاب الشيخ رضي الله عنه. سماه أتحاف أهل المرائب العرفانية لم يطبع يحتوي هذا التأليف على أحد عشر جزءا وقد اختصره في جزءين وله حاشية عديمة النظير على شرح العلامة الحيموس على الشمائل الترميذية تحتوي على أربعة أجزاء لم تطبع أطال الله حياته نفعا للعباد، وقد اجتمع بكثير من أصحاب سيدنا رضي الله عنه من أهل سلف هذه الطريقة ، وأخذ عنهم إجازات في الطريقة وأخذ أيضا إيجازات علمية ،و في الحديث البشرية عن جلة أكابر العلماء الأعلام الذين أدركتهم في علماء المغرب الأقصى ومن أدركه من علماء الشرق أثناء السفر للحجاز فبعد قاموس السلف ونخبة رجال الحلف إنتقل بعائلته من فاس لأمور أوجبها الوقت و استوطن بلدة دهنات ولهم أولاد ظهر فلهم في الشباب قبل الكهولة .

---

[1] محمد بن محمد المهدي الحجوجي الادريسي الحسني (1297 ــ 1370 هــ),انظر أعلام الزركلي ج 7 ص 84 .

ومنهم سيدي الحاج الحسين عزوز الذي هو من كبار العلماء بفاس وهو إمام الزاوية التجانية بالطاعة ، وبينه وبين سيدي الطيب السفياني مصاهرة وهو لا يزال على قيد الحياة أيده الله بنصره.

ومنهم سيدي الحاج محمد بلملي من كبار التجانية بفاس ومن أهل الشورى في أمور الزاوية العامة والخاصة وهو لا يزال حيّا .

ومنهم السيد عبد القادر القباج من فاس من عائلة القبايجة بفاس التي هي من أكبر العائلات التجانية بفاس هذا الذي أدركناه من هؤلاء الفحول من أصحاب سيدنا رضي الله عنه رجال الحضرة الفاسية ، وكان أول إجتماع لنا بهؤلاء الكبار سنة 1344 هـ الموافق لعام 1965 م هي أول زيارة لنا لضريح سيدنا رضي الله عنه وأصحاب سيدنا رضي الله عنه كثيرون من الإنس والجن .

فقد ثبت عنه رضي الله عنه وأرضاه أنه قال يصل على يدي إلى كمال المعرفة العيانيّة والشهود القطبانية ألف ألف ألف ألفأربع مراتب من الرجال ومائة ألف ألف ألف ثلاث مراتب من النساء رضي الله عنهم أجمعين ، وجعلنا منهم وحشرنا في زمرتهم يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

فضل الذكر و الحث عليه :

لما تقدم لنا في كثير من المناسبات ذ كر الأذكار التجانية وأنها شعار أصحاب سيدنا رضي الله عنه ، فإنك لا تجد زاوية تجانية من زوايا العالم الإسلامي بأكمله إلا وتجد أصحابها مواظبين تمام المواظبة على ذكر الوظيفة فيها صباحا ومساءا ،وإما في أحد الوقتين حتى أنك تجدهم في بعض الزوايا التجانية يقسمون الخبز في الغالب بعد حضرة الجمعة رجاء بركة ذلك وإنهم يعتبرونه شعار الشفاء من كل داء لمن أكل منه وهذا أمر معمول به على ما شاهدناه في الزوايا التجانية بتونس لا زالت محل اليمن والفضل والأنس رأيناه في زاوية سيدنا الإمام إبراهيم الرياحي رضي الله عنه وقد ورد في فضل

الذكر إجتماعا وانفرادا أحاديث وآثار كثيرة تقتصد على اللّازم منها ونبدأ الموضوع بذكر الآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن قال الله تعالى :" ولذِكْر اللهِ أكْبر"[1] ,وقال تعالى :" فأذْكُرٌونِي أذْكُرُكُمْ "[2] وقال تعالى :" وأذْكُرُوا الله كثِيرا لعلّكُمْ تُفْلِحُون "[3]وقال تعالى :" إنّ المُسْلِمِين والمُسْلِماتِ " إلى قوله " والذّاكِرِين الله كثِيرا والذّاكِرات أعدّ اللهُ لهُمْ مغْفِرةُ وأجْرا عظِيما "[4] وقال تعالى :" يأيُّها الّذِين آمنٌوا أذْكُرُوا الله ذِكرا كثِيرا و سبِّحُوهُ بُكْرة وأصِيلا"[5] الآية والآياتفي الباب معلومة كثيرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لقول الله تعالى :" أنا عِنْد ظنّ عبْدِي بِي وأنا معهُ إذا ذكرنِي فإن ذكرني فِي نفسِهِ ذكرْتُهُ فِي نفْسِي وإن ذكرنِي فِي ملأِ ذكرْتٌهُ فِي ملأِ خير مِنْهُمُ "[6] متفق عليه .

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات. رواه مسلم[7] .

روي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت رواه البخاري[8] .ورواه مسلم فقال : مثل البيت الذي يذكر الله فيه والذي لا يذكر فيه مثل الحي والميت[9] .

---

[1] العنكبوت 45 .

[2] البقرة 152 .

[3] الأنفال 45 .

[4] الأحزاب 35 .

[5] الأحزاب 41 ــ 42 .

[6] تتمة الحديث : (...و إن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا , و إن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا و إن أتاني يمشي أتيته هرولة)متفق عليه

[7] أخرجه مسلم في باب الذكر 2062 .

[8] أخرجه البخاري في باب الذكر 3120 .

[9] أخرجه مسلم في باب الذكر 2064 .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ألا أتيتكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم وخيرلكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى رواه الترمذي . قال الحاكم أبو عبدالله اسناده صحيح[1].

وعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه إن رجلا قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثر عليّ فأخبرني بشيئ اتشبث به قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله, رواه الترمذي[2] الترمذي[2] . عن بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا مررتم برياض الجنة فأرتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال حلق الذكر فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم"[3] وفي صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أنه قال :خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه ,فقال: ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا ,قال أ لله ما أجلسكم إلا ذاك أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم, والله أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة[4]في صحيح مسلم أيضا :عن أبي سعيد الأخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملا كة وغشيتهم الملائكة والرحمة ونزلت عليهم السّكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده[5].

وقال تعالى في حق سيِّدنا يونس عليه السّلام"فلولا أنه كان من المسبحيين للبثقي بطنه إلى يوم يبعثون"[6] .

---

[1] رواه الترمذي برقم 3377 .

[2] رواه الترمذي و قال حديث حسن , برقم 3375..

[3] حديث مرفوع عن أنس بن مالك , رواه الترمذي برقم 265.

[4] رواه مسلم برقم 2701 .

[5] رواه مسلم عن أبي هريرة.

[6] الصافات 143 ــ 144 .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قلت: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختصف دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة [1].

ففي هذه الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة دليل واضح على فضل الذكر الكريم، وفيها دلالة أيضا على مشروعية الذكر انفرادا و اجتماعا سرّا وجهرا ولا يعاند في هذا إلا من لا دراية له بأساليب الكلام العربي، ومقاصد الشارع الكريم الحكيم إذا حصر الذكر في أعداد مخصوصة قد جاءت به الشريعة الغراء.

فقد أخرج الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسع ، و تسعون وقال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد ويحي ويميت ، وهو على كل شيئ قدير غفرت ذنوبه وخطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[2].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[3]فالتخصيص لبعض الأذكار كانت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن إلا هذا يكفي في جواز تخصيص الأذكار بأعداد مخصوصة قياسا على ما ذكر. على أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم جواز ذلك .حيث أقر صلى الله عليه وسلم بعض الصّحابة على ما يقتضي جواز التخصيص في الأذكار بالأعداد التي لم ترد عنه, فهذا أبو هريرة رضي الله عنه له خيط عقد فيه خمسمائة عقدة وفي رواية زيادة على ذلك يسبح فيه وأقره

---

[1] رواه الترمذي و أحمد و ضعفه الألباني .

[2] أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة .

[3] متفق عليه .

النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يرد أبو هريرة رضي الله عنه بذلك حصر ذكره في عدد مخصوص لكان يذكر من غيرعقد[1], وأخرج ابن أبي سعد عن حكيم أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يسبح بالنوى المجذع[2] أي الذي حك ببعضه حتى ابيض فلو لم يرد سعد حصر تسبيحه في عدد مخصوص لكان فعله هذا عبثا غير محتاج إليه وحاشاه أن يفعل ذلك وهو من أجل الصحابة رضوان الله عليهم قدرا وقد قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض زوجاته رضي الله عنهن أمهات المؤمنين وهي صفية ابنة حي على تسبيحها في نوى كان بين يديها ولم ينهها عنه وإنّما بين لها كلمات جامعات للأجر تفوق أجر ما عملته وهو ما رواه أبي داوود والترمذي والنسائي ، وابن حبان والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وهي صفية أم المؤمنين كما تقدم ذكره السُّيوطي وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال أخبرك بما هوأيسرعليك من هذا ،وأفضل فقال سبحان الله عدد ما خلق في السّماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض والحمد مثل ذلك ولم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم عن فعلها ويقول لها أن هذا منكر وهي رضي الله عنها إنما أرادت حصر عدد تسبيحها في عدد مخصوص . كما يدل عليها تسبيحها بالنوى وعلى ذلك يظهر لك أن للعبدأن يحصر ذكره في عدد خاص لم يرد به توفيق لأن المقصود الإكثار من ذكر الله تعالى في عدد تقع عليه المداومة وذكر الإمام الغزالي هذه الأبيات في الإحياء التي مدارها على تعلق القلب بالله تعالى :

أحبكحبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك

فأمّا الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن بسواك

---

[1] عن نعيم بن المحرر بن أبي هريرة أنه كان له خيط خمس مئة عقدة (و في رواية ألفا عقدة) لا ينام حتى يسبح به .انظر أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني , حلية الأولياء و طبقات الأصفياء , دار الفكر 1996 , ص 144.

[2] ينظر المرجع السابق ص 139.

وأمـــا الـــذي أنـــت أهـــل لـــه فكشـــفك للحجـــب حتـــى أراك
فلا الحمـــد فـــي ذا ولا ذاك لـــي ولكـــن لـــك الحمـــد فـــي ذا وذاك[1]

وسيدي عبد السلام بن مشيش[2] رضي الله عنه .

عليك بتقـــوى الله فـــي الســـر والجهـــر إذا شـــئت توفيقـــا إلـــى ســـبل الخيـــر
لأن التقـــى أصـــل إلـــى الخيـــر كلـــه فخذه نقد فـــي كـــل نـــوع مـــن البـــر
وخيـــر جميـــع الـــزاد مـــا قـــال ربنـــا فكـــن يـــا رضـــي لله ممتثـــل الأمـــر
وكن صابرا إن شـــئت تظفـــر بـــالمنى لأن إلـــه الخلـــق أثنـــى علـــى الصّـــبر
وكـــن خاشـــعا لله بـــالعلم والرضـــى مع الذكر والإخلاص والزهـــد والشـــكر
وكـــن درعـــا وارض القناعـــة حرفـــة وكـــن صـــادقا لله فـــي حالـــة الفقـــر
وداوم علـــى القـــرآن إن كنـــت قارئـــا وإلا فمـــا تقـــوى عليـــه مـــن الـــذكر
وخـــالف هـــوى الـــنفس اللئيمـــة إنهـــا تميـــل لمـــا يطغـــى وتكـــره للخيـــر
ولا تطمعن في الخلـــق وارض بخـــالق يجود على المخلوق في البـــر والبحـــر

فانظر يا أخي رحمك الله برحمته ، ونور قلبك بمصابيح أنواره الإلهية التي تزيل عنك غياهب البشرية إلى هذه الأبيات وما احتوت عليه من أنواع التربية والنّصيحة التي ترشدك إلى ما فيه صلاحك عاجلا ، وآجلا فتقوى الله تعالى هي الكيميا والأكسير المفقود في هذا الزمان ....قال الشاعر :

عليك بتقـــوى الله فـــي كـــل حالـــة ولا تترك التقوى اتكالا على النســـب

---

[1] الأبيات نسبها أبو حامد الغزالي لرابعة العدوية الصوفية , انظر محمد بن محمد الغزالي أبو حامد , إحياء علوم الدين ,دار المعرفة بيروت , ص 219.

[2] عبد السلام بن مشيش العلمي (559 ــ 626 هــ / 1163 ــ 1228 هــ) عالم متصوف عاش في زمن الموحدين بالقرب من طنجة , انظر المرجع السابق ص 229 .

قد رفــع الإســلام ســلمان فــارس وقد و ضع الكفر الشريف أبــا لهــب[1]

قال ابن الوردي رحمه الله تعالى :

واتـــق الله فتقـــوى الله مـــا جـــاور قلـــب امـــرئ إلا وصـــل
ليس مـــن يقطـــع طرقـــا بطـــلا إنمـــا مـــن يتـــق الله البطـــل[2]

(فائدة) ولنختم باب هذه الزيارة الأحمدية بهذه الفائدة النفسية ، وهي أن من وفق الإخوان لزيارة سيدنا رضي الله عنه ، فعليه أن يلازم الزاوية في غالب أوقاته أن يواظب على الدعاء بكرة وأصيلا لاصلاح حاله ومثاله فإن الدعاء مقبول قطعا في هذا المكان الشريف والمشاع على السنة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه أن من دعى في محل المواجهة يعني مواجهة القبر الشريف وهي الجهة القبلية فإنه ينال خصوصية عظمى في تعجيل إجابة دعائه وكيف لا. وهو واقف أمام حقيقة الوجود بأسره وروح الوجود بأكمله مهبط الأنوار الإلهية ،وحوض الأسرار المحمدية الأحمدية وقد أوصى سيدنا رضي الله عنه في حياته أن لا يدفن في الزاوية أحد بلغ ما بلغ قال في الإفادة الأحمدية من يدفن في الزاوية يحشر للنّار وضمن بعضهم معنى كلامه في أبيات مترجما على لسان الزاوية زادها الله تشريفا وتعظيما :

انظـــــــر بـــــــديع جمـــــــالي يســـــبي العقـــــول السّـــــليمة
واخضـــــــع لـــــــه وكـــــــذلك عســـــى برضـــــاك خديمـــــه

---

[1] للشاعر أبي الحسين عاصم بن الحسن العاصمي البغدادي الكرخي (397 ــ 483 هــ) , ذكره الجوزي في كتاب المنتظم ضمن وفيات سنة 482 هــ , و الأبيات من قطعة فيه , انظر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي , المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ,ترجمة و تحقيق محمد و مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية ط2 , 1995 , ص 286 .

[2] الأبيات لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن الوردي المعري الكندي (1292 ــ 1349 م) و هي من لاميته الشهيرة التي مطلعها : اعتزل ذكرى الأغاني و الغزل , انظر سراج الدين عمر الوردي , شرح لامية ابن الوردي المعروفة "نصحة الإخوان ومرشدة الخلان " مكتبة الآداب والنشر و التوزيع .

ولا تمـــــار فــــي قـــولي — تـــك ابـــن أم كريمـــه
لإن حرامـــي حـــرام — تـــدفن فيـــه رميمـــة
تـــاج المعـــالي التجـــاني — طهـــر أرضـــي الوســـيمة
أشـــهد هـــا بهـــذا — شـــهادة مســـتقينة
والنجـــل دام عـــلاه — مضـــي يصـــدق العزيمـــة
تـــاريخي أمـــر شـــريف — فـــاق العقـــود النظيمـــة[1]

ولا ترى في أي جامع أو مسجد أو زاوية مما اختص الله زاوية سيدنا رضي الله عنه من إتقان الصّلاة على الوجه المطلوب شرعا فقد حرض سيِّدنا رضي الله عنه في حياته أصحابه غاية التحريض على إتمام ركوعها ، وسجودها على الوجه المطلوب والأكمل حتى إنك تستطيع أن تسبح وراء إمام الزاوية التجانية بفاس إلى ساعة التاريخ مقدارعشرة تسبيحات في الركوع والسجود، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإتقان الصّلاة وإحكام أمرها في خبر المسيئ في صلاته الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم أرجع فصل فانك لم تصل[2],الحديث الثابت في الصّحيح ، وكان سيدنا رضي الله عنه يوافق القائلين بأن مقدار الطمأنينة في الركوع والسُّجود قدر ثلاث تسبيحات قال رضي الله عنه: أقل ما يجزء في الركوع والسجود مقدار ثلاث تسبيحات متراخيات أو ست متسارعات ، والتقدير بثلاث تسبيحات قول في مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقول الظاهرية لما روي عنه صلى الله عليه وسلم في السنن إذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات سبحان ربي العظيم وذلك أدناه وإذا سجد فليقل سبحان ربي الأعلى مرتين و هو حديث

[1] هذه الأبيات منقوشة على وجه السارية المقابلة لاسم الجلالة خلف الضريح , و هي من بين مختارات من أبيات منقوشة على جدران الزاوية بفاس لبعض رجالات الطريقة .
[2] متفق عليه .

مرسل[1] ومن العلماء من يحتج به وهنا العمل يعضده فلم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه أنه نقص عن ثلاث تسبيحات في الركوع والسُّجود وقد صحح ابن الحاجب المالكي[2] رحمه الله تعالى القول بفرضية الطمأنينة ، وكذلك مما يحب التنبيه عليه هو قراءة البسملة متصلة بالفاتحة في الصلاة المفروضة جهرا في الجهرية وسرّا في السرية قال سيدنا رضي الله عنه وأرضاه عمري لا تترك البسملة متصلة بالفاتحة لا في الصلاة ولا في غيرها للحديث الوارد في فضلها المؤكد باليمين ذكره القافقي في فضل القرآن، وقال المالكية يستحب الإتيان بها[3] للخروج من الخلاف وذكر العلامة الدرديري في شرح المختصر أن القرافي من المالكية والغزالي من الشافعية وغيرهما الورع البسملة أول الفاتحة خروجا من الخلاف ونحن ولله الحمد ما لنا إلا[4] إتباع أحمد رضي الله عنه وأرضاه ، وكفا بقوله صحّة لأن اجتماع سيدنا رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم ثابت لا مراء فيه في اليقظة وهو يحررعند الأحكام الشرعية والأحاديث النبوية ، وقد بلغ سيدنا رضي الله عنه لا محالة مقام الإجتهاد ولما حازه من العلوم الإسلامية التي خولت له هذا المنصب الشريف فكان بيده رفع الحق حيث ما دار ويصفي الأقاويل بما اختل الفتح الصّحيح فرضه الله عنه من إمام .

وقد جزم قراء مكة والكوفة بأنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام فلم يجعلوها لا آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السور قالوا وإنما

---

[1] الحديث مروي عن عون بن عبد الله عن عبد الله بن مسعود , ذكر في سنن أبي داوود , في باب مقدار الركوع و السجود , و قال هذا حديث مرسل , عون لم يدرك عبد الله , انظر سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داوود ,سنن أبي داوود , تحقيق شعيب الأرناؤوط و آخرون , دار الرسالة العالمية ط 1 , 2006 , ح 886.

[2] هو أبو عمرو عثمان بن عمر الفقيه المالكي و الأصولي النحوي (1174 ــ 1249 م) من مؤلفاته (الجامع بين الأمهات) في الفقه , انظر أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , تحقيق عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط , دار ابن كثير ط 1 , 1986 .

[3] ينظر د.صبري عبد الرؤوف و محمد عبد القوي , أثر القراءات في الفقه الإسلامي ,أضواء السلف , الرياض 1997 .

[4] للبسط في هذا الموضوع أكثر ينظر محمد بكر إسماعيل , الفقه الواضح من الكتاب و السنة على المذاهب الأربعة ,دار المنار القاهرة ,ج 1, ص 257 .

كتبت للفضل والتبرك وأخرج ابن خزيمة في صحيحه[1] عن أمسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة أول الفاتحة في الصلاة وغيرها آية روى نحوه الداقطني[2] مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنه .

مغادرة فاس إلى الرّباط :

وبعد إتمام شؤون زيارة سيدنا رضي الله عنه لا حرمنا الله منها في جميع الأوقات تعلقت همة سيدنا ابنعمر إلى التوجه لرباط الفتح التي تبعد عن مدينة فاس نحو 140 كلم فغادرنا مدينة الفاس العليا على الرحل السّريع متوجهين إلى الرباط صحبة السّيد الحسين ألا ويراني ،ــ فما مضت ساعات من سير القطار الكهربائي قد وصلنا إلى محطة الربّاط وفي كامل الطريق ما ترى إلاّ فيه مفتحة الأبواب مما يبعث في النفوس غاية السُّرور و الأعجاب ، وعميق الاستغراب من آثار صنع الله الجميل وما صنعته اليد العاملة البشرية من العمارة الحيوية فلا ترى إلا المساحات الواسعة من المزروعات و بمجرد النزول من القطار في محطة الرباط قصد سيدنا رضي الله عنه ونحن معه زاوية سيدنا العربيابن السائح رضي الله عنه حيث يطيب لنا فيها المستقر وتحلو الإقامة في ذلك المقر ولعمري إنها لزاوية مباركة، ونسخة من زاوية فاس الكبرى والزاو ية عامرة بقراءة الوظيفة صباحا ومساءا والصّلوات الخمس بدون تخلق في أي وقت من الأوقات وضريح سيدي العربي رضي الله عنه داخل الزاوية من جهة الصحن ، و زوجته ضجيعة في المقام الشريف بقصده الزوار من جميع النواحي وكيف لا وهو عطر ومسك تلك النواحي وهو أشهر من نار على علم ، وفي جدران المقام الشريف مرقومة بخط بديع قصيدة سيدي

[1] ينظر أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة , صحيح ابن خزيمة ,المكتب الإسلامي 2003 , ج3 , ص 186 .

[2] الإمام أبو الحسن بن عبد الله البغدادي , ولد بدار القطن ببغداد و إليها ينسب ,مقرئ و محدث و لغوي (306 ــ 385 هــ) , انظر بن العماد الحنبلي , شذرات الذهب ,ص386.

العربي رضي الله عنه التي رتب أبياتها على اسم الصحابي الجليل سيدنا عمران بن حصين [1]رضي الله عنه الذي ورد في بعض الآثار أن من عرف اسمه دخل الجنة وهي :

عــودتي منــك إحســانا وثقــت بــه	وحاشـــا فضــــلك أن أراه ممنوعـــا
ما زلت تولى العطا لمن عصاك ولــم	يكــن عطـــاك لأجــل الــذنب مقطوعــا
رب البرية يا مــن لــم يــزل أبــدا	دعـــاء كـــل امـــرئ دعـــاه مســـموعا
إنــــي دعوتـــك مضـــطرا أخاكمـــد	ركن اصطباري اضحى منـــه مصـــدرعا
نفســـه عنــــي يـــا مـــولاي يحجـــل	حتى ا رى غيمـــة فـــي حـــين مقلوعـــا
إني ســـألتك بالمختـــار وأفضـــل مـــن	بـــه كفيـــت الـــورى اذى وترويعـــا
بحر المكـــارم تـــاج الرســـل خـــاتمهم	مـــن لـــم يـــزل ذكـــره لـــديك مرفوعـــا
نو الهدى من بدا فـــي أصـــل فطرتـــه	على التقوى والصـــبا والزهـــد مطبوعـــا
حماه أوســـع بـــي أن أزمـــة دهمـــت	وظل من اجلهـــا ذو الحكـــم مصـــروعا
صـــل عليـــه الاهـــي كـــل آونـــة	مـــادام للجـــود والإحســـان ينبوعـــا
يارب وارض عن الصـــحابة أفضـــل	من يذكرهم ظل باب ال فـــتح مفروعـــا
ناهيك من سادة جازوا الكمـــال ممـــن	ســـداد الخلائـــق تابعـــا ومتبوعـــا[2]

استمرت إقامة سيدنا رضي الله عنه في هذه الزاوية المباركة ثمانية أيّام ونحن في غاية الإكرام ، والحفاوة بين الفراش اللين والعيش الأرغد ، والصلاة في أوقاتها وذكر الوظيفة في نوباتها ، وزيارة السيد رضي الله عنه في ساعاتها ، ودعونا وله الحمد لنا ولأقاربنا وأحبابنا ما هو بحول الله تعالى يحقق القبول ، و اجتمع سيدنا في الرباط بخاصّة الأصحاب جاءوا يسلمون عليه، وطالما سمعوا منه النصائح ، وذهب سيدنا أيضا لزيارة

[1] أسلم هو و أبوه و أبو هريرة في وقت واحد عام 7 هـ ,انظر محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي , سير أعلام النبلاء , مؤسسة الرسالة , 2001 , ج2 ,ص 508 .

[2] ينظر محمد العربي بن السايح , بغية المستفيد ,ص 220.

زاوية الرباط الأخرى التي مقدمها سيدي محمد بن عبدالله ذلك الرجل الفقيه النزيه الفاضل وطالما تفاهم مع سيدنا رضي الله عنه في تجديد صيغ البغية[1] و له نسخة صحيحة بخط المؤلف سيدي العربي رضي الله عنه وقد اجتمع سيدنا بالرباط مع بن عمه سيدي علي بن سيدنا محمود التجاني رضي الله عنه قادما من مراكش من زيارة أخيه سيدي محمد الحبيب وكذلك اجتمع مع أحد من أبناء سيدنا الحاج علي التماسيني رضي الله عنه المسمّى سيدي الصّغير بن سيدي أحمد العروسي رحمه الله تعالى جاء من تماسين لزيارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه . وبعد ذلك توجه سيدنا رضي الله عنه في سيارته مصحوبا بالسيد الحسين الدويراني والسيد علي بن الحاج الطاهر صهر سيِّدنا رضي الله عنه جاء بوالدته من بلدة المشرية لزيارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ذهب الإثنان في سيارة سيدنا إلى العاصمة مراكش ، ونحن ركبنا القطار السّريع الكهربائي الذي يربط بين الرباط وعاصمة مراكش الكبرى والمسافة بين المدينتين نحو 300 كم وقد حقق الله اجتماعنا بسيدنا في مراكش بصحة وعافية اجتمعنا به ليلا وجدناه ضيفا بدار نادرة الزمان ونجل بيت الإحسان والمجد سيدي أحمد النظيفي نجل العارف بالله سيدي الحاج محمد النظيفي السنوسي[2] دفين زاويته بمراكش رحمه الله ، ورضي عنه مكث سيدنا طول إقامته بمراكش التي استغرقت ثلاثة أيام ضيفا مكرما بحاشيته عند الرجل المذكور ولازمه في هذه المدة سيدي عبد الرحمن النظيفي أخ سيدنا الحاج محمد النظيفي الذي بلغنا خبر وفاته أخيرا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وطالما تباحث مع سيِّدنا في أمور الزاوية والطريقة المهمة فوجده محيطا بأخبارها وعالما بما يراد ويقصد منه لله دره من إمام وخير خبير همام قال الشاعر :

---

[1] يقصد بغية المستفيد لشرح منية المريد.

[2] محمد بن عبد الواحد بن حسن النظيفي (1270 ــ 1366 هــ)صوفي ورع .انظر روض الشمائل ص 96.

إذا ذكرت سعدى فكلـــي مســـامع وفي منطقي يحلو لـــدي مـــديحها
ولست أبالي مـــا العـــذول لأننـــي أهيم بها وجـــدا إذا هـــب ريحهـــا[1]

قال العارفون أن صور المعتقدات إذا ظهرت لا تحتاج إلى صور الأشخاص بخلاف صور الأشخاص إذا ظهرت ،فإنها تحتاج إلى صور المعتقدات فإذا حصل الجمع بينهما فذلك كمـــــــــال

في الحقيقة قاله الشعراني[2] رضي الله عنه .

قال الشعراني :

ومستخبر عن سر ليلـــى رددتـــه بعمياء عـــن ليلـــى بغيـــر يقـــين
يقولـــون خبرنـــا فأنـــت أمينهـــا ومـــا أنـــا إن خبـــرتهم بـــأمين[3]

وسيدي عبد الرحمن هذا كان شيخا كبيرا، وقد اجتمع سيدنا بمراكش بابن عمه ولد سيِّدنا محمود التجاني سيدي محمد الحبيب الذي أتى بضيافته لسيدنا في محل نزوله مرارا ولا زال يتردد عنه مفردا وتارة يصحب معه ، ولديه النّبيهين السيِّدين سيدي محمود وأخيه سيدي زين العابدين حتى تمت أيّام الإقامة بخير وسلامة وزار سيدنا ، وأتباعه أثناء هذه المدة زاوية الشيخ النظيفي ، وهي زاوية عظيمة معمرة بالمصلين ، و الذاكرين ومقام الشيخ النظيفي من جهة ضمن الزاوية وله مقام عظيم وقبره رحمه الله يرضى عنه

---

[1] سعدى من الأسماء التي يرمز بها الصوفية للصلاة , انظر زهير سالم , مجلة رابطة أدباء الشام ,تصدر من لندن , مقال : الصلاة , 10 ــ 04 2010 .

[2] هو أبو المواهب عبد الوهاب الفقيه الزاهد (898 ــ 973 هــ) , انظر توفيق الطويل , الشعراني إمام التصوف في عصره ,دار إحياء الكتب العربية , القاهرة .

[3] المرجع السابق , ص53 .

مقابل باب الدخول ناحية الزّوّار في كل وقت ، وحين وكذلك زرنا زاوية الشيخ سيدي محمد الكنسوسي رضي الله عنه ولعمري أنها الزاوية تجلت فيها الأنوار الجمالية والجلالية ، والغرفة التي اجتمع مع سيدي العربي بن السّائح رضي الله عنه كما تقدم لنا من جهة الصحن ذهبت إلى زيارة هذه الزاوية مرة أخرى ، ومعي صاحب سيدنا السيد الحسين الدويراني[1] بارك الله فيه وجزاه الله خيرا وكذلك ذهبت مع السيد المذكور لزيارة الشيخ الكسنوسي رضي الله عنه لأن ضريحه في المقبرة المراكشية خارج السّور قرب ضريح الإمام السُّهيلي[2] رحمه الله فزنا بزيارة هذا السيد العظيم الذي روي في حقه عن بعض الأصحاب ، وهو السيِّد محمد تاه أن من زاره ولو على محال ناله.

قال الشاعر :

أحب الصـــالحين ولســـت مـــنهم	لعلـــي أن أنــــال بهــــم شــــفاعه
وأكره من بضـــاعته المعاصــــي	ولو كنـــا ســـواء فـــي البضـــاعه[3]

وقول الشاعر :

لي في محبـــتكم شـــهود أربعـــة	وشـــــهود كـــــل قضـــــية اثنــــان
خفقان قلبي وارتعـــاش مفاصــــلي	ونحول جسمي وانعقـــاد لســـاني[4]

وقول آخر :

---

[1] من حفدة الولي الصالح أبي يعزى قائد قبيلة دويران , انظر كشف الحجاب ص 67.

[2] هو أبو القاسم عبد الرحمن الخطيب السهيلي , من أعلام مراكش , ولد بالأندلس 1114 م , وتوفي بحاضرة مراكش عام 1185 م, يقع ضريحه خارج أسوار مراكش القديمة , انظر الرابطة المحمدية للعلماء , السهيلي أحد رجال مراكش ,منشورات مركز الدراسات و الأبحاث و إحياء التراث 2010 , ص 37 ــ 38 .

[3] البيتان للإمام الشافعي , انظر الشافعي , ديوان الإمام الشافعي . ص 98.

[4] البيتان لأبي المرهف نصر بن منصور بن جوشن النميري (501 ــ 588 هــ) , انظر ابن خلكان في الأعيان , ص 367.

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا رانـــت كـــل الكائنـــات ملاحـــا[1]

وقد سئل سيدي العربي بن السّائح رضي الله عنه عن مرتيته فقال لهم أنا خليفة الشيخ رضي الله عنه ، وسئل عن سيدنا الحاج محمد الكنسوسي فقال لهم هو صاحب الشيخ رضي الله عنه ثم قال للسائل لاأن تظن أن خليفة الشيخ أكبر درجة من صاحبه وقد فاق علماء عصره في علمي المعقول، والمنقول حتى رأس في العلوم وصار كعبة القاصدين وأمنية المشتاقين فدعونا الله تعالى أمام ضريح هذا الإمام بما نرجوا من الله تعالى قبوله في الدارين آمين ولسان حالنا يقول :

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عــوجي وتقبلوني علـــى عيبـــي ونقصـــاني

فـــإن رضـــيتم فيـــاعزي وياشـــرفي وإن أبيتم فمـــن أرجـــو لعصـــياني[2]

ومدينة مراكش من أكبر المدن في البلاد المغربية ، وكانت في سباق التاريخ عاصمة دولة الموحدين التي نالت في ميدان الملك ما نالت ، وفيها من الآثار التاريخية التي ترجع إلى عهد ملوكها القدماء ما يبهر العقول :

تلـــك آثارنـــــا تــــدل علينـــــا فـــانظروا بعـــدنا إلـــى الآثـــار[3]

وفيها من القصور الشامخة ما يخلد أثرها في مخيلة الإنسان ، و لا ينساه رغم طول الزمان وفيها أيضا من الجوامع ، و المساجد والزوايا ما يذكرك بعهد العاصمة الفاسيّة وفيها كثير من العلماء الأجلاء ، والأولياء الصالحين المتسترين تحت جليات الخمول ولها موقع تجاري عظيم وعدة أسواق معمورة بالبضائع على اختلاف أنواعها وخارج المدينة

[1] بل هو لأبي المرهف , انظر المصدر السابق ص 369 .

[2] لم أوفق في معرفة صاحب البيتين .

[3] سبق ذكر البيت.

بعدة أميال صهريج عظيم من المياه كان منتزه بعض ملوك المغرب يركب فيه سفينته ليروض نفسه في فصل الصّيف عند اشتداد الحر غير أنه من الأليم قد غرق فيه إثر واقعة بحكم القضاء والقدر, ولمدينة مراكش باب سوس الأقصى ومنها تتوجه القوافل قديما وإلى الآن جهة صحراء شنجيط والأوطان السُّودانية وبقربها تبتدئ جبال سلسلة الأطلس الصّحراوي التي تصب فوقها الثلوج في فصل الشتاء ، وتمتد سلسلة هذه الجبال إلى جهة تبسة من وطن قسنطينة بالقطر الجزائري ، وتصل إلى بلدة الكاف بالمملكة التونسية وطقسها في الحقيقة جاف حرارته أكثر من برودته في غير فصل البرد ولها الصومعة الشهيرة بجامع الكتبية التي يراها القادم إلى مراكش من بعيد وبها أيضا عدة مدارس بسكنها طلبة العلم وبعد تمام زيارة مراكش غادرها سيدنا في سيارته متوجها إلى الرِّباط مرة أخرى ونحن غادرناها إلى الرباط على طريق القطار خرجنا منها صباحا على الساعة السابعة ووصلنا إلى مدينة الرباط منتصف الرَّباط فقصدنا زاوية سيدي العربي رضي الله عنه دار الأمن والأمان والحفاوة والإكراموالإحسان في كل عصر وأوان وليس الخبر كالعيان فأجتمعنا بسيدنا بهذه الزاوية مرة أخرى ، وأنوار الجلال والجمال متجلية عليه.

ولا زلنا متيمين بالرباط وسيدنا يصدد تنظيم شؤون سفره الآتي من جميع نواحيه ودواعيه حتى أتمها على أحسن نظام ، وأكمل إتقان وأحكام ونحن في ضريح سيدي العربي رضي الله عنه بين اغتنام فرحة، وتقدير كل لحظة وحصة ولا زال يتردد على سيدنا في هذه المدة كلها السيد أحمد الدكالي الموظف بإدارة البريد وكذلك السيِّد الحاج محمد كسوس وأخيه الوزير بالإدارة المالية لبنك المغرب الأقصى ، وغير هؤلاء من وجهاء وأعيان ومدينة الرباط هي العاصمة السياسية للقطر المغربي حيث أن حضرة مولانا السُّلطان محمد سلطان المغرب الأقصى يقيم بها في قصره العظيم الذي هو مدينة مفردة ويوجد أيضا في هذه المدينة الحاكم العام الفرنسي وبذلك صارت لهذه المدينة

أهمية كبرى أكثر من غيرها من الناحية الإدارية المذكورة ومدينة الرباط جميلة مؤسسة على الطراز الحديث وشوارعها في غاية الاتساع حتى أن البصر ينتشر فيها مع النظامة التامّة بحيث أنك لا تكاد ترى وسخا في هذه الأزقة العامة خصوصا بالنواحي الأوروبية ، وتقابلها من جهة مدينة السلا[1] ولا يفصل بينها وبين الرباط إلا المجرى الماني البحري ، وفي بلدة السلا زاوية تجانية معتبرة مشهورة بين الناس حتى أنه يؤثرعلى سيدي العربي رضي الله عنه أنه قال أن من لم يستطع الذهاب إلى فاس لزيارة الشيخ رضي الله عنه يكفيه أن يزور زاوية السلا , وبعد انقضاء أيّام الإقامة بالرباط توجهنا قبل سيِّدهم إلى مدينة الدار البيضاء إعلاما للناس بقدوم سيدنا وتحضيرا له ركبنا السيّارة المتوجهة إلى المدينة المذكورة فما انقضت إلاّ ساعة فلكيّة حتى وصلنا إلى المدينة المذكورة التي تشبه في دويها المتتابع وحركاتها الرّعدية مدينة الجزائر بل تزيد وهي الميناء الوحيد لكافة القطر المغربي ، ولها من الأهمية التجاريّة ما لا يخطربالبال فقد فاقت أمثالها من مدن الشمال الإفريقي حتى أنك ترى الأبنية الجديدة الكبيرة تزيد في كل أسبوع تحت وابل الحضارة الراهنة كما يزيد النبات تحت وابل المطر وسكانها الآن يزيدون على 200 ألف نسمة والذي خول لها هذا التقدم السّريع منذ الاحتلال الفرنسي هو حسن موقعها الجغرافي لكونها على ساحل المحيط فرنسا وإسبانيا وهمزة وصل بين إفريقيا الشمالية والغربية والإستوائية فإن أكثر البواخر الواردة على فرنسا من إفريقيا الغربية ، و الإستوائية أو الصادرة من فرنسا إليها تمس هذه المدينة لما لها من الموقع المناسب لهذه الخطوط البحرية وكذلك لها اتصال بأمريكا الجنوبية، ومما زادها بهجة وجمالا من الناحية الدينية التي تجلت في الفن العربي المغربي إحتواؤها على الجامعين العظيمين جامع مولاي

---

[1] مدينة مغربية عريقة تقع على الضفة الشمالية لنهر أبي رقراق على اليمين من مصبه في المحيط الأطلسي , بالقرب من العاصمة الرباط , تعود بدايتها إلى العهد الموحدي 119 م .

السُّلطان مولاي يوسف[1] المرحوم الذي شيد معالمه في حياته رحمه الله وجامع ولده السلطان مولانامحمد سلطان المغرب الحالي[2] بصومعته الجميلة الذي كلف من النفقات المالية نحو 100 مليونا من الفرنك، ولعمري أنهما بالأخص الأخير عديمي النظير ، وترى الصومعتين المتقابلتين يشرفان على الأسواق والدّكاكين القريبة من الجامعين ولكل واحد من الجامعين صحن عظيم في غاية الاتساع مفروش بالزبر الظفري المستعمل بكثرة عند المغاربة وأما أسواق هذه المدينة التجارية ومستودعاتها وإدارات الشركات والمستشفيات الطبية الملكية والكليات على اختلاف أنواعها وتباين موضوعاتها من إبتدائية وثانوية وعليا فحدث عن البحر ولا حرج أما زئير البواخر في ميناها وصدى محركات السّيارات والأرتال فبحر متلاطم الأمواج واللجج ، ونحن بمجرد نزولنا في جوف المدينة قصدنا الزاوية التجانية للصّلاة وقراءة الوظيفة وفي أثناء ذلك سألنا عن الرجل الذي أمرنا سيدنا بالنزول عنده حتى يقدم وهو السيّد أحمد افروش السوسي ، فوجدنا ببركة سيدنا رضي الله عنه مرشدا أوصلنا إلى داره حيث طاب المستقر وزال عنا عناء السّفر فجلسنا ضيوفا عنده في غاية الإكرام حتى وفد علينا سيدنا فتمت الآمال وطابت الإقامة وصلحت الأحوال غير أنّ الإقامة كانت قصيرة بهذه المدينة وممن استدعى سيدنا لمحله الخاص لتناول الغداء السيّد محمد ابن عثمان العلمي الذي اجتمع بسيدنا بالدار البيضاء ، واجتمع به سابقا بعاصمة باريس واجتمع أيضا سيًدنا إجتماعا آخر بالفقيه مقدم زاوية سيدنا رضي الله عنه بفاس السيًد إدريس بلعابد العراقي[3] فقد ضمه هذا المجلس المذكور وكذلك بعض السوسيين من إخواننا التجانيين استدعى سيدنا لمحله التماسا للبركة جزاهم الله خيرا ووفاهم صبرا آمين.

---

[1] السلطان يوسف بن الحسن بن محمد بن علي (1882 ــ 1927 م) هو السلطان العشرون من العلويين . انظر عبد الواحد المراكشي , المعجب في تلخيص أخبار المغرب ,ص 228 .

[2] محمد بن يوسف (1902 ــ 1961 م) الملقب بمحمد الخامس .

[3] توفي عام 2009 م , ظل مقدما للزاوية إلى أن وافته المنية .

وليلة سفرنا إلى دكار تناولنا العشاء بالزاوية التجانية ، و شربنا الآتاي ثم على الساعة الحادية عشرة ونصف توجهنا من الزاوية في السيّارات إلى المطار لنركب الطائرة الآتية من باريس الذاهبة إلى دكار غادرنا الدار البيضاء بعدما توادع سيدنا مع الأصحاب وصحبه من صحبه في السيارات إلى المطار منهم السيد أحمد أفروش وصهر سيدنا السيد علي بن الحاج الطاهر بن زيان الذي جاء لمتابعة سيدنا رضي الله عنه وأخذ بعض الإرشادات منه تخصه ، وتفارقنا أيضا مع الآخرين الذين جاءوا معنا من عين ماضي السيد عيسى بن عمر وولده عمّار بعد أن أوصاهما سيدنا على كثير من الأمور المتعلقة بهما فما جاءت الساعة 12 ليلا حتى كنا في جوف الطائرة الفرنسية بنت الجو وشقيقة الرياح فما أتممنا الجلوس على المقاعد . حتى سمعنا دوي الآلات وتحركت وبعد حصة قليلة حلقت الطائرة فوق ديار العاصمة المغربية وأخذت تشق أرجاء الهواء بنغمات مستمرة فما تسمع طول الليل إلا دوي المحركات في سماء الفيافي وفجاج الفلوات وتغريد الآلات ونحن مع سيدنا وبقية المسافرين في جوفها كالأجنة في بطون الأمهات فتذكرت قول الشاعر وما أنا بشاعر :

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمـــى كثيـــر أمـــا الواصـــلون قليـــل

ونحن في تلك الحالة بين أظهار الموت والوقوع على سطح الأرض أو في جوف الحوت ورحمة الله أقرب الينا من شراك النعل .قال البوصيري رحمه الله :

إنـــا لله رحمـــة وأحـــق النـــا س بالرحمـــــــة الضـــــــعفاء[1]

وهمة الشيخ رضي الله عنه معنا ولله الحمد دائما

[1] انظر أبو العباس شرف الدين البوصيري , ديوان الإمام البوصيري , ترجمة و تحقيق محمد سيد كيلاني , دار الفرقان 1374 هـ , ص 63.

عليك به يا كل مـــن هـــو طالـــب ورام وصلا عن قريـــب ومضـــطر

وجد وجدا بالنفس وأرض بحبـــه فإنك تلق النصر في العسر واليســـر[1]

فما جاءت السّاعة الخامسة والنصف صباحا حتى أوتينا بالطائرة بالقهوة الحليبية مع شيئ من الحلويات ، وتسلمنا أوراقا إدارية تتعلق بشرح الهيئة الشخصية لإدارة المحافظة و أخرى تتعلق بهيئة إدارة الدّوانة ، وأمرنا بتعمير هذه الأوقات طبق للبرامج المطلوبة فما طلع الفجر وتباينت الأشباح وجاءت الساعة السّادسة ونصف حتى حلقت الطائرة فوق سماء دكّار عاصمة قطر السّنغال قطعنا في تلك الليلة مسافة 3500 كم في مدة ست ساعات ونصف ثم نزلت الطائرة بالمطار السنغالي ، وبعد حصة زمانيّة فتحت أبواب الطائرة للنزول فتقدم سيدنا رضي الله عنه ونحن وراءه ، فوجدنا جمّا غفيرا من أعيان مدينة دكار التجانيين الوجهاء جاؤوا لملاقاة سيدنا بمقتضى أخبارالبرقية التي وردت لهم المنبأة بهذا القدوم المبارك والذي نخص منهم بالذكر رغم اشتغال الفكر العالم العلاّمة السيد الحاج سعيد النورتال حفيد الشيخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه وهو رئيس هذا الوفد والسيد المقدم الحاج ابراهيم إنياص[2] السّاكن ببلدة كولخ[3] وهو رجل عالم فاضل صالح ، وحفيد سيدنا محمد الحافظ العلوي الشنجيطي سيدي حمد الطلبة ذالكم الرجل نادرة الزمان وزهرة المصر والدوان والسيد العالم العلامة سيدي محمد الطلبة ذلكم الرجل نادرة الزمان و السيد العالم سيدي محمد عال بن فتى العلوي الشنجيطي رفيق سيدنا من بعد والسيد الحاج عمركن وجم غفير من أعيان الأصحاب لم نعرفهم في ذلك الوقت لأن

---

[1] البيتان لعمر بن سعيد تال الفوتي (1796 ــ 1864) كان صوفيا و شاعرا ثائرا , انظر روض الشمائل ص 310 .

[2] إبراهيم عبد الله إنياص (1318 ــ 1395 هــ) من كبار علماء الإسلام ,كان من الأعضاء المؤسسين لرابطة العالم الاسلامي , من مؤلفاته الجواب الشافي , و إفريقيا للإفريقيين و تراث شعري أغلبه في مدح النبي صلى الله عليه و سلم , انظر عبد القادر محمد سبيلا , المسلمون في السنغال , سلسلة كتاب الأمة , ص 176.

[3] كولخ بقطر السنيغال .

سيدنا كلفني أن أقوم بالشؤون الإدارية القمرقية وإدارة المحافظة من الاستظهار بالجوازات السفرية وعرض الأثاث على الهيئة الدوانية والاشتغال بعرض الأوراق الصحية التي لها إدارة خاصّة قائمة بهذه الأمور وكان الواقف معي في هذا الأمر المهم هو السيد الحاج سعيد النورتال[1] المذكور لحاله من المكانة المحترمة عند أرباب السلطة الحكومية وعند الخاصة والعامة ولازمني إلى أن أتممنا سائر الأشغال على أحسن ما يرام ، ولا تغفل أن جلالة سيدنا رضي الله عنه قد أحكم سائر شؤونه من جميع النواحي كما هي عادته وما وجدنا في جميع الهيئات إلا مكارم الأخلاق والبشاشة التامة حتى أن إدارة الدوانة لم تلجأنا إلى فتح الظروف السفرية وهمة سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه لا تكيف .

قال القائل :

لـــه همـــم لا منتهـــى لكبارهـــا وهمته الصغرى أجل من الـــدهر

ثم يعد ذلك امتطى سيدنا سيارته المعدة له وركبنا معه وتلته عدة سيارات من الناس الذين أتوا لمقابلته بالمطار ثم سلكنا الطريق المحكم الموصل إلى عاصمة دكار الكبرى ويبعد المطار عن هذه المدينة بنحو 10 ميلا ، وبعد سير قليل إذا نحن بأبواب محل الإقامة محفوفين بكل كرامة وسلامة ومحفوظين من كل كآبة وسآمة بعد اخترقنا في أثناء سيرنا لهذا المحل قلب مدينة دكار وشارعها العظيم ومحل نزول سيدنا رضي الله عنه الذي هيأه له أولاد السيّد الحاج مالك رحمه الله تعالى يوجد بنهج جول فيرى 23 عدا ,وجدنا في هذا المحل الراحة التامة من الأتعاب الليلية وسط الطائرة وعناء السفر والسّهر ولا تنس أنها ست ساعات في جو بين تعب وغربة وخطر . فكيف لا يطمئن الخاطر

[1] هو حفيد عمر الفوتي الذي خلفه ابنه محمد النورتال ثم حفيده سعيد النورتال في نشر الدعوة الصوفية , و كان متبحرا في العلم , توفي عام 1980 .

ويستقر وسيدنا من هذه الساعة يعتبر ضيف أولاد الحاج مالك والسيد الحاج سعيد التورتال وجاء في الوفود السودانية السّاكنة في عاصمة دكار تسلم على حضرة سيدنا وتبركت بطلعته الزكية أما أمر المؤونة فقد كلف أولاد الحاج مالك السيد إدريس قنون الفاسي الذي طالما سكن هذه العاصمة وله عائلة كلف بهذه المسؤولية نظرا لما له من المعرفة بما يناسبنا من الأكل لكونه من الفاسيين الذين يجيدون أمر الطبخ ، وهو من التجار من الكبار من إخواننا أهل فاس الموجودين بهذه العاصمة إذ من المعلوم أن المغاربة لهم العلاقة التجارية مع السوادين منذ تارخ بعيد .

- أيام الإقامة بعاصمة دكار حوت كل مجد وفخار :

وكأنني بك أيها القارئ اللّبيب والناظر النجيب تاقت نفسك إلى الإطلاع على أحوال هذا العالم الجديد من الأوطان الإفريقية التي طالما سمعت آبائك وأجدادك العابدين يتحدثون عنها ، و ينسبون إليها غرائب الأشياء حتى أنها في أنظارنا القديمة مثل الخرافات نظرا ليعد الأوطان بعضها من بعض فالوسائل النقلية في ذلك العصر الغابر في غاية الصعوبة أولا لأن الطريق غير مأمونة ثانيا الفيافي الفاصلة التي تحول بيننا وبين هؤلاء الإخوان الذين ربط بيننا وبينهم الإسلام، و كانت وسائط المعرفة بيننا وبينهم لا تعدوا مخاطبات الأقلام أو معرفة وقعت بين الركن ، والمقام أو خلال زورة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسّلام وبعدما طويت أيام القطيعة والحيلولة وجدناهم إخوانا حقا يذبون على ضيئ الإسلام كما تدب ويذدودون عن حياضه المطهرة كما نحب وجدنا العلم الإسلامي وكتاب الله العزيز قد جاس خلال تلك الدَيار حتى صارت الدروس تقرأ والآيات تتلى عندهم آناء الليل وأطراف النهار وبالغدو والآصال يواظبون على ذكر الله والإبتهال والآن بحول الله تعالى سترى الأخلاق على حد قوله تعالى خلطوا عملا ، وآخرا سيئا الآية وسترى العوائد المتباينة على حد قوله تعالى :" ويخْلُقُ مالا تعْلمُون وعلى اللهِ قصْد السّبيل " .

أقام سيدنا ابنعمر رضي الله عنه بعاصمة دكّار شهْرا ونصفا ، و هو وأتْباعه بين احترام وإكرام وإجلال وإنعام وهو كما قلنا ضيف المسلمين وكافة التجانية عموما ودار السيد الحاج مالك رحمه الله وأولاده خاصة، ولا زالت في كامل هذه المدة تفد عليه الوفود التجانية بدون انقطاع من سائر أنحاء قطر السّنغال قصر فوته نورو وطن الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه يلتمسون منه الخير ، والبركة والدُّعاء الصالح والنظر في وجهه الكريم وطلعته الزكية حتى أن المجلس العمري لا ينقص صباحا ومساءا وحتى كامل النهار ما عدا الأوقات الضرورية على عدد كبير من أصحاب سيدنا رضي الله عنه وفي غالب الأوقات الدار بأسرها حتى الصحن لا يسع الزائرين رغم الداخل، والخارج كل من الزُّوار يرمي إلى غرض يباين غرض أخيه وسيدنا في وسطهم من مذاكرة وبحث ووعظ ونصيحة وتصحيح فاسد , وكثير من هؤلاء الناس من خاصة الأصحاب إجازة سيدنا في الطريقة التجانية نظرا لما فيه من الأهلية ومنهم من فاز بالتجديد منه رجاء الفوز بسر هذا السند الأحمدي الشريف .

ولا يزال إخواننا الشناقطة أيدهم الله وإخواننا السُّودانيون يترددون عن زيارة سيدنا رضي الله عنه صباحا ومساءا وممن فكر بالإجازة من إخواننا أهل شنجيط الفاضل الأمثل حفيد الشيخ سيدنا محمد الحافظ رضي الله عنه الخليفة المشهور الذي سارت بذكره الرُّكبان في سائر الأوطان السيد محمد الطلبة أطال الله حياته ومزايا هذا الرجل العظيم كالشمس في رابعة النهار بصلاحه ، ومناثره الجميلة ومناقبه الجليلة خلد مجد البيت الحافظي في تلك الأقطار فاطلع شموسه بعد الغروب وأحيى معالمه بعدما اعتراها من خطوب ولعمري أنه لرجل كريم وشهم وغيورعظيم

وليس يصح في الأذهان شـــيئ إذا احتاج النهـــار إلـــى دليـــل[1]

ومزايا هذا السيد تضيق عنها الصحائف والوقت عن استقصائها غير مساعف وممن فاز أيضا بالإجازة من علماء شنجيط العالم العلاّمة الشيخ محمد المختار العلوي الشنجيطي[2]ضعيف الرمة قوي العزم والهمّة الذي مدح سيدنا رضي الله عنه بقصيدة بليغة كادت أن تكون من المعلقات أو الحوليات لولا فوات تلك الأوقات ومطلع هذه القصيدة :

قـــف بالأشـــم الســـيد المحمـــود سـعيا لـــرب واحـــد معبـــود
وسلالة الفيض الذي عم الـــورى يتحلـــب مـــن صـــدف منضـــود
هم سرسر الكائنـــات وروحهـــا وضياءها في الحالكـــات الســـود
وعجابهـــا وعيلهـــا وربابهـــا ومرائهـــا للحـــاتم المفتـــود
ولســـانها وخيانهـــا وخيانهـــا وأمانهـــا للجـــارم المـــزءود
وقراءتهـــا وضـــبائها وحمائهـــا ودعائهـــا للمقصـــد المحمـــود
يا أيّهـــا العـــدّ المعـــين نميـــره والمشـــفى مـــن ورد بـــورود
هـــذا رفـــيقكم المريـــد ببـــاكم فارضـــوه مـــنكم حاليـــا مزيـــد
لا تســـلموه وإن تكثـــر عـــبس فعســـاه يوســـم مـــنكم يرشـــد[3]

وله أيضا في تلك الدوحة النبوية المباركة الدينية السنية :

---

[1] البيت للمتنبي من قصيدة مطلعها : أتيت بمنطق العرب الأصيل , انظر المتنبي , ديوان المتنبي , ص 263 .

[2] محمد الحافظ الشنجيطي (ت 1829) شاعر صوفي من آثاره الحركة الصوفية و أثرها في أدب الصحراء المغربية , انظر محمد بن سيدي عبد الله القاضي العلوي الشنقيطي , نفحة المنان في تأييد اعتقاد الإخوان , مخطوط رقم 2946, الخزانة العامة , الرباط .

[3] المصدر السابق , ص 243.

سلم علـــى ســـلالة المصـــطفى ... تسليم من فـــي وده قـــد صـــفا

ولا تكن عـــن وصـــفه غـــافلا ... فمثلـــــه أجـــدران يوصـــــفا

فإنـــه مـــن معشـــر قـــد بنـــوا ... من سامى العلى بنـــا محصـــفا

فكلهـــم فـــوق الـــورى رئيـــة ... من فوق فئـــة الـــورى أشـــرفا

إن تطلـــب العلـــم لهـــم بابـــه ... إتطلـــب الخيـــر فلـــن تخلفـــا

أو تطلب اللؤلـــؤ مـــن زاخـــر ... فلما خزن عد الحصا والصّـــفا

والله أدعـــــو راغبـــــا واهيـــــا ... دعـــاء عبْـــدي الـــدعا الحفـــا

يخبـــركم عنـــا وعـــن غيرنـــا ... خيرا ويكسوكم غـــدا رفرفـــا[1]

وفتحت عنا في أيّام الإقامة بدكار أبواب سوق عكاظ على مصراعيها وتسابقت أقلام الشعراء والأدباء من الشناجيط، والسّودانيين ومدحوا سيدنا بعدة قصائد كلها محفوظة في ديوان خاص عند سيدنا واكتفينا بذكرهاتين القصيدتين بمناسبة ذكر صاحبها ولا يفوتنا أن نقول أن الحاج سعيد النورتال لا يزال دائما يتردد على سيدنا وكذلك أولاد الحاج مالك رحمه الله الحاج منصور والأديب اللّبب السيد الحاج عبد العزيز له السيد الحاج الحبيب وجاء لزيارة سيدنا رضي الله عنه الخليفة للبيت المالكي السيد الحاج بوبكر بن السيد الحاج مالك له وهو الذي تقلد أمر الخليفة بعد وفاة والده المذكور وهو أكبر إخوانه سنّا وعلما وفضلا أطال الله حياته جاء هذا الإمام وافدا على سيدنا من محل سكناه الرسمي بلدة توزان حيث يوجد ضريح المرحوم السيّد الحاج مالك المذكور لما جاء السيّد أبو بكر لزيارة سيدنا جاءه مصحوبا بإخوانه المذكورين ، ومعهم السيد الحاج سعيد النورتال أيضا فدخلوا على سيدنا بعد الإستئذان في محله الخاص وتذاكروا معه ما تذاكروا ، وأدوا واجبات زيارة بأكمل آدابها اللّائقة بالمقام سألوا سيدنا رضي الله عنه عن أحوال الزاوية

[1] المصدر السابق نفسه ,ص 245.

الماضوية تعلو وجوههم البشاشة والسرور وفي الختام سألوا من سيدنا الفاتحة حتى ظفروا بالتجارة الرابحة ورجعوا من حيث أتوا فرحين مسرورين ، وذكرني هذا المقام ونحن في هذا الكلام قول الشاعر :

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم ... وأخدمهم صادقا وأصدقهم خبرا

كم صحبة طوقت من يمنها دررا ... وصحبة أورثت من شؤمها ضررا

وشاهده كلب أهل الكهف مع ضعة ... من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا[1]

ومن ذلك الحين كلف الخليفة المذكور أنار الله مصباحه كل واحد من إخوانه الثلاثة بما يقتضي مقامه فيما يلزمهم فعله ، والمبادرة إليه من خدمة ركاب سيِّدنا رضي الله عنه جزاه الله ، وجزى إخوانه كلهم خيرا وبعد تنظيم برامج هذه المهمة وإحكام عرى هذه الخدمة فمكث بعد ذلك أياما بدكار وثم جاء يودع سيدنا مريدا الذهاب إلى توادن حيث ينتظر استقبال سيدنا مرة أخرى عندما يأتي إلى البلدة المذكورة التي زيارتها في البرامج المسطرة وخلال إقامته بدكار استدعى سيدنا إلى زيارة محله الخاص بالعاصمة المذكورة لأن أولاد السيّد الحاج مالك كل واحد له محل يخصه بعائلته ، وحشمه وخدمه زادهم الله بسطة في العلم والجسم ومن ذلك الحين بعد سفر الخليفة المذكور اشتغل السيد الحاج منصور بأمر الهدية داخل عاصمة دكار وخارجها ومهمة السيد الحاج الحبيب سه هي الإشتغال بأمور سيدنا الشخصية داخلا ، وخارجا وأما السيّد الحاج عبد العزيز فإنه بعد أيّام توجه إلى مدينة أندرسان لوي[2] حيث ينتظر سيدنا إلى مجيئه في تلك المدينة وقام بمهمة إعلام تلك النواحي وتنظيم الرحلة المستقبلية في حوض نهر السَنغال غير أن هذا السيِّد قبل مغادرة دكار استدعى سيِّدنا ورفقائه وكثيرا من الإخوان لتناول العشاء في محله

[1] الأبيات للشيخ عبد السلام جسوس الفاسي توفي عام 1121 هـ , انظر الكتاني , سلوة الأنفاس ,ص 312.

[2] تقع شمال السنغال , وتعتبرعاصمة إفريقيا العربية آنذاك .

الخاص بالعاصمة المذكورة جزاه الله خيرا وقد مرّت هذه الليلة المطرية بغاية الإنتشراح وقد أسمع سيدنا نغماته الشعرية والحالة الوزنية الأدبية بتلك الأصوات الرخيمة التي تأخذ بمجامع القلوب بارك الله فيه من سيد.

قال الشاعر :

نزف البكاء دمـــوع عينـــك فاســـتعر عينــــا لغيـــرك دمعهـــا مــــدرار

مـــن ذا يعيـــرك عينـــه تبكـــي بهـــا أرأيـــت عينـــا للبكـــاء تعـــار[1]

وقال آخر :

ومما شجاني أنها يـــوم ودعـــت تولت وماء الجفن في العـــين حـــائر

فلما أعادت مـــن بعيـــد بنظـــرة إلـــي التفاتـــا أســـلمته المحـــاجر[2]

فقد ذكرنا تلك الألحان فيمن عبر من الإخوان والبلدان فتسليت .

يقول الشاعر :

كل حـــبس يهـــون عنـــد اللّيـــالي بعد حبس الأرواح فـــي الأجســـاد[3]

وقول آخر :

فلم يبق مني الشوق غيـــر تفكـــر فلو شئت أن أبكي بكيت تفكـــرا[1]

[1] من قصيدة "غضب الحبيب" للشاعر العباسي : أبو الفضل العباس بن الأحنف , انظر العباس بن الأحنف , ديوان العباس بن الأحنف , تحقيق كرم البستاني , دار بيروت للطباعة , ص 101 .

[2] البيت لجميل بثينة , انظر جميل بن معمر العذري , ديوان جميل بثينة , تحقيق درويش الجويدي , المكتبة المصرية 2008 , ص 99.

[3] انظر الشريف الرضي , ديوان الشريف الرضي , ص 118 .

ولعمري أن من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا قال الشيخ عبد القادر الجزائري في قصيدته المشهورة وأصل هذا البيت الذي ستذكره منها لأبي العلا المعري :

والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أوبيت من الشعر[2]

ولبعض الأدباء أيضا :

ثلاثة تخلـــــــــي عـــن القلـــب الحـــــــــــزن الماء والخضرة والصّوت الحســـن[3]

ويروى عن سيدنا إبراهيم الرياحي [4] رضي الله عنه أنه قال لما سمع هذا البيت وأنا أقول :

ثلاثة تخلّي عن القلـــب الحـــزن المـــال والـــدين وصـــحة البـــدن

وقد ذكر سيدنا أن طائفة من التجانية بمجرد الانتساب وليست لهم رائحة في تلك الأحساب يقال لهم الحمايون[5] أتباع أحد السودانيين يقال له حماه الله يرون إلى ساعة التاريخ أن عدد الجوهرة في الوظيفة لا يتجاوز الإحدى عشرة مرة ، وأن الثانية عشر زائدة عندهم وتستروا في ذلك بأن رواية الإحدى عشرة رواية صحت عن سيدي الطاهر أبو طيبة

---

[1] لأبي الحسن الخصاصي الحرالي من كبار فقهاء المالكية (ت 638 هــ / 1241 م) انظر الخصاصي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي , تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي , تحقيق محمادي بن عبد السلام , منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي , الرباط 1997 .

[2] انظر الأمير عبد القادر , ديوان الأمير عبد القادر ,قصيدة البدو و الحضر .

[3] معنى البيت مأخوذ من حديث ضعيف منسوب للنبي صلى الله عليه و سلم " ثلاثة يجلين البصر : النظر إلى الخضرة و إلى الماء الجاري و إلى الوجه الحسن " و للحديث طرق كلها واهية , انظر السخاوي عبد الرحمن , المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة , دار الكتاب العربي , ص 90.

[4]سبق التعريف به .

[5] تعتبر الطريقة الحموية أحد فروع التيجانية , مؤسسها أحمد حمى الله (1885 ــ 1942 م) عاصمتها الروحية انيورودي ساحل (المنطقة الحدودية المالية الموريتانية) انظر محمد الحجوجي في نيل المراد ص 67.

التلمساني أخذها عن الشيخ رضي الله عنه ، وهم تابعون في هذا المذهب حماه الله مرجعهم الوحيد الذي كان في حياته لا يرى الصّلاة الرباعية إلا ركعتين بدعوى أنه في جهاد حتى صار من أمره ما صار و الله غير على دينه من أحدنا على حريمه حتى أفهمهم سيدنا في عدة مجالس بالأدلة ، والبراهين بأن العمل الأحمدي شرقا وغربا عند سائر التجانيين أن عدد الجوهرة في الوظيفة اثنتي عشرة مرّة لا أزيد ولا أنقص وكاتب سيدنا من دكار أهل تلمسان برسالة في القضية عناية بها ، فجاء جواب أهل تلمسان مكذبا لهذه الرواية المنسوبة لسيدي الطاهر أبو طيبة الذي هم أدرى بأحواله حتى رجع أغلب الحماوين إلى الجادة المستقيمة وقد جر هذا الخلاف إلى وقائع فضيعة وقعت من الحماويين مع إخوانهم من أهل الطريق السّديد سفكت فيها الدماء المعصومة وقتل فيها المئات من الناس والفتنة نائمة لعن موقظها ولا زال السيد الحاج سعيد النورتال في وسط هذه المعمعة في رفع معالم الحق ونصرته حتى تحصلت الحكومة الفرنسية على القبض على هذا الرجل الذي أذكى نار الفتنة ورفعته إلى فرنسا سجينا حيث مثل صبرا "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[1] حتى أننا سمعنا أنه في واقعة من الوقائع الحماوية قتل فيها أربعمئة نسمة فالطريقة التجانية بريئة كل البراءة من هؤلاء الناس وأمثالهم الذين لا يقفون عند الحدود الإلهية والأوامر الشرعية قال سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وما ترك بهذه القولة كلاما للخصم:(إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه) سببه أنه سئل رضي الله عنه أيكذب عليك قال نعم وذكره غير أن المنتقد أو المعترض يلزمه قبل الإعتراض أو الانتقاد يلزمه أن يكون محيطا بالأدلة الشرعية ، ولا ينتقد على هذه الطريقة بقول مذهب من المذاهب لأن الشريعة أوسع من مذهبه والشيخ رضي الله عنه قال فزنوه بميزان الشرع قال استغراقية ولم يقل زنوه بميزان مذهب من المذاهب فعلى العاقل اللبيب أن لا يبادر

[1] الشعراء 227 .

أو يسارع إلى الإنكار بمجرد أول رؤية فإن المسْلك وعر جعلنا الله واقفين عند الحدود الشرعية ، وجعلنا من أهل التسليم وحسن الظن بالله وسائر عبيده إنه ولي النِّعم ولا زال السيد الحاج سعيد النورتال مشتغلا بشؤون سيدنا السفرية للتنقلات المستقبلية في مختلف الأقطار الآتية حتى أتمها على أحسن الوجوه وأحكمها بارك الله فيه من خير إمام وشيخ همّام و قد اجتمع سيِّدنا الحاج إ بنعمر أيده الله بالحاكم العام الفرنسي الذي له السيطرة المطلقة على كافة افريقيا الفرنسية الغربية ، وهو مقيم بعاصمة دكار وقعت هذه الملاقاة الرسمية بقصر الحكومي بالعاصمة المذكورة والذي حضر هذا الإجتماع مع سيدنا هو الحاج سعيد النورتال ,وعاصمة دكار ميناء كبير تقع على ساحل المحيط الأتلانتكي الغربي الجنوبي بالنسبة لشمال إفريقيا، وهي أكبر مدينة تجارية في هذه الربوع وهي ذات أهمية كبرى من الناحية الحربية للحكومة الفرنسية وهي المرجع الوحيد لكافة الأقطار الإفريقية الغربية الفرنسية تتصل بالسودان الفرنسي بخط حديدي يربطها بمدينة بمكوالتي تبعد عنها 1250 كم ، وكذلك ترتبط بمدينة سان لوي ، بخط آخر حديدي يتوجه نحو شمال قطر السَّنغال على مسافة 270 كم تقريبا وبمدينة سان لوي المسماة عند أهل الوطن اندر يستقر الحاكم العام لقطر السَّنغال، ويقيم بها أيضا الحاكم العام لقطر موريتانيا فهذه المدينة حلقة وصل بين هذين الحاكمين العامين والأقطار التي تحت سلطة عاصمة دكار هي قطر السنغال وقطر موريتانيا وقطر لغني الفرنسية وقطر ساحل العاج المسمى لاكوت ديفوار وقطر لاهوك فولته وقطر الطوقو الوصاية الفرنسية و قطر الدهمي وقطر النجر الفرنسي وقطر السودان الفرنسي فهذه الأقطار بأجمعها تحت الحاكم العام المقيم بدكار وفي كل قطر من هذه الأقطار المذكورة حاكم عام فيه يخصه فحاكم دكار هو نائب الجمهورية الفرنسية في هذه الأقطار ، ونظرا لأهمية هذه المدينة من الناحية التجارية تجد كثيرا من أهل فاس يقيمون بها منذ أمد طويل حتى أن كثيرا منهم كانت مسقط رأس له و صاروا يعرفون لغة الألوف اللغة الوطنية الوحيدة في قطر

السّنغال في كامل مدة هذه الإقامة بدكار لا زال سيدنا يتردد على جوامعها ومساجدها لأداء الصّلوات وزار كثيرا من زواياها التجانية يؤتى إليه و قت الزيارة بسيارة خاصة به وبأتباعه الملازمين له وتتبعه عدة سيارات مشحونة بأصحاب الشيخ رضي الله عنه أعيان البلاد وفي غالب الأوقات يركب معه في السيّا رة السيد الحاج سعيد النور والسيد الحاج حبيب سه الذي لا ينفك عن ملازمته إلا نادرا ويصدق على هذا الشاب اللبيب قول الشاعر :

له حاجب عن كل أمــر يشــينه وليس له عن طالب العرف حاجــب[1]

فيذهب السيّدان المذكوران مع سيدنا دائما لصلاة الجمعة في الجامع الذي وقع عليه الإتفاق وركب سيدنا يسير بنظام بديع وهيئة مليكة حتى ينتهي بنا السّير إلى أبواب الجامع فيحضر سيّدنا الصلاة والخطبة وفي غالب الأوقات بعد إتمام الصّلاة يتناول السيّد الحاج سعيد النورتال الكلمة بمحضر ذلك الجمع الحافل في التّعريف بمقام سيدنا ويطيب في الثناء عليه والجمع يعلوه الوقار ، والسكينة وكذلك يقع مثل هذا الخطاب في الزوايا التجانية على اختلافها بعد تلاوة الوظيفة والهيللة يوم الجمعة، وكثيرا ما يتناول الكلمة بعد السيد سعيد النور السيد الحاج منصور سه فينسج كلامه على النمط السّابق وتراهما دائما يقدمان التعرض إلى اتصال نسب سيّدنا بجده سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه الذي لولاه لما بلغ أحدنا مناه جزاه الله عنا أفضل ما يجازي به شيخ عن أهل طريقته بارك الله فيهم جميعا وأنزل عنهم نعمه الظاهرة ، والباطنة لأن هؤلاء الناس أعني أولاد الحاج مالك والسيد الحاج سعيد النور صاحب الطلعة الزكية والشيبة المنورة هو سراة وساحة البلاد زادهم الله حرمة و شرفا وكيف لا ، وهم علماء هذه الأوطان المحققون وقد صلى

---

[1] البيت نسبه العسكري لأبي الطمحان مولى بن أبي السمط , انظر أبا الهلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري (ت 395 هــ),ديوان المعاني ,دار الجيل بيروت , ج 1 , ص 23.

سيدنا مرة بجامع المدينة الذي أسسه السيّد الحاج مالك رحمه الله في حياته ولا تسأل عن الازدحام الذي وقع على سيدنا في ذلك اليوم، فإنه لولا لطف الله والحراسة الشرطية لماتت أنفس وما بلغنا السيارة للرجوع إلى المحل إلا بشق الأنفس ، ويخرج سيدنا رضي الله عنه من هذه الإقامة في العشية في السيارة التي يأتي فيما السيد الحاج الحبيب للفسح وترويض النفس خارج المدينة تارة جهة البحر تارة طول الطريق الذي يتوجه إلى سان لوي حتى أننا مرة من المرات صحبنا معنا آلة الأتاي ، وخرجنا قرب البحر عشية وشربناه هناك على الطراز المغربي وزار سيدنا محل تصفية المياه الواردة إلى عاصمة دكار شاهدنا فيه تلك الآلات الميكانيكية التي لا تكاد تسمع كلام صاحبك من شدة دويها وقت العمل وإذا انضمت مجالس و فتح باب زيارته فالمترجم بين سيدنا والأصحاب السودانيين هو السيد الشاب الفاضل الحاج مختار بابوا الذي لا يفارقنا في غالب الأوقات وأظهر نشاطه البديع في سبيل خدمة سيِّدنا في كامل هذه المدة ، وتراه يسافر سيِّدنا إذا دعاه لأمر وإلا فهو يلتزم الآداب والذي كلف هذا السيّد بهذا الأمر هم أولاد الحاج مالك اختاروه نظرا لنجابته ونشاطه وكذلك في خدمة سيدنا الشاب الصّغير أندر ، والذي يتعاطى القراءة على السيد المختار بابو المذكور وكذلك ممن يتعاهد سيدنا بقضاء المآرب السيد أحمد اللّوح المكلف من طرف أبناء الحاج مالك والكل يخدم في الركاب العمري بعزم قوي وجادة مستقيمة جزاهم الله خيرا حتى صرنا من الألفة والأنس لهؤلاء الناس كأنّنا من أهل الوطن الأكبر ، ولا قلق ينوبنا ولا حزن وكذلك ممن لازم سيدنا رضي الله عنه هذه المدة السيد الفاضل العالم الأديب السيد محمد عال الشنجيطي العلوي الذي صاحب سيدنا في كافة أسفاره خارج قطر السنغال والذي هو بصدد جمع مثل هذه الرِّحلة التي سماها المبتدأ والخبر في رحلة سي ابن عمر جمعها بأمر من سيدنا حتى صار معنا لشدة الألفة كأنه شقيق في النطفة ,الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف ، وما تناكر

منها اختلف[1] وهو من جملة من مدح سيِّدنا بقصيدة بليغة محفوظة في الدّيوان ، وهو لا يزال معنا بين سيّارة وطيارة أيد الله غربتنا وغربته وجمع شملنا وشمله حتى يتصل كل منا بأقاربه وعشيرته وما أحسن قول الشّاعر :

بكـــرا صـــاحبي قبـــل الهجيـــر إن ذاك النجـــاح فـــي التبكيـــر[2]

وفي كامل مدة إقامتنا بدكار ولا يزال السيد الحاج إبراهيم النياصي يرد على سيِّدنا لزيارته قادما من كولخ رغم بعد المسافة مما يدل على صدق محبة ، وصفاء طويله وهو يود من سيدنا النزول عنده عند قدومه إلى كولخ وقد أعطاه سيدنا الكلمة وقد بعث برسالة لسيدنا رضي الله عنه تبرهن على فرحه بهذه الزيارة الميمونة وردت على سيدنا ،وهو لا زال بمدينة الرباط وقد استفتحها بأبيات تدل على صميم تلك النيات وهذا السيّد من كبار علماء الوطن وعظماء تلك الديار التي تشد لهم الرحال ، وله عدة مؤلفات تدل على تضلعه في العلوم كما هو معروف بين العام ، والخاص زاده الله شرفا ونبلا وكذلك ممن يسره على زيارة سيِّدنا بدون انقطاع السيِّد الحاج عمر كان تلميذ الحاج ابراهيم المذكور وغير هؤلاء ممن لا يحصون عدة ولا تنس فضيلة السيد إبراهيم اتياق الذي نحن بداره لما قام به من الحفاوة والإكرام وتلك الأخلاق الكريمة منه ، ومن زوجته التي قامت بالخدمة اللاّئقة به من أمرغسل الثياب حتى كان الإنسان في محله وليس عنده اغتراب جزاهما الله خيرا ووقاهما خيرا .

ومن بين المشاكل التي وجدها سيِّدنا بالأقطار السّنغالية و السُّودانية خصوصا في قطر موريتانية أن بعض الناس من مقدمين القادرية يدعون إعطاء الطريقة التجانية ويزعمون أن لهم الإذن في ذلك كذبا وزورا كما قال القائل :

---

[1] حديث شريف أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء , باب الأرواح جنود مجندة .

[2] البيت لبشار بن برد , انظر بشار بن برد , الديوان , ص 310.

وكل منهم يدعى وصــــلا ســـلمي وســــــلمى لا تقــــر بـــــذاك[1]

ويلقنون الناس الطريقة التجانية جمعا لها مع القادرية فاعتنى سيدنا بهذه المسألة ودرأ هذه المفسدة فأمر العلامة السيد محمد عال في جمع رسالة في الرد عنهم سمّاها . وكذلك أمر العبد الحقير بجعل تقييد في نفس هذا الموضوع فجعلناه وله الحمد فجاء كالسيف الماضي من صنع أبناء عين ماضي وكل ذلك من بركة سيدنا الشيخ رضي الله عنه إذ همته الكبرى هي اللّسان ، ونظرته السامية هي البنان وتصرفه المطلق هو السّهم المصيب في الجنان ، وسبب هذا الإدّعاء غنما هو تحت سلطان طلب الربانية والحسد يصدق عليهم قول القائل :

ونهج سبيلي واضح لمن اهتـــدى ولكنها الأهواء عمـــت فأعمـــت[2]

وقول آخر:

ولو أن كل كلب عوى ألقمته حجـــرا لأ صبح الصّخر مثقالا بـــدينار[3]

[1] نسبه ابن تيمية للمجنون في مجمع الفتاوى 4 / 71 , و نسب لابي العتاهية في مجمع الأمثال و الحكم , أما في ديوان الصبابة ذكر دون نسبة , انظر أحمد بن عبد الحليم بن تيمية , مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية , تحقيق أنور الباز و عامر الجزار , الناشر دار الوفاء ط 3 ,2005 .وأحمد قبش , مجمع الحكم و الأمثال في الشعر العربي , الناشر , دار الرشيد ط 2 , 1403 هـــ.و شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (ت 776 هـــ) ديوان الصبابة , مكتبة ابن سينا للنشر و التوزيع .

[2] البيت لابن الفارض , انظر عمر بن علي بن مرشد الملقب بشرف الدين بن الفارض , ديوان ابن الفارض , شرحه و ضبط نصوصه عمر فارقو الطباع , دار القلم بيروت , ص 137.

[3] البيت لعلي الغراب الصفاقسي أبو الحسن (ت 1183 هـــ / 1767 م), شاعر عالم بفقه المالكية , له مقامات أدبية و ديوان شعر , انظر علي الغراب الصفاقسي , ديوان علي الغراب الصفاقسي , تحقيق محمد الهادي الطاهر المطوي و عمر بن سالم , الدار التونسية للنشر 1973 .

وقول الآخر :

أرى العنقـــاء تكبــــرأن تصـــــاد   فعاند مـــن تطيـــق لـــه عنـــادا[1]

وقول الآخر :

ما يبلغ الأعداء مـــن جاهــل ب   ما يبلـــغ الجاهــل مـــن نفســـه[2]

وقول الآخر :

وإن كنت مزكوما فلـــيس بلائـــق   مقالك هذا المســـك لـــيس بفـــائح[3]

وقد ا ستدعى سيِّدنا أمير دكار السّوداني السيِّد الحاج ابراهيم جوب بن يوسف استدعاه لمحله الخاص بقصد التبرك بسيدنا ، وقد ضم هذا المجلس الحافل كثيرا من الناس و المترجم بين سيِّدنا وبين هذا الأمير هو السيد محمد عال أعرب فيه صاحب المحل على سروره وفرحه الكامل برؤية سيِّدنا في محله، وأنها نعمة فاق بها أوائله وأنه ليتوقع نتائج هذه الزيارة الميمونة الكفيلة بكل خير وسعادة فأجابه سيِّدنا من طرفه بصنوف الخطاب ما أقنعه وشرح صدره بذلك الكلام المستطاب وللمناسبة المذكورة نذكر القصيدة التي جادت بها قريحة الشاعر الأديب السيِّد القاضي عبدالله بن عبدالرحمن بن السّالك ابن باب

[1] من قصيدة الشرف الرفيع لأبي العلاء المعري , انظر أبوالعلاء المعري , سقط الزند ,شرح عبد السلام هارون ,الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986 .

[2] البيت للشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس أبو الفضل الأزدي , قتل 160 هـ , انظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني , تحقيق عبد الفتاح أبي عدة , مكتبة المطبوعات الإسلامية ط 1 , 2002 .ص 210.

[3] البيت لعفيف الدين التلمساني (610 ــ 690 هـ), من قصيدة ألم تر وجه الحسن أوضح واضح ,و هو واحد من كبار المتصوفة الذين ارتحلوا من المغرب العربي إلى المشرق ,انظر عفيف الدين التلمساني , ديوان عفيف الدين التلمساني , تحقيق يوسف زيدان , دار الشرق ط 1 ,ص 88.

الشنجيطي الذي كان من جملة الحاضرين بهذا المجلس المبارك مدح بها حضرة سيدنا رضي الله عنه فقال :

الحاج إبراهيم خيــر ســار مــن طرف الكبــار بواضــح المنهــاج

فـــأراه نـــازلا فـــوق الألــــى نزلـــوا مـــن العليـــاء بالإنتـــاج

جمع الخلائق بيتــه يومــا بــه فاض الأتاي بكــل بحــر ســاج

فخليفـــة الشـــيخ التجـــاني الـــذي منه استعار الضـــوء كـــل ســـراج

وخليفـــة القطـــب الإمـــام محمـــد مصباح ليـــل المكرمـــات الـــداجي

وخليفة الشيخ الـــر ضـــى عمـــر المـــــؤمنين الكوكـــــب الوهـــــاج

والخليفة الشـــيخ المتوجـــه مالـــك مـــن نـــال منـــه تاجـــه ذو التـــاج

فأولئـــك الخلفـــا ء هـــم ســـادتنا فيهم يرى مـــا يرتجيـــه الرّاجـــي

فحـــديث رفـــع علاهـــم متـــواتر مـــا فيـــه مـــن وقـــف ولا إدراج

فبكـــل فـــرد مـــنهم و بجمعهـــم يقضي لنـــا الإلـــه جميـــع الحـــاج

صل وسلم ذو الجلال على الـــذي قـــد خـــص بالإســـراء والمعـــراج

وختم هذا المجلس بتلاوة الفاتحة من جمة سيدنا الذي دعى بخير للجميع وهذا السيّد ممن جمع بين الإمارة الإدارية والطريقة التجانية وكذلك زار سيّدنا مصحوبا بالسيد الحاج سعيد التور والعبد الفقير محل الشيخ بمدينة دكار الذي وجدناه في حالة مرض ملازما للفراش فجلس سيدنا بقربه وصار يحادثه ويسأله عن حالته الصحية يبعث الله نشاطا في ذلك المريض وصار يثنى غاية الثناء على حضرة سيدنا وينوه بزيارته لهذه الديار السّودانية وقال إن هذه الزيارة توثيق بعدي الأمة الإسلامية جمعا وربط محكم بين الجنس الأبيض والأسود تفوه هذا السيّد بهذه الكلمات رغم استلاء الضعف عليه هو حالة ألقائها يرتعش إظهارا للحماسة والشهامة والذي يترجم بين سيدنا وهذا الرجل هو

السيد الحاج سعيد النورتال فاجاب سيدنا باطفائه لهيب جمرة الاشتياق ، ونفى عنه كل تحد ورجعنا إلى المأوى المعلوم وزار سيِّدنا في خلال هذه المدة بيتا للحيوانات المتوحشة عشية وبصحبته السيد محمد الطلبة العلوي الشنجيطي والسيد الحاج الحبيب سه، و العبد الفقير فرأينا ما رأينا من عجائب المخلوقات وكذلك زار سيدنا رسميا محل الآثار الخلقية لأنواع هياكل الحيوانات وجماجمها المحفوظة والحشرات على اختلافها ، وتباين أشكالها وألوانها وصاحب هذه الإدارة بنفسه يشرح لسيدنا متون هذه الأشياء ، و يدخله البيوت بيتا بيتا فشاهدنا ما شاهدنا من الغرائب والعجائب صنع الذي أتقن كل شيئ وكان معنا في هذه الزيارة السيد ألبير الذي له الليل الطويل في فن التصوير للمناظر العامة والخاصة ويسمى هذا المتحف بالفرنسوية le lifand ووجدنا في هذا المحل الرسوم الدولية التي قررت رفع الإسترقاق كفرنسا وانجلترا وغيرهما من الدول العالمية ، وبه عقود لبعض ملوك العرب بالخط العربي مفادها عدم رضاهم بهذا المشروع الإجتماعي حماية للحق الشرعي الذي يرمي إلى وجود أمر الإسترقاق غير أن الشريعة الإسلامية قد تشوقت كثيرا لحرية النفوس حتى جعلت على الرقيق نوعا من أنواع الكفارات كما هو معلوم ومذكور في كتاب الله تعالى وأمّا الدول الأجنبية لما جعلت سلطان الإسترقاق قصده بذلك فتح باب الإستعمار حتى يقع إسترقاق الحر فضلا عن العبد و سترت عن ذلك بقرار رفع الإ سترقاق ويصدق على هذه الدول الأجنبية فعل ذو الرمة :

على وجه مني مسحة من ملامحـــة وتحت الثياب العار لو كان باديـــا[1]

قال الله تعالى في سورة المجادلة في كفارة الظهار " والّذين يظهرُون مِنْ نِسائِهِمْ ثم يعُودُون لما قالُوا فتحْرِيرُ رقبةِ مِنْ قبل أنْ يتماسا "[2] ومن المعلوم عند الفقهاء أن أنواع

---

[1] ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوي (77 ــ 117 هــ) انظر غيلان بن عقبة التميمي , ديوان ذي الرمة , تحقيق أحمد حسن بسج , دار الكتب العلمية ط 1 , 1995 , ص 110.

[2] المجادلة 03 .

كفارة الظهار على الترتيب لا على التخيير ، فعتق الرقبة هو أول أنواعها الثلاثة كما في الآية الشريفة ومن بين أنواع كفارة الصيّام التي على التخييرعتق الرقبة المسلمة السّليمة من العيوب كاملة الرق وكذلك من نوعي كفارة قتل الخطأ في باب الجنايات عتق الرقبة بشروطها فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قال الله تعالى :" وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلاّ خطئا ومنْ قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله "[1]

فلولا أن الشارع منسوب إلى الحر ية لما فرض هذه الأحكام على العباد . ومن جملة الأماكن التي زارها سيدنا ترويضا للفكر وتنشيطا لمادة الذكر بستانا للسيد الحاج الحبيب الموجود خارج بلدة دكّار بعدة أميال ذهبنا إليه قبيل الغروب وزار سيِّدنا أيضا بموجب الإستدعاء الحثيث محل السيد الحاج سعيد النورتال يقصد التبرك بشخصية سيِّدنا فيه من الحفاوة ، والإكرام من طرف السيّد المذكور وزوجته السيدة ما لا يصدر إلا من أمثالهما ومن الأماكن التي تشرفت لأقدام سيدنا ذهابه إلى محل السيّد الحاج منصور سه بالإستدعاء المذكور ذهب إلى هذا المحل مصحوبا بجم غفير ودار السيد الحاج منصور بدكار كأنها زاوية من كثرة الناس فيها ،و لا يفوتنا أن نذكر زيارة سيدنا الرسمية لقصر قنصل إنجلترا العام والشيئ بالشيئ يذكر ، فإن هذه الزيارة كانت متأخرة ولم تكن إلا في الأيام الثانوية للإقامة بدكار بعد إتمام جولات قطر السّنغال بعث القتصل المذكور ورقة الاستدعاء لحضرة سيِّدنا لتناول الآتاي عنده عشية السّاعة الخامسة في أيام عيد الفطر الأولى سنة 1367 وسنة 1948 ونحن إذ ذاك في أهبة للسفر إلى بقية الأقطار ضم هذا المجلس الحافل عدة شخصيات إسلامية بارزة في أعيان دكار التجانيين ومن أعيان المستعمرات الإنقليزية العربية بإفريقيا ، وبعض الأنكليز وضابطا عسكريا فرنسيا و في الختام تليت تحية السلام ثم بعد ذلك شايع القنصل سيِّدنا إلى أن ركب سيارته وحاشيته كذلك وزار أيضا سيدنا مصحوبا بالسيد الحاج الحبيب والعبد الحقير دكار الجديدة وهي

[1] النساء 92 .

عدة بنايات حديثة على سطح مرتفع يشرف على البحر ، وهذه البنايات معدة لأرباب السّلطة الحكومية ومديري الإدارات على النمط الحديث وهم بصدد وضع مستشفيات وكليات عليا طلبا لجودة الهواء وبعدا من الأهوية المستوية بحفوات المدينة رغم الإحتياط من الهيئة الصحية العامة ، ولما قرب الرحيل من دكار وجاءت أيام البينونة من هذه الديار واتصال سيدنا بالهدية بمحضر العظماء الكبار تعلقت همة السيِّد الحاج منصور سه بزيارة سيدنا للقرى القريبة من عاصمة دكار التي بها من الزوايا التجانية ما يثلج له الفؤاد وينشرح له الصّدر ، فقام السيد الحاج منصور بتنظيم برامج هذه الرّحلات القصيرة فنظمها أحسن نظام وأحكم أمرها أي إحكام ، وتفاوض السيد المذكور مع السيد الإمام الحاج سعيد النورتال الذي هو الموجه العام فصار سيدنا يخرج كل عشية في السيارة التي تتلوها عدة سيارات مشحونة بأهل الحاشية العمرية و يذهبون صوب النواحي المسطرة في البرنامج فيزور سيدنا كل عشية قريتين أو ثلاث قرى على ما يقتضيه الحال . والذي يخص بالذكر من الأصحاب الذين يصحبون سيدنا رضي الله عنه هم حضرة السيد الحاج سعيد النورتال السيد الحاج منصور سه والسيد أحمد اللوح والسيد مختار بابو والسيد الحاج مختار صاحب السيّارات العديدة وغير هؤلاء من أعيان التجانية وأكبر هذه القرى هي بلدة رفسك Rafsike الكائنة على ساحل المحيط والتي تبعد من دكار نحو 30 كم.ومن القرى أيضا تشارى ووكام وبوف وأنقر و أنباو وكل قرية من هذه القرى عند وصولنا إليها نجد الجامع أو الزاوية التي يكون بها الاجتماع مملوءة بالناس في انتظار الركب العمري فيجلس سيدنا وبعد السّلام عليهم ويكتنفه من جهة السيد الحاج منصور ، ومن جهة أخرى العبد الحقير بعد إتمام تحية السّلام يتناول السيّد الحاج منصور الكلمة مترجما على لسان سيدنا بما يقتضيه المقام إذ لكل مقام مقال.

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا جعل اللسان علـــى الفـــؤاد دلـــيلا[1]

فيقدم من طرف الحاضرين إمام الجامع أو الزاو ية يرحب بمقدم سيِّدنا نيابة عن القوم الذين من شدة الآداب كأنما على رؤوسهم الطير وكما قال القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلـــى الصــفا أنيس ولـــم يســمر بمكـــة ســـار[2]

ويطنب الإمام النائب عن القوم في الكلام معربا عن تمام فرحهم وسرورهم بهذه الزيارة المباركة وأنهم ليدرون قدرها وإنهم فاقوا أوائلهم بهذه المزية حيث أنهم شاهدوا بضعة الشيخ التجاني رضي الله عنه الأمر الذي لم يتحصل عليه أوائلهم ويختم هذا المجلس كغيره من المجالس بالفاتحة ثم يعقب هذه النهاية الرُّجوع إلى دكار الذي في الغالب يكون بين العشاءين ، ولا ننس أن نذكر أن سيدنا دائما في خطاباته يحرض القوم على إقامة شعائر الدين الإسلامي ، والمحافظة على أركانه الوثيقة والمحافظة على الأذكار التجانية التي التزم الإنسان عهدها إلى الممات و يحرضهم على عمارة المساجد بالصّلاة والذكر مستدلا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وتراه يطنب غاية الإطناب في أمثال هذه المواضع الهامة عملا لقوله تعالى :" وذكِّر فإِن الذِّكرى تنفع المُؤْمِنِين "[3] وهذا عمله المستمر في سائر تجولاته بأرجاء إفريقيا الغربية فرنسية أو انكليزية وكذلك بإفريقيا الإستوائية حتى أن الكلام في الكثير من المناسبات يستغرق عدة ساعات فتراه تارة يحرص على الفعل وأخرى ينذر وآونة يبشر كالطبيب الماهر يعطي

[1] البيت للأخطل , انظر غياث بن غوث بن الصلت أبو مالك الأخطل , ديوان الأخطل ,ترجمة و تحقيق مهدي نصر الدين ,دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , ص 89.

[2] البيت لمضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي من قصيدة نظمها تحسرا على مكة بعد نفي جرهم منها , انظر عبد السلام هارون , تهذيب سيرة ابن هشام , طبعة مؤسسة الرسالة , دار البحوث العلمية , الكويت , فصل جرهم و قطوراء و ماكان بينهما .

[3] الذاريات 55 .

الدواء لكل شخص، وفي كل زمان بما يناسبه وكثيرا ما يحرض الجماعة على ذكر الوظيفة التجانية صباحا ومساءا لما في ذلك من السر والبركة العاجلة والآجلة ويقول لهم أن ذكر الوظيفة أقل خواصه أمان للاقليم الذي تقرأ فيه والله على ما نقول وكيل، وليس هذا من باب التعالي في مدحه كلا والله إنما هي حكاية للواقع :

إذا اتتك مــذمتي مــن نــاقص فهي الشــهادة لــي بــأني كامــل[1]

ويصحب سيدنا في هذه الزيارات المتكررة السيد الحاج منصور بدون تخلف والسيد الحاج الحبيب والشيخ التجاني ابن عمهم والسيد أحمد اللّوج والسيد مختار بابو والسيد الحاج مختار الذي ضرب بسهم ، وأمر في هذه الزيارات كلها جزاه وجزاهم الله خيرا أجمعين وذهب سيدنا مصحوبا بالسيد الحاج الحبيب ليلة عيد الفطر لرؤية الهلال خارج مدينة دكار فذهبا في السيارة حتى ارتقيا على ربوة مرتفعة، وشاهدوا المرشد البحري الذي ترسو إلى أنواره البواخر الليلية ، ولم يرجعا إلى دكار إلا مع العشاء وبذلك تمت أيام دكار الأولى انقضت بسلام وخلفت لنا الأثر العميق في القلوب محبّة أولئك الأعلام .

أمر على الــديار ديــار ليلــى أقبــل ذا الجــدار وذا الجــدار

و ماحب الــديار شــغفن قلبــي ولكن حــبّ مــن ســكن الــديار

فبينما نحن في أخيرة هذه الإقامة حتى وافتنا الأنباء المغربية بأزعج الأخبار ألا ، وهو خبر وفاة محمد الغالي السفياني[2]رحمه الله مقدم الزاوية الكبرى بفاس والذي هو الرابع من هذه العائلة الماجدة التي طالما خدمت الركاب الأحمدي من عهد سيدنا رضي الله عنه فإن جده الأعلا هو صاحب الإفادة رضي الله عنه ووالد سي الغالي سيدي الطيب السفياني

[1] انظر أبو الطيب المتنبي , ديوان المتنبي , ص 278.

[2] توفي 1367 هـ .

سند يتصل سي العربي بن السّائح رضي الله عنه أخذ عنه في حياته ومزايا هذا الرجل لا يأتي عليها الحصر .

فـــإذا كانـــت النفـــوس كبـــارا تعبـــت فـــي مرادهـــا الاحســـام

وقال الآخر :

وما العيش إلا غمـــة وارتياحـــة ومفتـــرق بعـــد الـــدنووملتقى[1]

وقول الآخر :

كأن الليالي كـــن آلـــين حلفـــة بأن لا يرى فيهن شـــمل مؤلـــف[2]

ويصدق على هذا الرجل العظيم قول الشاعر الحكيم :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[3]

وما أجمل ذكر حكم المتنبي الشعرية في مثل هذا الموضوع وتحت ظلال هذه المناسبة فقال :

صحب الناس قبلنـــا ذا الزمـــان وعناهم مـــن شـــأنه مـــا عنانـــا

وتولـــوا بغصـــة كلهـــم منـــه وإن ســـر بعضـــهم أحيانـــا

ربما تحســـن الصـــنيع لياليـــه ولكـــن تكـــدر الإحســـانا

وكأنما لم يـــرض فينـــا بريـــب الدهر حتى أعانـــه مـــن أعانـــا

[1] انظر الشريف الرضي , ديوان الشريف الرضي , ص 74.

[2] من قصيدة وفى بمواعيد الخليط و أخلفوا للرضي , انظر المصدر السابق ,ص22.

[3] البيت لأبي نواس (145 ــ 199 هــ) انظر الحسن بن هانئ الملقب بأبي نواس , ديوان أبي نواس , ترجمة و تحقيق علي حسن فاعور , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان 2002 .

كلمـــا أنبـــت الزمـــان قنـــاة	ركب المرء فـــي القنـــاة ســـنانا
ومراد النفوس أصـــغر مـــن أن	نتعـــــادى فيـــــه وأن نتفـــــانى
غير أن الفتـــى يلاقـــي المنايـــا	كالحـــات ولا يلاقـــي الهوانـــا
ولـــو أن الحيـــاة تبقـــى لحـــي	لعــــددنا أضـــــلنا الشـــــجعانا
وإذ لم يكن مـــن المـــوت بـــد	فمن العجز أن تموت جبانا الأنفس
كل ما لم يكن من الصعب فـــي	الأنفس سهل فيها إذا هـــو كانـــا[1]

وبعد بلوغ هذا الخبر المزعج بوفا ة السيد الغالي الذي تركناه أيام الإقامة بفاس العليا في حالة مرض أرسل سيًدنا فورا ثلاثة مكاتيب موضوعها التعزية إلى الديار الفاسية أحدهم أرسله لأولاده آل بيت السفياني يعزيهم في الفقيد الذي أصبح رهين التراث وبالغ لهم في إسداء النّصيحة بإتباع سنن أسلافهم الكرام ، وثانيها إلى أصحاب زاوية سيدنا رضي الله عنه بواسطة ناظر الزاوية السيد محمد الكتاني خاطبهم بعد التعزية بما يناسب الحالة وثالثها خص بها السيد ادريس بن العابد إمام الزاوية الكبرى على صاحبها أفضل السلام والرضوان أبلغ له النصيحة وأراه السُّبل الصّحيحة في مستقبل الزاوية بعد هذا الفقيد ، وما يلزم أن يتّخذ من الأمر السّيد وقد أزعج خبر هذه الوفاة كافة الأواسط التجانية بالديار السُّودانية لما لهم من شدة التعلق بالعائلة السُّفيانية ، والذي أعلم سيدنا بهذا الخبر هو السيّد الحازم المتحلي بالمكارم الحسين الدويراني وبعد بلوغ هذا الخبر بأيام قلائل غادر سيًدنا عاصمة دكّار إلى التجول في بقية الديار.

مغادرة دكار والتوجه إلى قطر قمبيا الإنقليزية :

(على طريق بلدة كولخ) :

[1] انظر ابو الطيب المتنبي , ديوان المتنبي , ص 170.

غارد الركب العمري عاصمة دكار يوم 11 شعبان سنة 1367 بعد الزوال فركبنا القطار السّريع من محطة العاصمة السنغالية بعد أن هيأت لسيدنا ، ورفقائه إدارة السكك الحديدية عربة خاصة من الرتبة الأولى وذلك بفضل الجهود التي بذلها ذلك الفاضل السيّد سعيد النورتال ، وأعانه على هذه المهمة السيّد الحاج منصور سه وهذان الرجلان كما قدمنا غير ماهرة عليهما مدار هذه الحركات ضاعف الله لهما الأجور وأبدل سيئاتهم حسنات .

فجاء السيد الحاج سعيد النور يشايع سيّدنا، و رفقائه إلى المحطة وتلاه كثير من الأتباع التجانية جاءوا للمحطة لمثل هذا الغرض بحيث أنك لا ترى إلا القطار مكتنفا يمينا وشمالا بالناس الذين ترى وجوههم يعلوها شيئ من الأسف بسبب المفارقة وترقب الالتحاق بسيدنا الذي لا يجدون إليه سبيلا :

وليس كل ما يتمنى المرء يدركـــه تجري الرياح بما لا تشتهي الســـفن[1]

وصحب سيدنا في هذا السفر الميمون السيد الحاج منصور وأخوه السيّد الحاج الحبيب سه والسيد أحمد اللوح والشيخ التجاني ابن عم أولاد السيّد الحاج مالك و السيد المختار بابو والسيّد الحاج مختار الذي لازم سيدنا في كامل هذا السّفر رغم انشغاله التجاري ، وقد ساهم هذا السيد في هذا السفر بسيارته وغير من هؤلاء الوجهاء والأعيان الذين لم تحضرني أسماؤهم ومعنا دائرة شرطية من دوائر المحافظة لحراسة الركب العمري الأحمدي أثناء التنقلات المقبلة في كافة قطر السنغال هذه الدائرة تتركب من عدة أشخاص رئيسهمهو السيد إدريس ، وكلهم تجانيون وأعربوا على شدة فرحهم بانتسابهم إلى خدمة هذا الجانب الأحمدي ونوهوا بذلك كثيرا ويدل على إخلاصهم الجهود التي بذلوها في سبيل تحقيق رغائب هذا الوفد العظيم، وتراهم وسط الازدحام على سيّدنا من

---

[1] انظر المرجع السابق , ص 195.

طرف الأتباع كأنهم في معركة حربية يذودون عنه في سبيل تحقيق راحته فارق القطار مدينة دكار بعد أن أسمع الناس الزئير المنذر بابتداء السّير ، وبرامج هذه الأسفار المقبلة كلها أحكم نظمها السيد الحاج منصور حتى أننا لا نأتي إلى أي محطة في طريقنا إلى كولخ أو غيرها إلا ونجد أهل بلدة تلك المحطة في غاية الاستعداد لانتظار سيدنا رضي الله عنه يريدون الفوز بزيارته، ومقابلته في نفس المحطة نظرا لضيق الوقت والنظام المسطر لا يسمح بالنزول في تلك البلدة ، ولا تنس أيها القارئ أنك الآن في طريق بلدة كولخ فترى الناس في المحطة يزدحمون على مصافحة سيدنا والمترجم بين سيدنا والقوم هو السيِّد الحاج منصور ، وفي ختام الأمر يدعو لهم فترى أكف الضراعة والإبتهال مبسوطة تحت زرقة السّماء فما يثير في نفسك أخوة جديدة لهؤلاء الناس وترى المقدم يرفع هدية القوم نيابة عنهم بكل فرح وسرور قال الشاعر:

كالغيث يخلفه الربيـــع وبعضـــهم كالنار يخلفهـــا الرمـــاد المظلـــم[1]

وهكذا الأمر في سائر المحطات التي تعترضنا في الطريق بين دكار وكولخ التي تبعد نحو 220 كم عن دكار تقريبا ومن المعلوم أن كلا السيِّدين الحاج سعيد النور والحاج منصور قد أبرق للسيد الحاج إبراهيم أنياص إعلاما له بقدوم سيدنا إلى كولخ قبل خروجنا من دكار فجاء هذا السيّد بمقتضى الأعلام البرقي لمقابلة سيدنا قبل وصوله إلى كولخ على مسافة نحو 20 كم في محطة يقال لها قِنْقِنْبو قادما في سيّارته الممتازة بشكلها البديع التي طالما سافر فيها بين كولخ و دكار فدخل السيد المذكور القطار بعد الوقوف ، وبادر بالسّلام على سيدنا وتقبيل راحته . ثم سلّم بعد ذلك على أجزاء تلك الصفوف التي خص سلامه أولا بالسيِّد الحاج منصور في ذلك الحين قلوب القوم في تيار المنافسات

[1] انظر الشريف الرضي , ديوان الشريف الرضي , ص 320.

واللاعين في دور المدارات لكن المستقبل سيلد ما يلد بعد العقم ، وسيظهر ما يظهر بعد الستر والكتم .

واليـــالي كمـــا علمـــت حبـــالى   مقربـــات يلـــدن كـــل عجيـــب

وقول الشاعر :

هو الـــدهر لـــيس ينفـــك ينجـــو   بالمصاب العظيم نحـــو العظـــيم[1]

ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر حكم بشاربن برد .

إذا كنـــت فـــي كـــل الأمـــور معاتبـــا   صديقك لـــم تلـــق الـــذي لاتعاتبـــه

فعش واحـــدا أو صـــل أخـــاك فإنـــه   مفـــارق ذنـــب مـــرة ومجانبـــه

إذا أنت لم تشرب مرارا علـــى القـــذى   ظمئت وأي الناس تصـــفو مشـــاربه

من ذا الذي ترضـــى ســـجاياه كلهـــا   كفى المرء نـــبلا أن تعـــد معاتبـــه[2]

وبعد حصة قليلة وصلنا إلى محطة كولخ حيث نجد المحطة معمورة بآلاف الناس ينتظرون قدوم سيّدنا بفارغ صبر فترى السّكة الحديدية مكتنفة يمينا وشمالا فهذه الوفود وهؤلاء الناس منقسمون على شقين أتباع أولاد السيّد الحاج مالك تحت أمر الحاج منصور وهم في انتظاره و أتباع السيّد الحاج إبراهيم انياص، وهم في انتظاهر و أتباع الحاج إبراهيم انياص وهم أيضا في إنتظاره كما سبق ذكر ذلك فكل واحد من الشقين يسعى بجهود جبارة إلى الإختصاص باقامة سيّدنا عنده في كولخ حتى جرى بين الفريقين ما جرى واتسع بينهما ميدان الخلاف والنزاع بصفة لا تعهد كل لا يرضى بالتنازل عن

---

[1] البيت لأحمد بن عبد الله بن غالب ابن زيدون المخزومي (394 ــ 463 هــ)انظر أحمد بن عبد الله بن زيدون , ديوان ابن زيدون , تحقيق يوسف فرحات , دار الكتاب العربي ط 2 , 1994 .

[2] انظر بشار بن برد , ديوان بشار بن برد , ص 105.

غرضه واشتدت عوامل الخصومة حتى داخل القطار وصار القطار يشبه السوق من ارتفاع الأصوات ، وشدة اللّجاج وإشتدت المناقشة خصوصا بين السيد الحاج منصور والسيد الحاج ابراهيم أنياص وسيِّدنا يسعى بكل الجهود إلى فتح باب المفاهمة بين الرجلين ولكن كل متمسك بزمام رأيه ولا يسمح بحال أن يتنازل لأخيه حتى كادت تقع حوادث دامية بين الفريقين لولا لطف الله تعالى بنا وبهم حتى أفضى الأمر إلى أن تدخل مدير المحافظة الكوميسار الذي كان في استعداد وأعوانه دائرة البوليس لمقابلة سيدنا وتنظيم هيئة النزول من الرتل دفعا للإزدحام المتوقع وتلطيفا لأمر الحوادث الجارية ، ورام المدير إطفاء هذه النّارالمتأججة فلم يحصل على طائل رغم تلك الجهود الجبارة التي بذلها حتى ذهب وترك الناس على ما هم عليه فتحركت رياح العناية الإلهية لفصل القضية ، وانقشعت سحب الأمور المقضية فنزل سيدنا ومن معه من القطار وذهب به في سيارة خاصة حيث يود فريقي أولاد السيد الحاج مالك صحبة السيد الحاج منصور غير أن محل النزول في حقيقة الأمر ليس هو تحت تصرف أولاد الحاج مالك بل هو من علائق الحكومة أحضرته حكومة كولخ بنزول سيِّدنا فيه حسما لباب الشقاق الذي توقعته واستمرت إقامة سيدنا به . إلى أن فارق كولخ فصارت الوفود ترد عليه إبتغاء البركة والتمتع بطلعته الزكيّة وترى الزائرين لا ينقطعون على أبواب سيدنا كامل النهار مدة الإقامة بكولخ رجالا ، ونساءا وصبيانا ولا ننسى أن نذكر زيارة السيدين الفاضلين العالمين السيّدين السيد الحاج ابراهيم انياص وأخيه الكبير السيد الحاج محمد الخليفة رعاهما الله برعايته وكانت هذه الزيارة الميمونة في اليوم الثاني من مقدم سيِّدنا على كولخ وذلك مما يدل على ألمعية ، ونجابة هذا السيد الشيخ الحاج إبراهيم أنياص رغم الوقائع الماضية وتذاكر السيدان مع سيدنا مختلف المسائل المتعلقة بفقه الطريقة التجانية ووعده سيدنا رضي الله عنه وعدا صادقا بزيارة محله كما يريد ويبتغي ذلك المحل الذي طالما هيأه لقبول سيدنا فيه ، فكان الأمر كما قال والكلمة الذهبية تبرز من أفواه الرجال

فقام السيّد الحاج إبراهيم تمام فرحهم بسيدنا بهيئة حسنة وود أن يقيم سيدنا بأرجاء داره عدة أيام فوعده سيدنا وعدا ثانويا بأنه سيعود إليه، وأظهر السيِّد الحاج إبراهيم في هذه الزيارة العمرية جميع شواهد الإخلاص وطالما تحادث معه ومع أخيه الكبير العالم العلامة ذالكم التحرير وأظهر أيضا اتباع السيِّد الحاج ابراهيم تمام فرحهم بسيدنا بهيئة لا تنسى، ولا زالت المخيلة تحفظها جزاهم الله خيرووقاهم شرا وأبلغ السيِّد الحاج إبراهيم لسيدنا هديته التي لا يبذلها إلا أمثاله من الكرام ودام مقام سيدنا في داره من زوال ذلك اليوم إلى منتصف الليل وزار سيدنا أيضا جامع كولخ الذي يتقلد إمامته السيّد أحمد التجاني كن وإنه لفصيح وصاحب علم صحيح ، وهو من أتباع أولاد السيّد الحاج مالك رحمه الله فصلينا بهذا الجامع صلاة الجمعة وزار سيدنا مدة هذه الإقامة دار السيد عثمان كن وكذلك دار السيّد أخ الحاج ابراهيم انياص وعدة دور من أعيان البلدة بالاستدعاء الحثيث مصحوبا في هذه الزيارات كلها بالسيّد الحاج منصور وبقية الأتباع وكذلك إلتقى بحاكم بلدة كولخ الكماندان الفرنسي الذي استدعاه إلى محله جرت بينهما محادثة في أحوال السّفر وذكر هذا الحاكم أنه ولد ببلدة عنابة من الجزائر واجتمع سيدنا بالكثير من الفاسيين التجار بالبلدة المذكورة الذين قاموا بدورهم بالطبخ لأنهم يجيدون صنعه ، وقبل مغادرة كولخ بيومين تقدمنا السيّد الحاج الحبيب سه بأمر من أخيه إلى بلدة ينجون بقمبيا ليعلم الناس بقدوم سيِّدنا الذي طالما هم في انتظاره .

الذهاب إلى بنجون سفر ميمون :

بنجون علم على عاصمة قطر قمبيا المستعمرة الإنقليزية التي هي في الحقيقة قطعة من قطر السَّنغال ولا يخفاك مكائد الاستعماريين في المسابقة في هذا الميدان إذ التاريخ العابر قد أضاء دياجى هذه المقاصد التي ترمي إليها الدول الإستعمارية حتى إن هذه القطعة يقال لها السعانيين[1] La lyne gombie وهو علم مركب منجى و عاصمة هذه

[1] السعانين كذلك عيد من أعياد المسيحيين في هذا القطر و أهم طقوسه فرش القمصان و مسك الأغصان .

القطر يقال لها باللغة الأجنبية باترنس Bathurst فما مضى يومان من ذهاب السيد الحاج الحبيب سه فارق سيدنا رضي الله عنه الديار الكولخية يوم 18 من شعبان تقريبا سنة 1367 على الساعة التاسعة صباحا قاصدا بنجون التي سيصلها بحول الله تعالى في يومه مصحوبا بحاشيته المرضية مررنا كامل الطريق على عدة قرى كانت على علمبهذه الزيارة الميمونة فما من قرية نحل بأطرافها إلا ونجد أهلها في استعداد لمقابلة سيدنا بسوادهم العظيم الذي يحوي الميئس من الأنفس ، ولا تسأل عن الازدحام فتكاد سيارة سيدنا لا تظهر من شدة القدام و الغمام من غبار الأرجل رغم ضوء النهار فيختم الخطاب والقائم بأمر الحراسة هو الجند المنصور الذي أميره ، والرئيس الفاضل السيِّد ادريس ثم في الختام تسير السيّارة العمرية التي هي بكل خير وحرية وتتلوها الأخوات بإسماع تلك النغمات كأنها تقول إلى الأمام إلى الأمام نحو الحياة !

وأعظم هذه القرى الجديرة بالذكر والثناء وجزيل الشكر قرية سوكون Sokone التي تناول فيها سيِّدنا وأتباعه الغداء على ما اقتضته البرامج المنصورية وكانت هذه الراحة في دار الإستراحة ، وهو محل إمام القرية وعالمها الفضيل السيد الوحيد الذي أعلمه السيد الحاج منصور برقيا بمقدم سيدنا عليه وثواؤه لديه فوجدناه قد قام بواجبه أحسن قيام و أحضر الفرش وجميع وسائل المقام لله دره من خير إمام وقد ذكر سيدنا أنه بصدد تأليف كتاب في التفسير وأراه بعض الكراريس التي كتبها ، وسأل من سيِّدنا الدعاء لإتمام ما هو بصدد جمعه وجدنا هذا السيِّد ومعه جم غفير من أهل البلاد في انتظار الركب العمري الميمون ووقعت الزيارة والمقابلة الرسمية في حمى داره بعد إتمام الغداء فترى الناس ترد على سيدنا أفواجا أفواجا لقصد البركة ،و لثم راحته الكريمة وطلب الدعاء والعون الشرطي قائم بالحراسة وتنظيم الزائرين وبعض الإخوان السنغاليين وهو السيّد يترنم بقصيدة سي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه السينية التي في مدح سيِّدنا رضي الله عنه بصوت رخيم أثار الأشواق وأحيا العظم الرّميم وترى هنا السيِّد مستمدا على هذه العادة

كلما اقتضى المقام ذلك اللحن وطرائف الكلام ثم بعد تمام الزيارة . دعا سيدنا للكافة بأدعيته الصالحة وخصوصا صاحب المحل ثم سرنا في الطريق إلى بنجون حتى إدارة المكن الديواني الفرنسي الذي هو آخر نقطة فرنسية عند الحدود بين قمبيا والسَّنغال فبادر مدير الديوانه الذي هو أحد السنغاليين إلى لثم راحة سيِّدنا وحياة التحية اللازمة ، ولم يلتمس فتح الظروف حسب ما يقتضيه القانون فيالها من ظروف وقيمة الرجال التي لا تظهر إلا في المضائق .

قال الشاعر :

يعرفــك الإخــوان كــل بنفســه   وخير أخ من عرفتــك الشــدائد

ثم دعا سيدنا لموظفي هذه الإدارة بطلب منهم ثم استمر سيرنا حتى وصلنا محل النهاية بكل سؤدد وعناية ، فانتظرنا الزّورق الذي نركبه لعاصمة باريس التي لا سبيل لدخولها إلا به لوجود البحر الفاصل بين المحل الذي وصلنا اليه والبلدة المذكورة فجيئ لسيدنا بكرسي من إدارة الديوان الإنقليزية التي قابلتنا بحفاوة ، وإكرام وما أماطت اللّثام عما تحويه ظروف الأقوام ببركة ذلك الحي الهمام فانتظرنا تحت ظلال الأشجار ونسيم لجج البحار قدر ساعة من ذلك النهار حتى أتانا الزورق الرسمي الوارد إلينا من استراحة وافد جاء حاملا نائب الحكومة العامة الإنقليزية بذلك القطر مصحوبا بالسيد الشيخ عمرفي لمقابلة سيِّدنا والشيخ في من أكابر التجانية بهذا القطر ، و له ثقافة عربية حسنة وكذلك له دراية باللغة الإنقليزية فسلما على سيدنا رضي الله عنه ، وأبلغاه التحية فتكلم النائب الإنكليزي معربا على سروره بمقدم سيِّدنا ورؤيته في الأقطار الإنقليزية ترجم هذه العبارات والشيخ عمرفي المذكور وبعد تمام هذا الخطاب ركبنا الزّورق شقيق عالم الحيتان فتراه يمخر لجج هذا البحر متوجها صوب عاصمة باترس التي نحن على أبوابها، و نحن نرى على بعد احمرار خضابها وتارة تظهر لنا بياضها تحت أشعة الشمس

وآونة أخرى سوادها بين غمام ونور قبس ولا زال الزورق بدويه المطرب يشق بناعباب ذلك البحر العميق فتذكرت أثناء هذه الساعات التي مرت كالأحلام قوله تعالى "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام "[1]وصلنا إلى عاصمة باترس حيث وجدنا الوفود على الرّصيف البحري في انتظار سيِّدنا بالسيّارات من بينهم المقدم السيِّد عثمان الجنق الذي سنده في الطريقة يتصل بالسيّد الحاج مالك سنعرض لبيان اتصال هذا السيد بسيدنا ومولانا اشيخ رضي الله عنه وكذلك وجدنا إمام جامع العاصمة مام تومانبه، وإخواننا المغاربة التجار الفاسيين أولاد بن سودة الكرام والسيد الحاج الحبيب سه سابق الذكر وغيرهم من وجهاء البلدة الذين يحصون عدة من رجال ونسوان وصبيان كأنمدينة باترس بأجمعها حلت هذا المحل وتسمع من آونة إلى أخرى النساء يزغردن فرحا بقدوم سيِّدنا ركب سيدنا في السيارة المعدة له مع سيدنا الشيخ عمرفي وتلاه الأصحاب في سيّاراتهم التي تمر على شوارع العاصمة مثل السحاب قاصدين محل النزول حيث المقام المستطاب. أيام الإقامة في بنجون التي جاءت بكل نادر من الفنون وماهي إلا ليالي مرّت علينا كالأحلام ومحل إقامة سيِّدنا كان على ساحل البحر مما زاده بهجة ونحن بين إكرام وحفاوة ونسيم ، ما يذكرنا في الإخوان والأوطان إلا نغمات الأوتار والألحان التي يبعثها إلينا حادي النسيم تسر الآذان فما تسمع إلا بحرايتكلم وأمواجا تترنم وترى عبادا في اللذات تتنعم وجدنا في هذا النزل المبارك جميع وسائل الراحة بصفة منظمة محكمة غاية الإحكام وأحضر الحاكم العام لسيِّدنا سيارة تخصه لتنقلاته في العاصمة مدة إقامته هناك ولم يفتر الشيخ عمرفي، والمغاربة على التردد بأبواب سيِّدنا لزيارته صباحا ومساءا بل حتى في الأوقات الليلية بدون تخلف البتة حتى عن محل الإقامة تراه من كثرة سيارات الزائرين كأنه قصر ملكي أو ولاية عامة حكومية والقائم بطبخ الطّعام لسيِّدنا هم الفاسيون أولاد بن سودة وترى وفود الزائرين كل النهار ترد على سيدنا لزيارته راجلين رغم بعد

---

[1] الرحمن 24.

المسافة بين العاصمة ومحل النزول استغرقت هذه الإقامة بالبلدة المذكورة نحو الأسبوع زار سيدنا في هذه المدة جامع البلد الذي أدّى فيه فريضة الجمعة وتلاه موكب بهيج ومحفل عديم النظير تناول الكلمة في الجامع بعد الصلاة والخطبة السيد الحاج منصور سه فيها تتعلق بشخصية سيدنا كما هي عادته بين إطناب وإسهاب في محافل الإخوان والأحبابثم تلاه خطاب الشيخ عمرفي قال فيه ما قال من عبارات الثناء على سيدنا مما بعث في نفوس الحاضرين الإعجاب بقوة وشهامة لا يتصورهما إلا من كان أمامه و أطنب كأخيه غاية الإطناب وأجاد في ذلك الكلام المستطاب والجامع معمور بالخلائق فتصور مقدار تلك الحصص والدقائق وأمام هذا الجامع الذي تقدم ذكره رجل صالح تظهرعليه مخايل الفضل وملامح الصلاح بارك الله فيه ، وفي أمثاله من المسلمين ولايزال هذا السيد يتردد على زيارة سيدنا مدة هذه الإقامة بدون ضجر ، ولا سآمة رغم الطعن في السّن فلله دره من محسن زار سيِّدنا أيضا قصد الولاية العامة لقطر قمبيا باستدعاء من الحاكم العام عن طريق الشيخ عمرفي وقعت زيارة هذا القصر مرتين وتحادثا أعني الحاكم العام وسيدنا حصة فيما يتعلق بأمور السّفر الماضية ، والمقبلة أظهر في هذه المحادثة و للمسلمين وقال أن الإسلام الدين الصّحيح يشهد لهذا طول عهده بدون انقطاع والمترجم بين سيدنا والحاكم هو الشيخ عمرفي باللغة الإنجليزية التي مر لنا أنه يحسنها تناول سيدنا في هذا المجلس الرسمي الآتاي وكذلك من معه من الحاشية الميمونة التي هي بحفظ الله مأمونة وتناولنا شيئا من الحلويات وكتب سيدنا اسمه في الدفتر الذهبي وتلاه أصحابه تخليدا لهذه الزيارة الأمر الذي جرت به العوائد في الرسميات وزار سيدنا أيضا مدة إقامته دار الشيخ عمرفي لتناول شرب الآتاي هو و أصحابه الكرام ، وأخذت صورة عامة ضمن دار ذلك الإمام الشيخ لسيدنا وحاشيته رغبة من صاحب المحل تخليد لذكرى هذه الأيّام وزار سيدنا أيضا بحكم الإستدعاء محل أولاد بن سودة الكرام لتناول الآتاي ، وهذه الاستدعاءات كلها لا تكون إلا عشية نظرا لكون الوقت

وقت حرارة زار أيضا سيدنا دار السيد المقدم عثمان نائب أولاد الحاج مالك في هذه الديار حيث يقيم سيدنا الحاج منصور تجول سيدنا في البلاد قليلا ، وبعد ذلك زار بعض القرى القريبة من العاصمة إستغرقت هذه الزيارة يوما واحدا ونحن بين ترحيب وحفاوة وإكرام وإسعاف وسط الآلاف من إخواننا أهل المودة ، والائتلاف وحاشيته سيدنا معه في كل تنقلاته والكرامة المستمرة ومعه أيضا الشيخ عمرفي و الغريب أننا وجدنا قرية من القرى في حاجة إلى المطر بالتوسل فالتمسوا من سيدنا الدعاء لهم بنزول الأمطار فما برحنا تبك الأوكار حتى جادت السّماء بمعيتها كالمدرار أن رحمة الله قريبة من المحسنين ذلك بفضل الله ففضله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم وكذلك زار سيِّدنا بحكم الإستدعاء القنصلية الفرنسية بباريس حيث تناول هو وحاشيته المونادا فرحب بقدومه القنصل الفرنسي وهذا القنصل يتقن لغته جيدا أي لغة الألوق السنغالية فإنه تكلم بما مع السيد الحاج منصور ثم بعد يومين أرجع القنصل هذه الزيارة واتى لسيدنا في محله على ما تقتضيه آداب الزيارات لذوي الهيئات وأخبره إنه على علم من قدومه وهكذا تمت أيام ينجون بين زيارة ومجلس ميمون ، ولا تسأل عن يوم المغادرة فما وقع فيه من الأهوال وما مضت ساعات الرّحيل فيه من نساء وصبيان حتى انك لا تجد شيئا على الرصيف البحري لا تشمله شخصية بشرية ركب سيدنا بعد الوداع الزورق مرة ثانية عائدا إلى بلدة كولخ فدخل الموكب العمري بلدة كولخ بعد مدة زمنية من السير في السيارات التي تركت تحت مراقبة هيئة الدوانة ولا ننسى أن الأديب الشيخ عمر في ركب معه مرة ثانية في الزورق يشابه بعض الشخصيات البارزة ، فدخل سيدنا بلدة كولخ قبل العصر فأقام إقامة قصيرة إستغرقت ثلاثة أيام إجتمع فيها بأصحابه مرة ثانية ثم على الساعة الرابعة وتصف ركنتا القطار صباحا من محطة كولخ متوجهين صوب بلدة توزان حيث يقيم الخليفة (السيد أبو بكر) بن سيد الحاج مالك سه اكبر أولاد العائلة فدخلنا نواون حيث يقيم الخليفة صباح ذلك اليوم على الساعة الحادية عشر بعد مامررنا

على عدة محطات تقابل سيدنا نافيها بعدة شخصيات ومن هذه المحطات محطة تيس TES الكبرى التي هي عقد مجمع السكك الحديدية الغربية في عاصمة تكارو تواون .

زيارة تواون أسفرت بالخير تعاون

وصل القطار يحمل الموكب العمري الذي محطه بلدة تواون لا يحصون عددا ينتظرون قدوم سيدنا أيده الله ومعه الحاج منصور، وبقية الأتباع فبمجرد نزول سيدنامن القطار حياه ذلكم الجمهور العظيم والسّواد الكريم ، وبعد ذلك ركب سيّدنا سيارة خاصة به وتلاه الأصحاب في عدة سيّارات حتى انتهينا إلى أبواب المحل الذي هيأه السيد الخليفة أبو بكر سه و لعمري أنه لمحل عظيم عديم المثل ، والنظير مقصوراته المؤثثة تحت ظلال الأشجار ونحن فيها على الأسرة متكئون لا نرى الشمس طول النهار وفي كل بيت من بيوته جهة تخص بالصلاة لمن أراد الخلوة في وقت تلك المناجاة، وله موتوركهربائي لتوليد الأنوار الليلية مما زاده بهجة ومزية وكانت الإقامة في تولون خفيفة أقمنا فيها يومين أو ثلاثة ونحن بين كرم واستراحة تأتي الناس لزيارة سيدنا صباحا ومساءا بدون تخلف ولا زال السيّد أبو بكر المذكور يتردد على زيارة سيّدنا رضي الله عنه مدة هذه الإقامة التي ما فيها كآبة ولا سآمة وقد استهل علينا شهر رمضان المعظم ونحن بماكاون وكان ذلك يوم 7 جويلية 1948 وقد استهل الشهر المبارك ليلة الخميس من اليوم الذي سلف ذكره فشرعنا في الصّيام ونحن لا زلنا بها زرنا أثناء هذه المدة ضريح السيّد الحاج مالك رحمه الله دفين هذه البلدة المباركة وصحب سيدنا في هذه الزيارة الميمونة ولده (الخليفة المذكور وبقية الأتباع ولعمري لانه ضريح عظيم ، وبعد إتمام هذه الزيارة استدعى الخليفة المذكور سيّدنا لزيارة محله الخاص ونحن لا يخفى عن القارئ أننا في رمضان ولذلك كانت هذه الزيارة خفيفة استغرقت بعض الدقائق وكذلك ذهب سيّدنا إلى محل الحاج منصور الذي يشكو شيئا من الألم في ذلك الوقت ومن ثمار هذه البلدة التي إمتازت بها عن غيرها جودة ثمر المنقو فإن منفو تواون يضرب به المثل .

وهذه البلدة يقصدها الوفود من جميع نواحي قطر السّنغال لزيارة ضريح السيِّد الحاج مالك وخصوصا في شهر المولد الشريف فإن يوم المولد المبارك كل سنة في تواون من أعظم المشاهد نظرا لإجتماع الجماهير السودانية في ذلك اليوم بتلك البلدة والذي يقوم بنظام ضيافة هذه الجموع هو السيِّد الخليفة المذكور يذبح فيه في صحن محل الإقامة وزار سيِّدنا جامع هذه البلدة حضر فيه لصلاة الجمعة كما هي عادته في كل بلاد من دون تخلف .

ترجمة السيد الحاج مالك سه رحمه الله تعالى :

هو الحاج مالك بن عثمان بن معاذ الطورى منشأ, الحلفي أصلا, كان من أكابر العلماء المحققين له مشاركة طيبة في جميع الفنون العلمية معقولا أو منقولا نشأ في عفة وصيانة في حجر أمه بين أخواله أهل غاية قريبة من بلدة دقنا التي على نهر السنغاأخذ الطريقة بعدما تحصل على العلوم الرسميةعن خاله الفقيه ما يزول شقيق أمه الذي أخدها عن سي عمر الفوتي رضي الله عنه ، فكان السيد الحاج مالك مأوى القاصدين لأخذ الطريقة التجانية بين طوائف السودان ، واشتهر صيته وشاع ذكره وتصدّى لبناء الزوايا التجانية في جلّ الأقطار السّودانية ، وما من قرية إلا وفيها زوايا أو زاوية تجانية على الأقل وكيف لا ومدينة دكّار وحدها بنواحيها فيها نحو مائة زاوية تجانية تذكر فيها الوظيفة صباحا ومساءا وله عدة مؤلفات علمية كلها جليلة القدر قيمة فريدة في بابها[1] .

الذهاب إلى سالوي أندر من الأمر المنتظر، غادر سيدنا بلدة تواون مصحوبا بالجماعة في القطار ما عدا السيد الحاج منصور فإنه تخلف مدة بسبب مرض اعتراه عساه من الأتعاب السفرية ثم إنه التحق بسيدنا بعد أيام قلائل إلى بلدة سان لوي التي نحن في طريقها وصلنا إلى محطة مدينة أندر بعد سير طويل إذ لا يخفاك أن المسافة شاسعة والفجاج واسعة والناس كامل الطريق بين تواون وأندر تجتمع بسيّدنا في المحطات التي

[1] من أهمها و سيلة المتقربين ألى حضرة المتين.

تعترضنا أثناء السّير والقائم بوظيفة الترجمة في هذه المدة هو السيد الحاج الحبيب وإن يفوق الحبيب المنصور إذ من المعلوم أن وصف ذلك الرجل عليه مقصور قول القائل :

وابن اللبون إذا مــالز فـــي قــرن لـــم يســتطع صـــولة البـــزل القنـــاعيس[1]

جزى الله خيرا حاضـــرا ومتخلفـــا كما يجري مقصودا بحس أخلاقه متعفــف[2]

وصلنا إلى اندر عشية قبيل الغروب من اليوم الثالث في شهر رمضان فوجدنا محطة المدينة معمورة بالشخصيات البارزة المشهورة ينتظرون قدوم سيِّدنا من أهل البلاد على اختلاف الرتب والجنسيات ، ولا ننسى أن نقول أن المكلف بتسيير نظام هذه الزيارة لهذه المدينة الجديدة التي تعتبر عاصمة ثانوية في قطر السَّنغال السيد عبد العزيز سه بن السيد الحاج مالك سه الذي كلفه أخوه الخليفة أبو بكر سه بتنظيم هذه الزيارة قبل مغادرته لعاصمة دكار ولا يزال ينظم في برامجها ، ويحكم في نظامها حتى وردنا عنه وكذلك نجد بعض إخواننا الفاسيين التجار القاطنين ببلدة اندر في إنتظار سيِّدنا في هذه المحطة نخص منهم بالذكر السيِّد محمد برادة النظير الفاسي ذلك المحب المتفاني ولا تسأل عن الازدحام الذي وقع على سيدنا كما هي العوائد بالأمور تنمو، و تتزايد نزل سيدنا من القطار فركب السيارة إلى محل النزول الذي هيأه السيّد عبد العزيز لإقامة سيدنا فيه مدة هذه الزيارة ولعمري أنه لمحل حاز من الحسن ، والجمال ما هدأت له الأفكار والآمال وهذه أقل مزايا الرجال ولم تزل الوفود تأتي لزيارة سيدنا مدة هذه الإقامة بسان لوي التي استغرقت عدة أيام نحو نصف شهر من ليال رمضان ونحن بين صديق ملاطف وخليل مساعف ونحن مقيمون في العلو نستنشق الهواء الطيب ، ونتمتع بالراحة المستمرة والمختار بابو في بيت على حدى, تحت الأوامر العمرية بين جد ، واجتهاد ونشاط لا تعتريه السّآمة ولا

[1] البيت من قصيدة حي الهدلمة من ذات المواعيس , انظر جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي , ديوان جرير , ترجمة و تحقيق مهدي ناصر الدين , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , 2009 .

[2] هذا البيت لا ينتمي لقصيدة جرير و لم أوفق في العثور على نسبته .

السّهاء ولا يزال السيِّد عبد العزيز والسيد الحاج الحبيب سه والسيّد أحمد اللوح يترددون على أبواب سيدنا رغبة في قضاء ما يحتاج من شؤونه الداخلية والخارجية والعون الشرطي من الدائرة المعلومة لا يزال واقفا يحرس باب سيِّدنا طول النهار وحصة من الليل ولا ننس تلك الآداب الفائقة من ربَّ المنزل الذي نحن فيه وتراه هو ، وعائلته كافة في استمرار لخدمة ركاب سيدنا باذلين المجهودات في تسديد الضروريات والحاجيات والكماليات والمرجع الوحيد في تسيير هذا النظام الذي هو في غاية الإحكام .هو السيد عبد العزيز ولا يزال الثناء من صاحب المحل مستمرا على شخصية سيِّدنا ورفقائه بوجودهم في محله الخاص ويعد ذلك من باب السّعادة التي فاق بها غيره من مواطنيه .

ولا ننس أيضا الجهود الجميلة التي قام بها السيِّد محمد برادة الفاسي النظير في سبيل الخدمة العمر ية فإنه ضرب بسهم وافر في سبيل تحقيق رغبات سيِّدنا من جميع النواحي سواء العملية أو الفكرية ولهذا السيِّد من مكارم الأخلاق والمحبة العميقة في سيدنا ما لا ينسى وقد استدعى سيدنا لتناول الفطور في يوم من أيّام الشهر المبارك لمحله الذي أدينا به فريضة المغرب التي أعقبها الفطار الذي حضره شخصيات فاسية بارزة من التجار وطالت المحادثات بينهم ، وبين سيدنا في مختلف الأنحاء فيما يتعلق بأحوال المغرب الأقصى قديما وحديثا الأمر الذي يلوح على وجوههم الإشتياق اليه .

وكـــل مســـافر يـــزداد شـــوقا إذا دنـــت الـــديار مـــن الـــديار[1]

حتى أنهم تعرضوا إلى الكلام على الطريق التي ستفتح في ذلك الوقت وقد تحقق أمرها الآن بين قطر السنغال وقطر المغرب الأقصى التي تشق الفيافي الموريتانية متصلة بعقد وصلها إطار[2] التي هي عاصمة موريتانيا الحالية حتى تنتهي إلى الدار البيضاء ،

---

[1] البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي (767 ــ 867 م) انظر ابن خلكان في وفياته ص 184 .

[2] تبعد عن نواكشوط 435 كلم , على هضبة آدرار , بنيت سنة 720 هــ , العاصمة آنذاك .

وطول هذه المسافة بطريق السيارات 3500 كم ثم بعد هذا الاستدعاء المغربي تلته استدعاءات أخرى من أولئك الشخصيات ولعمري أن بيوت هؤلاء الفاسيين في اندد, لنسخ من الديار الفاسية لمن عرفها نظرا لجودة التأثيث المحلي ، ووجود جميع وسائل الإستراحة الإنسانية على ما تقتضيه المدينة الحاضرة زار سيدنا في خلال هذه المدة الزوايا التجانية وعدة جوامع معمورة بالصّلوات وذكر الوظيفة صباحا ومساءا وأهل السّنغال قاطبة أهل جد و واجتهاد خصوصا التجانية الذين هم السّواد الأعظم وكم سمعنا قراءة الوظيفة في الأماكن البعيدة وصدى الذاكرين يتصاعد إلى عنان السّماء سيما ذكر الصّباح ساعة الخير والعلاج التي لمثلها يتسابق المتسابقون جاء في الحديث (من صلى الصّبح في جماعة وجلس في مصلاة يذكر الله حتى مطلع الشمس وصلى ركعتين كان له ثواب حجة وعمرة تامتين تامتين تامتين)[1]كرره النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا فينبغي للعاقل أن لا يهمل هذا الثواب العظيم غير أن أهل السّنغال يسرعون كثيرا في الوظيفة خصوصا في صلاة الفاتح والجوهرة حتى أن من لم يتعود الذكر معهم لا يستطيع أن يسايرهم في الذكر وروايتهم في الشغف والوظيفة هي نصف الحي القيوم على الإتباع وروايتنا بالمغرب هي القطع والكل صحيح من الجهة العربية قال في الخلاصة في باب النعت.

وارفع أو نصف أن قطعت مضـــمرا مبتـــدا أو ناصـــبا لـــن يظهـــرا[2]

قال العلامة الأشموني[1] رحمه الله أي لا يجوز إظهارها وهذا إذا كان النعت لمجرد مدح أو ذم أو ترحم نحو الحمد لله الحميد بالرفع بإظهار هو ,ونحو وامرأته حمالة الحطب

---

[1] رواه الترمذي عن أنس و حسنه .

[2] ألفية ابن مالك باب النعت,انظر محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي , ألفية ابن مالك في النحو و الصرف , مطبعة دار الكتب المصرية 1342

بالنصب بإضمار إذ إمّا إذا كان للتوضيح او للتخصيص، وإنه يجوز إظهارهما وكذلك اجتمع سيدنا بالحاكم العام في قصر الولاية العامة لقطر السَّنغال المقيم بهذه المدينة وهو حاكم وطني من السّودان وصحبه في هذه الزيارة الرسمية السيد عبد العزيز سه جرت بينهما محادثة استغرقت بعض الدقائق ، وكذلك إجتمع بالحاكم العام القطر موريتانية المقيم في هذه البلدة أيضا ، وهو فرنسي دامت المحادثة بينهما بعض الدقائق ولا ننس أننا في بعض العشيات نخرج مع سيِّدنا للتفسيح خارج المدينة تارة بساحل البحر وتارة في أماكن أخرى وهذه الزيارات المتكررة في سيارة يأتي بها دوما السيد عبد العزيز لسيدنا الذي تتلوه الحاشية في عدة سيارات أخرى ، ومدينة سان لوي هي شبه الجزيرة بين بحر ونهر لهذا تغلب عليها البرودة وهواؤها معتدل رطيب عندها يتصل نهر السنغال الكبير الذي منبعه من لقنى الفرنسية بالبحر المحيط الأتلانتكي والتمدن أعلق بأهلها من غيرهم من بقية بلدان السَّنغال وقبل الدخول إلى المدينة تمر على قنطرة عظيمة بديعة الشكل تخالها من بعيد بأعمدتها الحديدية السود جبلا شامخا بها ظهرت براعة الصنع الفرنسي في هذه الديار وهذا الجسر بطوله ممدود على عرض نهرالسنغال، ومن حسن الحظ أننا قضينا جانبا وافرا من شهر رمضان بهذه البلدة بين نسيم لطيف وخليل ظريف وكل صباح قبيل الفجر تسمع الصبيان يقرؤون القرآن على ما تعارفناه فيما مضى من الزمان بمحل يقرب من المحل الذي نحن فيه ثم بعد ذلك توجه سيدنا مصحوبا بالسيد عبد العزيز بعد ما وقعت الهدية إلى بلدة روسو ROSSO الكائنة على نهر السَّنغال المذكور، والتي تبعد من سان لوي على مسافة 105 كم بالسيارات وهي أول قرية من قطر موريتانية ونهر السنغال المذكور هو الحاجز الرباني بين قطري السنغال وموريتانية وصلنا عشية ومعا فيه وإجتمع سيدنا بأهلها في محل إقامته الذي هي من قبل كما هي العادة في هذه الأسفار

[1] هو علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت 900 هـ / 1495 م)نحوي فقيه متكلم من أشمون بمصر ,ولي القضاء في دمياط ,انظر علي بن عيسى الأشموني , منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك (شرح الأشموني) ,دار الكتب العلمية , بيروت لبنان , ط1 , 1998.

كلها واجتمع بحاكمها الذي رحب به غاية الترحيب بمقتضى الإعلام الذي جاءه من الحاكم الكبير وصحب سيدنا في هذا السفر إلى بلدة روسو السيِّد برادة الفاسي الذي تقدم ذكره في سان لوي غير أنه لم يواصل السفر مع سيِّدنا ورجع من روسو إلى سان لوي ثم من روسو توجه سيدنا إلى بلدة دقنه DAGANA التي وقع له بها استقبال عظيم من طرف السكان حتى ضربت فيها الطبول وتكلمت المزامير وسمعنا فيها رعود البنادق بالطلقات النارية وترى الرايات الخضر تعلو الرؤوس معمورة بالغمام ، وتسمع من آونة إلى أخرى النساء يزغردن للمشاركة باهتمام وكل ذلك تحت تأثير عوامل الفرح بمقدم سيدنا عليهم نزل سيدنا في محل هيئ له وتقابل مع حاكم البلدة الذي أهدى له كبشا للضيافة ،واستصحب سيدنا معه من بلدة روسو أحد الفاسيين التجار من أولاد برادة فبينما نحن في أ ثناء الإحتفال وسيدنا أمام السيارة إذ قام السيِّد عبد العزيز سه خطيبا في القوم يشرح لهم أمر سيِّدنا بلهجة لا تسمح بالتكاسل يحرض القوم على القيام بخدمة ركاب سيِّدنا من جميع النواحي وأطال في مدحه وأطنب وحرض القوم وأوجب عليهم ما أوجب ، ولم نذهب إلى بودور Podor إذ بيد الله تصاريف الأمور وبعد ذلك ذهب سيدنا مصحوبا بالحاشية الميمونة المباركة إلى زيارة مسقط رأس السيد الحاج مالك رحمه الله وهي قرية قاية Gaya القريبة جدا من بلدة دقنة المذكورة استغرقت هذه الزيارة بعض ساعات اجتمع سيدنا فيها بأهل البلدة غير أنني تخلفت عن هذه الزيارة بموجب تعب جسماني اعتراني فجلست في دقنة إلى أن قدم سيدنا علينا عشية فبتنا تلك الليلة في دقنه ثم صباح الغد غادر سيدنا هذه البلدة متوجها في السيّارات مع الحاشية الميمونة نحو مدينة سان لوي مرة ثانية غير أنّها في الطريق زار قصرا تاريخيا سمى باسم صاحبه دار أندركوك وشهد سيدنا ،ومن معه المجهودات الفرنسية في سبيل إحياء الأراضي القاحلة وإنشاء مساحات واسعة كالأطراف من زراعة الأرز تسقى بواسطة مجاري مائية كبرى مجلوبة من نهر السّنغال ، وقد أسفرت التجارب الحالية الأولية من محصولات هذه

الزراعات الأرزية على كمية وافرة بلغت إذ ذاك خمسمائة طن حاصلة من مساحة قدرتها 15000 هكتار وتركناهم لا يزالون يواصلون الأعمال بالوسائل الآلية الجديدة وأمل الحكومة الفرنسية في سبيل هذا بالمشروع بعيدةالمرمى، وذهب المدير الذي يرأس هذه الحركة بسيدنا في السيارة ليطلعه على المجاري المائية المذكورة المتوجهة إلى عدة نواحي وبعد تمام هذه الزيارة الاستطلاعية واصلنا المسير صوب مدينة سان لوي وفي أثناء الطريق رجع السيِّد برادة الفاسي الذي صحبنا من روسو إلى مفرة بعدما ودع سيِّدنا وسأله صالح الدعاء وبعد مدة من السير وصلنا مدينة سان لوي التي أقمنا بها مدة قصيرة ذهب أثناءها سيدنا إلى بلدة لوقة Loga التي طالما تشوق أصحابها إلى مقدم سيِّدنا بعدما وعدهم بذلك أثناء مروره لهم في طريق أندر[1] وكذلك تخلفت في هذه المدة بموجب صحّي وقد اجتمع في البلدة بابن عم السيد الحاج سعيد النورتال طه تال تحادث معه محادثة طيبة وفرح بقدوم سيدنا فرحا عظيما . ونوه بقدره كثيرا في ذاك الجمع الكبير رغم كونه مريضا وكان السيِّد عبد العزيز سه مع سيِّدنا في هذه العيادة وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في حرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما حرفة الجنة قال جناها)[2] رواه مسلم .ثم رجع سيِّدنا في نفس ذلك اليوم إلى سان لوي الذي خفت فيه الإقامة ثم توجه سيِّدنا في القطار إلى بلدة دكار زيارة ثانية مستخدم بها أيام السَّنغال قال الشاعر :

يمضي الزمان ولا نحـــس كأنـــه ريـــح تمـــر ولا يشـــم نســـيما[3]

جئنا لعاصمة دكار عشية في اليوم السادس والعشرين من رمضان وجدنا الناس في الانتظار بالمحطة ومن بينهم الحاج سعيد النورتال صاحب الشهامة النادرة فسلم الناس

---

[1] أندر الاسم الأصلي لمدينة سانت لويس العاصمة الأولى للسنغال قبل داكار في 1958 .

[2] أورده مسلم عن ثوبان بن يحدد برقم 4664 .

[3] انظر الشريف الرضي , ديوان الشريف الرضي , ص 50.

على سيدنا بمجرد نزوله من القطار ، وعند خروجه من المحطة ركب السيارة المعدة له وركب معه الحاج سعيد النورتال و العبد الحقير وتبعه أرباب الحاشية في سيارات أخرى إلى المحل المعهود الذي طالما إجتمعت فيه الوفود ولم يبقى على عيد الفطر إلا ثلاثة أيّام تصدى سيدنا فيها لتنظيم شؤون سفره المقبل لبقية الأقطار الإفريقية وبعد عيد الفطر بأربعة أيام خلت من شهر شوال، ومنه مفارقة الديار ولا ننس أن نقول أن سيدنا حضر صلاة العيد وشهد موكب الإحتفال بهذه الشعيرة الدينية على ما عليه أهل هذه البلدة من عوائد وأهل هذه العاصمة في فرح وسرور لا يوصف للفرصة التي وجدوها من حضور سيدنا للصلاة معهم ويحضر هنا الاحتفال على ما سمعت الحاكم العام الفرنسي ورجال حاشيته الفرنسية في محل يخصهم خارج الجامع غير أنني مع الأسف لم أحضر هذا الموكب الإسلامي الشريف لأنني كنت مريضا في تلك الأ يام بمرض الحمى ، وبعد إنتهاء هذا الإحتفال جاء سيدنا إلى المحل مصحوبا بالأحباب ثم صارت الوفود تأتي إلى سيدنا لتهنئته بحلول هذا الموسم الإسلامي ، ويرغبون منه الدعاء واستمرت الزيارات كما قضيفي الأوقات وسيدنا في هذه المدة كاتب السيد محمد عال الشنجيطي يستقدمه سيرا فعدنا في بقية الأسفار من سان لوي ولا ننسى أن سيدنا اجتمع بأندر بأخ السيد محمد الطلبة المسمى السيِّد أحمد محمود ولد الطلبة، وكذلك لضيق الوقت بعث السيِّد محمد الأمين ليدعو أخاه السيد محمد جمال ليقدم فورا إلى دكار لأن السّفر على الأبواب فجاء السيّد المذكور إ لى دكار بعد يومين، وأخذنا بطاقات السّفر بالطائرة من دكار إلى كناكري عاصمة لقنى الفرنسية ،واستلمنا الأوراق السفرية من إدارة الطيارة بعاصمة دكار المسماة إيرفرنس Air France وبعد إتمام جميع الشؤون ذهبنا صحبة سيِّدنا حسب الإرشادات التي علمناها من الإدارة المذكورة صبيحة يوم السّفر وهو يوم 9 من شهر أوت ويوم 4 من شوال سنة 1367 و 1948 فركبنا السيّارات صباحا على السّاعة الخامسة من محل الإقامة حيث سلمنا الأثاث إلى الإدارة وركبنا مرة ثانية السيارات

متوجهين إلى المطار ومصحوبين بعدة شخصيات بارزة من أعيان دكار جاؤوا لتشيع سيِّدنا و موادعته منهم السيد الحاج الحبيب سه والمختار بابو الذي لا يود فراقنا بحال والسيد ابراهيم النياق صاحب المحل الذي كنا فيه والسيّد أحمد اللوح ، وغيرهم من الأصحاب فجلس سيدنا في إنتظار الوقت وأصحابه في بيت الإنتظار واليوم يوم أمطار فما جاءت الساعة التاسعة صباحا إلا ونحن في جوف الطائرة الفرنسية بعدما تو ادعنا مع الأصحاب وبعد حصة قليلة أخذت ترتعد المحركات وأخذت الطائرة ترتفع شيئا فشيئ تحت وابل الأمطار وهي بين السحب كالحوت في جوف البحار متوجهة صوب مدينة كناكري عاصمة لقنى الفرنسية فما مضت نحو ثلاث ساعات حتى أصبحنا محلقين فوق الأرض الكناكر ية فنزلنا في المطار الذي وجدنا الناس فيه في إنتظار سيدنا منهم السيِّد الإمام والسيِّد الحاج الجلي كن والسيِّد والسيد الحاج محمد وغيرهم من الأعيان، فسلموا على سيدنا بتعظيم وإجلال فركبنا السيارة ومع سيدنا في سيّارته الخاصة به السيِّد الحاج انجاي كن الذي تكون في محله الإقامة وقد أعلمه بقدوم سيِّدنا عليه السيد الحاج سعيد النورتال برسالة برقية وهو الذي (خير أن يكون النزول عنده من دكار فياله من فخار وكانت إقامتنا بالأقطار السَّنغالية من أولها إلى آخرها إستغرقت ثلاثة أشهر وعشرة أيّام مبدؤها من يوم 28 أفريل إلى يوم 9 أوت سنة 1948 /1948 .

الرجال الذين نشروا الطريقة التجانية في هذه الأقطار :

من المهم أن نتعرض لذكر الرجال العظام والأئمة الفخام الذين قاموا بنشر الطريقة التجانية في هذه الديار الإفريقية حسب ما بلغنا ولهم المزية العظمى في إرشاد الناس إلى طريق السّعادة فإن الدال على الخير كفاعله ولا شك أن أولاد سيدنا الشيخ رضي الله عنه وعنهم ضربوا بسهم وافر نستفتح الكلام بهم إذ هم بهذا الفصل كفاتحة الكتاب وهم أجدر بالتقدم ، والتقديم بين أولئك الأصحاب أولهم هو سيدنا ومولانا العارف بالله منار السّالكين ونخبة العارفين ، وجوهرة عقد الواصلين البدر المنير سيدنا محمد الكبير بن سيدنا

مولانا البشير الإمام الشهير عديم المثل، وعزيز النظير بن سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وأماتنا على حبه ورضاه فقد نشر سيدنا المذكور الطريقة في هذه الأوطان مراسلة كما يشهد لذلك ما وجدناه ببلدة الرهد[1] قرية من قرى السودان المصري فقد قدم في الطريقة وأجاز وأذن لمن ظفروفاز ورقي بذلك منابر السُّؤدد والإمتياز وغير ذلك من البلدان التي فاز فيها بإذنه كثير من الأعيان وسند سيدنا رضي الله عنه هو عن والده سيدنا البشير عن سي أحمد العبدلاوي عن سيدنا الحاج علي التماسين رضي الله عنه عن سيدنا أحمد التجاني وكان رضي الله عنه وأرضاه ممن يصدق عليه قول القائل :

حلــف الزمـــان ليـــأتين بمثلـــه   حنثـــت يمينـــك يـــا زمـــان فكفـــر

وقلمي أعجز على أن يستقصي مناقبه وشمائله الكثيرة التي هي بين الخاص والعام شهيرة ويكفيه أنه يضعه القطب المكتوم رضي الله عنه وأرضاه وكان سره رضي الله عنه في حياته كالشمس في رابعة النهار بل أضوء من الدياجي من نور الأقمار.

ومنهم إمام هذه الأقطار من تقلد سيف النصر والذب عن الطريقة التجانية في سائر الديار وشائع الذكر في كل قطر ومصر وتنسم ذرى المعالي بين أقرانه ورقي منابر المجد وليس تاج سلطانه سيدنا الحاج ابنعمر بن سيدنا محمد الكبير التجاني صاحب هذه الرحلة التي نحن يصدد تدوينها وسنده رضي الله عنه عن والده المذكور سيدنا محمد الكبير عن جده المشهور سيدنا البشير عن سي أحمد العبدلاوي عن سيدنا الحاج علي التماسين عن سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه فقد أذن سيدنا رضي الله عنه في

---

[1] تقع شمال كردفان بالسودان , وتبعد عن الخرطوم بــ379 كلم ,و هي محطة رئيسية لخط السكة الحديدية , شهدت المنطقة قيام حركة مقاومة ضد الحكم التركي إبان الثورة المهدية , انظر أ . ب . نيوبولد , المهدية تاريخ السودان الانجليزي المصري(1881 ــ 1899 م) , ترجمة محمد المصطفى حسن عبد الكريم , مركز عبد الكريم مرغني الثقافي .و مكي شبيكة , السودان عبر القرون ,دار الجيل , بيروت .

رحلته هذه التي ما شذ عنه فيها قطر ولا ترك أو تباعد عن مصر فقد أجاز وقدم وبالإذن عن الآلاف تكرم حتى صار يدعى إمام إفريقيا الغربية والإستوائية وإن ادعى الإمامة غيره فقد أعظم على الله القدير ، ولم يقتصر على نشر الطريقة فقط بل نشرالإ سلام بين الشعوب على هذا النمط دعا إلى الدين الحنيف شعوبا طالما تشوقت أرواحهم إليه ومالت أشباحهم عند الدعوة شوقا إليه فلا تراه رضي الله عنه إلا بين أقوام إليه ينتظرون وآخرين من فراقه يتأسّفون فكم أصلح بين قلوب متنافرة وأحكم وثاق الصّداقة بين أناس بالشر كانوا يتجاهرون فرضي الله عنه من سيد إمام وخير همّام أبقاه الله تعالى ذخرا للإسلام ومجدا لطريق جده الإمام رضي الله عنه وأرضاه فمن تتبع أمره تجده فريدا في هذا الميدان ومن لم يدانيه أو يقاربه أي شخص من أعيان الأقران فهو لا شك فجر العائلة الأحمدية التجانية من سادات الأفراد الإنسانية والجانبية .

ومنهم الإمام الهمّام سيدنا وملاذنا الطيب بن سيدنا و مولانا علي بن سيدنا ومولانا أحمد عمار بن سيّدنا ومولانا محمد الحبيب بن سيّدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه خليفة الشيخ رضي الله عنه بلا نزاع وإمام عصره في قطره ومصره بالإجماع سيدنا ومولانا الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنجيطي ورضي الله عنه الذي مر الكلام عنه فهذا السيّد العظيم والإمام الكريم هو أول من أخذ بزمام نشر الطريقة التجانية في إفريقيا الغربية حتى أنك إذا تتبعت الإنسانية على كثرة رجالها تجده المرجع الوحيد و المصدر الفريد فقد أخذها مباشرة من الشيخ رضي الله عنه عند اجتماعه به في مدينة فاس وقت ذهابه للحجاز فأجازه سيدنا رضي الله عنه. في أول مرّة بأن يقدم عشرة فمن توفرت فيهم الأهلية وفي المرة الثانية عند رجوعه من الديار الشرقية اجتمع بسيدنا رضي الله عنه فأجازه بالإطلاق[1] غير أن الإجازة بتقديم العشرة كانت بخط سيدنا محمد بن المشري

[1] المقدم المطلق هو الذي زيادة عن إذنه في نفسه و إذنه في تلقين غيره , أذن في إعطاء التقديم لغيره , و الاطلاق في الطريقة التيجانية يتم بشكلين : 1ــ إطلاق بلا تحديد أو حصر / 2 ــ إطلاق مع حصر و تحديد .

رضي الله عنه إجازة الإطلاق كانت بخط سيِّدنا رضي الله عنه كما تقدم وأمره الشيخ رضي الله عنه بأن لا يظهر أمره حتى يظهره الله تعالى، فلما رجع إلى وطنه وإجتمع بعشيرته وقومه جاءه رجل فقال له أعطني من الأمانة التي أثبت بها من المغرب فقال له الشيخ الحافظ رضي الله عنه مستعلما للأمر جئت ببعض الكتب العلمية وكذلك فما شئت منها نعطيه لك فقال له ذلك الرجل إنما لا أريد الكتب وإنما أريد ورد الشيخ التجاني رضي الله عنه فما وجد الشيخ الحافظ سبيلا للكتم بعد حلول ساعة إبلاغ العلم فأعطاه الورد التجاني فلم يبق في تلك الليلة بيت من دور العلويين إلا وتقيد أهله بهذا العهد المحمدي الشريف ويقال أن هذا الرجل كان من الصالحين الذين يجتمعون بالخضر عليه السلام فأخبره الخضر بما جاء به ذلك الإمام من الديار الفاسية من ورد الكرامة والإنعام ، ومن كرامات سيدنا محمد الحافظ رضي الله عنه أن زوجته فاطمة رضي الله عنها كانت تكلمه بعد وفاته يقظة مهما أرادت ذلك تتوضأ وتجلس مستقبلة وتغطي وجهها فلا يحجب عنها وكثيرا ما يرسل الناس الكلام إليه معها فتأتيهم بالجواب من عنده بما لا يمترون فيه من كراماته أنه يلتذ بقراءة القرآن حتى يبين منه المني رحمه الله تعالى ورضي عنه. قد تقدم تاريخ وفاته سنة 1248 واجتمع سيدنا رضي الله عنه عام 1214 ومنهم الإمام العالم العلامة صاحب الذكر الجميل والمهتد الماضي الصقيل الذي أقام على نصرة الدين البرهان والدليل الشيخ سيدنا عمر بن سعيد الفوتي رضي الله عنه وأرضاه وفضله على هذه الأقطار كالشمس في رابعة النهار وقد تقدم شيئ من ترجمة هذا الإمام وسنده في المرد اولا عن سي عبد الكريم بن أحمد الناقل وهو عن السيد مولود فال ، وهو عن الشيخ سيدنا رضي الله عنه و أرضاه وفي التقديم سنده بسيدنا رضي الله عنه بواسطة سيدنا محمد الغالي أبو طالب الشريف الحسني رضي الله عنه الذي تقدم شيئ من ترجمته .

ومن كبار العلويين الذين نشروا الطريقة ، وهو لا يزال بقيد الحياة أبقاه الله نفعا للعباد في كل البلاد حفيد الشيخ الحافظ رضي الله عنه سيدي ومولاي العالم العلاّمة السيد محمد الطلبة[1] الذي أخذ عن والده الشيخ أحمد ، وهو عن خاله بن حسان الطريقة التي تقلد أمر الخلافة بعد وفاة سيِّدنا الشيخ محمد الحافظ رضي الله عنه وأخذ السيد عن سيدنا محمد الحافظ عن سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه عن النبي صلى الله وسلم يقظة لا مناما.

ومنهم العالم العلامة الدراكة الفهامة العارف بالله الزاهد السيد الحاج مالك رحمه الله وسنده عن خاله الفاهم سيرو عن سيدنا مولانا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه الخ قام هذا السيد بنشر الطريقة في السنغال مباشرة ومراسلة وفي غيرها مراسلة ولا زال أولاده الكرام يتقلدون أمر هذا الوظيف إلى ساعة التاريخ وأخذهم أخذا بزمام هذه المطايا هو أخوكم الكبير الخليفة السيِّد ابو بكر سه ، وكذلك اخوه الحاج منصور والسيد الحاج الحبيب والسيد عبد العزيز كل هؤلاء في جدً واجتهاد في بث الطريقة في أركان هذه البلاد وغيرهم من الأصحاب ممن أخذ منهم ذلك الزاد .

ومنهم السيد الدراكة الهمّام فرع الأصول الذي حاز الحاصل والمحصول في علمي المعقول والمنقول سي الحاج سعيد النورتال حفيد الشيخ سيدنا عمر الفوتي ورضي الله عنه فقد ضرب هذا السيد العظيم بسهم وافر كريم في سبيل هذا الطريق القويم والمنهج المستقيم فقد تجول كثيرا في هذه الأقطار فأجاز أناسا ولقنهم الأذكار وسنده لنا في الحاج عن السيد الحاج مالك ذلك الإمام .

ومنهم الإمام الناسك البركة سيدنا ومولانا الحاج الطيب السفياني رضي الله عنه مقدم الزاوية الكبرى بفاس على صاحبها أفضل الصلاة والسّلام نشر هذا السيد ذو الأصل

[1] محمد الطلبة (1905 ــ 1986 م)بشنقيط , انظر الطلبة العلوي الشنقيطي التيجاني , ديوان الشيخين من آب بن الطلبة العلوي الشنقيطي التيجاني , جمعه و رتبه محمد سعيد ,نشر و توزيع مؤسسة منير نواكشوط 1985 .

الكريم والفضل العميم الطريقة في أقطار السنغال بطريق المراسلة فإن أهل السنغال لهم تعلق عظيم بالعائلة الواسطة المستمرة بين قطر السنغال وقطر المغرب الأقصى بفضل وجود الفاسيين في بلدان السّودانيين ، وكان المحرر لهذه الوسائل هو سي محمد الغالي نيابة عن والده رحمهما الله رحمة واسعة وسندسي الطيب السفياني على ما نعلم سي الحاج الحسين الأفراتي عن سي العربي بن السّائح رضي الله عنه عن سي عبد الوهّاب بن الأحمر الفاسي رضي الله عنه عن سيدنا ،ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا أن سي العربي بن السّائح رضي الله عنه اجتمع بخمس وعشرين من أصحاب الشيخ رضي الله عنهم كلهم أخذوا عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه مباشرة فرضي الله عنه من إمام وقد تقدمت وفاة سي الطيب المذكور سنة 1353 ومنهم العالم العلامة الدراكة الفهامة صاحب المؤلفات الكثيرة والتصانيف الشهيرة سي أحمد سكيدج رحمه الله ورضي الله عنه ، فقد نشر الطريقة للأرجاء بطريق المراسلة يشهد لهذا ما وجدنا من رسائله القيمة التي كاتب بها إخواننا من أهل السودان وسنده عن سي أحمد العبدلاوي عن سيدنا الحاج علي التماسين رضي الله عنه عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه توفي صاحب الترجمة عام 1363 .

ومنهم العالم العلامة سي الحاج محمد الحيوجي الفاسي أيده الله صاحب المؤلفات العديدة والتحارير المفيدة التي هي في بابها فريدة فقد نشر هذا السيد الطريقة مراسلة وسنده .

و منهم العالم العلاّمة السيد الحاج إبراهيم أنياص الكولخي صاحب المؤلفات الشهيرة سنده عن الحاج عبدالله ولد الحاج العلوي الشنجيطي وهو عن الشيخ أحمد بن محمد الحافظ وأحمد بن حسان الطريقة كلاهما عن يد الشيخ سيدنا أحمد الحافظ العلوي رضي الله عنه عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، وأرضاه وقد نشر هذا السيد الطريقة في جهة كنو من نجيريا وفي غيرها

ومنهم والد السيِّد الحاج إبراهيم أنياص سنده في الطريقة يتصل بسيدنا رضي الله عنه على طريق الشيخ عمر بن سعيد الفوتي رضي الله عنه .

ومنهم من نشر الطريقة في شمال قطر نيجيريا السيِّد عبد الوهّاب المشهور بجدود بن محمد الكبير حفيد صاحب روض الشمائل عن محمد سعيد عن والده الشيخ حمد عن بد عن الشيخ محمد الحافظ رضي الله عنه .

ومنهم السيد أحمد التونسي رحمه الله تعالى الذي نشر الطريقة في جهة قطر سراليون وقطر ليبيريا وقد انتفع به كثير من الناس في تلك الأقطار وسنده على ما بلغنا عند الحاج عبدالله ولد الحاج علوي الشنجيطي المتصل بالشيخ بسيدنا محمد الحافظ رضي الله عنه توفي صاحب الترجمة ما بين الخمسين والستين من القرن 14.

ومنهم صاحب المزايا الظاهرة والأخلاق الكريمة الطاهرة العالم العلاّمة الدراكة الفهامة دفين المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام الشيخ محمد سه هاشم بن أحمد بن سعيد الفوتي[1] عمه سي الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه فقد كان هذا السيِّد آية من آيات الله العظام في التبحر في كافة العلوم . حتى أنه كان يفتي بالمذاهب الأربعة وله مزية ظاهرة في علم الحديث واللغة التصوف وعلوم الشريعة وله من المؤلفات ما يبلغ نحو السبعين مؤلفا ما بين مختصر ومطول كلها عزيزة ولكنها لم تطبع ولد رضي الله عنه ببلدة جور بالبلاد الغربية وتوفي يوم الإثنين 11 ذو القعدة سنة 1350 وعمره 68 سنة وصلي عليه بالمسجد النبوي في جمع كثير إجتمع على الأمير وغيره من وجهاء المدينة وشعر الكل بمصابه ودفن بالبقيع الشريف رحمه الله رحمة واسعة وقصيدة بليغة في مدح سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه وهذا مطلعها.

سلام جزيـــل لا يقـــاس بمقيـــاس   بأنوار تطـــوي الفيـــافي إلـــى فـــاس

[1] هو محمد بن أحمد سعيد الهاشمي الفوتي الشهير بألفا هاشم (1866 ــ 1930 م) و تعني ألفا المعلم و العالم , ولد بالسنغال و توفي بالمدينة المنورة .انظر عبد القادر سيلا , المسلمون في السنغال , ص 205.

سـلام جميـل طيـب متصـيب ... لذا ذاته تنسى المدامـة فـي الكـأس

سلام يزيل حزن صـب منصـب ... تكـون منّـا زيـارة إينـاس

إلى السيد الأقطاب والعلـم الـذي ... مناقب لـم يمحهـا رسـم قرطـاس

مهـد جميـع الأوليـاء وخـتمهم ... موقد مصباح السـعادة فـي النـاس

ومـن قـدماه فـوق أعنـاقهم ولا ... يغيب عنه لمحـاذ والقـول الـراس

رسول إلاه الخلـق أحمـد جـده ... فـاعظم مجـد أن يرسـل للنـاس

إلى أن يقول :

ولي عندكم عشـق وقربـة سـبة ... مريدية عـن قـادة خيـر جـراس

فوالدنا عن حـافظ العهـد عـنكم ... كذا العم عن غـالي العلامـة لاس[1]

وهي طويلة عزيزة النظير كانها بنت سوق عكاظ و زهرة إنتقيت من بين زهور تلك الرياض وسنده في الطريقة عن سي الطيب السُّفياني الفاسي عن سي الحسين ابن الأحمر عن سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه وقد نشر هذا السيًد الطريقة في هذه الطريقة أو الديار في طريقة الحجاز أخذ عنه الجم الغفير والكبير من الناس الصغير والعاقل ينتهز الفرص ويدخر الماء مخافة الخصص .

ومنهم الغائاتي المقدم المقيم بعاصمة فرشاون وهو رجل طاعن في السن عمره نحو السبعين عاما ولا يزال بقيد الحياة ، فقد نشر هذا السيد الطريقة في بلدة فرشاون من قطر سراليون وسنده الأولى يتصل بالسيد الحاج مالك سه فقد لازمه مدّة قبل إرتحاله من قطر السنغال وظفر منه بالإجازة في إعطاء الطريقة وفي آخر أمره ظفر بالإذن كغيره من الأعيان والوجهاء من سيًدنا الحاج ابنعمر رضي الله عنه فقد أجازه إجازة تليق به ، وهو

---

[1] المرجع السابق , ص 207 .

رئيس الجمعية الإسلامية الموجودة الآن بفرتاون وهو الذي قام بتنظيم تنقلات سيدنا وقت حلوله بقطر سرليون وصحبه في كافة أسفاره في البلاد وخلاصة الأمر أن من ذكرناه من من رجال الطريقة هم الشخصيات البارزة الذين قاموا بنشر الطريقة في هذه الأراضي السّودانية وهؤلاء هم الأصول ،وهناك رجال آخرون نشروا الطريقة و لكنهم فروع تفرعت من هذه المصادر ويرجع نشر الطريقة في هذه الديار إلى عائلتين في العهد القديم العائلة العلويّة والفوتية[1] والعائلة الفوتية ترجع بدورها إلى العلوية التي إمامها الوحيد سيدنا محمد الحافظ رضي الله عنه وأرضاه وقد اعتنت بذكر الأسانيد لأن صحة الإسناد ينتجها الظفر بالمراد وصحة الإسناد هو باب الشرع والعزيز إذ لولا الإسناد لما تناقلت إلينا الشريعة الإسلامية ، ولما دفعت الثقة بالنصوص التشريعية في هذا الغرض الهام لذا نرى علماء الإسلام اهتموا بهذا الأمر غاية الإهتمام ولذا تراهم وضعوا المؤلفات في تمييز الصّحيح من السقيم من الروايات ، وما أحوج إخواننا التجانية إلى جامع صحيح تجود به قريحة أحد علماء الطريقة التجانية يجمع فيه الأسانيد الصّحيحة وما عاداها من الأسانيد المدعاة في بساط النقد والتصحيح ، فإن صح يلحق بالأسانيد الصحيحة وإلا فيطرح ومن أهم عوامل النقد والتصحيح معرفة التاريخ يتصرف به أعمار الناس في الأمد الذي يسمع بالاجتماع بين الملقن واللاقن أو على الأقل ثبوت المراسلة الصحيحة التي تعتمد خط الملقن نفسه أو إمضائه إن كان الخط نيابة عنه ومن طرق النقد الحالة الشخصية التي تسمح أن مثل هذا الرجل يلقن مثل الهام ، و الأهم بالذكر في هذا المقام هو سيدنا الحاج إبنعمر التجاني الذي اهتم بهذا الأمر غاية الإهتمام حيث أنه وضع دفترا فيه أسماء المقدمين الذين فازوا بالإذن منه في إعطاء الطريقة من يذكر في هذا الدفتر اسم المقدم ولقبه ونسبه ومحله وبلاده ولعمري أن هذا عمل يسد باب الدعوى لمن رامها .

[1] الفوتية نسبة لفوتاتورو بموريتانيا .

وقام بمثل هذا العمل السيِّد سكيرج حيث جمع في كتابه كشف الحجاب ورفع النقاب كثيرا من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الأمر الذي يتميز به الصحيح من الغاية في ميدان الأسانيد وكذلك العلامة الشيخ الجوجي قد جمع في كتابه الإتحاف الذي احتوى على عدة مجلدات كثيرا من أصحاب سيدنا رضي الله عنه مما يعين على تسديد هذا الأمر الشريف والمقصد المنيف وكذلك صاحب روض الشمائل السيِّد أحمد بن محمد بن العباس بن محمد الكبير العلوي الشنجيطي فإنه ضرب بسهم وافر في هذا الموضوع. حيث أنه الأربعين من أصحاب سيِّدنا رضي الله عنه منهم عشرون أخذوا كما تقدم مباشرة من سيدنا رضي الله عنه وعشرون آخرون أخذوا بواسطة لمثل هذا فليعمل العاملون وعلى مشكاة هذه الأنوار فليسلك السّالكون فإن كثيرا من الناس من يدعى الإذن في إعطاء الطريقة وهو أبعد من هذه المرتبة كبعد السّماء من الأرض وقد وجد سيدنا رضي الله عنه في سفره هذا بعض الإجازات التي مفادها أن سيدنا محمد الكبير نجل سيدنا الشيخ رضي الله عنه أخذ عن والده رضي الله عنهما مع أن هذا السند غير ثابت ، وعلى هذا القياس وكثير ممن يدعى الإطلاق وهو أبعد منه بعد الثرى من السبع الطباق .

و لنورد هنا للمناسبة بعض قصيدة قالها الشيخ محمد فال السنقبطي في التربية بالطريقة التجانية وآدابها الباطنة ، وهو الذي قال أن صاحب المنية نظم ظاهر الطريقة وهو قد نظم باطنها معها :

اعلــم بــأن ذكــر هــذا الــورد … نهج إلــى الوصــول عينــا يهــدي

بل المــدار عنــدهم عليــه فــي … تزكيـــة الـــنفس بـــلا توقـــف

وشرطه الحضــور وإستحضــار … قـــدوتنا أو تنقضـــي الأذكـــار

وأنت حيثمــا المنقــد بــه معــك … على الدوام تقــف نهــج مــن ســلك

وفي الحضور في الصلاة إجتهــد … لا ســيما فاتحـــة فيهـــا إجتهـــدي

جاريـــة مثـــة مـــن أهـــدا … هـــا لأميــر يــس مــا قــد أســدى

أن الحضـــور هـــو روح العمـــل　　　بغيـــر مـــا تقـــول لا تشـــتغل
قـــدر المحبـــة يكـــون النفـــع　　　وكـــم فـــي أثـــر خفضـــته رفـــع

إلى أن قال :

أسســا طريــق شــيخنا المقــوم　　　هـــو الثقـــى وفـــرح بـــالمنعم
طريـــق شـــيخنا لهـــا أحكـــام　　　تخصـــــها يعرفهـــــا الإمـــــام
وفهمهـــا كرامــــة فصـــــدقوا　　　كـــلام ربنـــا عـــلا ويخلـــق[1]

إلى آخره فهو نظم بديع في بابه تركنا إيراده كله خوف الإطالة وصاحب هذا النظم هو أخو صاحب نظم المنية[2] رحمهما الله رحمة واسعة آمين .

خلاصة السفر الجديد إلى كل قطر بعيد :

ليعلم القارئ اللبيب المفكر النجيب أننا اقتصرنا على ذكر الأقطار الإفريقية الغربية والاستوائية مع ذكربلدانها الشهيرة التي زارها سيدنا رضي الله عنه وفاز أهلها السعداء بالنظر إلى طلعته العمرية الزكية ، ولم تذكر القرى الصغيرة أولا لأن أسماءها العجمية تنبو بسرعة من مخيلة الإنسان ومن كثرة متابعة الأسفار يهيج عامل النسيان ولو أجهد نفسه الإنسان فأرجوك أيها القارئ أن لا تؤاخذني بما نسيت وتقبل عذري بما أوضحت وأبديت غير أن لا يفوتنا أن نقول أن في كافة هذه الأقطار أن سيدنا رضي الله عنه رزق بالقبول في كل قطر أو قرية أو مصر يكون فيه الحلول ، وأننا طالما وجدنا أهل القرية أو المصر الذي نكون على أبواب زيارته في انتظارنا خارج المدينة بعدة أميال بسياراتهم أو بخيولهم من أعيان الرّجال وفي كثير من الأحيان نجد سلطانهم أو أميرهم بصدد

[1] انظر كشف الحجاب , ص 79.

[2] يقصد أحمد بن باب العلوي الشنجيطي , و قد سبق الحديث عنه.

الإنتظار إما صباحا أو عشية من النهار وأما المجتمعات التي تعقد في المصر أو القرية بعد دخول سيدنا، فهي تحاكي أيام المواسم والأعياد وتراهم يزدحمون على سيدنا لزيارته وتقبيل راحته الكريمة ولا يتفاعس على زيارة الجامع أو الزاوية يجتمع الآلاف من الناس وسيدنا في وسطهم يعظهم بالموعظة الحسنة التي تعود عليهم بالخير دنيا ، وأخرى وبعد تمام الدرس الوعظي يشرع سيدنا في إعطاء الطريقة التجانية لهذا الجم الغفير بعد أن يعرض عليهم شروط الطريقة الأساسية التي لا بد من ذكرها والذي يقوم بالترجمة بين سيدنا ، و القوم إنما هم رجال وطنيون يعرفون العربية في الجملة ثم يترجمونها أما إلى لغة هوسة أو فلاثه أو الألوف أوينيرة أوسوس أو ملنكي أو الكنغولي إلى غير ذلك من اللغات الكثيرة وكذلك يجيز سيدنا في الطريقة من توفرت فيه الأهلية بعد أن يختاره قومه لهذه الوظيفة الشريفة نبدأ أولا في ذكر هذه الأقطار يقطر لقنى الفرنسية التي هي أول قطر زاره سيدنا بعد قطري السّنغال و قمبيا .

لقنى الفرنسية : Gnnee Française

مد ينة كناكري وهي العاصمة لهذا القطر وصحبه في هذا السّفر داخل قطر كناكري السيد الحاج انجاي كن والسيد الحاج محمد كنات وبعد ذلك بلدة كندية (Kindia) مامو (Mamo) سلطانها المامي ابراهيم لبي (Labe) دابولة (Dabola) دنقراي (Dungirau) بها جامع الشيخ عمرالفوشي رضي الله عنه في وطن فوتة جلو كروسة (Couroussa) قرب النهر النجري ب سكريمه (Biskrima) بلدة كنكة (°Kankan أخر نقطة في قطر لقنى لسكة الحديد وهي من كناكري على مسافة تزيد على 700 كم كلها خط حديدي وفي بلدة كنكة الشريف الشهير بالسيد فتمادي فهو إمام تلك الناحية الديني يعظمونه غاية التعظيم والإحترام وهو تجاني نزل سيدنا عنده في إقامته بكنكة ورحب به كثيرا كوياه(Coyah) محل الديوانه بين لقنى وقطر سرليون ففانه (Fafana) خيور جوريه (Formoria) فوركاريه (Fourikaria) .

قطر سرليون :

هذه المستعمرة إنقليزية دخلناها بطريق السيّارات من قطر لقنى و صحب سيّدنا السيد الحاج انجاي كن والسيّد الحاج محمد كفات إلى الحدود ثم رجعا إلى كناكري من حيث أتيا ووجدنا في الحدود الإنقليزية الفرنسية 20 شخصا من أعيان عاصمة فرتاون ينتظرون قدوم سيّدنا عليهم، وأكثرهم وفد الجمعية الإسلامية التي بفرتاون نخص منهم بالذكر السيّد الشيخ علي الرفاعي السّوري والسيد أبراهيم كاتب الجمعية والسيّد هرون وغيرهم من بلدان القطر.

أولا عاصمة فرتاون التي دخلناها ليلا ولا تسأل عما وقع ليلة ذلك الدخول وجدنا شوارع هذه المدينة معمورة بالناس على اختلاف أجناسهم حتى النصارى والمجوس فضلا عن المسلمين ينتظرون هذا القدوم حتى إنّنا لم نستطع النزول من السيارة والدخول إلى المحل المعد للنزول ، ودخل على أيد سيدنا الطريقة خلق كثير ثم تجول سيّدنا في قطر سرليون وإجتماعه بالكاتب العام يفرتاون وصحبه في هذا السّفر السيد هروة والسيد المقدم الفاتجاني ، وكثير من الشخصيات زارفي قطر سرليون بلدة قنجور GoungourمحراMohira مقبالي Magbale ، بلدة بو BO التي بأحوازها أكبر غابة بقطر سرليون وبوي طريق مبجوقاي Mabagougay Boya via بلدة سبقمة Segbema بلدة مامو Mamoك يولهCobolaلنفى Lounfa وبعد إتمام هذه البلدان زار أيضا بلدة مكيني Makine آخر نقطة للخط الحديدي بقطر سراليون ثم رجع سيّدنا إلى عاصمة فرتاون حيث قضى موسم عيد النحر وصلّى بالناس في المصلى خارج العاصمة وقام فيهم خطيبا واعظا ومرشدا ولعمري أنه ليوم مشهود استغرقت إقامتنا بقطر سراليون نحو 40 يوما ثم توجهنا إلى قطر ليبيريا عن طريق الطائرة .

قطر ليبريا :

ليبيريا قطعة من إفريقيا مستقلة تحت نظر أمريكا عاصمتها مدينة منروفيا Monrvica وهي ميناء جديد وقع إحكامه بعد حرب 1939 فريستون Firestoneبها أكبر غابة لشجر الكاوتشو ، وسيأتي مزيد بسط عند كلامنا على هذه الأقطار في الخلاصة الآتية وبلدة بيفة Banyva قنته Ganta بلد Bila ثم دخل مرة ثانية في قطر لقنى الفرنسية عند توجهنا من مروفيا إلى ساحل العاج فزار سيدنا بلدة تزريكورى Tzerecore .

قطر ساحل العاج :Cote divoir

هذا القطر هو وطن زراعة القهوة فهي الزراعة الوحيدة لهذه البلاد أول بلدة دخلناها من طريق قطر ليبيريا هي بلدة دانني Danane ثم ببديالي Boundayle بلدة من Man لقالي Lougale أدينكاني Duekani دالوه Dalua ايسية Aisaya ققنوه gagnaa لكوته Lacotaد فو Divo دائرة قرند لوهو Cercle grandlahaut دابو Dabo ثم العاصمة لهذا القطر والميناء الوحيد مدينة أبدجانAbidjan نزل سيدنا ضيفا في دار السيد الحاج مدون سيسي السنغالي ، وكان السيد المذكور غائبا لأداء فريضة الحج فقام مقامه أحسن قيام ولده المبارك للحازم السيِّد مخيط وأقام الدليل في سبيل خدمة سيدنا حتى صار ليس له مثيل وعائلة الحاج مدون سيسي كلها عائلة مباركة برهنت على مجدها وقت إقامة سيِّدنا عندها ومن أبدجان توجه سيدنا إلى جهة بواكي Bouakie وزار في الطريق بلدة قوري Gore واقبوفيل Agboville سبوراي Soubouray أنيامه Anyama بواكي Bouake. ونزل في بلدة بواكي عند السنغال جبترفي Jibiter fay ثم زار بلدة أقربسام Groubassam التي على مسافة 30 كم من عاصمة أبدج وبلدة ابوي E boue أبو سة Aboussa .

قطر ساحل الذهب : Cote d'or

هذه مستعمرة إنجليزية سافر إليها سيدنا بطريق الطائرة من أبدج إلى عاصمة هذا القطر أكره Accra، وهي أحسن ما رأينا في مدن هذه الأقطار نظرا لكبرها وموقعها التجاري ومنها ذهب سيدنا إلى بلدة خماسي التي يوجد بها كثير من الهوسيين (هوسة

قطر طوقو : Togo

هذا القطر تحت الوصاية الفرنسية ، وقد كان في القديم مستعمرة ألمائية ولما خسرت ألمانيا الحرب الكبرى لعام 1914 صارت هذه القطعة تحت السلطة الفرنسية عاصمتها لومي Lome، ولم يتجول سيدنا بهذا القطر لأننا وجدنا فيه مرض الوباء في الشمال فاقتصر سيدنا على زيارة عاصمته المذكورة .

قطر الدهومي : Dahomy

مستعمرة فرنسية زار فيها سيِّدنا مدينة كوتونو Coutounou ثم مدينة بورت نفو Port novo ثم توجه سيِّدنا من هذا القطر بطريق السيارات إلى قطر نيجيريا الإنقليزية

قطر نيجيريا : Nigeria

هذه أكبر مستعمرة إنجليزية تفوق العشرين مليونا من النسمات وفيها كثير من المسلمين أكثرهم هوسه و فلاته يسكنون شمال هذا القطر وسكان خيوبه هو يوبه يندر فيه الإسلام إذ أكثرهم مجوس والمسلمون منهم لهم عوائد فاسدة لا تكاد تذكر سيأتي في الخلاصة مزيد يبسط لهذا عاصمة نيجيريا التي زارها سيِّدنا مدينة لغوص Lagos ثم ذهب سيدنا إلى مدينة كنو Kono في شمال القطر بلدة زارية Zaria كتشينة Katchina التي يوجد بها قبر جدود الذي سبق لنا أنه نشر الطريقة التجانية في هذه البلاد المتوفي سنة 1341 سوكوتو Sokoto عاصمة شيوخ القادرية في هذه الأقطار آل عثمان فومي ، بلدة أدوجي Adouji ، بلدة أوكني Okne جوس Jos كدونة Kadonaرهمات استشون Rahmite stechne بوشي Bouche يوله Yola القريبة من الحدود الكاميرونية ، قمبي Gambe موينى Mouni قمبي Gombi موبي قورة Moubigoura مدقوري

المسماة في عرف أهل الوطن يروه Yaroi أما مدقوري Madigouri فهو الإسم الذي أطلقه الإنقليزيون على هذه البلدة وهذه الناحية هي برنو Borno التي توجد في الشمال الشرقي من قطر نيجيريا ثم بلدة أزر Azare التي بها المعلم آدم القائم بشؤون الطريقة هناك زنقام Zingame قايه Gaya بلدة أفو Ifo بلدة اقيقي aguegue مدينة أباذن التي أكثرها مجوس Abauin في جنوب نيجيريا طريق لغوص مدينة ايبكوته Abekouta التي بها 250.000 من النسمات . كذلك بلدة قزو gouza وبلدة بتسمكو Pataskamo ثم رجع سيِّدنا بعد تمام هذه الجولات إلى عاصمة لاغوص ليتوجه إلى قطر الكمرون عن طريق الطائرة من لاغوص إلى مدينة دوالة Douala.

قطر الكامرون : Cameron

هذا القطر تحت السلطة الفرنسية بعدما كان تحت السلطة الألمانية قبل الحرب الكبرى الماضية 1914 أول بلدة زارها سيدنا فيه هي بلدة دوالة وهي الميناء الوحيد لهذا القطر ثم توجه إلى عاصمة يوندي Yonde حيث اجتمع فيها بالحاكم العام لهذا القطر الذي رحب به كثيرا ، ومن جملة البلدان التي زارها في هذا الخصب هي انكنقسبه Nkongsomba بلدة فودبان التي بها السلطان سعيد الذي رحب بسيدنا كثيرا foumban ثم بلدة بنوه Banoue ثم فمبات Foumbat ثم بلدة بافوسام Bafousame ثم بافيا Bafia بالوه Baloi يوكو Yoko باميو Bamyoتباتي Tibate أنقندري Ngondere نزل سيدنا فيها ضيفا عند السلطان وعند السيِّد محمد آدم وصاحبه السيِّد عبدالله الذين قاموا بالواجب أحسن قيام . بلدة مغنغة Muganga قروه garoi التي مرضت بها وانتظرت سيدنا نحو 10 أيام ، وهو يتجول بأطرافها حتى إجتمعنا به بخير وعافية ثم توجه سيدنا إلى بلدة مروة Maroua كذلك زار سلطان ري بوبة Roi bouba ببيمي bebelie موكولو Mokolo ولا ننس أن نقول أن سيدنا سافر على ظهر الخيول من بلدة مروة إلى بلدة يقوه نظرا لكون الفصل الخريفي لا يساعد على سير

السيّارات لكثرة المياه التي يعمر الطريق حتى أننا في كثير من الأوقات تكاد أرجلنا تمس الماء ونحن ركوب على الخيل قطعنا مسافة 120 كم على الجياد بين مروة ، ويقوه على طريق بلدة تدف وهذه المسافة إستغرقت مدة خمسة أيام تذكرنا فيها الأسفار الصحراوية لولا الغابات الشجرية والعبد الحقير نالهمن النصب التعب ما ناله لولا عناية الله ومن بلدة تبات إلى بلدة مندف هي الأراضي التي تحت سيطرة سلاطين الفلا ته من مندف Moundife ذهب سيدنا إلى يقوه كما قلنا وزار في طريقهذا بلدة خلف التي تلقاه سلطانها بسواده العظيم خارج البلدة بعدة اميال بالطبول والمزامير وصحب سيِّدنا من مندف الشريف السيد عبد الله صهر أمير مندف بإذن من الأمير المذكور الذي قابل سيدنا بحفاوة وإكرام نادرين من خلق وصلنا إ لى يقوه Yagoi مع الغروب وجدنا سلطانها في الانتظار ، وتلقانا كبراؤها خارج الديّار ومن بقوه تفارقنا مع الخيول وركبنا الزورق الحكومي إلى بلدة بنقرو Bangor وليعلم القارئ أن بقوه آخر مركز من قطر الكامرون ، وبنقور أول مركز من قطر التشاد Techad .

أسماء ملوك الفلاته بقطر الكامرون :

يوجد بقطر الكامرون ملوك مسلمون يرأسون الرعايا على اختلاف أجناسهم من المسلمين، والمجوس ولهم اليد الطولى تحت الرقابة الفرنسية يملكون من الرقيق والخيول والبقر ما لا يحصى ، وتراهم يحافظون غاية المحافظة على عوائدهم المخزية القديمة ولم يؤثر فيهم الإحتلال الأجنبي السّابق ولا اللّاحق ولا بأس أن نذكر منهم ما بلغته معرفتنا من الملوك الذين قاموا بواجب الضيافة لسيدنا عند زيارته لهذه الأوطان .

أولهم الحاج سعيد بن نجوى بن السلطان إبراهيم حوي سلطان بلدة فمبان Foumban

الثاني السيد محمد أيّو بن الأمير غي دنه سلطان انقندري .

وهو من سلاطين فلاته وكذلك سلطان تبات Tibati السيد أحمد بن أبي بكر سلطان ري بويه وهذا السلطان أكثر هؤلاء نفوذا حتى أنه يدير شؤون أيالته بنفسه ولم يوجد في

أرضه حتى فرنسي واحد ، وله وظيف وله نصيب عظيم بين رعاياه حتى المجوس تراهم يقدسونه غاية التقديس ولم يسمح تدهوسبير بدخول أرضه على ما سمعناه وله جوسسة بديعة النظام لا يسمحون للأجنبي أن يعمل أي عمل في أرضهم وهو تحت حاكم قروه الفرنسي السلطان صالح بن السلطان جده في ببيم Bibimi طريق قروة1 السلطان البخاري بن الأمير سعيد بن الأمير مصطفى أمير بلدة مندف Mondif وصهره كما تقدمنا إسمه الشريف عبدالله الذي رافق سيِّدنا إلى بلدة بنقرو Bangor و قد أعطى هذا الأمير عدة خيول لسيِّدنا لتحمله هو ، وحاشيته إلى يقوه وكذلك يسخر له كثيرا من العبيد ليحمل الأثاث وبالجملة ، فقد قابل سيدنا كفاوة عظيمة وأهدى له سيِّدنا حصانا أهداه له سلطان خلف المتقدم ذكره وهؤلاء الملوك كلهم من ملوك فلاته ما عدا السلطان سعيد أمير قمبان فإنه وطني .

2 السيِّد والي العهد إيرمة بودقو بن سلطان بقوه الذي أسلم على يد سيِّدنا لأنه كان مجوسيا وهو وطني .

3 السيد السلطان مات بن آدم دتنق بيافيا فهو أيضا وطنيا وهؤلاء كلهم تجانيون أخذوا عن سيِّدنا رضي الله عنه ومن ملوك الفلاته ملك قروة غير أنه ليس بتجاني بل هو قادري .

4 ومن ملوك الفلاته أيضا ملك قروة وهذا السيد تجاني صميم من قديم وأعلم بأن ملوك الفلاته كانوا قبل الإحتلال الألماني للكمرون جميعا تحت ملك يوله Yola بنيجريا وملك يوله بدوره تحت تصرف ملوك سوكوتو بنيجيريا وهم آل عثمان فودي فلا يسمّى ملكا من ملوك الفلاته قبل الإحتلال الألماني في الكمرون إلا باذن من يوله تأتيه الرّاية عن أن التسمية وي ، وله تلتمس الإذن من سوكوتو كما قلنا مركز الإمارة العامة لملوك الفلات وملوك سوكوتو هم الذين دخلوا الإسلام في الكمرون ونصروه بالسيف بين المجوسية التي كانت ضاربة أطنابها ، وفي بعض قطر نجيريا وقلنا في بعض قطر نيجريا لأن

الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه وصل في فتوحه التي شقت أرجاء إفريقيا الغربية إلى بلدة سوكوتو أما بعد الإحتلال الألماني للكمرون ، وكذلك بعد الإحتلال الفرنسي أصبحت السلطة التنفيذية من طرف ملوك سوكوتو معروفة ولم يبق لهم منها إلا المعني الأدبي و قد أدخل سيدنا في بلاد الكمرون جما غفيرا للطريقة التجانية وكذلك أجاز كثيرا من السلاطين والأمراء والعلماء ، والأعيان والقضاة في مختلف البلدان وأسماؤهم كلها مثبتة في دفتر الإجازات كما قلنا حتى أن عدد المقدمين وصل إلى ألف نفس ساعة كتابة هذه الأسطر والأمر لا يزال في ازدياد وقد وقع تعلق عظيم لأصحاب الأقطار الإفريقية الغربية والكمرون والإستوائية إلى آخرنقطة منها عاصمة فولافي بسيدنا رضي الله عنه حتى أنهم يودون لو عاشرهم إلى الممات .

وفي كثير من الأوقات لشدة الازدحام عليه يتضرر وتقطع ثيابه فلله دره من إمام صبور وقد إعتراه المرض في عدة أوقات خصوصا في القطر قد إعتراه مرض الحمى وإعترانا جميعا في بلدة القندري ، وفي يوندي وفي قروه و رغم هذه الأتعاب كلها فهو لا يزال يواصل سيره الربّاني في تسديد الأمر الذي هو بصدد إبرامه وإحكامه وكذلك مرض سيدنا في بلدة أبدج في لاكوت دي فوار ، وقد شفاه الله تعالى بفضل جوده وكرمه وجزاء لصبره الذي لا مثل له وقد مرض العبد الحقير في عاصمة دكار أيام ذهابنا إلى لفتى والفرنسية وإستمر هذا المرض إلى أن دخلت المستشفى في بلدة كناكري مكث فيه ثلاثة أيّام لمعالجة مرض الحمى ولو عددنا الأتعاب لما و سعتنا هذه الأوراق طي هذا الكتاب ولكن تسلينا بقوله تعالى :" إنّما يُوفى الصّابِرُون أجْرهُمْ بِغيْرِ حِسابْ "[1] .

سفر سيِّدنا من دواله إلى بوانت نوار[2] و منها إلى برازفيل :

[1] الزمر 10 .

[2] تطل على الأطلسي , و تعد ميناءا هاما .

ليعلم القارئ أن سيدنا لم يتم جولاته في قطر الكمرون إلا بعد رجوعه من عاصمة برازفيل بالكونقو الفرنسي ، وبعد زيارته إلى الكنغو البلجيكي الذي إقتصر فيه على زيارة عاصمته بلدة كنصاصة المسماة باللغة الأجنبية ليبولفيل Leobolaville سافر سيدنا وحاشيته الميمونة التي تتألف من هؤلاء الأشخاص العبد الحقير أحمد العناية والسيد محمد عال الشنجيطي ومحمد والحاج عثمان عمر الفلاتي غادرنا مدينة دوالة على متن الباخرة الجميلة ذات الشكل البديع المسماة البنفور Bonfora متوجّهين إلى مدينة بوانت نوار Pointe noirالتي هي الميناء الوحيد لقطر الكنغو الفرنسي الذي هو قطعة إفريقيا قطر القابو Gabon الذي عاصمته يسرفيل ، وهي كرساه الوحيد ومن قطر لوبنقى .
ومن قطر التشاد والحاكم العام لهذه الأقطار الإفريقية الإستوائية يقيم بعاصمة برازفيل .

خرجنا من دوالة يوم 1 ماي 1949 صبيحة يوم الأحد ودام بنا سير هذه الباخرة في البحر المحيط الأتلانتكي ليلتين مررنا أثناء هذا السفر البحري على ميناء قطر القابو مدينة يورجانتي Port Gentil أرست الباخرة في هذا الميناء نحو الساعة ونصف إتصل سيدنا في هذه المهلة ببعض الشخصيات من السنغال يين الذين رفع أعلامهم بمروره من إخوانهم جماعة دواله ، فنزل سيِّدنا من الباخرة إبتغاء الإجتماع بهم وقد وجدناهم على الرّصيف ينتظرون قدوم سيِّدنا فاتصل بهم وإتصلوا به ودام هذا المجلس نحو نصف ساعة أرشدهم فيه وأخذوا عنه الطريقة ، ودعا لهم في الختام ثم دعوه ورجعنا مرة أخرى إلى الباخرة التي ستواصل سيرها إلى بوانت نوار وصلنا إلى البلدة المذكورة يوم الثلاثاء على السّاعة الثالثة عشية فوجد سيِّدنا الناس في إنتظاره من إخواننا السنغاليين وأهل الوطن فسلموا على سيِّدنا بمجرد نزوله من الباخرة ثم ركب السيارة قاصدا مأوى النزول والإقامة في دار السيد جي جي ، وزوجته هاث مك من أهل السنغاليين وإجتمع في بوانت نوار بنائب الحاكم العام الدايفي Pelegne الذي رحب به كثيرا وسأله عن أحوال السفر وأحوال الجزائر ومن بوانت نوار توجه سيدنا إلى برازفيل غير أنه ركب الترزين

السريع والغرض من ذلك الإطلاع على الغابات الكبرى التي بين برازفيل وبوانت نوارنهارا لأن القطارلا يسافرإلا ليلا وفي الليل لا يتمكن الإنسان من غرضه الإستطلاعي مع أنه يواصل سيره في هذا المركب إلى برافزفيل بل اقتصر على بلوغه بلدة .

ومن هذا المحل ركب القطار السريع الذي يربط بين بوانت نو ار وبرازفيل ليلا وترى في جانب هذا الرتل السريع مكتوبا بالفرنسية بحروف كبرى (الكنغو المحيط) congo –ocean ولعمري أنه لقطار بديع الشكل وله سرعة توازن سرعة القطارات بالشمال الإفريقي وصلنا عاصمة برازفيل صباحا ، ووجدنا جما غفيرا من الأصحاب السنغاليين والوطنيين أهل الكنغو وهوسة وفلاته ينتظرون في قدوم سيَّدنا في المحطة ويوجد من بينهم شخصيات بارزة من السنغاليين أهل عاصمة كنصاصة جاءوا لمقابلة سيدنا كإخوانهم الكرام فسلموا على سيَّدنا بعد خروجه من محطة برازفيل ورئيس السنغاليين يقال له الحاج السيد محمد ديوب وبعد ذلك ذهب سيَّدنا إلى محل إقامته وقد إجتمع سيَّدنا في هذه العاصمة بالنائب العام الفرنسي الذي رحب به كثيرا بعد أيام توجه سيدنا من هذه المدينة إلى عاصمة كنصاصة في قطر الكنغو البلجيكي ركب هو ، و الجماعة على كثرتها في زورق قطعوا به نهر الكنغو الكبير الذي تتلاطم أمواجه كالبحر حتى وصلوا إلى كنصاصة التي وقع فيها إستقبال عظيم شاركت فيه 17 سيا رة من أجمل السيَّارات الحديثة من الطراز الأمريكي بقيت هذه الإستقبالات تحكيها المخيلة لهذا القلم حتى كتب ورسم ، نزل سيدنا في بلدة كنصاصة الوحيدة ضيفا عند السيَّد مجنح انجبقا السنغالي وقد إجتمع خلال هذه الإقامة بالحاكم العام لقطر الكنغو البلجيكي الذي رحب به بدوره كثيرا وسأله هل يريد التجول في قطر الكنغو كما فعل في بقية الأ قطار ، فأجابه سيدنا بأنه لا غرض له في ذلك وكانت هذه الرسمية بواسطة القنصل العام الفرنسي المقيم في بلاد كنصاصة الذي استدعى سيدنا لمحله الخاص لجماعة من السنغال وقد امتطى سيدنا جوادا أعظم الحسنات التي خلدها له الدهر وهي أنه أصلح بين طائفتين

من المسلمين كان التنافر سائدا بينهم منذ عامين وهذا الشقاق سببه خلاف وقع بين إمامين كل منهما يريد الإنفراد بخطة الإمامة ولا يسمح بها لأخيه وكل إمام أخذ معه طائفة يستند عنها ، فاستحكم الشقاق بين الطائفتين حتى توعد أحد الإمامين أخاه وهدده بالقتل إذا رآه في محراب الجامع فأصلح سيدنا هذا الشقاق بينهما وذهب التنافر بين الطائفتين وحل محله الوفاق وتركنا الطائفتين في بحر الأخوة الإسلامية التجانية يسبحون وهذه عادته رضي الله عنه في أي بلدة أو مدينة وجد فيها خلافا بين المسلمين إلا و يجهد نفسه ويستعمل طرائق الإصلاح حتى يحل الوفاق بينهم وقبل مغادرته لتلك البلدة وكما وجد شقاقا في عاصمة برازفيل بين أهل الكنغو الوطنيين والسنغاليين الأجانب حتى أن أهل الكنغو لا يصلون في جامع برازفيل تحت تيار هذا الشقاق فأصلح بينهم، وتم الصّلح على أحسن وجه و أوثق طريق وذهب سيدنا مرارا للصلاة بجامع برازفيل . فكم خطب ووعظ وأرشد وحرض وترى المترجمين للغة سيدنا العربية باللغات الوطنية واقفين على ساق الجد والإجتهاد في إيصال تلك المعاني إلى الحاضرين من العباد من حاضر وباد حتى أن مجلس الإرشاد في كثير من الأوقات من اختلاف جنسيات العباد يستغرق الساعات وسيدنا في هذا كله لا يعتريه فتور بل همّة الوفيد دلالة على تمسك الناس على طريق السّديد والمنهج السّعيد .

ومن مدينة كنصاصة رجع سيدنا إلى عاصمة برازفيل ثم منها إلى مدينة بسرفيل في الطائرة لأن ليرفيل أرسلوا برقية إستدعاء لسيدنا فنزل عندهم وأقام يومين إجتمع بالناس في الجامع ثم من بسرفيل ركب الطائرة إلى بلدة دوالة راجعا مرة ثانية للكمرون وقد اجتمع سيدنا بعاصمة لبرفيل التي هي عاصمة قطر القابو بالحاكم العام الذي إستدعاه في قصره ترحيبا به وصلنا الدوالة على الساعة الرابعة مساءا يوم الأربعاء 1 جوان 1949 ونزل ضيفا في دوالة عند من تعودنا النزل عنده من قبل وهو السيد الحاج موسى يروري الهوسي ولا ننسى أن نقول أن سلطان المسلمين بدوالة السيد برزو Parezo دائما يستمر

في خدمته لجانب سيدنا أيام إقامته بدوالة وكذلك أخوه المنشغل بفن التصوير بعاصمة لبرفيل برزو واصل عائلة برزو من وطن الدهمي ولها مكانة عند الحكومة الفرنسية بفضل الخدمة العسكرية في الحروب الماضية التي شاركت فيها رجال هذه العائلة وينتفع بهم المسلمون كثيرا في التوسط بينهم وبين الحكومة بين دوالة واصل سيدنا سفره إلى شمال الكمرون عن طريق السيّارات وقد مر الكلام على هذا ولا ننسى أن نقول أن شهر رمضان 1368 قد استهل علينا ، ونحن بعاصمة يونيو بالكمرون ونحن نزول عن السيد الحاج علي .

وقضينا بين بوكو وثبات وبمبو وانقدري التي مر علينا فيها أكثر والتي وقع فيها عيد الفطر فإن أهلها طلبوا من سيدنا بالحاج أن يقضي معهم صلاة العيد فأجابهم سيدنا لهذا الغرض رغم إمتداد السّفر وضيق أوقاته ، ونحن كما قدمنا في ضيافة السيد محمد آدم سلطان البلدة.

ومن المعلوم أن سيدنا مهما نزل بقرية أو حل بمصر في هذه الأسفار كلها لا يكون نزوله إلا عند السلاطين والأمراء وأحيانا يكون عند السنغاليين ومرة عند الوطنيين على ما تقتضيه الظروف ومهما أردنا مغادرة قرية أو مصر إلا ويشايعه نخبة الأعيان ، و بعض الوجهاء ويصلون معه إلى البلاد المبتغى ثم الآخرون يفعلون معه ما فعله الأوائل وهكذا ديدن هذه الأسفار بدون تخلف وأيضا ما من قرية أو مصر أردنا التوجه إليه إلاّ ويقع الأخيار والإعلام لأهله الوجهاء تلغرافيا قبل الوصول إليه بأيّام لتمكنوا من تهيئة أمورهم اللازمة لأن سيدنا لا يقل أن يكون دائما في غالب الأوقات معه مما يزيد على العشرة من الأتباع .

أعمال سيدنا من الناحية الدينية بإفريقيا الغربية والإستوائية والكنغو البلجيكي :

لا يزال سيدنا رضي الله عنه يواصل جهوده الجبارة في سبيل تمهيد الوجهة الدينية في الأراضي الإفريقية ولم تقتصر وراء تحقيق هذا الغرض الرباني على الكلام الشفهي

فحسب بل جنح إلى جمع بعض الأوراق الكتابية باللغة الفرنسية تارة والإنقليزية أخرى في بيان أركان الدين الإسلامي ، وأسرار التشريع الإسلامي في سبيل تهذيب نفوس أولئك الناس الذين انحطت درجتهم الثقافية عن معرفة اللغة العربية ولا يعرفون إلا لغاتهم الوطنية أو اللغة الفرنسية والإنقليزية السّائدتين بين شعوب تلك الأقطار ونظرا لكون المشاركة في الوظائف الإدارية تنتمي إليهما أما اللغة العربية ، فهي أشد عن الشاذ لذلك توجهت عناية سيدنا رضي الله عنه إلى جمع تأليف تارة باللغة الفرنسية في الأقطار التي تحت الحكومة المذكورة من الأرجاء الإفريقية وتارة باللغة الإنقليزية في المستعمرات الإنقليزية من إفريقيا الغربية وكقطر ليبيريا المستقلة وسمي هذا التأليف صغير الحجم كبير العلم الجواب الواضح بالفرنسية La Réponse claire، وقدمه للطبع على نفقته بساحل العاج وجدد طبعه في كوتونو من قطر الدهمي ولشدة رغبة الناس فيه جدد أيضا طبعه في عاصمة برازفيل وأرسل فيه عدة نسخ لعاصمة كنصاصة ببلاد الكنغو البلجيكي لأن أهل الكنغو لا يعرفون ولو حرفا من العربية خصوصا الذين أسلموا في العهد القريب وهم يعرفون اللغة الفرنسية جيدا ، وهي الجارية بينهم في الوطن من اللغات الأجنبية زيادة على لغاتهم الوطنية الكثيرة وقد أسلم من أهل كنصاصة على يد سيِّدنا أيام إقامته بها فتراه يقف المرات العديدة خطيبا وسط المجوس والمسيحيين يدعوهم للدين الحنيف بأسلوب لا يصادم السياسة الحكومية لأن حكومة البلجيك لها تعصب عظيم من الناحية الدينية ولا تسمح بدعاية أجنبية قط في أوطانها حتى أنها مانعة كل المنع أن يتصل أهل الكنغو بغيرهم من الأقطار الفرنسية حتى أن الآباء البيض يخوفون سكان الكنغو من إتصالهم بأهل السنغال المسلمين القاطنين ببلادهم ، ويقولون لهم أنهم سحرة والغرض من ذلك التفرقة بينهم عساه ينشأ عن الإتصال دعاية إسلامية بينهم لأن السنغاليين في غاية التدين في جميع الأقطار الإفريقية التي رأيناها وتجدهم أشد الناس على أركان الدين الإسلامي مع ما أضيف لذلك من الكرم وإيصال النفع للغير رغم كونهم أجانب وقد قام

أهل السنغال الأجانب في مختلف الأقطار التي تجولنا فيها بحق عظيم وجانب وافر من الكرامة والحفاوة نحو سيدنا وسيأتي في الخلاصة الآتية بعض أعمالهم الخيرية في مختلف الأنحاء والمشاريع الإجتماعية ، وقد جعل سيدنا أيضا مجموعا باللغة الفرنسية والإنقليزية يحتوي على شروط الطريقة التجانية وترتيب الأذكار وأدابها تسهيلا للمريدين الذين لا يحسنون اللغة الفرنسية وقد طبع هذا المجموع مرة بالإنقليزية ثم جدد طبعه ثالثة في لاكوت ديفوار وكل ذلك على نفقته وقد حصل منه وكتاب الجواب الواضح الذي يبحث في الأركان الإسلامية نفع كبير ، وقد أعطى اسم " مفتاح الجنة " لهذه المجموعة التجانية .

ولم يقتصر سيدنا على هذا بل زاد خطوة إلى الأمام وقدم للطبع عدة آلاف ورقة تنتمي وتحتوي على نسبة إلى الشيخ رضي الله عنه وذكر أوراد الطريقة التجانية اللازمة بأعيانها مشكولة ، و بخط واضح تسلم هذه الأوراق لكل من أخذ عنه الورد مبدئيا أو جدد عنه وتراه يختم كل ورقة من هذه الأوراق من هذه الأوراق على كثرتها بخاتمة الشريف وتجد سيِّدنا يسلم لكل شخص اعتنق الإسلام من المجوس ورقة تحتوي على شهادة الإعترافبأنّ هذا الرجل أو المرأة أسلما على يديه تكتب هذه الوثيقة بالعربية ثم تترجم بالفرنسية ثم يختمها وكل ذلك ترغيبا للأجانب للدخول في الإسلام وتراه يطيل لهم النفس في إيضاح مزايا الإسلام وأنه د ين الإنسانية ، وبالأخص الإفريقيين فهم أحق بالإسلام لكون قارة إفريقيا هي أول قارة من القارات الخمس التي وجد الإسلام فيها فهذا وقضية هجرة الصّحابة رضي الله عنهم للحبشة أصدق برهان لهذا المدعى، فقد وجدنا أبناء الإسلام الأوائل حفاوة من أبناء إفريقيا وتراه يوضح لهم هذا السبيل بأنوار مشكلة تارة بالأدلة التاريخية وتارة بالوجدان الإنساني الذي تقتضيه البشرية ،ولا يزال معهم هكذا حتى لا ينقضي هذا المجلس الأعلى نتائج محسوسة وقد أثرت هذه الدعاية الإسلامية تأثيرا عميقا في قلوب الآباء البيض وقد أمر العبد الحقير بأن يجعل دروسا فرنسية شفاهية خصوصا في كنصاصة لإفهام الوطنيين الكفار مزايا الإسلام وتوضيح العقيدة

الإسلامية بأنها هي واجب النوع البشري في هذه الحياة لأنها تلتئم مع جوهرة العقل النفيس الذي خصّ الله به الإنسان وكم جرى بيننا وبينهم في إثبات أن القول بالتثليث كما حكاه الله تعالى عنهم نفي كتابه العزيز, حيث قال :" لقدْ كفر الّذِين قالُوا انّ ثالِثُ ثلاثة"[1] قول مفترى يأباه العقل الإنساني وكم أقمنا لذلك من دليل واضح وضوح الشمس في رابعة النهار فترى كل عشية مدة إقامة سيدنا كنصاصة جمعا غفيرا من الكفار الوطنيين بمنزل سيِّدنا رغبة للعلم وطلبا للإرشاد لكون نفوس هؤلاء الناس قابلة غاية القبول وراغبة غاية الرغبة في معرفة الحقائق على ماهي عليه خصوصا من الجنس الأبيض العربي لأنهم كانوا يظنون على ما أوصلتهم إليه معرفتهم أنه لا يوجد من البيض من يتدين بالدين الإسلامي لأن البيض الذين في وطنهم كلهم يتدينون بالديانة المسيحية لكونهم من أوروبا أما قطر الكمرون فإن سيِّدنا أجهد نفسه فيه غاية الجهد لأن الثقافة العربية فيه أندر من النادر وجميع المسلمين الذين في الكمرون غالبهم أجانبهم إما من السّنغال أو من هوسة وفلاته وقد رغب من الحكومة كثيرا أن تنشأ مدارس الآنفة بأهل الوطن يتعلمون فيها اللغة العربية والفرنسية وفقه الإسلام من الناحية التشريعية حتى يسهل على المسلمين في آن و احد معرفة دينهم المقدار الواجب على الأعيان ومعرفة اللغة الفرنسية للمساهمة في الأمور الحيوية التي لا بد منها والحالة في الكمرون سيئة جدا من ناحية الأنكحة خصوصا في جنوب الكمرون حتى أن الأنكحة عندهم لا تزال على عهد الجاهلية القديم قبل طلوع شمس الإسلام ، فتجدهم لا يتوقون مسألة المحرمات من النساء حتى أنهم يتزوجون بأخواتهم من الرضاع ربما أدى بهم الأمر أن يتزوج الرجل بأخته غير شقيقته وعند بعض السلاطين ، والأمراء يتزوج السلطان أو الأمير حلائل أبيه المتوفي إذا ترك بعض الأماء اللواتي كان الأب قد استمتع بهن و يرون أن ذلك كميراث ورثوه ينتفعون به كانتفاعهم بالعقارات أو الأثاث المنزلية .فتطهيرا لهم من هذا السفاح الخبيث وهذه العوائد

---

[1] المائدة 73 .

الشنعاء أمر سيدنا العبد الحقير بأن يجعل لهم رسالة دينية تبحث في الأنكحة من عدة أنحاء كأحوال الطلاق وأقسامه وأسبابه ومعرفة النكاح الصحيح من الفاسد وذكر المحرمات من النساء والتعرض لسبب التحريم الذي هو النسب أو المصاهرة أو الرضاع أو الطلاق بعد البنيوية وقبل تجديد عقد النكاح شروطه المقررة إذا كان الطلاق يمكن بعده المراجعة فإن كان أحاديا أمّا إذا كان ثلاثيا فلا تصح المراجعة إلا بعد الإستمتاع بزوج جديد الذي تعتد بعد طلاقه قبل أن يعقد عليها الزوج الأول المطلق العقد الجديد والتعرض لأنواع العدّة بأسلوب سهل واعتمدنا في تحرير هذه الفروع على أصلين من أوصول الشريعة قوله تعالى " حُرِّمَت عليْكُمْ أمّهاتُكُمْ "[1] وقوله صلى الله عليه وسلم :" إن الله حرم من الرضاعة ما حرّم من الولادة "[2] وكتب هذه الخلاصة الفقهية باللغة الفرنسية ووزعت على الناس فتلقوها بغاية السُرور والفرح وتحققوا ما كانوا عليه من الخطأ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

أمّا طوائف يوربه أهل جنوب نيجيريا فعندهم من العوائد القبيحة أن الإنسان لا يتزوج المرأة تزويجا رسميا إلا إذا عاشرها بمدة وأتى منها بولد أو ولدين من السفاح ثم بعد ذلك يعلن بزواجه إياها ويتصدى لاستدعاء الناس لوليمة النكاح بعد أن يصادق أهلها على هذا التزويج المفتتح بالسّفاح البين الظاهر ، وترى هذه العوائد شائعة بينهم ولا ينفكون عنها هذه قطرة من بحر الحاصل أن أمور الأنكحة في هذه الأقطار لا تستند إلى قانون كيف ما كان إنا لله وإنا اليه راجعون ، وكيف تكون منظمة والحال أن القضاء الإسلامي إلا في قطر السنغال نظرا للثقافة العربية الإسلامية فيه وكذلك في شمال نيجيريا أوطان هوسة الذين فيهم كثير من العلماء أهل الشريعة ، وكذلك في شمال قطر الكمرون في أوطان فلاته الذين يوجد فيهم أيضا كثير من أهل العلم أمّا بقية الغربية والإستوائية من

---

[1] النساء 23.

[2] سبق تخريج الحديث .

الأوطان وكذلك الكنغو فهي تحت ظلمة ليل الجهل الحالك ، وكذلك مسائل المواريث فهي على غير نظام تسمح به البشرية الراقية التي تدينت بالدين الإسلامي الحنيف فترى سيدنا رضي الله عنه كالمصباح الكهربائي المشرق تحت قطع هذه السحب المظلمة المتراكم بعضها فوق تارة يوفه شعاع الإرشاد يمينا وأخرى شمالا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يذكر الغبي ويرشده ويتذكر مع المهتدى ،وكم من مرة لشدة مواظبة على صلاة الجماعة وقراءة بين آلاف من الناس خصوصا للحضور في صلاة العشاء والصبح تراه المرات العديدة لا يصل إلى المحل إلا مبتلا تحت وابل الأقطار التي لا ينفك نزولها أمام الخريف التي هي جل أيام السنة عندهم رغم الركوب في السيارة واتخاذهم المظلة ولا يصده ذلك التعب العظيم من مواصلة ما هو بصدده من المشروع الديني ومن عاين الأمور يعلم هذا علم اليقين والله لا يضيع أجر المحسنين وكثيرا ما اعترضته الموانع في هذا السبيل وتراه يذللها بالصّبر والتثبت في السّير نحو المقاصد السّامية والمرامي العالية التي لا ينفك عنها تكبير الزعيم الديني الذي يقضي أوقاته النفسية في سبيل تهذيب العقول، وتربية النفوس تربية أدبية راقية ترفعها من الحضيض الأسفل إلى عنان السّماء في سبيل التدرج نحو الحياة السّعيدةالتي تخلد الذكرى .

والتاريخ الأغر في جبين الدهر وهذه تنشئة خواص الأمم الذين لا تخرج حياتهم كلها عن تفكير في سبيل العلا ، وعمل في سبيل الرقي وتراه رضي الله عنه في كثير من الأوقات في جوف الفلوات تحت ظل الأشجار والسيارات واقفة وهو يرشد الأقوام لما فيه سعادتهم دين ، وأخرى وكم عقد أوقاتا تختص بإرشاد النسوة والصّبيان يأمر النسوة بطاعة أزواجهن والمحافظة على الصّلوات بالطهارة الشرعية وحسن القيام بتربية الأولاد الصغار ويقول لهن أن الأم هي أول مدرسة يتعلم فيها الولد فلتحسن تعليمه لأنه رمز للعالم الجديد ، ويأمرهن بالعفة ورعاية حقوق الأزواج حق الرعاية ويخوفهن بأن أكثر سكان النار النساء كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وسئل عن سبب ذلك فقال :

لأنهن يكفرن العشير[1] (الزوج) إلى غيره ذلك من الأساليب الوعيظة في بابها المؤثرة في أربابها.

ثم في ختام المجلس يعرض عليهن شروط الطريقة التجانية لمن تريد أخذها فتراهن يسرعن بتلبية هذه الدعاية الأحمدية ، ويقتدين بالطريقة التجانية وقع مثل هذه الأشياء المرات العديدة في كل قطر وبلاد وقصرغير أن النهار يختص بزيارة الرجال والليل يختص بزيارة النساء لأن نساء هوسة لا يخرجن إلا ليلا وهم فيها رأينا محافظون على هذه السنة جزاهم الله خيرا ومسألة الحجاب مسألة دينية وإجتماعية ، أما دينية فإن الله تعالى أمر بها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم خطابا لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن وقرن في بيوتكن وقوله تعالى :" وإذا سألتموهن متاعا "[2] وأما كونها اجتماعية فإن المجتمع البشري في هذا العالم لا تصفو مشاربه ولا ترتكز دعائمه على الأسس الصحيحة إلا بالمحافظة على سنة الحجاب وبيان ذلك وإيضاحه أن الحياة في هذه الدنيا تعتمد ذكرا وأنثى، ولكل منهما وظائف يختص بها فالرجل يسعى خارج محله ويساهم أبناء جنسه في معترك هذه الحياة المشوبة باطن . وتراه جوف هذه المعمعة ووسط هذه الملمحة يركب مطايا الصعوبات ويرمي بنفسه العزيزة الغالية في لهيب هذا السّعير الجهنمي وراء تحقيق سعادته وسعادة أسرته خاصة وسعادة أبناء جنسه عامة ، فهو إذن قائم بدور هام من أدوار هذه الحياة بزوجته في محله الخاص قائمة بشؤون منزلها سعيا وراء تحقيق راحة زوجها الذي يأتيها وقد إنتهكت الأتعاب قواه تراه ينظر إليها نظر الأمين فكيف تعمد هي إلى الخيانة ؟ فهل يحس منها ؟ وزوجها شهيد معترك الحياة ...! كلا ! بل هذا الصنيع من ذوات الأخلاق الدينية وأصله من سوء تربية أمها لها قبل أن تمثل عائلتها بدار أجنبية فالمرأة الصّالحة هي المرأة الأمينة التي تختم على بضعها بخاتم العفة ، وتغلق

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ,برقم 1462 .

[2] الأحزاب 53 .

باب الإستمتاع بها لغير زوجها بمفتاح الأمانة والثقة والمحافظة على كرامتها وكرامة أهلها وعشيرتها قبل المحافظة على كرامة زوجها شقيق الروح المفدي بالنفس ، والنفيس فهي إن حافظت على هذا المعنى الكريم تصبح نبراسا مضيئا بين أخواتها وبنات جنسها ويبقى ذكرها الحميد محل الإعجاب والتقدير والإحترام !...فكيف يهنأ عيش الرجل وامرأته تخونه وأفراد أسرته من خليط مجهول الأصول إن هذا لبهتان عظيم وحاشا أن يصفو المشرب البشري وفي عذبه الزلال هذه الجراثيم الفتاكة بالشرف الإنساني التي يجب على كل شخص الوجوب الأدبي فضلا عن الوجوب الشرعي محاربتها ، والفتك بها مهما تصادق معها في هذه الحياة ولنرجع الآن إلى مسايرة هذا السّفر المستمر نعلمك أيها القارئ اللبيب أن سيِّدنا لما جاء إلى بلدة بقده آخر مركز من قطر الكمرون ركب كما قلنا زورقا بعد مفارقة الخيول التي أوجب السفر على ظهورها بين مروه ، وبقوه الفصل الخريفي الذي تكثر فيه الأمطار بصفة خارقة للعادة وتصبح طرق السيارات من كثرة المستنقعات المائية الراكدة أودية لا سبيل لسير السيّارات فيها مدة أشهر ،ولا يقع السّفر إلا على الخيول والمسافة كلها على هذا النمط بين مروة وعاصمة فرلمي بالتشاد ولا تسأل عن البعوض في هذا الفصل الخريفي من كثرة المياه الراكدة والرطوبات فإن الشخص لا يطيب له منام ولا يهنأ له رقاد وفي عدة ليال لا ينال الإنسان إلا بعض الحصص النومية بجهد جهيد لولا أننا اتخذنا وقاية الرداء المسمى الناموسيّة من القماش الرقيق تسدل على السرير تخول دخول الهواء من كواتها الصغيرة وتمنع البعوض من الوصول إ لى الإنسان حالة النوم أما لولا هذه الوقاية فأيام السّفر في الخريف بين مروه وفرلافي كأنها قطعة من جهنم ، فتصوّر تعب الإنسان بسبب الركوب على الخيول عدة أميال تحت حر الشمس وفي الليل لا يجد مهدا للإستراحة ولا لحظة نوميّة كيف يكون الحال ؟ إن قلت ينام في النهار الذي ليس فيه بعوض فالنهار ظرف للسفر ولا يستقيم أمر النوم من شدة الحر، ولا يخفاك أن الحالة الصحية لا تستقيم مع البعوض فإنه العامل الوحيد لجلب مرض الحمى

الفتاك بالقوة الإنسانية فلا حافظ إلا الله و لا ملجأ منه إلا إليه ربنا عليك توكلنا وإليك أتينا وإليك المصير إنك على كل شيئ قدير ورحمتك قريبة من المحسنين .

سفرنا بحر التشاد :

غادر سيِّدنا وأصحابه بلدة يقوه بالكمرون على متن زورق بحري سيره بالآلات الميكانيكية وقد قدمنا غير مرة أن سلطان مندف السيد البخاري من ملوك الفلاته صنع مع سيدنا صنيعا جميلا خلد له حسنة لا تنسى مفقد بعث بعبيده وصهره الشريف عبدالله وخيوله وأعوانه المخزئية كل هؤلاء مسخرون في خدمة سيِّدنا من مندف إلى يقوه والذي يسخر له المطايا من مروه إلى مندف . إنما هو سلطان مروة الفلاتي الذي تقدم لنا أنه تجاني من قديم نحن الآن على متن الزورق الذي يشق بنا عباب بحر التشاد الذي أصله من المياه المتجمعة من الأودية التي تصب فيه وأعظم هذه الأنهار السيّالة هو نهر الشري Chari الآتي من إفريقيا الجنوبية الإستوائية من جهة القابو أما بحر التشاد فهو عبارة عن بحر صغير مادته السيّالة ما ذكرناه دام هذا السّفر البحري الجديد 24 ساعة وفي كامل هذا السّير لا تسمع إلا نغمات الطيور المتنوعة ، وتغريد العصافير المتباينة الألوان التي تزيل على القلب شيئا من القلق ، وأتعاب السّفر وترى قطر الكمرون بأحد شاطئ هذا البحر بقراه السّاحلة وبالآخر قطر التشاد كذلك وترى شاطيه المخضر يسر معك حيث تسير ، وتبصر مرة بعد أخرى الطيور المائية البيض واقعة في الماء بقرب الساحل وتعلو في الجو أسرابا متتابعة فذكرتني قول الشاعر :

أسرب القطا هل من يعير جناحــه	لعلي إلى من قــد هويــت أطيــر
فجاوبني من فوق غصـــن أراكــة	ألا كلنـــا يـــا مســـتعير نعيـــر
وأي قطـــاة لـــم تعـــرك جناحهـــا	تعـــيش بـــذل الجنـــاح كســـير[1]

---

[1] من قصيدة بكيت على سرب القطا , للمجنون , انظر مجنون ليلي , ديوان مجنون ليلى , ص 190.

ويتناول سيدنا مرة بعد أخرى البندقية ليصيب طلقاته النارية بعض الطيور فترى الطيور من صدى الطلقات تبتعد من الشاطئ ثم ترجع إليه ولا تسمح بمفارقته .

وتبصر الذباب السمي الذي يوقع في الإنسان مرض النوم إذا أصابه يدخل مرة بعد مرة في جوف الزورق ، ونتوقى منه نحن قدر الإمكان وقد حفظنا الله تعالى منه وسيأتي في الخلاصة بعض ما يتعلق بمضار هذا الذباب ومن البلدان الكبرى التي مررنا عنها في هذا السّفر بلدة بنقور Bangor التي وجد فيها سيدنا إستقبالا عظيما من طرف الأهالي وإجتمعنا بشخصين من قطر الجزائر يتعاطيان في التجارة أحدهما من بلدة ورقلة والآخر من بلدة البيض وسيدنا نزل ضيفا في بلدة بنقور عند سلطانها كما هي العوائد السّابقة واجتمع بحاكمها الذي رحب به كثيرا ومن بلدة بنقرة واصلنا السّير على الزورق إلى عاصمة فرلاقي بوطن التشاد غير أننا قضينا ليلة ببلدة كسري آخر بلدة من قطر الكمرون التي لا تبعد عن مدينة فرلافي إلا بعض الأميال ومررنا أيضا في هذا السّفر على بلدة لقنقنة Lougoungana، وآخر نقطة في هذا السّفر هي وصولنا إلى فولافي الذي وردت بعض الشخصيات البارزة التجانية منها وجاءت إلى سيدنا لمقابلته ببلدة كسري وبعد ذلك رجعت هذه الشخصيات إلى فر لافي و نخص منهم بالذكر السيد أبو بكر أبو ليماني الذي أصبح سيدنا ضيفه ومقيما بداره مدة إقامته بفرلافي التي دامت ستة أيّام ويوم دخولنا لها يوم الجمعة 13 سبتمبر 1949 على السّاعة 10 ونصف صباحا .

الغرائب والعجائب :

ومن أغرب ما سمعنا من النعات العارفين بأحوال هذه الأوطان أنه يوجد خصوصا بقطر يورنو من نجيريا قطر التشاد معشر من طلبة القرآن العظيم الذين يحسنون قراءته تراهم يتلون كتاب الله تعالى بمحضر الخمور ، والنساء العاهرات لا يبالون بما في ذلك من الوعيد الأليم ، فترى القارئ واضعا رأسه على ركبة العاهرة ,قارورة الخمر أمامه ، وهو يتلو آيات الكتاب المقدس هذا سمعناه من عدة أشخاص من نيجريا يصنع بالقطرين

المذكورين آنفا من أعجب ما سمعنا أيضا أنه يوجد في بلاد الحبشة القريبة من قطر السُّودان المصري أن المرأة تشترط زوجها إذا خطبها أن لا يتزوج بها حتى يأتيها بذكر من رجل أو ذكرين أو ثلاثة وفق مرادها تعلق هذه الذكور في جيدها لتشخص بذلك شجاعة زوجها وإن لم يأتها بمرادها فلا يظفر لعلمها بجبنه ومع هذا أنه يوجد في بلاد الحبشة الجمال المفرط في النساء لأن سمرتهن أميل إلى البياض منها إلى السّواد وهذه العادة الشعبية التي ذكرناها توجد في الكفار من أهل الوطن أما المسلمون منهم فهم من أحسن الناس خلقا وخلقا ، وفيهم كثير من أهل العلم الفضلاء وتوجد بينهم الطريقة التجانية والذي نشرها بينهم على ما سمعناه السيد أحمد ابن السيد بن المختار الشنجيطي وتزوج فيهم وله أولاد وتوفي ببلاد الدنكل بالحبشة .

وكثير من الأحباش يذهبون إلى القاهرة لمزاولة العلوم الإسلامية بالأزهر الشريف ولا يريد الإنسان المسلم من الأحباش أن تخاطبه بقولك له يا حبشي فيأنف من سماع كهذه النسبة بل يحسن عنده أن تخاطبه يا جبرثي وفي اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر المذكور غادر سيدنا بلدة فرلافي على متن الطائرة يوم الخميس السّابعة ونصف صباحا وفي أيام إقامته بفرلافي قد اجتمع بالحاكم العام لقطر التشاد ورحب به كثيرا وجاء وفد عظيممن سكان فرلافي المسلمون يشيعون سيدنا بالمطار قد صحب سيدنا في هذا السّفر من فرلافي إلى بلدة أبشا Abache آخر مركز كبير في الجهة الشرقية من قطر التشاد صحبة السيد أبو بكر أبوليماني أحد رجال السودان المصري من بلدة الفاشر يشتغل بالتجارة بفرلافي ، وهو الذي قام بإكرام سيدنا أيام الإقامة بالبلدة المذكورة وصل مع سيدنا إلى بلدة جنينة[1] أول مركز من قطر السّودان المصري دام سفرنا في الطائرة بين فرلافي وأبشا ثلاث ساعات وربع قطعنا خلالها مسافة تزيد على 800 كم و لما وصلنا إلى مطار أبشا وجدنا سوادا عظيما من المسلمين ينتظرون سيدنا بفارغ صبر ومعهم حاكم

---

[1] تقع جنوب غرب السودان.

البلدة الفرنسي وسلطانها المسلم وبمجرد النزول في المطار وجدنا السيّارات في إستعداد لنقلنا فتوجه سيدنا لمحل نزوله بدار سلطان المسلمين الذي هو متقيد بالعهد الأحمدي التجاني منذ عهد قديم مقابل سيّدنا بغاية الحفاوة والإكرام ، وفي نفس العشية من يوم القدوم إتصل سيدنا بأهل البلدة الذين تقيد أكثرهم بالطريقة التجانية وخطبهم ووعظهم وأرشدهم إلى التمسك بحبل الدين الإسلامي والتباعد عن العقائد الزائفة التي لا نصيب لها في الإسلام ولا تمت إليه بحال وذلك كعقيدة الوهابية[1] التي طالما حرض سيًدنا على الابتعاد عنها في جميع الأوطان التي جسنا خلال ديارها وسرنا في أرجاء أوطانها .

لأن هذه العقيدة قد فتنت بين المسلمين في هذه الأقطار وسببها الحجاج الوافدين من بيت الله الحرام من أبناء هذه الأقطار تلقن لهم هذه العقائد الوهابية االزائفة مدة إقامتهم بالحجاز ويظنون جهلا منهم أنها من الإسلام الصّحيح فيبثونها في أوطانهم عند رجوعهم من الحجاز وكادت أن تعم هذه الأوطان لولا العناية الإلهية التي أرسلت إليهم سيدنا رضي الله عنه ليأخذ بأيديهم من تيار هذا السبيل الجارف، وسيأتي مزيد بسط لهذا ا لموضوع في الخلاصة الآتية بحول الله تعالى ومن بلدة أبشا توجه سيًدنا في السّيارات إلى بلدة أدري Adre آ خر مركز صغير من قطر التشاد واجتمع فيها بالحاكم وعرضنا الظروف على الدوانة الفرنسية غير أننا بها لم نغادر أبشا إلا قرب الغروب على السّاعة الرابعة أمضى بنا الحال إلى المبيت في الصّحراء ، ومعنا طائفة من الأصحاب منهم السيد الطيب من إخواننا أهل السّودان المصري التجار ببلدة أبشا الذي يشيع في سيدنا إلى بلدة جنينة وكذلك السيد أبو بكر أبواليماني الذي تقدم ذكره وحاشيته سيدنا العبد الحقير أحمد العناية والسيد محمد علي الشنجيطي والحاج عثمان عمر ومحمد بن التجيني و قد اصطاد سيًدنا تلك

---

[1] نسبة لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (1703 ــ 1791 م)بالعيينة سني حنبلي المذهب , و الوهابية مصطلح أطلق على حركة سياسية إسلامية قامت في منطقة نجد أواخر القرن 12 هــ (18 ميلادي) جاءت بالمنهج السلفي و حاربت البدع و الشرك , انظر سليمان بن عبد الرحمن الحقيل , حياة محمد بن عبد الوهاب و حقيقة دعوته , دار الفكر ط1 , 1999 ,و عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم , تاريخ العرب الحديث و المعاصر ,دار المتنبي , الدوحة ط 5 , 1990 .

الليلة شاة غزال أصابها والسيّارة في شدة السير لله دره من مصيب فحدث عن البحر، ولا حرج وذكر مناقب اللوعذي الأريب ولم ندخل أدري إلا صباحا على السّاعة السّابعة ونصف التي ترى فيها العلم الفرنسي فوق قوس كبير يرفرف إذ لم يبق على الحدود التي بين التشاد والسّودان المصري إلا نحو ثلاثة آميال ويقف قلمنا ها هنا ونتيخ مطية الكلام على السودان المصري حتى نستكمل الكلام على الخلاصة العامة في أحوال هذه الأوطان بأسلوب جامع ونموذج نافع تلك الخلاصة التي طالما أجلنا فكر القارئ اللبيب إليها ، وسيرى فيها من صنوف الأخبار وفنون الأشخاص البشرية ما يخول له الإطلاع على ما تكثر صدور هذه الأقطار الإفريقية وربما نتعرض مرة ثانية لكلام تقدم في هذه الرًحلة والغرض من ذلك التكرار هو تذكير القارئ بما تقدم وربطه بالمتأخر إذ تكرار الشيئ للمناسبة مع غيره يكون في كثير من الأحوال أوقع في النفس والقاعدة المعروفة أن ذكر الشيئ مع غيره غيره .

خلاصة عامة تتعلق بأحوال إفريقيا السوداء من نواح شتى :

لطالما تشوقت نفسك أيها الناظر غاية التشوق إلى الإطلاع على أحوال هذه الأقطار لا سيما وقد تقدم لك شيئ منها ، وسنحيطك علما بحول الله تعالى بما يجري خلال هذه الديار لتكون على بينة من أمرها ، ولو إجمالا هذه الأقطار معمورة بالملايين من النفوس و قد ضمت من السواد البشري على اختلاف الجنسيات وتباين العناصرما لا يقف عليه الأمر جاس خلال ديارها وغالب هذه السّكان كفار ومجوس وأما المسلمون بالنسبة لغيرهم من هؤلاء بصفة عامة هم الأقلية وتظهر هذه الأقلية غاية الظهور و تتحقق غاية التحقق خصوصا في بعض الأقطار الغربية من إفريقيا وفي إفريقيا الإستوائية وقطر الكمرون البلجيكي فالمسلمون في هذه الأقطار بالنسبة لغيرهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود وكذلك في قطر ساحل العاج لاكوت ديفو ار وليبيريا وسرليون وجنوب قطر ساحل الذهب لاكوت دور والدهمي خصوصا في الجنوب فالمسلمون في هذه الأقطار

قليلون غير أن المسلمين الوافدين على هذه الأقطار أما بوصف تتفاوت بحسب الدعاية الإسلامية وقلتها من الأجانب المسلمين الوافدين على هذه الأقطار وأما بوصف إداري حكومي أو بوصف التجارة أو الأقطار التي يوجد بها كثير من المسلمين كثرة محسوسة حتى أنه يمكن لك على أن تقول على ما فيه هم الأكثرية ففي السنغال يرتفع عدد المسلمين إرتفاعا عظيما وزيادة على كثرتهم أنه يوجد فهم كثير من أهل العلم ورجال الشريعة الإسلامية بفضل قربهم من قطر شنجيط[1] وبفضل عناية رجالهم بالدين عناية خاصة فتجد في قطر السنغال بأجمعه في البلدة الواحدة عدة مساجد وزوايا كبيرة مملوءة بالمبتعدين حتى أنه يمكنك أن تقول نظرا لانتشار الدين والثقافة الإ سلامية وبينهم أنه قطر السنغال هو القطر الوحيد الإسلامي في إفريقيا السوداء وبه القضاء والإفتاء الشرعي جاريين على النظم المدنية المعهودة ومن المعلوم أنه الإسلام في هذه الأقطار الأطلنتكية لحسنة ومن حسنات الشيخ السيدعمر بن سعيد الفوتي رضي الله عنه فإنه طالما جاهد المجوس من قبائل بنيرة حتى نصر الإسلام ومهد له سبيلا ووجود جامع بلدة دنقراي يفوت جلو من قطر لقنى الفرنسية لأصدق شاهد على هذه الدعوى وهو أول جامع يبنى في كافة إفريقيا السوداء وأسسه هذا الرجل العظيم وجميع الحكام الفرنسية لا يتخلفون عن زيارة هذا المشهد الإسلامي العظيم عند أول خطوة يخطوها في هذه الديار ومنبر الشيخ عمر رضي الله عنه رعاه إلى الآن محفوظان بالجامع المذكور الذي له عدة أبواب على ما تعارفن في جوامع المدن ومن مناقب هذا الرجل العظيم وكراماته الخالدة ومزاياه التالدة أن سقف هذا الجامع حرق مرتين أو ثلاث مرات بسبب اشتعال النار بجواره في الدور القريبة منه والمنبر والعصا في الحفظ والأمان رغم اشتداد لهيب النار في الجامع كما أخبرنا بذلك من يوثق به وهذه القضية متواترة بين سكان دنقراي وبكثر أيضا الإسلام كثرة محسوسه بشمال نيجيريا, فأقطار هوسة وهؤلاء الناس في غاية التدين وهم أتباع الشيخ عمر

[1] مدينة موريتانية , تقع شرق آدرار بموريتانيا , كانت مركز إشعاع علمي و ثقافي أسست (160 هـ / 776 م)

الأوائل ولا يزالون محافظون على سنة عدم خروج المرأة , ولهذا لا ترى نسائهم يخرجن إلا ليلا كما شاهدناه وجوامعهم عامرة غاية العمران بالذكر والصلاة تلاوة الوظيفة التجانية صباحا ومساءا ولهم ثقافة إسلامية تخول لهم معرفة أمور دينهم فتجد بينهم كثيرا من طلبة القرآن خصوصا أهل بلدة أكنو Kano بشمال نيجيريا التي يوجد بها مدرسة إسلامية عربية يدرس فيها الفقه الإسلامي والنحو والصرف ومن العروض وعلوم البلاغة التي يقرؤونها بمنظومة جلال الدين السيوطي رضي الله عنه عفو الجمان أما جنوب نيجيريا فإن سكانها طوائف وربه يقل فيهم الإسلام وعوائدهم في الأنكحة فاسدة جدا كما تقدم حتى أنهم أشبه شتى بالحيوانات في هذا الميدان وأكثرهم مجوس ولهم مراسم يحتفلون بها تعظيما لأوثانهم وأصنامهم فتسمعهم يصيحون بأصوات عالية يدعون أصنامهم وتراهم يتجولون في شوارع مدينة لاقوس بملابس خاصة وفي أرجلهم شناشن حديدية كالبغال المكبلة بالحديد والوجوه مغطاة وهم يسيرون في شوارع المدينة إشهارا لإحتفالهم بأصنامهم أيام تلك المواسم " ومن يبْتغِ غيْر الإِسْلامِ دِينا فلنْ يُقْبل مِنْهُ وهُو فِي الآخِرةِ مِن الخاسِرِينْ "[1] ..وتراهم يصطفون الواحد وراء الآخر أو الواحد وراء الأخرى العورة تكاد تمس العورة وهم في حالة رقص تقربا لزعمهم لأصنامهم والحال أنهم يمثلون أسوء أدوار الفسق " فمنْ يُرِيدُ الله أنْ يهْديهْ يشْرحُ صدْرهً للإِسْلامِ ومنْ يُرِيدُ أنْ يُضِلهُ يجْعلْ صدْرهُ ضيقا حرجا وكأنما يصْعد في السّماء "[2] ...

وكذلك يسكن هذه الأقطار قبائل الفلان إذ الصحيح أنها بالنون لا بالثاء وهم بكثرة في شمال قطر الكمرون ولهم عدة سلاطين كما تقدم وأجلهم من فوت ثورو القريبة من السنغال وفوت جلو في لفتى كما تقدم فإن هؤلاء الناس أبلوا البلى الحسن في سبيل نشر الدين الإسلامي في هذه الربوع طوعا أو كرها وجاهدوا جهادا كبيرا خلدهم ذكره التاريخ

[1] آل عمران 85 .

[2] الأنعام 125 .

ولهم وقائع عظيمة مع أهل الوطن الكفار المجوس الذين أسلم منهم الكثير بفضل تلك الجهود جزاهم الله خيرا ويقال أنهم عرب في الأصل ينتسبون إلى عقبة بن نافع[1] رضي الله عنه ليث الفتوح الإفريقية وإلى ساعة التاريخ توجد بعض الأشداق والجماجم العظيمة من شهداء الفلاتة محفوظة بقصر أحد الملوك من الوطنيين ببلدة فمبان Foumbane بالكمرون الفرنسي وهم أقرباء عهد بالإسلام بمدة لا تزيد عن الخمسين سنة ويتلوهم بعد ذلك السنغاليين في نشر الدين الإسلامي في هذه الأقطار غير أن السنغاليين الذي سهل لهم هذا الأمر هو توليتهم الأمور الإدارية تحت ظل الحكومة الفرنسية في الأقطار البعيدة عن قطر السنغال والذي خول لهم هذه المناصب هو أنهم يحسنون اللغة الفرنسية جيدا بصفة امتازوا بها عن أهل بقية الأقطار مثل إفريقيا الإستوائية , فترى السنغاليين يسعون في انتشار الإسلام بالدعاية القولية والفعلية , حتى إن السنغالي ينفق ماله الخاص في هذا السبيل وربما تأخر عن منصبه الحكومي نظرا لقيد حريته , واشتغل بالتجارة التي تسهل له ما هو بصدده أما هوسة فإن تأثيرهم الديني لا يتجاوز أنفسهم فليس لهم تأثير في الأجنبي رغم تدينهم والحق أحق أن يقال أن بقاء الإسلام في هذه الأقطار إنما رجع إلى فضل وجود الطريقتين التجانية والقادرية ولا يعرف هذه المعرفة التامة إلا من مارس الأسفار خلال هذه الأقطار لولا وجود هاتين الطريقتين لفشل أمر الإسلام ولتصدعت أركانه ولعبثت به اليد الأجنبية منذ عهد بعيد ,لأن العقيدة إذا أخذت موطنها في نفس الإنسان يعسر صرفها عنه بحكم الغريزة البشرية وزيارة سيدنا لهذه الأقطار جددت مابلي من الديار وأظهرت الرسوم بعد الإندثار غير أن اللغة العربية كما تقدم عواملها فاشلة غاية الفشل لكونها غريبة بين لغات وطنية لا تحصى كثرة واللغة الفرنسية والإنقليزية هما لغتا الإنشغال الإدارية وإدارات الشركات التجارية التي لا مناص للناس عنها وتجد في

---

[1] عقبة بن نافع الفهري (631 ــ 694 م) فاتح المغرب , انظر أبو الحسن علي بن عبد الواحد (المعروف بابن الأثير ت 630 هــ) أسد الغابة في معرفة الصحابة , تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الجواد , دار الكتب العلمية ط 1 , 1994 , ج 3 , ص 420 .

هذه رغم استفحال المدينة الراهنة من يأكل لحوم الآدميين خصوصا بقرب بلدة نزريكوري Nzérékoré بقطر لقنى طريق ليبيريا حتى أننا سمعنا أنه يوجد قبيلة من قبائل المجوس تبعد نحو 70 كم من البلدة المذكورة ليس لهم مقبرة بل يكتفون بأكل الميت, ويقولون لا نضيع ولدنا أو أخانا في التراب وكذلك في بعض الأماكن من الكمرون في البوادي رغم المنع الحكومي الكلي حتى أن الحاكم العام للكمرون ذهب يوما من الأيام في مثل هذه القضية لما بلغه أن أناسا يأكلون بعضهم بعضا ولا شك أن من يرتكب هذه الجنايات هم المجوس سكان البادية كما قلنا وبلغنا أنهم يبردون أسنانهم لهذا الغرض الفاسد أما المسلمون و سكان الحواضر من المجوس فلا يصنعون هذا الصنيع و كذلك من عوائد سكان البوادي من المجوس أنهم لا يلبسون الثياب البتة وترى أثناء مرورك بالطرقات في الفلوات السوأتين مكشوفتين من الذكر والأنثى وعند بعض القبائل يكتفون بسترهما بالحشيش من أمام ومن خلف أو من طرف خلف سيئة قبحهم الله تعالى وفيهم من يدفن مع الميت شيئا من المال أو الذهب والفضة رجاء صرفه في العالم الآخر وفيهم من إذا مات رئيس القوم يدفنون معه بعض عبيده أحياء ليرافقوه في سفره على زعمهم إلى جهنم لعنهم الله وسمعنا أنه يوجد في الشمال بقطر الدهمي من يعبد الأحناش الكبار. وجميع هذه العوائد على ما هي عليه سمعناها من أفواه أهل الوطن.

وهناك ملك أظنه مات في لاهوت فولته Haute voltaأي شخص من أهل وطنه رآه إلا وقع على بطنه ويصير يضرب الأرض بيديه ووجهه على سطح الأرض وهو يقول بابو بابو أي ينادي بعظمة الملك وهذا الملك لم ير طول حياته شخصا واقفا حتى أن الحكومة الفرنسية لما طلبت منه العسكر قال لهم أما أنا لا أعرف رجلا واقفا وأنتم أدرى بمن يصلح لهذه الخدمة ومن العوائد المتمكنة لهؤلاء الناس عادة عدم السّير حتى أن كثيرا من هؤلاء الناس بمن دخل المدن للإشتغال بالوظائف الحكومية فلبس الثياب مدة إقامته بالمدينة فإذا منح برخصة الإستراحة بعض الأيام وخرج لزيارة قبيلة تراه في غاية

الإشتياق للعودة إلى ما كان عليه من الكشف المذكور ومن المعلوم أن العوائد سواء كانت قبيحة أو حسنة لها وقع في النفوس وهناك عوائد لا تحصى ولا تعد كلها من القبح بمكان .

وفي هؤلاء المجوس من جرت عندهم العادة بأنهم من جملة ما يصدقون الزوجة خنزيرا وبعض البقر قنطارين من الملح سمعناه من بعض الوطنيين من أهل الكمرون من سكان عاصمة يوندي Yoonde وتجد في كثير من الأقطار العائلة الواحدة بعض أفرادها مسلمون بعضهم كفار غير أنهم يتناكحون بينهم ولا يعيشون بالحالة الدينية فتجد الكافر يتزوج بالمسلمة و بالعكس فهم متأثرون بالبيئة الوطنية أكثر من تأثرهم بالدين وتجد الواحد متزوج بعدة زوجات ربما بلغ العدد عشرين أو أكثر وتجد بعضهن لا يسكن في البلدة التي يسكنها الزوج وبعضهن في البلدة التي يسكنها الزوج ولا يقرؤون لهذه التفرقة حسابا فإنك ربما تجد عند الواحد عشرين ولدا أو أربعين بل ربما بلغ العدد عشرين وهو يتشوق إلى الزيادة وترى أسواقهم معمورة بالرجال و النساء جميعا يتعاطون التجارة بل ربما فاقت المرأة الرجل في التجارة وتجد النسوة في الأسواق أمامهن البضائع المنشورة للبيع وهن يتناقشن الأثمان مع الرجال وتخرج المرأة من محلها في الصباح حاملة لولدها وللبضاعة قاصدة السوق وتبقى كامل النهار في السوق و الرجل كذلك يكتفيان من الأقل في النهار بما يسد الرمق ولا يعودان إلى محلهما إلا ليلا كالبهائم التي كانت ترعى في الفلوات ولا ترى المرأة إلا ولها ولد صغير رضيع تحمله وراء ظهرها والبضاعة فوق رأسها, وهي تجوب شوارع المدينة تساهم الرجل في جميع الأنحاء الحيوية وقد قدمنا من هي الموجودة في بعض الأقطار القريبة عهد بالإسلام أن الرجل قد ربما تزوج بأخته غير شقيقته وربما تزوج حلائل أبيه بعد موته مدعيا أنه من باب الإرث غير أن سيِّدنا رضي الله عنه تدارك هذا الأمر الفاسد ونهاهم غاية النهي وكلم أمرائهم بتدارك هذا الفساد وشدد النكير عليهم غاية التشديد وقال لهم أن سماحة الإسلام

بل الكرامة البشرية تأبى هذا مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فرجعوا عما كانوا عليه وتابوا إلى الله "وقُلْ يا عِبادِي الّذِين أسْرفُوا على أنْفُسِهِمْ لا تقْنطُوا مِن رحْمة الله إن اللهُ يغْفِرُ الذُّنوب جمِيعا إِنّهُ هُو الغفُورٌ الرّحِيم "[1] ولا شك أن التوبة مقبولة قطعا إذا كانت جارية على القانون الإسلامي والإسلام يجب ما قبله وقد قدمنا أن القضاء الشرعي معدوم في جل هذه الأقطار بل يكتفون بالصلاة والصيام والحج والزكاة من خصال الإ سلام وهم يجهلون الدين غاية الجهل فما أحوجهم إلى بعثات إسلامية ولجان تجوس خلال ديارهم تبث بينهم الثقافة الإسلامية وتتكرر أسفار هذه اللجان للثقافية لهذه النواحي الإفريقية الأمر الذي يحمد عواقبه وتظهر نتائجه في المستقبل فإن همم هؤلاء الناس قابلة للفهم والإفهام لو وجدوا نذيرا مرشدا وقد قدمنا أن سيِّدنا بذل جهده عند المحاكم العليا وطلب منهم إنشاء مدارس إبتدائية وثانوية على ما يقتضيه برنامج التأسيس الأولى تدرس بها العلوم العربية آله بقدر الحاجة ومقصدا الذي اليه الحاجة ليعرفوا أمور دينهم خصوصا صبياهم النشأة الجديدة القابلة للتعليم بجميع نواحيه وكرر هذه المطالب عدة مرّات وحظيت بالقبول على الله بلوغ المأمول وعلاوة على ذلك لا يزال سيدنا يحرض الكبار في جميع مجالسه الإرشادية التي تشتمل على آلاف عن الناس على تعليم الصّبيان القرآن الكريم واللغة العربية ويقول لهم لا سبيل إلى معرفة الدين إلا باللغة العربية التي هي لغة الإسلام فكم حرض وكم نبه وكم بالغ في إسداء النّصيحة لو يجد من يعقل ويسمع :

لقـد أسـمعت لـوناديـت حيّـا ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي[2]

---

[1] الزمر 53 .

[2] البيت لعمرو بن معديكرب الزبيدي (599 ــ 661 م) , وقد ضمن البيت بعده شعراء كثر منهم كثيرعزة , عبد الرحمن بن الحكم ..., انظرأحمد بن محمد بن عبد ربه , العقد الفريد , تحقيق مفيد محمد قميحة , دار الكتب العلمية , ط 1 , 1983 , ج1 , ص 121 .

وعلى كل حال ما رأينا منهم إلا الإمتثال وما سمعنا عنهم بعد الفراق إلا التعظيم والإجلال وتقدير قيمة تلك النّصائح والأقوال وقدمنا أنه ألجأته الضرورة الحالية إلى وضع تأليف صغير باللغة الفرنسية والإنقليزية يتضمن قواعد الإسلام وأسرار التشريع الإسلامي بأسلوب سهل مفيد سعيا وراء تحقيق تلك المقاصد السامية من بث روح الثقافة الإسلامية بين أولئك الشعوب وليس لهم من الثقافة الإسلامية إلا بعض الطلبة يقرؤون الصّبيان القرآن بأسلوب لا يتسع حفظا ولا إتقانا للناحية الكتابية وقد قدمنا أن هذا المجموع الديني قد طبعه عدة مرّات في عاصمة برازفيل وفي لاكوت ديفوار في بلدة أبدج و في الدهمي ببلدة كوتنو وطبعه أيضا بعاصمة فرتاون سرليون بالإنقليزية وقد ظهرت نتائج هذا المجموع الذي تداوله بينهم حتى الكفار الوطنيين الأمر الذي نتج عن إسلام كثير منهم وتسمع كثيرا منهم يحمدون الله تعالى على زيارة سيدنا لهم التي فيها من المزايا ما لايدخل تحت حصر وتذوقوا شهد ذلك وسيّدنا لا يزال بين أظهرهم وسمعناهم مرارا يقولون أن زيارة هذا السيّد لهذه الأوطان لنهضة إسلامية جديدة عامة ونفحة تجانية بصفة خاصة قالوا ذلك مرارا في مختلف الأوطان و صدرت هذه الكلمة من مختلف الشعوب وكذلك ممن له اليد البيضاء في نشر الإسلام بعد الشيخ عمر رضي الله عنه في هذه الأوطان وبين أولئك الشعوب هو الشيخ عثمان فودي[1] من علماء الإسلام وكبار الطريقة القادرية مؤسس بلدة سوكو شمال نيجيريا المتوفي عام 1332 بعد وفاة سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه بعامين وأخوه هو السيّد عبد الله فودي[2] من كبار العلماء وله تفسير على كتاب الله تعالى سمّاه : ضياء التأويل وبه الدراسة بقطر شنجيط على ما أخبرنا الأخ السيد محمد علي بن قنى العلوي الشنجيطي توفي هذا السيّد عام 1244 بعد وفاة أخيه باثني عشرة سنة وقد قدمنا أنه كان لهذه العائلة الفودية السّلطة العامة على

[1] عثمان بن فودي مجدد و عالم نيجيري مالكي المذهب , متصوف قادري (1754 ــ 1817 م)من الهوسا .انظر الزركلي في أعلامه ص 340.

[2] عبد الله فودي (1766 ــ 1829 م) له مؤلفات في الفقه و الحديث و الأدب , انظر المرجع السابق , ص 347.

سلاطين الكمرون من الفلان وما من أمير أو سلطان من سلاطين فلاته إلا وتأتية التسمية من سلطان يوله بنيجريا و ويوفه بدورها تحت سلطة سوكتو لكن كان هذا كما قدمنا قبل الإحتلال الألماني لقطر الكمرون أمّا الآن فلم يبق لأهل سوكتو إلا السلطة الأدبية أما التنقية فقد أخنى عليها الذي أحنى على لبد سيما بعد الإحتلال الأخير الفرنسي وعائلة عثمان فودي من فوت تورو قرب السنغال كما قدمنا مهم والشيخ عمر رضي الله عنه من واد واحد غير أن الشيخ عمر من كبار التجانية وهم من كبار القادرية وأمر الإمارة في شمال نيجيريا خصوصا ناحية سوكتو لا يزال في هذه العائلة إلى الآن رغم الإحتلال الإنقليزي ولا ننسى بالذكر فخامة سلطان كنو وفخامة ولده المبارك اللوذعي أما سلطان كنو فاسمه عبدالله بن عباس وأما ولده فاسمه الحاج محمد السنوسي بقبة ترقة فهذا الأمير له الأهمية الكبرى والإحترام الأدبي السّائد بين أهل كنو وغيرهم بل كافة أهل نيجيريا المسلمين خصوصا هوسه وفلاته وكذلك ولده المذكور كاد أن يفوق أباه في هذا الميدان لما حازه من اللطافة والكرم ومكارم الأخلاق التي يقابل بها الرفيع كما يقابل بها الحقير بل تراه من مكارم أخلاقه ينسى الحقير ما وضعه بها الزمان ويلاطفه ويواسيه بما يقتضيه الإمكان وليس الخبر كالعيان ومع ذلك هو و والده من أشد الناس محافظة على ما يقتضيه مقام التعبد من صلوات وأذكار وهما متقيدان بالطريقة التجانية منذ عهد قديم زادهما الله حرمة على حرمة و شرفا على شرف وقد قابلا سيدنا أيام إقامته بكنوبل أيّام تنقلاته بشمال نيجيريا بإكرام وحفاوة نادرين من شخص لهذا الكرم الحاتمي في أيامه والقري العربي الصميم بين ضياف وأيام كنو تعد من أيام المواسم والأعياد بين ظروف هذه الرحلة فترى الهويسيين يعتنقون الطريقة التجانية آلافا منهم الجديد والمجدد ولا يزال هذا التيار الأحمدي على هذه الحالة حتى إنقضت أيام كنو تعد من أيام المواسم والأعياد بين ظروف هذه الرحلة فترة الوظيفة ضمن دار السلطان المذكور الذي ينزل به سيِّدنا صباحا ومساءا تضم آلافا من الذاكرين يذكرون بأصوات عالية متوازنة كان صدى تلك

الأصوات الربانية رعود تعلو رؤوس الذاكرين وكم لهذا الموقع من نظير إليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصّالح يرفعه .

وهذه الأوطان كلها معمورة بالغابات التي تحتوي على الملايين من الأشجار حتى أنك تسير الأيام العديدة على الوسائل النقلية السّريعة وتجوب أطراف المساحات الواسعة التي تعد آلاف من الكلومترات المربعة ولا تنقطع عنك هذه الغابات ويسكن هذه الغابات آلاف من الحيوانات المفترسة كالأسد والفيل خصوصا بالغابات الإفريقية الإستوائية و الكنغو وساحل العاج أما الأسد فيكثر في جهة السودان الفرنسي وأقطار إفريقيا الغربية ولهذا المعنى سميت سرليون بهذا الإسم لأن سر معناها بالإنقليزية الجبل وليون معناه الأسد يوجد النمر بأنواعه المتبانية والفهد وكذلك الحيات العظيمة والثعابين الكبيرة والتمساح يكثر جدا بشواطئ أنهارها وأوديتها التي تشق جوف الغابات ويسمى التمساح عند أهل الوطن الكايمة وفي كثير من الأماكن البعيدة عن العمران قد إفترس هنا الحيوان أشخاصا بصدد السّبح في مياه هذه الأنهار وكذلك يوجد كثير من القردة على إختلاف أنواعها في ظل هذه الغابات حتى أنك تراهم في الطرقات يجرون إذا سمعوا دوي سيّارة أو حركة غير اعتيادية لهم وفي كثير من الأماكن يتسببون في عدة أضرار للمزروعات الأمر الذي يلجأ الناس إلى إتخاذ وسائل طردهم وإبعادهم عن هذه المزروعات وبلغنا في سرليون أن الفلاحين في بعض المواضع قتلوا أحد عشر ألفا من القردة دفعا لهذه المضار الفلاحية و يعترضك في طريقك كثر من الأنهار السيالة التي لكثرة مائها لا تسمع لها في الغالب دويا حتى أنها لكثرتها كادت أن تكون مثل الطرقات والعبور عنها إنما هو بواسطة زوارق خشبية إتخذتها الحكومات تسهيلا للمرور من ناحية إلى أخرى أما الأنهار الكبيرة جدّا فعليها مناظر وجسور حديدية تظهر فيها براعة الصّنع الأوروبي تمر عليها القطارات وذلك مثل نهر النجر الكبير ونهرالسّنغال ونهر قمبيا ومنابع هذه الأنهار الثلاثة هي بين جبال قطر لقنى الفرنسية التي تكثر فيها الأمطار بصفة خارقة للعادة في فصل

الخريف هذا القطر لا تمشي فيه المسافة القليلة إلا تعترضك الأنهار الدفاقة ببحر المياه الكثيرة بين أشجار تلك الغابات وطول نهر النجر حوالي 20600 كم ونهر السنغال 890 كم ونهر قمبيا 550 كم ولا تقطع في هذه الأقطار مسافة أربعين كيلو مترا إلا وتجد نهرا كبيرا أمواجه تتلاطم كالبحر وذلك لكثرة الأمطار بهذه الأقطار كما قلنا حتى أنه في كثير منها لا ينقطع المطر عنها إلا شهرين في كامل العام وذلك قطر الكمرون ولفتى المذكور والقناو وغيرها وبعضها لا ينقطع عنها المطر إلا ثلاثة أشهر وبعضها أربعة أشهرغالبها فيه التوازن السّنوي ينزل في ستة أشهر وينقطع في مثلها ويسمون فصل الانقطاع صيفا وفصل النزول شتاء وتجد في قطر الكمرون وقطر ساحل العاج وغيرهما بدل الندا النازل ليلا وفي البكرة قبيل طلوع الشمس لا ينقطع حتى في الفصل الذي لا ينزل فيه المطر حتى أنك تستطيع أن تمشي بلا نعل في جوف الغابة ولا تصيبك شوكة من كثرة الرطوبات التي لا تنقطع لولا خوف الأحناش ...ولكثرة هذه الأمطار نجمت عنها هذه الغابات الواسعة والأعشاب المتراكم بعضها على بعض حتى أنها لطولها وغزارتها لا يكاد يظهر فيها الرجل الراكب على مطية ولكثرة هذه الرطوبات صارت هذه الأمطار غير صحية لأنها جمعت بين الرطوبات وشدة الحر فتتصاعد الأبخرة الأرضية الرطبة فينشأ على ذلك كثيرا من الأمراض منه خصوصا مرض الحمّى الذي كاد أن يكون هو المرض الرئيسي في هذه الأوطان ويكثر أيضا فيها مرض السّل والعياذ بالله الذي فتك بكثير من النسمات البشرية ولذا كانت الإقامة لها عسيره جدا خصوصا على الجنس الأبيض الذي تعود جسمه الإعتدال الجوي ومن ألجأته الضّرورة إلى الإقامة بها يلزمه أن يحافظ على القوانين الطبية محافظة المستميت وإلا فإنة يكون عرضة لكثير من الأمراض الفتاكة التي إذا تمكنت من الإنسان لا سبيل إلى معالجتها أو على الأقل تعسر المعالجة وينشأ أيضا على هذه الرطوبات مرض الرومتزم الذي يدخل الفشل البين على الإنسان إذا ما تمكن منه .

أما الناحية الزراعية فإن أهل هذه الأوطان خصوصا السنغال وشمال نيجيريا يشتغلون بزراعة الكوكاوية التي تسمى عند أهل السنغال قرت Garti ونيجيريا وغيرها يسمونها فول السودان ترسل فيه كميات وافرة لأوروبا والبلاد الأجنبية تحت سلطان الشركات التجارية وتكثر أيضا زراعة الأرز فإنك تجد الأرز مغمورا بالمياه الراكدة ولا يزيد و ذلك الأكثرة في الإنتاج وله سنبله تشبه نوعا ما السنبلة القمحية ونباته كالقمح وهو من الأقوات السّائدة في هذه الأوطان وقد مرّ لنا أن الحكومة الفرنسية قد إعتنت أخيرا بزراعته على النمط الحديث كما رأينا ذلك في السنغال والفضل في ذلك للمياه المجلوبة من نهره لسقي هذه المساحات الزراعية الواسعة التي تزيد الوطن ثروة على ثروة ويوجد على نهر النجر قرب مدينة بمكو Bamako بالسودان الفرنسي سد عظيم يقال له سد سوتبه Sotuba barrage بحفظ جانب عظيم من مياه النجر تسقى بها مساحات واسعة للزراعات حفله الفرنسيون وفي أقلهم أن تسقى هذه المياه مساحة 160.000 هكتار وكذلك يزرع الدخن بكثرة في هذه الأوطان وهو من العيش الغالب ويزرعون بكثرة الذرة بأنواعها خصوصا بقطر الكمرون فإن هذا النوع الزراعي كاد أن يكون هو غالب عيشهم وقد جرت مناقشة فقهية بين السيد محمد علي العلوي وبين بعض أهل البلد في قرية انقدري بالكمرون فيما يتعلق بإخراج زكاة الفطر فبعض أهل البلد يرى أن تخرج من العروق الغذائية التي تشبه البطاطا ويرون أن ذلك غالبهم يعيش به وقوته الأساسي نظرا لأنه عيش الفقراء والسيد محمد علي والعبد الحقير رأيا أن تخرج زكاة الفطر عندهم من الذرة لكونه غالب قوتهم ومن المعشرات والمراد بالعشر عند الفقهاء رضي الله عنهم المزكى بالعشر قال خليل من أغلب القوت من معشر قال المحقق الدردير وهو القمح والشعير والسلت والذرة والدخن والتمر والزبيب والأرز فهذه ثمانية فمراده يعني خليلا معشر خاص إلى أن قال صاحب المختصر إلا أن يقتات غيره أي غير ما ذكر من المعشر والإقط فيدخل فيه اللبس وغيره من لحم ولبن وفول و حمص.

قال العلامة الدسوقي على قول الشيخ خليل إلا أن يقتات غيره أي في زمن الرخاء والشدة معا لا في زمن الشدة فقط كما قاله أبو الحسن وابن رشد والذي يظهر من عبارات أهل المذهب أن غير التسعة غذاء كان غالبا لا يخرج منه وإنما يخرج منه إذا كان عيشهم دون غيره من التسعة كما في المدونة وغيرها ولذا قال المصنّف إلا أن يقتات غيره أي إلا أن ينفرد غيره أي إلا أن ينفرد غيره بالإقتيات فيخرج منه حينئذ انظرين وقد جمع بعضهم الأشياء التي تخرج منها زكاة الفطر في بيت فقال : قمح – شعير وزبيب سلت ، تمر مع الأرز ودخن ذرة وتكثر بهذه الأوطان زراعة الموز خصوصا بقطر لفتى الفرنسية فإن فيه زراعات واسعة من الموز الذي ترسل منه كميات وافرة للخارج ويوجد بكثرة القصب السّكري بأكله أهل الوطن كفاكهة أوكقوت عند بعضهم ويوجد نوع من الثمرة يقال له الكولة Kola كاد أن يكون الفاكهة الوحيدة عند هؤلاء الناس وهو الخبث بمكان وتسميته بالكولة عن أهل السنغال وأما عند هوسة فلاته فإنهم يسمونه تارة بالطنبول وأخرى بقورو Goro وقد أخبرني السيد الحاج منصور أمام جامع قروفيا أنه لما ذهب إلى الحجاز رأى بعض الحجازيين في يده الكولة فقال له الحجازي ما هذه ؟ قال له السيد الحاج منصور هذا شيئ طعمه لذيذ, قال له المكي ناولني إياه فلما ذاقه اشمأز منه غاية وهو يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورماه من يده و ثمر جيد لذيذ في هذه الأوطان يوجد خصوصا ساحل العاج يقال له لفوكه Lavocatيؤتي به بعد الطعام وهو من الحلاوة بمكان ويوجد ثمر يقال له بلغة أهل الوطن أنانه ANANA لذيذ جيد يؤكل بعد الطعام وتكثر بهذه الأوطان أيضا زراعة القطن التي يرسل منه إلى البلاد الأجنبية كميات وافرة خصوصا بقطر الكمرون الذي به عدة شركات تجارية لهذا الغرض حتى إن أهل الوطن يمكنهم الاستغناء عما يرد من الخارج لأن قوتهم يزرعونه بأيديهم من أرز ودخن وذرة ولباسهم أيضا نسيجه بلادهم فإن نساءهم يشتغلن بخدمة الثياب القطنية فلا تجد ثوبا أو غطاء أو وطاء إلا من لو كانوا يعقلون حتى السّكر لا

يحتاجونه لوجود قصبه عندهم ويوجد في هذه الأقطار خصوصا بقطر السنغال تمر يقال له ببايو Papaoni أشبه شيئ بالبطيخ وكذلك من الزراعات الوطنية الكثيرة زراعة النخيل الذي يستخرج منه الزيت الأحمر و شجره مثل شجر التمر وبذلك يظهر لك معنى قوله تعالى " والنّخل باسِقات لها طلْع نضِيدُ رِزْقا لِلْعِباد"[1] فتعبير الآية الكريمة بالرزق دليل على أن هذه الشجرة تأتي بكثير من الثمار المتباينة , غير التمر المتعارف وبهذا يظهر لك بأن العالم الذي لم تكن معرفته تامة بالبلدان لا يستطيع أن يعرف الأساليب القرآنية في مختلف الآية فإن القرآن كلام الله تعالى الذي أحاط علمه بجميع الأشياء تفصيلا وإجمالا فكيف يأتي لمخلوق أن يدعي أن هذه اللفظة القرآنية لا تدل إلا على هذا المعنى الخاص وأمثال هذا كثيرة وهناك نوع من النخيل يستخرج منه ثمر يقال له الككاو ورأينا غابات واسعة من أشجار النخيل الزيني أثناء سفرنا هذا كغابة سرليون العظيمة التي تحتوي على عدة آلاف من النخيل يمر عليها القطار بالقطر المذكور أخبرنا السيد الفاتجاني مقدم فرتاون أن طول هذه الغابة ثلاثين كلومترا ورأينا في غير هذه الأوطان غابات أخرى.

وكذلك قطر التوقو قرب عاصمة لومي Lome وقطر الدهمي وغيرها من الأوطان ويوجد في هذه الأوطان زراعة بعض العروق الغذائية يقال لها البلوغ وبالفرنسية Le maniok ومن الثمار الوطنية تمر يقال له المنقو Le mango يشبه في شكل التفاح الأحمر وكذلك يوجد بكثرة البرتقال غير أنه من كثرة الرطوبات لا يحمر كما بالشمال الإفريقي بل يبقى مخضرا على حالته وتوجد من بين هذه الأنهار الكبرى نهر الكنغو الذي طوله تقريبا 2.800 كم وهو الحاجز الوحيد بين الكنغو البلجيكي في الكنغو الفرنسي وهو أعظم هذه الأنهار الإفريقية نظرا لكميات المياه السيّالة بمجراه وتراه تتلاطم أمواجه كأنه بحر محيط وترى على كل من حافتيه عاصمتين عاصمة برازفيل وعاصمة كنصاصة

[1] سورة ق 10 .

الأولى للكنغو الفرنسي العاصمة الثانية للكنغو البلجيكي ويقال الكنصاصة باللغة الأجنبية ليوبول فيل Leopold villeلي بول اسم لملك بلجيكا وفيل هي المدينة كما أن إبراز علم على الفرنسي الذي أسس المدينة وقيل معناها المدينة كما تقدم أما معاصمة كنصاصة فإنها عاصمة عظيمة وأما مدينة برازفيل فهي في نشاط عظيم في سبيل التقدم حتى أنك ترى أغلب أبنيتها جديدة منها الذي تم يناؤه وكثير منها لا يزال في طريق التأسيس الأمر الذي يخول لها أن تكون مدينة عظيمة في مدة قريبة لا تزيد على العشرين سنة وقد قامت هذه المدينة بدور هام في الحرب الماضية[1] سنة 1939 حيث أن الجيوش الفرنسية التحريرية التي تحت قيادة الجنرال ديغول خرجت منها وتابعت سيرها نحو الكمرون ثم التشاد ثم فزان ويوجد بعاصمة برازفيل دار عظيمة تنتسب إلى ديغول وحازت هذه المدينة على أجمل إدارة للمذياع الفرنسي أسّسها الجنرال ديغول وهذه الإذاعة كانت الإذاعة الوحيدة لفرنسا الحرة وقت الحرب الماضية وعاصمة برازفيل هي آخر نقطة للنفوذ الفرنسي بإفريقيا الغربية بعد جزيرة مدقشكر و جزر الكومور التي أغلب سكانها مسلمون أما في مدينة مدقشكر بلاد الجنس الأحمر فالمسلمون بها يقل عددهم جدا وجزر الكومور خصبة جدا وأمر الزراعات سائد فيها جدا كما أخبر سيًدنا حاكم دوالة الذي طالما حكم بها وسكانها أقرب إلى الجنس الأبيض من الأسود والأحمر أما هيئة الناس في هذه الأقطار الإفريقية فجنسهم حالك السّواد وهؤلاء السود هم أهل الوطن الأصليون وترى بينهم بعض الطوائف من سمرته تميل إلى السّواد ومنهم من سمرته خفيفة أقرب إلى البياض وفيهم الأبيض.

ولا شك أن هؤلاء الأقلية تجدهم نتيجة الإختلاط العنصري فهم من العرب الآتيين من الحجاز أو من البربر النازلين من الشمال الإفريقي وذلك كطوائف فلاته الذين تجد فيهم الجمال وذاوتهم نحيفة بخلاف أهل الوطن أجسامهم خشنة في الغالب وأعضاؤهم غليظة

[1] يقصد الحرب العالمية الثانية (1939 ــ 1945 م) .

وهؤلاء الناس لهم إقبال كبير على إستعمال المزامير المسماة بالغيطة والطبول فتراهم في الأعراس وغيرها من الأفراح يختلطون نساءا ورجالا وصبيانا والنسوة ترقصن وتغنين والرجال كذلك وهم في هذا التيار لا يكترثون بما ينتج عنه من المفاسد حتى الصبيان الصغار تراهم وسط هذه الأفراح يتمثلون بالكبار في جميع حركاتهم وجميع سلاطين الفلان وغيرهم من أمراء هذه الأوطان لهم من يقوم بوظيفة الغيطة وتضرب الطبول وهذه المزامير أمام قصورهم في كثير من الأوقات حتى في غير الأفراح خصوصا الأوقات التي يخرج فيها السلطان يتجول خارج البلدة أو للصيد مثلا الأمر الذي يعطيك مظهرا من المظاهر الملكية القديمة في عصور العابرة وقد مر لنا الكلام على أن هذه الأقطار تنزل فيها الأمطار بكثرة في فصل الخريف و إبان نزول هذه الأمطار بصفة عامة وذلك يختلف باختلاف البلدان قربا وبعدا من البحر ارتفاعا وإنخفاضا من سطحه وبداية نزول هذه الأمطار يبدأ من شهر جوان في بعضها وفي بعضها البداية من أواخر شهر جويلية والنهاية في النهاية في بعضها أواخر شهر نوفمبر وفي بعضها أواخر شهر أكتوبر وذلك كما قلنا يختلف وقد شاهدنا كثرة الأمطار التي تنزل بقطر لفتى خصوصا في شهر أوت الذي وجدنا بعاصمة كناكري فلا تسمع ليلا ونهارا ولا ترى إلاّ تيار الأمطار النازلة فوق سطح الدور والجارية في الأزقة كأنها أودية بدون إنقطاع وعند نزول المطر أو قبله بقليل تشرع الناس في بذر الزراعات على إختلاف أنواعها ومعيشة أهل هذه الأوطان وسكانها سكناهم ولباسهم ومعيشتهم من البساطة بمكان وسبب هذا كما قاله علماء الإجتماع أن الأوطان الحارة لا تكلف أهلها الإحتياط الكامل بخلاف الأوطان الباردة فإنها تتطلب إحتياطا زائدا من جهة الضروريات البشرية.

وإذا ترى أهل البلدان الحارة يكتفون باللباس الواسع ويأكلون الأقوات الخفيفة و يسكنون الدور الحشيشية وأهل الأوطان الباردة تراهم يلبسون لباس الصوف المحصور ويأكلون الأقوات الدسمية ويسكنون الدور الحجرية وثيقة الأركان متينة البنيان وذلك كما

لا يخفى على اللبيب يستدعي نفقات واسعة , والاتفاق الواسع يقتضي عملا وسعيا مثله, ولهذا ترى سكان الأوطان الباردة يعدون لفصل الشتاء بالخصوص عدته ولذلك السّبب يغلب على أهل الحرارة الميل إلى الطرب والمزاح أكثر مما يغلب على أهل البرودة كما ذكره العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى ,وضرب مثلا بالفاسي بقي لنا شيئ نتداركه قبل الفوت هو أننا ذكرنا سابقا أن السنغالية لهم عناية بالدين الإسلامي وشاهد ذلك يظهر بما سنقرره وهو أن هذه الطائفة تسببت في بناء عدة جوامع خارج أوطانهم نذكر منها جامع عاصمة أبدج الكبير الذي له صومعتان وهو من الإتساع بمكان وبناؤه على نمط الجوامع بالشمال الإفريقي بالمدن الكبيرة وقد ضرب في بناء هذا الجامع العظيم السيِّد الحاج مدون سيسي السَنغالي بسهم عظيم وعضده إخوانه أهل السنغال والسيِّد الحاج مدون سيسي من رجال الخير وله أولاد صالحون أكبرهم السيد مخيط وإخوانه الحسن والحاج ودودو وعائلة سيسي من أمجد العائلات السنغالية ومن السنغاليين الأخيار ببلدة أبدج السيد سقه ديلو الموظف بإدارة البريد والسيِّد الإمام أحمد يوي في وكذلك ممن لازم سيدنا في قضاء أموره ومآربه وهو مقيم بهذه البلدة السيد مولاي الشريف والسيد مترجوب Maitterdjop السنغالي المحامي الشهير بالمحاكم الفرنسية والسيد الحاج قربه الهوسي فإن مولاي الشريف والسيد الحاج قربه ,وكذلك السيِّد تشام الذي وجدناه ببلدة دوله Daloi قد رافقوا سيدنا في جميع جولاته بقطر لاكوت ديفوار أما تشام السّنغالي فإنّه رافقنا إلى نيجيريا ,ومنها رجع إلى وطنه بإذن سيِّدنا ومن العوائد الجارية عند الحاج مدون السيسي وعائلته أنهم يحتفلون بالمولد الشريف ليلة الثانية عشرة من ربيع بدارهم يستدعون الناس لإحياء ليلة المولد بدارهم يقرؤون القصائد النبوية والقرآن الكريم ويذبحون البقر لإطعام الناس في تلك اللّيلة وأول الليلة يحتفل بالمولد بالجامع المذكور

ولهذا السيد من الأفعال الخيرية ما هو جدير بالذكر وكذلك من حسنات السنغاليين جامع عاصمة برازفيل الذي شيدت أركانه الحكومة الفرنسية وله صومعة مرتفعة ترى إذا

ما صعدت فوقها عاصمة كنصاصة ليلا بأنوارها الكهربائية وترى المنظر العام لعاصمة برازفيل وترى الأشعة الكهربائية من أنوار كنصاصة وبرازفيل تريك مياه نهر الكنغو الذهبية وتشيد أركان هذا الجامع العظيم في هذه الأقطار البعيدة لحسنة من حسنات أهل السنغال القاطنين بالكنغو وقد جهد جهدا عظيما عند حكومة برازفيل رئيس السنغاليين في سبيل هذا الجامع وهو السيِّد الحاج محمد ديوب السنغالي الساكن بعاصمة بارزفيل الذي لا يزال واقفا على أبواب سيدنا رضي الله عنه مدة إقامته ببرازفيل في سبيل خدمته ولا ننسى أيضا جهود الشاب المهذب السيد ابن ديوب IBNOU DIOP السنغال الموظف الإداري بالعاصمة المذكورة فقد كان يخدم سيدنا بحماس وقد بذل جهده سيدنا في طلب الحكومة بإنشاء جامع آخر لأهل الكنغو الوطنيين لأن بدورهم تجد كثيرا من هذا الجامع الكبير وقد قوبل طلب سيِّدنا بالقبول من الحكومة وقد وجد سيدنا أيام إقامته ببرازفيل فلانا بين أهل الكنغو أولاد الوطن المسلمين والسنغاليين ومدار هذا الخلاف على الحزازت النفسية التي لا تخلو أن تكون بين وطني وأجنبي فأزال سيدنا هذه الضغائن بين الفريقين ونشرت الأخوة الإسلامية بين الطائفتين وكذلك تسبب السنغاليين في بناء جامع عاصمة لبرفيل بقطر القابو ويقال بأنه أسس بإذن من السيد الحاج مالك سه في حياته وخلاصة القول أنك لا تدخل قرية بها أهل السّنغال إلا و تجدهم أول واحد ممن يأخذ بزمام الأعمال الإسلامية الخيرية ,حتى الأعمال الشعبية الإجتماعية تجدهم مشاركين فيها إذا لم تصادم الدين وزيادة على تدينهم الخاص فإنهم حازوا من الكرم وإعانة الفقير المسلم ما امتازوا به على غيرهم مع أن أحوالهم الخارجية والداخلية منظمة أبدع نظام وإنك تجد السنغاليين في القرية الصغيرة البعيدة من المدينة الحاضرة تمثل الهيئة المدنية في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه وغالبهم تجانيون وقل أن تجد فيهم من ليس بتجاني وعلى فرض وجوده فالفكرة الدينية واحدة لا تتغير وقد نزل سيِّدنا عند بعض القادرية منهم فقاموا بواجبهم أحسن قيام جزاهم الله خيرا عن الدين الحنيف وسيدنا ابنعمر في هذه

الرحلة كم أصلح من شقاق كان بين الشعوب المتنافرة حتى صاروا إخوانا وكم أزال ضغينة بين ومن القلوب طالما تمكنت من الناس لعدة أسباب إلى القرية التي طالما إختلفت فيها أراء الناس لعدة أسباب والخصومات المتنوعة خصوصا بين رجال الدين طالما عسر علاجها في وجه من أراد المعالجة فيسلها رضي الله عنه كما تسل الشعرة من العجين حتى لا يشعر الناس بكيفية علاجها وزوالها من بينهم ويجدون أنفسهم المتنافرة مدة سنين قد تآخت الأخوة الكاملة .

كأن من لم يكن بين الحجون إلـــى الصـــفا أنيس ولم يسمر بمكـــة ســـامر[1]

وقول آخر :

وكم ذدت عني مـــن تحامـــل حـــادث وسورة أيام حززن إلى العظـــم[2]

والسبب في هذا هو الأساليب الكلامية المؤثرة التي عدمها الكثير من الناس يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وتراه رضي الله عنه لا يفارق بلدة أو مدينة أو قطرا حتى يسود فيه الإتحاد بين الشعوب الإسلامية رغم تباين الآراء والأفكار ويقول لهم أن العقد الوحيد الذي يجمع تفرقكم وشتاتكم هو الإسلام و الإسلام واحد لا يتعدد والعقيدة الإسلامية فريدة لا تتنوع هلموا إلى دين الإتحاد وبذلك تقوى عوامل الأخوة بين الشعوب الإسلامية تضمحل أفكار التشتت بأذيال أي جنسية ووطنية ويقول لهم أن الإسلام جنس واحد في جسد واحد وفكرة واحدة في هيئة واحدة لوجهة واحدة فإمثال هذا الكلام المؤثر تقوى بين الناس الرابطة المحمدية قوة لا تقبل الضعف بحال بارك الله فيه من إمام وأسد ضرغام وهو يتمثل في حركاته وسكناته بقول الشاعر :

---

[1] سبق التعرض للبيت.

[2] البيت للبحتري (820 ــ 897 م) , انظرأبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (البحتري) , ديوان البحتري , تحقيق يوسف الشيخ محمد , دار الكتب العلمية , بيروت 2000.

لأ ستسهلن الصـــعب أو أدرك المنـــى فما انقادت الآمـــال إلا لصـــابر[1]

وقد حث الأمراء والسّلاطين عن إدخال الرقيق في الإسلام شرح لهم نتائج هذا الأمر حتى من الوجهة الدنيوية فضلا عن الدينية لأن السّلاطين كانوا يظنون أن العبد إذا أسلم يصير حرّا وبذلك تراهم لا يسعون في أسلام ما تحتهّم من العبيد لأنهم يسخرون ما تحتهم من الرقيق كما تسخر الحيوانات والبهائم من باب لا فارق وقد شاهدناهم في الكمرون ينقلون عنهم البضاعات من قرية إلى قرية .

وعند أمراء قطر لفتى الذين يطلقون اسم المامي على الأمير يستعملون ضرب الطبول إذا أرادوا إعلام الرعية بأمر رسمي يقف عبدان بيد كل منهما سوط ويستمران على ضرب الطبل حتى يجتمع الناس الذين يريدون إبلاغهم المهمة الرسمية وكذلك به العمل بقطر سرليون وبقطر ليبيريا وكذلك العمل عند أمراء لقنى الفرنسية باستعمال أحد المنشدين ينشد قصيدة يترنم بها صباحا ومساءا و مدح النبي صلى الله عليه وسلم يتردد المنشد أبياتها بصوت حنون أمام دار السّلطان لإبلاغه تحية الصّباح والمساء ولا ننسى إكرام وحفاوة سلطان ماموا المامي الحاج إبراهيم وصاحبه السيِّد الحاج أحمد سك فقد قام هذا الأمير بضيافة سيدنا غاية الإكرام أيام إقامته ببلدة مامو وجاء لملاقاة سيِّدنا بالمحطة مع حاشية كما يفعل معه كافة الأمراء بالأقطار المختلفة ويوجد في هذه الأقطار ممن تعود أهله الأكل مرة واحدة بين الليل والنهار فلا تراهم يجتمعون للأكل المتعارف إلا عشية وفي الصباح يكتفون بقليل من الأكل فرادى في العائلة الواحدة وذلك كقطر سرليون الإنقليزية متعودون بذلك وليلة مشهد سرليون ليلة صباحية ، حيث أننا ضيوف عند أميرها ولكن لكل امرئ من دهره ما تعود وترى النساء بكافة قطر سرليون يضربن الكتان الجديد بالعصى بعد صبغه بالأسود ضربا مستمرا بدعوى أن ذلك يحسنه وكم تسمع لهذا

[1] انظر المتنبي , ديوان أبي الطيب المتنبي , ص 204.

الضرب الشديد من صدى خصوصا نحن لما كنا بالعلو الذي نزل به سيِّدنا بعاصمة فرتاون فطالما سمعنا صدى هذا للضرب المستمر وقد قدمنا أن نزول سيدنا دائما يكون عند سلاطين وأمراء الوطن في كل بلاد حل بها.

وقد قدمنا أيضا أن محل الإجتماع بالناس في الغالب يكون في الجامع أو الزاوية أو في بعض الأحيان يكون في محل نزوله بيت واسع يحمل الناس وما رأينا في هذه الرحلة رغم طولها وتباين البلدان وإختلاف الأجناس إلا الإكرام التام من كافة الشعوب الإسلامية أو غيرها ولهذه الأوطان عدة سلاطين وأمراء كثيرين و مع ذلك لا يزالون محافظون على عوائدهم المخزئية القديمة وتقاليدهم الوطنية إلى ساعة التاريخ رغم الدُّخول ودخول اليد الأجنبية بينهم ويظهرهنا غاية الظهور في أوطان نيجيريا وبالخصوص في أوطان الكمرون الفرنسي فإن ملوك الفلان لا زالوا على عوائدهم العتيقة يركبون الخيول ووراءهم الأعواد المخزئية على خيول أيضا ويلزمون رفع السيوف في الأوقات الرسمية وغيرها والطبول الغيطة من لوازم الهيئة الرسمية عن ملوكهم كما مر في أكثر حيوانات هذه الأوطان البقر فإن تربية البقر كادت أن تكون الوحيدة في هذه الأقطار فترى عددا كثيرا من البقر يرعى في الغابات تحت ظل الأشجار عظيم الجثة طويل القرون كلما مررت بناحية من هذه الأوطان ويكثر البقر جدا بقطرنيجيريا وقطر الكمرون في الشمال فإن البقر في هذين القطرين بالخصوص لا يعد ولا يحصى حتى أنك تجد الشخص الواحد بالكمرون يملك آلافا من البقر وهم الفلاته مع أنه يعيش عيشه لا أبسط منها والذي يساعد على كثرة هذا النوع من الحيوان في هذه الأقطار هو اتساع مساحات المرعى والكلأ حتى إننا سمعنا في جهة كدونة نيجيريا أن عدده بتلك الناحية يبلغ 800.000 رأس بقر تقريبا بل أزيد وأمّا الأغنام فإنها قليلة جدا وهذا النوع من الغنم لا صوف له بل شعره كشعر البقر ويختلف شكله باختلاف الأوطان تارة ترى شكله كبيرا وأخرى صغيرا حتى أنه لقلة الأغنام أن بعض الناس من فلاته في الكمرون يرون أن أكل لحوم الأغنام من

العيب على ما سمعنا ومن الغريب أنه يوجد في هذه الأوطان لكثرة الرطوبات حشرة لا تكاد ترى لصغرها يقال له بلغة الوطن كركت Kour kouta وباللغة الأجنبية الشيك Chique , وهذه الحشرة تلتصق برجل الإنسان من دون شعور مبدئيا وتدخل تارة بين الظفر واللحم وتارة بين اصبعي الرجل ولا تزال تغوص في لحم الرجل حتى تبلغ العظم ثم إن تداركت فإنها تتمكن من زوالهما بواسطة الأفر كالشّوكة أمّا إذا لم يقع تدارك فإنها تتمكن من رجل الإنسان وتجعل مثل الحبّة وتبييض فيها عدة حشرات صغار وبذلك تسقط رجل الإنسان وتصير كالعدم ,هذه الدويبة لم تكن معروفة بهذه الأوطان في العهد القديم وحسب المصادر الموثوق بها أنها أتت من أمريكا الجنوبية سنة 1872 ميلادية ويقال أنها في هذه السنين الأخيرة قد ظهرت في أوطان المحيط الهندي وهي كثيرة جدا بالكمرون خصوصا في بلدة أنقندري وطالما أزالها من أرجلنا الشاب اللّبيب عيسى الذي كان يعين محمد بن التجيني في خدمة سيِّدنا وهو مكلف من طرف السيِّد محمد آدم الذي كان سيِّدنا ضيفا عنده وعند السّلطان بالبلدة المذكورة .

وتوجد هذه الدويبة في كناكري بلقنى وقطر سرليون وغيرها من الأوطان التي بساحل المحيط وأول قطر علمناها به سرليون بفرتاون وفي هذه الأوطان من عجائب المخلوقات ما تقف دونه الأقلام وتكل منه الأفكار والأفهام سبحان الله الخالق لما يشاء كيف يشاء وترى أهل هذه الأوطان في كامل الطّريق عند مرورك بأي سبيل السّائرين الراجلين وأمتعتهم الثقيلة على رؤوسهم رجالا ونساءا وصبيانا ويندر جدا أن ترى أحدا في سفره يحمل أمتعته على حمار مثلا فذلك أندر من النادر إلا في بعض الأوطان كأهل البوادي في السودان المصري على ما يأتي بل لا يستعملون إلا أنفسهم ولا تجد لأكثرهم استمرارا بناحية خاصة تمكن معرفته بها الأمر اعتادوا المدن بل تجده تارة بهذه الناحية وتارة بالأخرى ولذا أعسر على الحكومات غاية العسر ضبط إحصائيتهم ضبطا حقيقيا لعدم الإستقرار المذكور وأمراء هؤلاء الناس غالبهم مسلمون اللهم إلا في النواحي التي تكثر

بها المجوس كثرة بينة فإن رئيسهم منهم ولا تجد مجوسيا يؤمر على المسلمين وهذه العناية الإلهية , أما الأمراء المسلمون فقد تجدهم يحكمون في المجوس في الأوطان التي تكثر فيها الأغلبية لهم وذلك كملوك الكمرون من فلاته فإن الأمير مهما إحتاج إلى عبيد او إما الخدمة فما عليه إلا أن يرسل إلى المولى الحكومي الذي تحته يرسل له من المجوس ما شاء ....

وهذه الأوطان تليها من إفريقيا الغربية بعضها تحت الاستعمار الفرنسي وبعضها تحت الإستعمارية الإنقليزية ما عدا ليبيريا فإنها مستقلة حكومتها وطنية تحت العين الأمريكية بدليل أن عمولتهم هي الدولار الأمريكي ورئيسها وطني برئيس جمهوريتها وقد إستدعى سيدنا وحاشيته إستدعاء رسميا حضرة رجال الحكومة من وزراء وغيرهم بقصر رئيس الجمهورية لعاصمة مروفيا وحضرا أيضا هذا الإستدعاء أعيان المسلمين بالعاصمة نخص منهم بالذكر السيِّد الحاج منصور إمام الجامع والسيد احمد كن الفلاتي والسيِّد بودي إبراهيم وسلطان المسلمين السيد سوس موم وغيرهم أعيان المسلمين التجانيين إكراما وحضرة الوزير الفرنسي المقيم بالعاصمة المذكورة النائب عن الحكومة الفرنسية في الأمور الدبلوماسية وفي آخر الفطور بالقطر المذكور قام رئيس الجمهورية خطيبا مقدما الثناء على سيِّدنا الذي هو جالس بين الرئيس المذكور والوزير الفرنسي ونوه كثيرا في خطابه الرسمي بين أولئك الأعيان و نوه بالدين الإسلامي واعترف بأنه دين حق رغم كونه مسيحيا وفي الختام علق سيدنا بيده وسام الدولة الذهبي ورمزها الوحيد في ميدان التحرير ذالكم الرّمز الذي مداره إظهار الفرح والسرور على نعمة تحرير ذلكم الرمز تحرير الرقيق وبعد ذلك قام سيِّدنا خطيبا في القوم مقدما أنواع الثناء والشكر للرئيس المذكور والمترجم لكلامه باللغة الأمريكية هو الشاب اللوذعي السيد أهدكن المذكور الذي ما أنفك نحن ملازمة سيدنا مدة إقامته بعاصمة منروفيا تلك العاصمة التي خلفت لنا الأثر الحميد لولا التجديد .....

وبعد تمام الفطور والخطابين تناولنا شرب الآتاي بمحل آخر متسع من القصر المذكور ولا يزال سيدنا يتحادث مع الرئيس المذكور والوزير الفرنسي ومدار هذا الحديث على الأتعاب السفرية وكثرة الوسائل النقلية في هذه العصور الأخيرة بأتقن وأحكم الأساليب خصوصا الوسائل الجوية التي قامت بدورهام في هذا الميدان و يلتمس الرئيس مرّة بعد مرة في كلامه مع سيِّدنا عودة أخرى إلى ليبيريا وينوه كثيرا بهذه الزيارة التي ألفت بين قلوب الإفريقيين على إختلاف جنسياتهم وتباعد أوطانهم حتى قال الرئيس سيدنا أنني أعتبر من اليوم المسلمين اعتبارا رسميا وسائل حضرهم في المستقبل في الاستدعاءات الرسمية الحكومية وقد التمس منه سيدنا أن يعطي مساحة أرضية للمسلمين لبناء جامع فيها يجتمع فيها شتات المسلمين الذين أكثرهم أجانب حيث أن جامعهم الحالي بناؤه من اللوح والحشيش فقط , فلبى الرئيس مطلب سيِّدنا في الحين و تسعى في تنفيذ هذا الأمر بكل عناية وتركناهم على سياط المفاهمة في اختيار الناحية اللائقة بالجامع بعاصمة ليبيريا.

ومن ناحية أخرى عونهم الوزير الفرنسي حيث أن المسلمين الأجانب أكثر هم من الرعايا الفرنسية ومن تمام الإكرام والحفاوة بسيدنا أعطى الرئيس سيارته لسيِّدنا تحمله هو وحاشيته إلى الحدود بين ليبيريا وقطر لفتى الفرنسية ببلدة نزريكوري الذي نقدم ذكرها ورافقته في هذا السّفر من منوفيا السيِّد الحاج منصور إمام الجامع سالف الذكر والسيد أحمد كن والسيد سوس موم سلطان المسلمين بعاصمة مروفيا وولده والسيِّد فودي إبراهيم والسيِّد إسماعيل الذي كان يمننا في كتابه أوراق الأذن وهؤلاء الجماعة كلهم رجعوا من بلدة نزيركوري واعدا السيِّد إبراهيم فودي وإسماعيل وشيخ سائق سيارة سيدنا التي رزق بها من عاصمة مروفيا من النوع الأمريكي الجيد فهؤلاء الثلاثة واصلوا السّير مع سيِّدنا إلى عاصمة أبدج Abidjan بلاكوت ديفوار ومن هناك رجعوا بلادهم ليبريا التي طالما تشوقوا لها خصوصا فودي إبراهيم فإنه هاج شوقه كثيرا , حتى قال لنا على سبيل

المزاح إنه إذا لم يرجع قريبا إلى أهله لا بد أن يجد داره صارت غابة وقال أنه إذا طالت غيبته يخاف أن يتفرق تلامذيه الذين هو بصدد تعليمهم وقد تسوح المذكور يوما في عاصمة أبدج, وأعجبه جامعها الكبير الذي مر الكلام عنه نقلنا له إذا رجعت إلى أهل مروفيا صف لهم هذا الجامع فقال لنا إن الفئران إذا وصفت لهم الفيل لا يظنونه ولا يتصدرونه إلا هرّا بيد أن الرجل بنفسه لما رأى هذا الجامع لأول مرة وكان يظنه كنيسة ولم يخامر عقله أنه يوجد جامع إسلامي على ذلك الشكل لما رآه من جامع مروفيا, ولعمري أن هذا السيِّد وصهره السيد أحمد كان لرجلان أديبان ولهما محبة خاصة في سيِّدنا مع أن لهما ثقافة لا بأس بها في اللغة العربية . وهذان كانا قائمان بأمر الترجمة مدة إقامته بوطن ليبيريا وإجتمع سيدنا بمروفيا مع بعض من الهوسيين وجاء معه من عاصمة فرتاون Fretounإبن السيد المقدم الكبير الفاتحاني المسمى عبد المجيد لازم سيِّدنا مدة إقامته بمروفيا ومنها تفارق معنا ليرجع إلى بلاده بطريق البحر لأن المواصلات البرية بين سرليون وليبيريا كادت أن تكون معدومة لعدم وجود السبل الصالحة لسير السّيارات خصوصا في فصل الأمطار حتى أنهم يلتجئون إلى رفع الناس على ظهورهم أو في محمل ليقطعون به السّيول ويوجد في قطر ليبيريا الذي يعد فوق المليونين من النسمات غالبهم كفار والمسلمون هم الأقلية وجلهم أجانب يوجد في هذا القطر الذي صنعته أمريكية غابة عظيمة تحتوي على جدار بحافة الطريق الذي تمر به السيّارات عدد عشرة مليون 10.500.000 وخمسمائة ألف شجرة من شجر الكوتشو التي يدير أمرها شركة أمريكا حاصلاته على ما سمعناه سويا تبلغ 14 مليونا من الدولار وصرف الدولار في هذا الو قت بالفرنك الفرنسي 255 فرنكا فاجمع حسابك وانظر تجد الخارج هكذا 800.000.000 فرنكا ولا شك أن الصرّف غير قار في كمية بل يختلف أمره حسب ارتفاع العمولة وانحطاطها والحكومة الأمريكية هي التي أصلحت ميناء مروفيا حتى صارت صالحة أن ترسي بميناءها البواخر الكبرى و جذابه الذي ترفع به

البضائع من الرصيف إلى الباخرة له قوة عظيمة يمكن بها حمل أطنان عديدة وقوته 155 طن على ما سمعنا ومناه يتحمل أربع بواخر من البواخر الكبرى وكان هذا الإصلاح بعد الحرب سنة 1939 وقبل هذا لم يكن صالحا لإرساء السّفن الكبيرة وسيدنا سائر كما قلنا بسيارته من عاصمة مروفيا إلى عاصمة أبدج والمسافة تبلغ أزيد من 900 كم على طريق بيدقه وقنته وتزريكوري ودناني ومن ودلوه ونقنوه ودابو حتى وصل إلى أبدج ومن بلدة دوله صحبنا السيد الأديب السيام السنغالي, و لم يرجع إلا من بلدة لاقوس نيجيريا ونزل سيِّدنا بدلوة عند التاجر العظيم السيد الحاج إبراهيم أندير السنغالي الشهير وإجتمع بكثير من أهل السنغال ببلدة دوله الذين وقفوا موقف الرِّجال جزاهم الله خيرا .

وبلدة دوله مركز كبير في تلك الناحية ولا يفوتنا أن نقول أن بلدة دلوه وغيرها من بلدان لاكوت ديفوار تزرع بها شجرة البن القهوة بكثرة حتى كادت أن تكون الزراعة الوحيدة في ذلك الوطن الأمر الذي جلب لهذا الوطن بالخصوص الثروة الطائلة و شجر القهوة على ما شهدناه نوعان نوع شجره كبير ونوع شجره صغير لا يفوت قامة الإنسان وزراعة القهوة شائعة في كل هذه الأقطار بيد أنها في قطر ساحل العاج أكثر انتشارا حتى أن منها من يعطي فائدته مرتين في العام وقطر لاكوت ديفوار قطر واسع الأرجاء يقل به عدد المسلمين بالنسبة للكفار سكان هذه الأوطان حتى أن عدد المسلمين يمكن أن يكون 15% وغالبهم في المدن مثل أبدج وبواكي ودلوه وأكثرهم أجانب من سنغال وهوسة وغيرهم وقد ظهرت شوكه الوهابية في هذا الوطن وبالخصوص كان من دعائها رجل يقال له تشوكورو Tchocourou وصاحبه عبد الصمد الذي كان تجانيا ثم انسلخ والعياذ بالله تعالى من مكره وقد أطفأ سيدنا رضي الله عنه لهيب هذه العقيدة الزائفة بفضل مجهوداته الجبارة التي قام بها في جميع تجولاته وما من قرية يحل بها سيدنا إلا وهو الذي يؤم الناس بالجامع في صلاة المغرب دائما تعقيبا قراءة الوظيفة وفي بعض الأحيان يصلي بالناس العشاء إذا كانت إقامته بالبلدة تقطع حكم السفر بأن زادت

على أربعة أيام صحاح, أما إذا كانت الإقامة قصيرة فإنه يصلي العشاء بجماعة المسافرين محافظين على سنة القصر ويؤم الناس في الجامع إمامهم الرائب وكذلك يصلي بالناس الجمعة وهو الخطيب فيهم إذا كانت إقامته بالبلدة تقطع حكم السّفر كما قدمناه آنفا لأن إمامه الجمعة لا يشترط فيها الإقامة الأبدية, كما ذكره الفقهاء رضي الله عنهم قال خليل في فضل الجمعة بإمام مقيم قال سارحه القطب الدردير رضي الله عنه بالبلد إقامة تقطع حكم السّفر ولو لم يكن من أهل البلد فيصح أن يؤمهم مسافر نوى إقامة أربعة أيام قصد الخطبة ولو سافر بعد الصّلاة ,قال العلامة الدسوقي[1] رحمه الله تعالى على قول الشارح المحقق قوله لغير قصد الخطبة ...الخ .

وأمّا لو نوى الإقامة لأجلها فلا تصح إمامته معاملة له تفيض مقصودة قلت هذا لا يوخذ على عمومه لأن المسافر إذا كان من أهل الفضل لكثرة علم أو صلاح بين أو كونه من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويرجى منه الخير لهؤلاء الناس نظرا لقيمته الدينية بينهم إذا انتظر يوم الجمعة ليصلي بالناس ويخطب رغبة في حصول ذلك المعنى الديني الذي هو إيصال النفع لهؤلاء الناس الذي لا يحصل إلا من أمثاله فلا أرى خيرا أو في ذلك إذا إيصال النفع للمسلمين إذا تحقق وجب على الإنسان إيصاله إليهم والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى إذا كان جلوسه إنتظارا للخطبة يقصد بذلك الرياء والسمعة وهو من أواسط القوم يكون لكلام العلامة الدسوقي محل دون أخذه على إطلاقه وقال العلامة المذكورعلى قول الشارح ولو سافر بعد الصلاة أي ولو من غيرطارئ عذر .

ولمشائخ السنغال التجانية التأثير الأدبي على الأتباع التجانية بهذه الأقطار بصفة عامة أما بصفة خاصة فإن أولاد السيد الحاج مالك سه لهم تأثيرهم خصوصا بقطر لاكوت ديفوار

[1] محمد بن أحمد الدسوقي (ت 1230 هـ),صاحب كتاب حاشية الدسوقي على الشرح الكبير , و قد شرح فيه شرح العلامة الدردير على مختصر العلامة خليل , و الذي سبق الحديث عنه , وضح فيها ألفاظه و فكك عباراته و ضمنه تنبيهات مهمة , و آراء أصحاب المذهب المالكي نقلا من كتب المالكية , انظر محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي , حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ,تحقيق شمس الدين محمد بن عرفة , دار الفكر , بيروت .

وبالأوطان التي يكثر فيها السنغاليون لأن هؤلاء أغلبهم في الحقيقة أخذ عن الحاج مالك في حياته مباشرة أو بواسطة , وكذلك السيد الحاج تتعبد النورتال حفيد الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه فإنه ضرب بهم في هذه الأقطار خصوصا في قطر لقنى ناحية فوت جلو وقطري التوقو والدهمي والبعض من الكمرون أما السيد الحاج إبراهيم انياص فإن أتباعه يوجدون في جهة قمبيا وخماسي بساحل الذهب وشمال نيجيريا خصوصا عاصمة كنو.

أما الطريقة القادرية فإن أنهارها وشيوخها في قطر موريتانية من أوطان شنجيط هم الذين يقومون برعايتها في هذه الأقطار وكذلك شيوخ القادرية الذين ببلدة سوكتو آل عثمان فودي[1] فهم القائمون بشؤون القادرية بشمال نيجيريا وقطر الكمرون لما لهم من السلطة المخزئية القديمة كما تقدم وأهل هذه الأقطار ضعفاء الإدارة والتجانية بنظرة عامة فيهم قليلة لأنك تراهم يتأثرون بالمسائل العلمية في غالب الحكايات أكثر من تأثرهم بدرس علمي صرف ولهذا طريق التعليم بينهم تنتج إذا كانت بهذا الأسلوب الذي هو في الحقيقة بعض الأساليب الإفهامية التي يرتكبها المعلم الحكيم إذا كان في وسط يماثل هذا والمقصود هو إيصال المعنى المراد إلى السّامع بأي وسيلة ناجحة أما من الناحية المعدنية في هذه الأقطار فهي محل التنويه والإعجاب لما حازته هذه الأوطان من الثروة المعدنية التي فاقت بها غيرها من بقية الأقطار فتجد فيها معادن الذهب بكثرة والأحجار النفسية وذلك كناحية بمكو و سقري في الذهب وفي قطر سرليون وجد الإنقليز كثيرا من معادن الذهب والديمنت وكذلك وقطر لفتى الفرنسية التي منها بلدة ستري المذكورة وتوجد معادن الذهب بكثرة بإفريقيا الإستوائية الفرنسية خصوصا بين عاصمة برازفيل وبواثث نوار جهة الغابات الكبرى والمسافة بين برازفيل ويواتت نوار 514 كم سكة حديدية كما تقدم

---

[1] عثمان بن فودي (1754 – 1817 م) بنيجيريا , درس العربية و حفظ القرآن و متون الحديث , تأثر بالوهابية إثر رحلته للحج , و استمرت دعوته على محاربة المفاسد , اتخذ من " صوكتو" عاصمة لدولته الجديدة التي استمرت حوالي المائة عام , بعد وفاته اختار الناس ابنه محمد بلو خلفا له ثم حفيده , إلى أن أسقطت بريطانيا هذه الخلافة عام 1903 م , انظر إبراهيم بن محمد الحقيل , مقالة المسلمون في نيجيريا أكثرية مستضعفة , 18 –02 – 2010 ,مجلة الألوكة الالكترونية .

وهذه النواحي بها عدة جبال شامخة مغمورة بالأشجار منها ما يبلغ طولها 40 مترا في الإرتفاع بل أكثر ورأينا أشجارا في هذه الأقطار ما عرضه 17 مترا دائرة ساق الشجرة وتكثر المعادن الذهبية وغيرها كثرة محسوسة في الكنغو البلجيكي الذي كاد أن يكون المثل الأعلا في هذه الثروة حتى أن اليد الأمريكية قد تسربت إليه أخيرا, يعلم ذلك من جاس خلال الديار واطلع على البلدان و الأقطار .

وتكثر المعادن الذهبية كثرة محسوسة بقطر الكمرون الذي على ما قيل فيه جميع المعادن النفسية ويوجد أيضا بهذه الأقطار أيضا ناب الفيل بكثرة لوجود هذا الحيوان بكثرة في هذه الأقطار والذي يظهر للباحث اللبيب أن الأقطار التي تجمع بين الحرارة و الرطوبة المستمرة تكثر فيها المعادن المختلفة خصوصا الذهب ويوجد ناب الفيل بكثرة في لاكوت ديفوار وتوجد معادن الذهب والأشجار النفسية بكثرة تفوق الأقطار السّابقة بأقطار إفريقيا الجنوبية كمستعمرة رأس الرجاء الصالح التي يتناطح بسواحلها المحيطان الأتلانتكي غربا والهندي شرقا وأقطار إفريقيا الجنوبية أغنى أقطار العالم من الناحية المعدنية وتكثر بتلك النواحي الجنوبية الجبال الشامخة والثمار على إختلاف أنواعها وتكثر الجبال أيضا في نواحي الكمرون حتى إن جنوب الكمرون خصوصا الغربي يشتد فيه البرد في ناحية قمبان وباقية وباقسام وأشد الأماكن بردا في الجنوب الغربي من هذا الوطن هي بلدة أدشانق Dchangh الواقعة قرب حدود الكمرون الإنقليزي حيث أن هذه الأقطار تقع بين أحضان سلسلة جبال الكمرون الشامخة المرتفعة جدا غير أن بردها مشوب بالرطوبات وكذلك يوجد الإعتدال الطقسي والمناخ الموافق في نواحي فوت جلو من قطر لقنى الفرنسية في جهة بلدة دكتا التي وجد بها سيدنا حفاوة عظيمة من طرف أميرها ذلك الشاب الصّالح الذي وفر الهدية وحسن القضية لله دره من نجل كريم وصديق صميم وكذلك جهة بلدة لي وتوفي ودنقراي بلدة الشيخ عمر رضي الله عنه التي صنعت إخوانا صالحين ولاعتدال المناخ بهذه النواحي الفوتجلوية تجد حكام دكار الكبار من هيئة

الولاية العامة يقصدونها للإستراحة من العمل الإداري إذا لم تسمح لهم الظروف بالذهاب إلى فرنسا خصوصا بلدة كتي فإن طقسها على ما قيل يشبه طقس فرنسا نوعا ما وفي هذه البلدان بفوت جلو التي هذبها الذكر الفوتي المسلمون هم السّواد الأعظم بل لك أن تقول أنها أقطار إسلامية صرفة ولم تفهم الثقافة الإسلامية بل قيم علماء أدباء لهم مشاركة طيبة في عدة فنون عربية حتى أننا ما سمعنا بخطبة عربية منذ أن غادرنا السنغال مدارها الترحيب بقدوم سيِّدنا إلا في بلدة لبي والذي أنشأ نظم هذه الخطبة البديعة هو الشاب اللوذعي[1] الأديب الشيخ عبد الرحمن بارك الله فيه وفي أمثاله من أبناء المسلمين ولا عجب من صدور هذا من هؤلاء الناس الأخيار فإنهم كما قلنا أتباع الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه وبلدة دنقراي تربية منهم وكافة أهل فوت جلو على هذا النمط من التدين والثقافة والشيخ عمر أصله من فوت تورو القريبة من السنغال الذين لهم اليد الطولي في التدين والثقافة الإسلامية أيضا حيث أنه يوجد بينهم حكماء وأدباء وجميع هذه القبائل هم تجانيون يقرعون الوظيفة التجانية بجوامعهم وزواياهم بكرة وأصيلا وفيهم كثير من المقدمين الذين لهم الإذن في الإعطاء بمختلف الأسانيد التي تتصل بسيدنا الشيخ رضي الله عنه وقد جددوا كلهم الطريقة إذنا وإجازة على يد سيِّدنا ولم يشذ منهم إلا القليل .

مسألة وقد ذكرنا أن النسبة إلى الفوت جلو كما تراه برقم واحد وهي بفتح اللام وكسر الواو لأن ياء النسب تستدعي كسر ما قبلها قال في الخلاصة في باب النسب

جاء كياء الكرسي زادوا للنسب وكل ما تلته كسرة وجب غير أن الموافق للصناعة النحوية الصرفية أن يكتفي بالنسبة إلى صدر المركب المزجي ويحذف عجزه فنقول على هذا إذا أردت أن تنسب إلى فوت قل فوتي كما تقول في النسبة إلى بعلبك بعلي وفي تأبط شرا تأبطي قال في الخلاصة .

[1] اللوذع : اللطيف الذكي.

وأنسب لصدر جملة وصدر ما ركب من جاء الخ وتعرضنا لهذه المسألة الصرفية شحذا للذهن قال العلامة الخضري[1] على قوله بصدر جملة أي مسمّى بها واصدر لما ركب مزجا أي ولو عدديا فتقول خمسي في خمسة عشر سمي به أولا كما يقتضيه كلام الفارضي ....الخ.

وقد قدمنا سابقا أن البذر الوحيد لهذه الزراعة الأحمدية التجانية في هذه الأقطار هي العائلة العلويّة والعائلة الفوتية أما سيِّدنا في هذه الزيارة فقد سقى هؤلاء الناس بكؤوس الرحيق الأحمدي المختوم من عيشه مباشرة فأصلحت الوسائط بيد أن شكرها و اجب إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط أما عهد الإسلام في هذه الأوطان فإنه يرجع إلى عهد قديم والدليل على ذلك أننا عثرنا على رسالة لجلال الدين السيوطي[2] رضي الله عنه الذي هو من الأئمة المجددين في الإسلام خاطب رضي الله عنه بهذه الرسالة الدينية الصرفة أمراء وسلاطين نيجيريا كأهل كنوكدونة وغيرهما من بلدان هذه الأوطان يحرضهم رضي الله عنه عن اتباع الكتاب والسنة وبالغ لهم في إسداء النصيحة في وجوب ستر العورة التي هم يتساهلون في كشفها وجهل مسؤولية الأمر والنهي وتنفيذ الأحكام الشرعية على كواهل الأمراء وقد أطال الكلام في إبلاغ النصيحة لهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم:(الدين النصيحة)[3] بتعريف المسند والمسند إليه الذي هو طريق من طرق القصر عند علماء المعاني وقوله تعالى :" إنّ الدِّين عِنْد اللهِ الإِسلام "[4] ويكون

---

[1] العلامة عفيفي الباجوري الدرعمي الشهير بالخضري (1872 ــ 1927 م)من علماء الشريعة و الأدب في تاريخ الإسلام , كان قاضيا شرعيا في الخرطوم , من مؤلفاته (أصول الفقه ــ تاريخ التشريع الإسلامي , انظر شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت 748 هــ) , سير أعلام النبلاء , تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة ط3 , 1985 .ص 172 .

[2] رسالة السيوطي إلى بلاد التكرور أرسلها لسلاطين التكرور عموما , و سلطان كاشنة خصوصا , وضمنها الوصية بتقوى الله و التذكير بالآخرة و عدم الاغترار بالدنيا و زينتها , و الدعوة إلى الوقوف مع الشريعة و إنكار المخالفات الشرعية التي وقف عليها في بلادهم , انظر عثمان بن فوديو الفلاتي , الإسلام في نيجيريا , تحقيق آدم عبد الله الألوري , ط 3 , 1978 , ص 89 .

[3] عن تميم بن أوس , أخرجه البخاري في كتاب الإيمان , و مسلم في باب الإيمان .

[4] آل عمران 19 .

القصر عند البيانيين من قصر الصفة أو الأوصاف على موصوف واحد أو من قصر الموصوف على الصَّفة ويظهر هذا من كون المقدم هو المقصور فإنك تنظر فيه فإن كان صفة مقصر صفة على موصوف وإن كان موصوفا مقصر موصوف على صفة وكل من قصر الصفة أو الموصوف يكون قصرا حقيقيا أو إضافيا قال الناظم في الوصفة والموصوف, جاء والقسم إلى حقيقي إضافي يوم و يكون القصر المذكور قصر قلب لمن يعتقد ضد الواقع وقصر أفراد لمن يعتقد الشركة وتعيين لمن أشكل عليه الأمرين شيئين والمراد ما الصَّفة هذا المعنوية لا النحوية التي هي النعت وباب القصر باب عظيم تظهر فيه براعة الأساليب العربية في ميدان الخطاب حتى يخاطب كل شخص بما يناسبه[1] ولنرجع إلى ما نحن بصدد تقريره من أن الإسلام قديم العهد في هذه الديار واستدلالنا على ذلك بوجود المراسلة بين علماء الأقطار أئمة السّلف الصالح أمراء هذه الأقطار وقد ذكر هذه الرسالة السّيوطية الشيخ فودي في تاريخه والشيخ السيوطي رحمه الله تعالى من أصحاب القرن الثامن فانظر إلى عهد الإسلام في هذه الأقطار غير أن الإسلام في خلال هذه المدد كلها كان إسما بلا مسمّى وقد اعتراه شيئ من السّبات والفشل بتغلب العنصر الوطني الكافر على العنصر الإسلامي الجديد ولعدم الثقافة الكافية في تسديد أركان ومعالم الدين الاسلامي بين هذه الشعوب المتنافرة التي طالما أرخى ليل الجهالة عليها سدوله كما قال أمره القيس :

وليل كموج البحر أرخــى ســدوله   علــي بــأنواع الهمــوم ليبتلــي

والذي زاد الطين بلة إنهماك الأمراء فضلا عن غيرهم في المعاصي والقبلة عن الشّريعة الإسلامية معشرين بما تحصلوا عليه من زخارف الدنيا التي هي كطيف المنام بل

[1] للمزيد ينظر جلال الدين بن سعد الدين بن عمر القزويني , الإيضاح في علوم البلاغة ,دار إحياء العلوم , بيروت ط 4 , 1998 ,و عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ,البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها , دار القلم , دمشق .

هي أضعاث أحلام كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب والذي أيقظ الإسلام من هذا السبات الطويل وقواه بعد هذا الفشل وأخذ بيده أخذ الإهتمام والقوة إنما هو شيخ السّلاطين وإمام الأمراء الصّالحين الشيخ سيدي الحاج عمر بن سعيد الفوتي رضي الله عنه فإنه طالما جاهد الكفارالمجوس الوطنيين من يميره وغيرهم وأنقذ ما أنقذ من النفوس واقتحم ما اقتحم من المشاق والبؤس حتى شيد للإسلام أركانا ورفع له معالم وبنيانا وقد وصل هذا الرجل العظيم بفتوحه الإسلامية إلى بلدة سوكتو بشمال قطر نيجيريا ونشر الطريقة التجانية التي طالما تعود أذكارها وتغنت حمامته بأوكارها ورفع معالمها وحمي أركانها وديارها وأطلع شموسها وأقمارها رضي الله عنه وأرضاه قال الشاعر:

أنا الذائد الحامي الديار وإنّما يدافع عن أحسابهم أنا ومثلي[1]

وفي آخر أمره أنه أخبر بدخول النصارى لا محالة وأعلم أصحابه بعلامة دخولهم فبينما هو في جهاد مع المجوس واشتد وطيس المعركة بينه وبينهم حتى ألجأته الضّرورة للدّخول في غار في أحد الجبال ولم ير بعد ولذلك كان خبره الحقيقي مجهولا رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد أكرمه الله تعالى من أن تعبث به أيد الكفّار كما أكرم تعالى حمي الدّبر[2] (يعني النحل) وهو الصحابي الجليل سيدنا عاصم بن ثابت الإنصاري رضي الله عنه كما في الحديث الذي رواه سيِّدنا أبو هريرة رضي الله عنه كما قال عاصم ابن ثابت لقومه أيها القوم أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر وهذه من كرامات الأولياء الثابتة بعد الموت وقد وقع مثل هذه الكرامة الخالدة والمزية الخالدة لريحانة سيدنا الشيخ التجاني

[1] انظر الفرزدق , ديوان الفرزدق , ص 310.

[2] الذبر هي الزنابير و قد لقب الصحابي الجليل عاصم بن ثابت الأنصاري , و سبب اللقب أن الدبابير حمت جثته و منعت الكفار من الوصول إليها , إلى أن جاءت السيول و حملتها و منعهم الله من التنكيل بجسده الطاهر , انظر ابن الأثير , أسد الغابة , ص 150 .

رضي الله عنه سيِّدنا محمد الكبير رضي الله عنه في حربه مع الأتراك بناحية أم عسكر بالأيالة الوهرانية من قطر الجزائر فإن أصحابه على ما قيل رأوه يسيح بحصانه فوق الرؤوس لما اشتدت الملحمة الحربية ولم ير بعد ذلك رغم الفحص الشديد ووجدوا كافة أصحابه الذين استشهدوفي نفس المعركة إن الله على كل شي قدير إن لا يعجزه شيئ في الأرض ولا في السماء وهو السّميع العليم وإن الله يغار لأوليائه أكثر ممّا يغار لنفسه .

وحيث أننا معك أيها القارئ على بساط المذاكرة العلمية لا بأس أن نذكر لك ما تذاكرنا فيه مع سيِّدنا ببلدة قمبان بالكمرون في تفسير قوله تعالى[1] : " ومن جدد (جمع جدة طريق في الجبل وغيره) بيض وحمر مختلف ألوانه" (أي بالشدة والضعف) ومختلف صفة لجدد ثم قال تعالى وغرابيب سود (عطف على جدد أي صخور شديدة السّواد يقال كثيرا أسود غريب وقليلا غربيب أسود ثم قال تعالى "ومن الناس و الدّواب والأنعام مختلف ألوانه "كذلك يعني كاختلاف الثمار والجماد وقد دلّت الآية الكريمة على تباين الأشكال وإختلاف الألوان في الكائنات تتجلى فيه براعة الصّنع الرباني بدليلها الطبيعي الخلقي لأن من له القدرة الكاملة في إيجاد الأشياء المتباينة في المشخّصات المتحدة في الحقائق فلأن يكون أقدر على إيجاد الأشياء المتحدة في الحقيقة والتشخص الخارجي مثلا كزيد وعمر وقد إتفقا في الحقيقة وإختلافا في التشخص الخارجي وكزيد والفرس إتفقا في الجنس وهو الحيوانية واختلفا في الفصل إذ أحدهما ناطق أي مفكر بالقوة والآخر صاهل وكما إختلفت الحيوانات على ما ذكرنا إختلفت أصنافا الجادات فإنك تجد في الجبل الواحد بعض حجره السود وبعضه أبيض وبعضه أحمر وكاختلاف بطون الأرض وطياتها فتجد إذا حفرت بئرا مثلا طبقة رملية وطبقة صخرية وطبقة حوت المعادن النفسية الثمينة الغالية كمعادن الذهب والفضة والأحجار النفسية وكذلك إختلاف

[1] الآية التي هو بصدد تفسيرها : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود (27) و من الناس و الدواب و الأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور (28)،فاطر 27 ــ 28.

البحور فإنك تجد بحرا يقذف باللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى :" يخرج منها اللؤلؤ و المرجان "[1] قال العلماء أن اللؤلؤ والمرجان ينشآن من إمتزاج الماء العذب بالملح[2] لأنهم قالوا أن في البحر المالح عيونا مائية عذبة ولهذه الآيات والبراهين السّاطعة التي تدل على وحدة الله وإنه المنفرد بهذا الصّنع البديع قال تعالى في سورة النور "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيئ قدير"[3] وقد أخذ سيدنا الحاج ابنعمر قوله تعالى ومن الجبال هذه الآية أصلا لكون المعادن الأرضية تختلف باختلاف هذه الطبقات الأرضية ولا يزال سيّدنا ويذاكرنا بما فيه الفوائد العاجلة والآجلة في مختلف الأنحاء العلميّة لله دره من إمام جمع فأوعى وكذلك من جملة ما وجدنا بالأقطار الإنقليزية لا غير طائفة يقال لها الأحمدية[4] أصلهم من الهند الذين يدعون نبوءة أحمد غلام الذي ظهر أخيرا في الهند يقال أنه إدعى نبوءة بعد نبوءة خاتم الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة و السّلام ويدعون الناس إلى هذه العقيدة الفاسدة وقد تصدى سيدنا رضي الله عنه لمحاربة هؤلاء الناس الذين ضلّوا وأضلوا كثيرا من أهل هذه الأوطان وجرت بينه وبينهم مناظرة في عاصمة أفرتاون فإنهم قالوا لنا بمحضر العبد الحقير والسيد محمد علي الشنجيطي ما تقولون في المسيح عيسى بن مريم هل هو حي أم ميت قلنا لهم هو حي في السّماء وسينزل حكما عدلا في آخر الزمان بين أفراد هذه الأمة المحمدية يحكم شريعته صلى

---

[1] الرحمن 22 .

[2]أثبت العلم أن اللؤلؤ و المرجان لا يخرجان إلا من الماء المالح , انظر عبد المجيد الزنداني ,مقال : أسرار البرزخ بين البحرين و الحواجز المائية , موسوعة الإعجاز العلمي 05 ــ 08 ــ 2010.

[3] النور 45.

[4] الجماعة الأحمدية أو القاديانية ظهرت عام 1889 ,تنسب لميرزا غلام أحمد المولود في قاديان بالهند , و يؤمنون به رسولا بعد محمد صلى الله عليه و سلم , ويرون أن هذا لا يتعارض مع تعاليم الإسلام , فهم يؤمنون بختم النبوة لذا ينكرون عودة المسيح , ويرون ميرزا غلام أحمد مثيل لعيسى سيخلص الإسلام من الممارسات المتعصبة ليعيده إلى شكله الحقيقي , و يعتبر جمهور العلماء هذه الطائفة كافرة تخالف الإسلام, انظرمجموعة مؤلفين ,دحض مفتريات القاديانية في ضوء الكتاب و السنة (يضم أربع مؤلفات) , إعداد و تجميع د.سعد المرصفي , دار القبلتين للنشر و التوزيع 2005 .

الله عليه وسلم ما عدا الجزية فإنه لا يقبلها من الكفار وحكمه أما الإسلام أو السّيف لا ثالث لهما قالوا لنا هو ميت نشاهد قوله تعالى : " إذ قال الله ياعيسى إنّي متوفًيك ورافِعُك إِلي "[1] الآية قلنا لهم و العطف في الآية الكريمة بالواو والقاعدة النحوية تقضي أن الواو لمطلق الجمع لا تفيد ترسيبا ولا تعقيبا وأنتج أجهل الناس باللغة الصَّناعة فكيف تتصدّون إلى المناظرة فبحثوا والقمناهم فخرا قال القرآن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره إنّي رافِعُك ومطهرك من الّذِين كفرُوا ومُتوفِيك , بعد إنزالك من السّماء أبوزيد متوفيك قابضك وقال في الكشاف[2] مستوفي أجلك ومعناه أن عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرأجلك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم وإنما إحتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله رفعه إلى السّماء من غير وفاة كما رجحه كثير من المفسرين وإختاره ابن جرير الطبري[3] ووجه ذلك أنه قد صحّ في الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم نزوله وقتله للدجّال مع صحيح الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصّليب يقتل الخنزير ويفصح الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

روى أبو عيسى عن ثوبان (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)[4] قال (فينزل عيسى بن مريم فيقول تعالى صل لنا فيقول لا إن بعضكم على

---

[1] آل عمران 55 .

[2] تفسير الكشاف , لأبي القاسم محمود الزمخشري (1074 ــ 1143 م)عالم معتزلي برع في الآداب و صنف التصانيف في الحديث و النحو و البلاغة و التفسير , انظر الذهبي في السير ص 395.

[3] محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (839 ــ 923 م) مؤرخ و مفسر و فقيه كان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا وهو من أكبر علماء الإسلام تأليفا و تصنيفا , انظر المرجع السابق , ص 108.

[4] رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه و سلم : لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق , لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله و هم كذلك .

بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة)[1], وألقمناهم بحرا أيضا بقوله تعالى "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم"[2] فهذه الآية نصر في موضوعنا وأمّا المتقدمة فهي ظاهرة وهذا الظهور يضعفه الدليل الصناعي الذي أدخل على احتجاجهم بالآية لوفاة عيسى وهنا على وهن فذهبوا منهورين بعد هذه المناقشة التي كشفت عن وضاعتهم العلمية التي هي مجرد خيال وإختيال ولهم في الأقطار الإنقليزية عدة مدارس خصوصا بفرتاون وعاصمة لاقوس بنيجيريا ويصلون في جوامع خاصة ولا يصلون في جوامع ومساجد بقية المسلمين ما يدل الدلالة الواضحة على دسائسهم الفاسدة نحو الإسلام وبعيدة وقد قلنا أن سيدنا زج بنفسه في هذه المعمعة وحاربهم محاربة المستميت في مجالسه الوعظية التي تشتمل آلافا من الناس وأرجع كثيرا من أتباعهم بفضل العناية الإلهية حتى رجعوا إلى الصواب وتبين لهم الخطأ بعد الإيّاب قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وقد اعتنق هؤلاء الناس الطريقة التجانية وصاروا من الذاكرين الله كثيرا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والتائب من ذنبه كمن لا ذنب له سلك الله يناديهم سبل الهدى والرشاد بجاه سيد العباد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام إلى يوم الحشر والميعاد بل ما دام نعيم الجنة بعد الحساب والعقاب وهذه الطائفة لا توجد في الأقطار الفرنسية أبدا وكأنها الإختصاص بالمستعمرات الإنقليزية أنها دسيسة انقليزية نحو الإسلام وهم "يريدون ليطفؤوا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون"[3]

ووسائل النقل في كافة هذه الأقطار ما عدا الخطوط الحديدية تتعطل كثيرا منها ما يفقد رأسا على طريق البرّ وقت نزول الأمطار في الفصل الخريفي وذلك مثل الطريق التي

---

[1] من حديث آخر رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، فيقول أميرهم تعال صل لنا ، فيقول : لا إن بعضكم إلى بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

[2] النساء 157.

[3] الصف 08 .

بين مروه بالكمرون وفرلافي بالتشاد فإنه لا يمكن السّفر إلا على ظهور الخيول بين مروه وبقوة وعلى طريق البحرين بقوة وفرلافي وقد أخبر الحاكم بمروة سيِّدنا بأنه في عزم الحكومة أن تعبد طريقا صالحا في كافة أوقات العام لا فرق بين صيفها وخريفها بين مروة وفرلافي وهم ساعون في إصلاح هذا السّبيل وكما أخبره بأنه ستجعل الحكومة خطّا حيويا بين عاصمة يونخ وفرلافي تسهيلا لوسائل النقل في فصل نزول الأمطار وفي كثير من الأماكن تعدد الأخطار إذ القناطر والجسور على أكثر هذه الأودية السيّالة بالمياه الغزيرة مصنوعة من مجرد الأعشاب فقط في كثير من الأحيان تغمرها المياه حتى لا يكاد يعرف سائق السيّارة الطريق وتراه ينزل يسوس أمرها بعصا هل هي صالحة للمرور أم لا وكم من سيّارة كبرى مشحونة بالبضائع والأنفس البشرية أصبحت في جوف هذه الأنهار والذي يربط هذه الأوطان البعيدة بفرنسا وانقلترا والشمال الإفريقي وغيرها من الأوطان إنما هي الخطوط الجوية المحكمة أي إحكام وهي العامل الوحيد لحفظ البريد وإغتنام فرصة الإسراع التي يهون معها هذا البعد نوعا ما وكذلك نقل المسافرين للأوطان البعيدة فتجد خطّا جويّا بين عاصمة برازفيل وعاصمة دكارمن دكار يتصل بمدينة الدار البيضاء بالمغرب الأقصى ومنها إلى عاصمة باريس وتمر هذه الطائرة في طريقها على بوانت نوار ثم الدولة غير أنها تقف بلبرفيل بالفا بو وبرت جنثي ومن الدولة لاقوص ثم كونقو ثم لوفي ثم اكره ثم أ بدج ثم مروفيا ثم كناكري ثم فرتاون ثم دكار والرجوع يكون من برازفيل على طريق بنقى Bangue ثم فرلافي ثم قاوتم دكار وهناك خط جوي آخر يربط برازفيل وباريس يمر على الدوالة ثم لاقوص ثم كنو ثم قاو GAO ثم عاصمة الجزائر ثم باريس وهذه خطوط جوية منظمة نظاما محكما تقوم بها شركة اير فرنس Air France .

ولا يجد المسافر فيها إلا بغيته وضالته المنشودة من الإستراحة وأنواع اللطافة والمدنية الحاضرة في قوالب الإختصار أما الأقطارالإنقليزية فلها أيضا خطوط منظمة

تربطها بانقلترا أو بقية المستعمرات الإنقليزية وكذلك الكنغو البلجيكي له خطوط جوية تربط بين كنصاصة وبركسل عاصمة بلجيكا وله صلة بطريق عاصمة نيويورك الميناء الكبير الأمريكي الذي سواحل المحيط الأطلانتكي الأمريكية الشرقية وعلاوة على هذه الخطوط الجوية توجد خطوط بحرية تقوم بها البواخر الكبرى لنقل المسافرين والبضائع تجارية وبريدية تربط هذه الأوطان النائية بالأوطان العالمية الأخرى وترى سكان هذه الأوطان المسلمين في غاية التعطش إلى التعاليم العربية الإسلامية ويحبون العرب غاية المحبّة ولهم غرام في اللغة العربية إن لو وجدوا لها حيلة وتراهم يتنفسون الصّعداء على عدم حصولهم على هذا المرغوب الجليل كما تحصل عليه إخوانهم المسلمون في بقية الأقطار الإسلامية المتفقة ويبذلون النفس والنفيس ولو يجدون إلى ذلك سبيلا فهم في حاجة إلى التعليم العربي أكثر من حاجتهم إلى الأكل والشرب ولكنهم رغم هذا الخلل الأدبي لهم العقيدة الراسخة الصّافية نحو الإسلام والانتساب إلى العرب يرونه غاية الشرف وفيهم محبة الصّالحين والعلماء ولا يزالون محافظين على هذه العقيدة وبينهم كثير ممن حج بيت الله الحرام وزار قبر خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وتجد الكثير منهم تعددت زيارته للحرمين الشريفين رغم بعد أقطارهم وللحجاج في هذه الأقطار زي خاص من اللباس وتراهم يحترمون الحاج غاية الاحترام حتى إن الحجاج في عاصمة لاقوص بنيجيريا لهم مكان خاص في الجامع لا يشاركهم فيه الغير في مكان مرتفع في الجامع والمسألة من الناحية الفقهية هي أنه يجوزعلى المأموم على إمامه ولو بسطح إذا كان المأموم يضبط أحوال الإمام وإما علو الإمام على المأموم فلا يجوز أي يكره على المعتمد وبطلت الصلاة بقصد إمام ومأموم بالعلو الكبير وتقيد مسألة السطح بغير الجمعة لأنها لا تصح بسطح الجامع وأشار صاحب المختصر إلى هذه المسألة بقوله عاطفا على الجائزات وعلو مأموم ولو بسطح لا عكسه وبطلت بقصد إمام ومأموم به الكبر وإستثنى خليل من قوله لا عكسه وقوله إلا بكسر ليعني إلا أن يكون علو الإمام على المأموم يسيرا

بأن كان ذلك العلو قدر بشر أو ذراع أو كان علو الإمام بأزيد من ذلك بقصد تعليم والقول بالبطلان إذا قصد بالعلو الكبر ظاهرة سواء كان العلو كثيرا ويسيرا وظاهره وأيضا أنه قصد الكبر بتقدمه الإمامة أو بتقدم بعض المأمومين على بعض أو بصلاة على نحو سجاده فإنها لا تبطل ولكن المسألة لا نص فيها واستظهر بعضهم البطلان اهـ العلامة العاوي وكذلك هؤلاء الناس تراهم يحترمون الأئمة ورجال الدين عندهم بالمكانة العليا ولهم إحترام عظيم لآل بيت النبي صلى الله عليه و سلم غير أن المسلمين فيهم له لا العناية الإلهية ضعفاء لأنهم بين طوائف المجوس الكثيرة أهل الوطن من جهة ومن جهة أخرى بين الدعاية المسيحية التي تسعى بكل الجهود والوسائل في تكثير سوادها في هذه الأقطار تحت خلل الجهل السّائد بين هذه الشعوب من مختلف النوزاع فترى الإسلام بين عوامل الصندية الأجنبية كالمصباح الذي بين العواصف تارة يضيئ وتارة يكاد نوره أن يذهب والله متم نوره ولو كره الكافرون ومن تمام فيه هؤلاء الناس أن بعضهم يعتقد أن كل مسلم يولد يوم الجمعة أو يوم الإثنين هو شريف يعظم تعظيم الشريف الحقيقي سمعنا هذا من بعض السنغاليين من بلدة لكوتة Lakota بقطر لاكوت ديفوار وهو الحاج الذي صحب سيِّدنا إلى عاصمة أبدج وتحت عقيدة هؤلاء الناس تجد كثيرا من أرباب الدعاوي الباطلة التي لا تمت إلى الحقيقة بحال يتجولون خلال هذه الديار ويستهوون عقول الناس البسيطة منهم من يدعي أنه شريف منهم من يدعي أنه ولي ومنهم من يدعي معرفة سر الحرف[1] ويتظاهرون لهم بالأسرار وإدعاء الأسانيد إلى المشائخ الكمل كذبا وزورا جلبا للمال وطلبا للرياسة التي تجلب جميع الشرور وكم عثرسيِّدنا على سند مزيف.

والدعاوى مــالم تقيمـوا عليهـا بينـــات أبنـــا ؤهـــا أدعيـــاء

[1] الكتابة الطلسمية أو العلم المكتوم .

ويتعاطى أهل هذه الأ قطار خصوصا المجوس منهم من السّحر الذي يتنوعون في أساليبه بأدق الكيفيات خصوصا في ناحية بلدة خاي قرب بمكو بالسودان الفرنسي أعاذنا الله من كيد الكائدين ومكر الماكرين حتى أننا سمعنا بعضهم لا يزال ينظر إلى الشخص حتى يشرب دمه بالكلية وهو لا يشعر حتى يجد نفسه بين أظفار المنية ومن غرائب الأسحار في هذه الأقطار على ما تلقيناه من الثقاة أن امرأة ساحرة أرادت أن تشرب دم امرأة أخرى فقالت السّاحرة للأخرى خذي هذا الخيط وافتليه معي فأخذت السّاحرة الخيط من طرف وأخذته الأخرى من طرف ولا شعور لها بالكيد حتى صارت المرأتان تفتلان في ذلك الخيط والساحرة في هذه المهلة تشرب في دم المرأة من دون شعور فبينما هما في أثناء العمل إذ دخل عليهما رجل له دراية تامة بهذا النوع السّحري فاستغفلهما وعمد إلى قطع الخيط سال الدم منه بكثرة كأنه عرق من عروق الإنسان قطع فأنظر إلى هذه المكائد البديعة في نوعها فلولا أن لطف الله تدارك هذه المرأة بحضور هذا الرجل العارف بالكيد لهلكت المرأة ومن عجائب الأسحار في هذه الأقطار أننا سمعنا من بعض الثقاة بقضيه نصها أن رجلا كان متزوجا بامرأة لها أخت وله أولاد من زوجته فأراد هذا الرجل أن يلعب بدور في هذه العائلة مالت نفسه إلى التزوج بالأخت الثانية بعد طلاق الأولى تبعا لهواه فقال الرجل لأم البنتين إني أريد أن أتزوج ابنتك الثانية وأطلق أختها الأولى وإن أبيتم عن إعطاء الثانية بدعوى حصول الشقاق بين الأختين فأنا أتزوج لا محالة بامرأة أجنبية وقد عرضت عليكم المسألة جديا خوف الملام فإنني لا أود أن أخرج من مصاهرتكم فلما رأت فيه أم الأختين العزم على ذلك قالت له نحن لا نرضى أن يكون أولادنا تحت سيطرة امرأة أجنبية علينا لما ينالهم من الذل والصّغار ما ينالهم فنحن نعطيك الأخت الثانية فسمعت زوجته الأولى أم أولاده المسكينة بالقضية وبلغها الخبر فقالت لأمها لما رأت منها العزم على إعطاء أختها لهذا الرجل لما فعله معها وأفنى

شبابها أنتم تريدون فعل كذا وكذا إن فعلتم هذا فلا تلومن إلا أنفسكم فسخرت الأم من كلام البنت الذي تظنه لا يتجاوز ما تجاوز ...

ولكن في الصدور زفرات وتحت الحاجب غمرات و سعت الأم في تجهيز بنتها الجديدة فلا زالت الزوجة الأولى تسعى تحت ظل الغفلة وبستار الكتمان حتى أعدت عدتها لما يستقبل فلما جاءت ليلة الدخول فبينما الناس وخصوصا الأم في شغل بشؤون العرس وتحضير البنت لزوجها رمت الزوجة الأولى ما رمت من تراكيب الأسحار بما يشبه الغبرة خفية في فناء الدار حيث لا يراها أحد فما تم ذلك إلا وثارت زوبعة رملية عظيمة لا تكيف في جميع الدار حتى تفرق جميع ذلك المجتمع بصفة لا تعهد ولم يجدوا البنت التي هم بصدد تحضيرها وصاروا يفتشون عنها في سائر بيوت المنزل فبينما هم بصدد البحث عن العروس التي إختفت عنهم كشمس كسفت وجدوا أفعى في زاوية من زوايا المنزل فصاروا يضربون تلك الأفعى ظنا منهم أنها أفعى حقيقية ولم يطلعوا أنها أفعى بنت الأسحار ونتيجة ذلك الغبار فتمر الأفعى إلى غار تختفي فيه خوفا من الضرب المستمر ثم تخرج الأفعى مرة ثانية من الغار فيضربونها ثم ترجع إلى غارها واستمر الحال في هذا الشكل والناس في ذعر وجزع فتفطنت الأم المسكينة بكيد بنتها وأختها فجاءت إلى بنتها الزوجة الأولى وصارت تتوسل إليها بأعظم الوسائل المأثرة بعبارات الحنان هل تسببت في فعل شيئ أوجب لها هذا الحال الأليم فقالت لها البنت ألم أقل لكم سابقا إن فعلتم هذا فلا تلومن إلا أنفسكم وأخذت البنت مرة ثانية تبطل العمل السّابق ورمته , فإذا بأختها ظهرت بعد الغياب وطلعت شمسها بعدما توارت بالحجاب جالسة على حالها وسط البيت كما كانت في حالة فزع وذعر ففرحوا بذلك وإستفسرت البنت عما وقع لها فقالت لهم أنتم تضربون في الأفعى ظنا منكم أنها أفعى مع أنني تلكم الأفعى, وأفر تحت تأثير الضرب الشديد إلى الغار فلما تشتد عليها الحرارة بالغار أخرج للهواء, فتضربونني فأفر وهكذا وقع لي ورأيت من أنواع الفزع والذعر ما رأيت فانظر أخي هذه

القصة وتأمل حصة تجدها قصة ما فوقها قصة تكسب الإنسان خوفا وغصة , وهذا النوع من الداء لا علاج له إلا الحفظ الإلهي من كيد الناس السّحرة, وهم في هذا الميدان يتسابقون ويتنافسون الحاصل أن النجاة من هذه الأوطان من باب العناية الإلهية والسّلامة منها من تمام الرعاية, وعلى الله فليتوكل المومنون.

وقد سمعنا أن بعض السّحرة جلس أمام دكان تاجر فأمره التاجر بأن يغادر المحل وإنتهره فما غادر هذا السّاحر محله حتى أصبحت بضائع الدكان كلها حيات وأجناس تسعى يتخيلها الإنسان على حقيقتها فدخل الرعب الشديد لصاحب الدكان الذي توعده الساحر لما إنتهره وفر من دكانه خوفا من هذه الحيات الخيالية وصار يستسمح السّاحر بأنواع العطف المأثرة حتى سامحه ورجعت تلك البضائع إلى ما كانت عليه من الحالة الأصلية ولا شك أن هذه الأمور خيالية لا حقيقية لها كما أخبر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز حكاية عما فعل السّحرة مع سيِّدنا موسى عليه السّلام "قال بل ألقو فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم إنها تسعى"[1] قال أنهم المفسرون لأنهم طلوها أعني الحبال والعصي بالزئبق فلما اشتد حر الشمس إضطربت واهتزت فتخيل أنها تتحرك قال تعالى :" وما أنْزل على الملكيْنِ ببال هارُوت ومارُوت وما يُعلّمان من أحد حتّى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم"[2] بل العكس قال ابن جرير وذهب كثير من السّلف إلى أنهما كانا ملكين من السّماء وإنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان وبابل قيل هي العراق وقيل نهاوند وقيل غير ذلك وهاروت وماروت اسمان أعجميان لا ينصرفان قال في الخلاصة[3] في باب مالا ينصرف :

---

[1] طه 66.

[2] البقرة 102.

[3] الخلاصة في النحو ,و هي ما اشتهرت باسم : ألفية ابن مالك في النحو و الصرف ,انظر محمد بن عبد الله بن مالك , الخلاصة في النحو (ألفية ابن مالك) ,ترجمة و تحقيق سليمان بن عبد العزيز العيوني , دار المنهاج , الرياض , ط1, 1432 هـ .

والعجمي الوضع فــالتعريف مــع زيد على الــثلاث صــرفه امتنــع

وقوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا قال الزجاج تعليم انذار من السَّحر لا تعليم دعاء إليه وقال وهوالذي عليه أكثرأهل اللغة والنظر وقد قيل أن قول يعلمان من الإعلام لا من التعليم وقد جاء في كلام العرب تعلم بمعنى أعلم كلما حكاه ابن الأنباري[1] وابن الأعرابي[2] وهو كثير في أشعارهم كقول كعب من مالك :

تعلــم رســول الله إنــك مــدركي وإن وعيــدا منــك كالأخــذ باليــد[3]

وقال القطافي :

تعلــم أن بعــد الغــي رشــدا وإن لـــــــذلك إنقشـــــــاعا

وقوله إنما نحن فتنة هو على ظاهره أي إذا تحت ابتلاء واختبار من الله لعباده وفي قولهما فلا تكفر أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي أن هذا ذنب يكون من فعله كافرا فلا تكفر وفيه دليل على أنّ تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد, وبين من تعلمه ليكون ساحرا ومن تعلمه ليقدرعلى دفعه, وقوله تعالى ما يفرقون به بين المرء وزوجه في إسناد التفريق إلى السحرة وجعل السحر سببا لذلك دليل على أن للسَّحر تأثيرا في القلوب بالحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد وقيل ليس للسحر تأثيرا في نفسه أصلا, بدليل قوله تعالى وما هم بضارِّين به من أحد إلا بإذن الله والحق أنه لأننا في بين قوله فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وبين قوله وما هم بضارِّين به من أحد إلا بإذن الله فإن المستفاد من جميع ذلك أن للسحر تأثير في نفسه

[1] أبو بكر الأنباري (271 / 328 هــ) .

[2] أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (150 ــ 331 هــ).

[3] انظر كعب بن مالك الأنصاري , ديوان كعب بن مالك ,تحقيق و شرح مجيد طراد ,دار صادر بيروت , 1997 .

ولكنه لا يؤثر ضررا إلا فيمن أذن الله بتأثيره فيه ,وقد أجمع أهل العلم على أن له تأثير في نفسه ودليل ذلك الوقائع المتقدمة وله حقيقة ثابتة ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة وأبو حنيفة[1] أنه "ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم"فيه تصريح بأن السّحر لا يعود على صاحبه إلا بالوبال والخسران المبين ,دنيا وأخرى وفيه تهديد عظيم لمن تذوق أفانين الأسلوب العربي وقد ذهب المعتزلة وأبو حنيفة إلى أنه خدع لا أصل له ولا حقيقة وذهب من عداهم إلى أن له حقيقة مؤثرة وهو مذهب أكثر أهل العلم كما تقدم , وقد صحّ أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر, سحره لبيد بن الأعصم اليهودي حتى كان يخيل اليه أن يأتي الشيئ ولم يكن قد أتاه ثم شفاه الله سبحانه والكلام في ذلك يطول , وقال الله تعالى :" وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السِّحر "[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : اجتنبوا السّبع الموبقات (المهلكات) قالوا يا رسول الله وما هنّ قال : الشرك بالله والسّحر وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف (يعني الفرار من صف المسلمين يوم الزحف إلى العدو) وقذف المحصنات العفيفات[3] قال الله تعالى :" إنّ الّذين يرْمون المحصّنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم "[4] يجد أن التباعد عن هذه الأشياء السّبعة يضمن سعادة المجتمع البشري دنيا وأخرى, فإن الإشراك بالله قصر حتى في الدنيا لأنه يعود الإنسان على عدم شكر أرباب العمل والنعم في الدنيا لأنه كافر بنعمة الواحد القهار الذي أخرجه من العدم إلى الوجود فلأن يكون بنعمته غيره ممن يجانسه من البشر أكثر ولا يخفى ما في السِّحر من إتلاف النفوس لو فتح بابه ويعدم الإنسان الأمان

---

[1] أجمع أهل العلم على أن السحر حقيقة ثابتة , وله تأثير في نفسه , و قد خالف أبو حنيفة و المعتزلة هذا و قالوا أنه خدعة لا أصل له ولا حقيقة , انظر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي , الجامع لأحكام القرآن , تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي , مؤسسة الرسالة ط 1 ,2006 ,

[2] البقرة 102 .

[3] متفق عليه .

[4] النور 23.

في هذه الحياة, حتى يكون عيشه كله في خطر وما نال الواحد ينال الجميع وفي قرن السِّحر بالإشراك بالله دليل واضح على فضاعة أمره وفي قتل الأنفس البشرية بغير حق من المفسدة العاجلة ما لا يخفى, ولهذا قال الله تعالى : "ولكم في القصاص حياة "[1] ويقول العرب القتل أنفى للقتل ، فدم الإنسان غال عند الله أغلى من الذهب عند أحدنا ولا يهون ولا يهدر إلا إذا ارتكب ما ينافي حرية أخيه وتعدي على شرفه وحرمته في أمور حصرها الشارع وفي أكل الربا من المفاسد العاجلة ما لا يخفى إذ فيه إستحلال مال الإنسان بغير حق شرعي ومصيبة هذا النوع من التعامل قد طمت وعمت في هذه الأزمة حتى ظهر فيها الفتن بأنواعها والأمر بأشكالها التي لم يكن للناس بها عهد وتحدث للناس أقضية بقدرما أحدثوه من الفجور ومن أفراد الربا سلف المدين لرب المال أما المدين مقصود الشارع منفعته بدليل قوله تعالى" وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة"[2] لأنه مهضوم الجانب من الناحية المالية وفي أكل أموال اليتامى من المصائب العاجلة والآجلة ما يكدر صفو حياض الهيئة الإجتماعية, لأن اليتيم أصيب بفقد والده العزيز ولم يبق له عضد يستند إليه في هذه الدنيا إلا المقدار المادي الذي خلفه والده فإتلافه له من البغي والفساد العظيم بمكان, ولذا قال تعالى "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا "[3] فانظر إلى هذا الوعيد العظيم من التهديد وفي الفرار من صف المسلمين وقت المعركة من المفاسد الغريبة ما لا يخفى ,لأن الجندي وقت القتال له سلاحان سلاحه الحسي الذي هو بيده وسلاح معنوي أدبي وهو معاضدة أخيه الذي يراه يقاتل بجنبه سعيا وراء تحقيق ذلك المبدأ المقدس الذي دعاهم إلى بذل دمه النفيس وإراقته على التراب محل الإمتهان , بعد أن كان جاريا في ذلكم الجسم الإنساني الشريف الذي طالما قامت بتربيته والمحافظة عليه عائلة ذلك الجندي الشريف بالأخص والدته

[1] البقرة 179.

[2] البقرة 280 .

[3] النساء 10 .

الفاضلة ووالده الكريم كل هذه الإعتبارات تركها هذا الجندي الباسل الشجاع ورمى بنفسه في هذه المعمعة وهذا الوطيس الشديد كما يرمي أحدنا الحطب الرقيق في النار المتأحجة ...

وقصده وقصد أخيه إعلاء كلمة الله تعالى وكسر شوكة الكفر واستبقاء شرف وطنه من أن تدوسه نعال الكفرة التي لا يعقبها إلا الذل والهوان والصغار الشديد لسواد الإسلام بعد أن كان يتمتع بسلطانه, وله الحرية الكاملة في سائر أقطاره وأوطانه فهل يليق بك أيها المسلم أن تفر من صفوف إخوانك المسلمين وماذا تريد بعد هذا ؟ وإلى أين تسعى إذا فقدت الشرف والحال أن الشرف بين رجليك ولهذه المعاني كلها جعل الشارع الحكيم ,الفرار يوم الزحف من أكبر الكبائر لما فيه من المصائب الحربية التي تعود على الإسلام بالمضار العديدة لأن فرار الأول يوجب فرار الثاني والثالث وهلم جرا فتقوى شوكة الكفر وتضعف شوكة الإسلام والمقصود تقويتها قال تعالى " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة "[1] لأن أفضل المسلمين عندنا من تلطخ ثوبه بدماء الشهادة , قال تعالى " ولا تحسبن الّذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربًهم يرزقون فرحين بما آتهم الله من فضله"[2] .الآية ولولا خوف الإطالة لبسطنا الكلام هنا أكثر من هذا فكان في صدر الإسلام يجب على الواحد أن يقف أمام العشرة ويحرم عنه الفرار وبعد ذلك خفف الله الأمرعلى المسلمين وصار الواحد يجب عليه أن يقف أمام الإثنين فحسب قال تعالى في سورة الأنفال " الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا "[3] أي عن قتال الواحد لعشرة أمثالكم وقال تعالى " ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة (أي جماعة كافرة) فاثبتوا (أي

[1] التوبة 111.
[2] آل عمران 169 .
[3] الأنفال 66.

لقتالهم ولا تتفرقوا) و أذكروا الله كثيرا (أي أدعوه بالنصر) لعلكم تفلحون"[1] (أي تفوزون) وهذا الترجي بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لا يخلف قال الشاعر :

ولأني كلمـــا أوعدتـــه أو وعدتـــه لينجز يعادي ويخلــف موعــدي[2]

وانظر رحمك الله إلى فضل الذكر فقد أمر الله به حتى في أوقات الشدة العظيمة التي ربّما غفل الإنسان فيها حتى عن الضّروريات وقال تعالى محرضا المؤمنين على الثبات وقت نشوب المعركة " يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا (أي متجمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون) فلا تولوهم الأدبار (أي منهزمين) ومن يولهم يومئذ دبره (أي يوم لقائهم) إلا منحرفا لقتال (بأن يريهم الفرار مكيدة وقصده انكس عليهم) أو متحيزا (أي منظما) إلى فئة (أي جماعة من المسلمين يستنجد بها) فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير "[3] والذي أدخل الفشل الأدبي الآن في قلوب المسلمين في هذه العصور هو إقبالهم على زخارف الدنيا والميل إليها والأخذ بزمام المتاع الدنيوي الذي هو كظل عن قريب يزول وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من نتائج هذا الفشل الذي تسببه الإقبال على الدنيا وما ينشأ عنه من تكالب الأمم الأجنبية على هذه الأمة قبل وقوعه وهم الآن واقع فقال صلى الله عليه وسلم أما قذف المحصنات المومنات بغير ما اكتسبوا ففيه من الوعيد الرباني ما فيه, قال تعالى في سورة النور " إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا"[4] (الحد القذف) والآخرة (بنارالحق الله تعالى) والله يعلم (بأنهم برأو) وأنتم (أيها العصابة بما قلتم من

[1] الأنفال 45.

[2] البيت منسوب في العقد الفريد لعامر بن الطفيل , انظر ابن عبد ربه , العقد الفريد ,كتاب الزبرجدة في الأجواد و الأصفاد ,ج 7 .

[3] الأنفال 15 ــ 16 .

[4] النور 19 .

الافك) لا تعلمون وفي رمي المحصنات الغافلات المؤمنات من الأمر السيئ مالا يخفى إذ الرجل العربي الصّميم يود أن يمس في ذاته وماله وفي ولده ولا يمس في زوجه بحال بل لا يرى بعد ذلك إلا الموت , فكيف يحسن منك أيها الأخ المسلم أن نتكلم في زوجة أخيك مع أنه حريص على صون عرضك وعرض زوجتك في الغيبة والحضور وقد كثرت هذه الأقاويل الفاسدة بين المسلمين في كافة الأمصار والأقطار في هذه الأزمنة الفاسدة فترى الإنسان يفاجئ بطأنته بمثل هذه العبارات , فيقول لهم زوجة فلان تفعل كذا وبنت فلان تفعل كذا, مع أن الزوجة والبنت من البراءة مما نسب إليهما بمكان لا يتوفي هذا الرجل وقوع الفتن التي ربما نشأت عن هذه الأقاويل الزائفة لأن هذه الزوجة وهذه البنت لها عائلة تتألف من رجال والكل يذود عن حياض بنته ولا يود أن يمس عرضها بحال من الأحوال, فيتسع بذلك ميدان المناقشة والمنازعة بين أبناء الإسلام وأعداؤهم بالمرصاد في كل وطن وبلاد, قال تعالى "فلا تنازعوا فتفشلوا ويذهب ريحكم"[1] وقال تعالى في سورة النور : "إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدّنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين "[2]

هذا باب عظيم من الفتنة إذا فتح يعسر سده على المسلمين وهذا الكلام كله مر إليه كلامنا على السَحر في هذه الأقطار و قد ذكره الشيخ خليل في مختصره في باب الردة و العياذ بالله تعالى حيث قال الردة كفرمسلم صحيح لصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كإلقاء مصحف بقدر وشد زناد و سحر إلخ ..فانظر عاقبة متعاطيه مع ما تقدم من الآثار المقدسة فيه ولفظ ساحر يجمع جمع تكسير على سحر فتغير فيه بناء مفرده بالزيادة والنقص وتبديل الشكل إذ التكسير هذا التغير فألف مفردة ذهبت في الجمع هذا وجه النقض والمفرد

[1] الأنفال 46 .

[2] النور 23.

لاتاء فيه وهي موجودة في الجمع وهذا وجه الزيادة والحاء في المفرد مكسورة وفي الجمع مفتوحة فهذا وجه التبديل وله نظائر في الجمعية على هذا الوزن وذلك ككامل فيجمع جمع تكسير على كمله وعامل وعمله وفاسق فسقه وفاجر فجره وكاتب قال في الخلاصة في باب جموع التكسير أو ساع نحو كامل وكمله

أما اليد العاملة في هذه الأوطان ونعني باليد العاملة اليد الوطنية ما عدا السنغال فإنها نائمة في سبات ثقيل طويل انتقض به وضوؤها بعد الإحكام وذهب ترفها بعد الإحترام حيث أنك تراهم يكتفون بزراعة المساحة القليلة من الأرز أو الدخن أو الفوني Fonio وهذا نوع من الأقوات الجيدة بكثرة في قطر لفتى الفرنسية وتيدر بغيرها نظرا لما هم عليه من البساطة في أمر المعاش ولو كانت اليد العاملة في هذه الأوطان حازمة لكان أهل هذه الأقطار أغنى الناس في كامل الكرة الأرضية نظرا لما رزقهم الله به من كثرة الأمطار التي تأتي في أبانها من غير تخلف ومع ذلك أقطارهم في غاية الإتساع والذي لا تمكن المزاحمة بينهم غير أن وطن لفتى يكثر فيه شجر الموز بيد أن اليد العاملة هي أجنبية وكذلك زراعة القهوة في لاكوت ديفوار غالبها للأجانب التي هي باب عظيم من أبواب الثروة وطالما حرضهم سيّدنا على الاشتغال بأمر الزراعة في كثير المجالس وأوضح لهم الحجة بأن حياة الوطن تتوقف فيها .

لأن الأوطان التي لا زراعة بها هي أقرب إلى الجوع أكثر من غيرها وقد ظهر هذا بالكاشف في هذه الحروب المتأخرة فإن كثيرا من الأوطان عدم أهلها الأقوات وفتك بهم الجوع غاية الفتك لأن الوسائل الثقيلة في أوقات الحروب خصوصا العامة تتعطل كثيرا لكونها غاية الخطورة نظرا لعدم الأمن في البحر وقد دعى الله تعالى عباده إلى العمل بقوله "وآية لهم الأرض المبينة أحييناها وأخرجنا منها حبّا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم "[1] بناء على

[1] يس 33 ـــ 34 .

أن ما موصولة أي ومن الذي عملته أيديهم إثبات العمل الأيدي من حيث الكسب وأما على جعل ما في الآية الكريمة نافية فلا يظهر الإستدلال اللهم إلا أن يتكلف له بأن نقول أن الناس مطالبون بالعمل الصدري مع أن المؤثر في الحقيقة هو الله فالتقى متوجه إلى إعتقاد أن لهذا الكسب تأثيرا حقيقيا فلا ينافي طلب الكسب صورة من غير إعتقاد التأثير للصورة الخارجية قال صاحب الجوهرة [1]..

وعنـــدنا للعبـــد كســـب كلفـــا به ولم يكــن مــؤثرا فلتعرفــا

وقال تعالى في سورة الملك : "وهو الذّي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكُلوا من رزقه "[2] والأمر بالمشي في مناكب الأرض التي هي جوانبها أمر بالسّعي للرزق بدليل قوله بعد و كلما من رزقه يعني الحلال والحلال لا يكون إلا عن عمل أباحه الشرع كالهبة والصّدقة والإرث والبيع والشراء الجاربين على النظام الشرعي وكسب اليد الذي هو أطيب حلال على وجه الأرض, حتى أنه من أعظم أسباب ضعف الباءة من الإنسان أكل الحرام لأن الحرام لا قوة فيه ولا بركة والذي ترى كثيرا من الناس يشكون ضعف الباءة في هذه الأزمنة ومن أعظم أسبابها ما ذكرناه ثم خوف الله تعالى " عباده عن تناول الحرام بقوله " وإليه النّشور "[3] لأي من علم أن مصيره إلى الله يحتاط لأمره في حالة السعة غاية الإحتياط ولهذا لا تجد في أمة عاملة حازمة تشتغل بما يعنيها وصف السرقة لأن وصف السّرقة غالبا ينشأ عن احتياج العامل بلد لا يحتاج بحول الله وقوته وعامة المسلمين في هذه البلدان ما عدا رجال الدين كالأئمة وطلبة العلم ومشائخ

---

[1] يقصد جوهرة التوحيد , وهي من أهم متون العقيدةعند أهل السنة و الجماعة , و هو عبارة عن منظومة شعرية تتألف من 144 بيت شعري , مؤلفها إبراهيم اللقاني المالكي (ت 1041 هـ) انظر عبد الفتاح ليزم , مقدمة شرح الضاوي على جوهرة التوحيد , دار ابن كثير ط 3.

[2] الملك 15 .

[3] الملك 15 .

الطرق يستعملون القبعة على رؤوسهم على دعواهم توقيا من حر الشمس بحيث أنك لائمين بينهم وبين الأجانب عن الدين إلا بالعقيدة الإسلامية والأعمال الدينية أم الهيئة الظاهرية فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب وهذه المسألة أعني إستعمال القبعة محل بحث ونظر من جهة الدين لأننا إذا نظرنا كون الإسلام لم يأت بلباس خاص تجب المحافظة عليه وإن العبرة بالعقيدة الصّميمة وإتباع الأوامر الشرعية وإجتناب النواهي قلنا أن هذه القبعة لا تأثير لها في الوسط الإسلامي وإذا نظرنا إلى أنها صارت بحكم الملازمة والعرف المستمر في سائر الأعصار والأمصار شعاب الكفار قلنا بذنبها لأن الإضافة تأتي لأدنى ملابسه قال الشاعر:

إذا كوكب الزهراء لاح بســحرة أذاعت سهيل غزليها في العشــائر[1]

والمئشفه يقوم يوشك أن يلحق بهم .

فتشبهوا إن لم تكونــوا مــثلهم إن التشـــبه بـــالكرام فـــلاح[2]

والمسلم الحقيقي ينبغي له أن يحافظ على التقاليد الإسلامية أولى وإلى الله عاقبة الأمور غير أن ترك هذه القبعة أليق بالهيئة الإسلامية, لما ذكرناه إذا لم يضطر إلى إستعمالها الإنسان ومن رأى حرً الشمس في هذه الأوطان يقول بجواز استعمال فيه إذا أمكن فوق رأسه ويوجد في هذه الأوطان كثير من السوريين واللبنانيين منهم مسلمون

---

[1] البيت :

إذا كـوكـب الخـرقـاء لاح بسـحرة ســهيل أذاعــت غزلـــها في القرائب

ذكر البيت بهذه الرواية , دون ذكر صاحبه في خزانة الأدب و شرح الشواهد و لسان العرب ,انظر عبد القادر البغدادي , خزانة الأدب و لب ألباب لسان العرب ,تحقيق عبد السلام هارون , مكتبة الخانجي ط4 , 1997 ,و بيكباركي الخوارزمي , شرح شواهد المفصل , دراسة و تحقيق يوسف محمود يوسف قحال 2005 ,ومحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711 هــ)لسان العرب ,دار صادر , بيروت ,ط3 , 1414,ج1,حرف الغين (غ . ر . ب)

[2] البيت لشهاب الدين السهروردي المقتول (1155 ــ 1192 م) , انظر هنري كوربان , السهروردي , ترجمة عبد الرحمن بدوي , ط2, دار سيناء للنشر, القاهرة , 1995 ,ص 30.

ومنهم مسيحيون يتعاطون التجارة ,غير أن وجود هؤلاء المشارقة في هذه الأوطان لا يرجع بفائدة على الإسلام, حيث أن عنايتهم وتصميمهم مصروفان إلى خصوص جلب الدِّرهم والدينار فلا تجدهم يقومون بأي مشروع إسلامي من دعاية إلى الدين أو غيرها وهؤلاء أيضا يستعملون القبعة أيضا , وكثيرا منهم يأتي من بلاده إلى هذه الأوطان يحمل أمانته الدينية غير أنه إذا أصبح مالكا للملايين فإنه سرعان ما يعتنق الجنسية الفرنسية أو الإنقليزية حسب الوطن الذي هو به فيصير مسيحيا يذهب إلى الكنيسة بعد أن كان من أبناء الجامع الإسلامي بل فدى أهل الوطن , يكرهونهم غاية الكره لما يرونه منهم من أمرهم التساهل بالدين الذي هم أولى بمراعاتهم لكونهم أبناء الشرق من حيث طلعت شمسه وكذلك يوجد في هذه الأقطار الإنقليزية الهنود يشغلون بالتجارة وتحت ظل هؤلاء الهنود شربت العقيدة الأحمدية التي مر الكلام عنها غير أن سيِّدنا اجتمع بعاصمة أكره بساحل الذهب بطائفة من إخواننا السُّوريين لا بأس بهم وقد جرت بيننا وبينهم محادثات في أمر الدين الإسلامي وقد حضر هذا الجمع السيِّد المقدم التجاني محمد العباس من وجى والد عبد الرّحيم الذي رافق سيِّدنا من أكره إلى خماسي وحرضهم سيدنا على التقارب والتعاضد مع أهل الوطن المسلمين , لما في ذلك من منافع تنجز لهم ولأهل الوطن بسبب التقارب والتعاضد , حتى أننا تركناهم يفكرون في تأسيس جامع جديد وذلك أن أهل هذه الأوطان كما قدمنا, يحبون العرب ويعتقدون فيهم الخير غير أنهم لا يحبون التكاسل في الدين ولهؤلاء العرب تكاسل بين حيث أنهم لا يذهبون للصّلاة في الجامع حتى في الجمعة إلاّ من شذ منهم وندر ذلك هو السّبب الوحيد الذي ترك أهل الوطن لا يميلون إليهم .

وقد ورد سؤال على سيدنا من بلدة أنكتفيسة Nkangsonta إلى عاصمة يوندي بالكمرون ملخصه ما حكم إستعمال التابوت للميت فرفعت الإجابة من طرف رضي الله عنه عن حكمه عند المالكية إنه خلاف الأولى قال صاحب المختصر وسن التراب أولى من التابوت قال العلاّمة الدردير لأنه من زي النصارى وقال الحنابلة أنه مكروه وكثيرا ما

يعظ القوم بقوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره"[1] والذرة زنة نملة صغيرة قال قائل نزلت في رجلين أحدهما كان ياتيه السّائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة , وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير, كالكذبة والنظرة ويقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر, فنزلت هذه الآية بترغيبهم في القليل من الخير يعطونه ,ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة)[2] , وقال ابن مسعود ورضي الله عنه هذه الآية أحكم آية في القرآن[3] وكان رضي الله عنه يقول للقوم إظهار لكرامة هذه الأمة المحمدية إن الله تعالى أكرمها بأن يقبل توبة من تاب منها بمجرد الاستغفار, قال الله تعالى :" وما كان الله ليعذًبكم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون "[4] فجعل تعالى مجرد الإستغفار أمانا لهم من عذابه.

وأمّا الأمم السّابقة فقد حكى الله عن بعضهم أنه لم يقبل توبتهم إلا بعد فشو القتل فيهم وهم قوم موسى عليه السّلام الذين عبدوا العجل من بعده , فقال تعالى :" إذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل (يعني إلها) فتُوبُوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم(أي ليقتل البريء منكم المجرم) ذلكم (القتل) خيرلكم عند بارئكم (فوقكم ليفعل ذلك وأرسل عليكم سبحانه سوادا لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا) فتاب عليكم (أي قيل توبتكم) إنه هو التواب الرحيم "[5] فانظر الفرق بين الأمتين تعلم أن المحمدية مرادة والموسويّة مريدة فترى القوم يسمعون هذا الكلام من سيدنا بغاية العناية وتراه يتفنن لهم في الأساليب الوعيظة كل مجلس بحسب ما يراه مناسبا له من

---

[1] الزلزلة 08.

[2] متفق عليه ,و هو مروي عن عدي بن حاتم .

[3] يقصد الآية السابقة و هي آخر آية من سورة الزلزلة .

[4] الأنفال 33.

[5] البقرة 54.

الكلام وهذا باب عظيم من أبواب الحكمة لا يهتدي إليه إلا من وفقه الله تعالى وإختاره لإرشاد عباده .

الكلام على عواصم هذه الأقطار الإفريقية :

لفظ العواصم جمع تكسير[1] عاصمة فواعل يطرد في فاعلة مطلعنا على ما قاله النجاة سواء كان علما أو غيره إسما أو صفة لعاقل أو غيره وجمع فواعل مطرد في فاعله كما ذكرنا ومطرد أيضا في سته أوزان أخر أولها فوعل كجوهر وجواهر وثانيها فاعل نحو طابع وطوابعها و ثالثها فاعلا نحو قصعاء وقواصع والطابع يفتح الموحدة الخاتم وكسرها لغة والعاصماء هو حجر اليربوع الذي يقع فيه أي يدخل خلاله زكريا ورابعها فاعل إسما علما أو غير علم كجابر وجوابر وكاهل وكواهل وإلى هذا التوزيع أشار صاحب الخلاصة على ما يأتي بقوله نحو وخامسها فاعل صفة مؤنث عاقل نحو حائض وحوائض وكسادسها فاعل صفة مذكر غيرعاقل نحو صاهل وصواهل وسابعها فاعله المتقدم الذكر بإطلاقه نحو ضاربة وضوارب وفاطمة وفواطم وناصية ونواص وزاد في الكافية نوعا ثامنا وهو فعلة نحو صومعة صوامع وأشار إلى هذه الأمثلة كلها في الخلاصة بقوله رحمه الله ورضي عنه :

فواعـــــل لفوعـــــل وفاعــــــل   وفـــــاعلاء مــــع نحــــو كاهــــل

وحــــــائض وصــــــاهل وفاعلــــــه   وشد في الفارس مـــع مـــا ثلـــة[2]

و أشار بقوله وشذ إلى جمع فواعل في لفظ فارس وما ماثله شاذ غير مطرد يعني أن يسمع عن العرب فيحفظ ولا يقاس عليه شأن الشاذ قالت العرب فارس وفوارس وناكس

---

[1] قد يجيئ كل من التصغير و التكسير على غير لفظ واحد , فيحفظ ولا يقاس عليه.

[2] انظر محمد بن عبد الله بن مالك , ألفية ابن مالك ص 234.

ونواكس وهلاك وهوالك وغائب وغوائب وشاهد وشواهد وكلها صفات للمذكر العاقل وشذ أيضا فواعل في غيرها في ذكر نحو حاجة وحوائج ودخان ودواخن وثان وعوا ثن .

ولنرجع إلى الكلام المقصود بعون الملك المعبود في بيان عواصم الأقطار, أما قطر السّنغال فقد تقدم أن عاصمة الوحيدة هي مدينة دكار بل هي العاصمة الوحيدة من الناحية الحكومية لكافة أقطار إفريقيا الغربية الفرنسية وقد تقدم الكلام على هذه المدينة من الناحية التجارية وغيرها ونذكر بالمناسبة مذاكرة وقعت بين العبد الحقير وسيدنا الحاج ابنعمر رضي الله عنه فيما يتعلق بتكوين هذه الأمطارالنازلة فقال سيِّدنا الذي يظهر أن هذه الأمطار من الأبخرة المتصاعدة من الأرض إلى الجو فلما يحصل الضّغط عليها بوجودها بين الهواء الأعلا و الهواء الأسفل يقع لها عصر بقدرة الله تعالى, تحت ضغط الهواءين فينزل المطر واستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة عمّ " وأنزلنا من المعصرات ماءا ثجاجا "[1]

أمّا من ناحية العبد الفقير فقلت على سبيل المشاركة في هذه المذاكرة الذي يظهرلي أن أصل هذه السُّحب تتكون من الأمواج البحرية التي يحصل منها بحركات الرياح ,مثل المخيض فتتكون من ذلك المخيض أبخرة بقدرة الله تعالى تنشأ عنها السحب التي تتصاعد إلى الجو وإذا أراد الله إنزال المطر من تلك السحب السواري أو الغرادي يرسل الله من خزائنه الواسعة ريحا خاصّة تقدم المطر وتعقبها بعد ذلك المطر ودليلنا قوله تعالى في سورة النور :" أو كظلمات في بحر لجي يغْشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب "[2]الآية . وقوله تعالى في سورة فاطر :" والله الذي أرسل الرِّياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميِّت فأحيينا به الأرض بعد موتها "[3],وقوله تعالى في سورة الفرقان :" وهو الذي

---

[1] النبأ 14.

[2] النور 40.

[3] فاطر 09.

أرسل الرِّياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السّماء ماءا طهورا "[1] الآية .. وقراءة عاصم من رواية ورش والرياح المبشرات هي التي تتقدم المطر وهي ثلاث الشمال وتأتي من جهة القطب والجنوب تقابلها والصبا وتأتي من مطلع الشمس والدبور تأتي من المغرب وبها هلكت قوم عاد والحكماء يقولون أن المطر نتيجة الأبخرة المتصاعدة من الأرض ولذا يقول الشاعر :

كالبحر يمطــره السَّــحاب ومالــه   فضـــل عليـــه لأنـــه مـــائي[2]

أمّا قوله تعالى "كظلمات في بحر لجي "[3] الآية . فقد قال المفسرون أن الآية صادقة على أحوال الكافر ولجي منسوب إلى اللجة أو اللج واللجّة معظم الماء وهو الذي لا يدرك لعمقه ثم وصف الله هذا البحر بصفة أخرى فقال يغشوه موج أي يعلوه موج فيسرًه ويغطيه بالكلية ثم وصف هذا الموج بقوله من فوقه موج أي من فوق هذا الموج موج ثم وصف الموج الثاني فقال من فوقه سحاب أي يفوق ذلك الموج الثاني سحاب فيجتمع عليهم حينئذ خوف البحر وأمواجه والسَّحاب المرتفعة فوقه وقيل أن المعنى يغشاه موج من بعده موج فيكون يتبع بعضه بعضا حتى كان بعضه فوق بعض, والبحر أخوف ما يكون إذا توالت أمواجه فإذا أخضم إلى ذلك وجود السَّحاب من فوقه زاد الخوف بشدة, لأن السحب تسر النجوم التي يهتدي بها في ظلمات البر و البحر ثم أمطرت تلك السحاب وهبت الريح المعتادة في الغالب عند نزول المطر تكاد تنفث الهموم وترادفت الغيوم وبلغ الأمر إلى الغاية التي ليس وراءها غاية ,ولهذا قال تعالى موضحا لعباده هذه الحالة

---

[1] الفرقان 48.

[2] البيت لهبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي (ت 534 هــ / 1140 م)الشهير بالبديع الاسطرلابي , كان أديبا عارفا بالطب و الرياضيات و الرصد , متقنا للآلات الفلكية خاصة الاسطرلاب فنسب إليه , انظر ياقوت الحموي , معجم الأدباء ج 6, ص 2769.

[3] النور 40.

المهولة "ظلمات بعضها فوق بعض"[1] ومن غرائب التفاسير أنه سبحانه أراد بالظلمات أعمال الكافر بالبحر اللجي قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل و الشك والحيرة والسَّحاب الدين والختم في الطبع على قلبه وقد استبعده بعض المفسرين

و اعلم أن الواردات من الآيات في القرآن العظيم في شأن المطر هي ما ظاهره أنه ينزل من السحاب ثم أن السماء, تطلق في اللغة العربية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية على عدة معان ,كما في قواميس اللغة منها السماء التي هي مسكن الملائكة الكرام ومنها سقف كل شيئ وكل بيت ومنها ماعلا الشيئ فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر[2] قال الشاعر :

إذا نــزل الســماء بــأرض قــوم رعينــاه وإن كــانوا غضــابا[3]

و يجب علينا أن نعتمد على المعنى الظاهر المتبادر من النص مالم يقم دليلا قاطعا على خلافه علينا أن نعتمد المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السّماء المذكور في إنزال المطر وهو مسكن الملائكة الكرام كما هو مراد في كثير من الإستعمالات الشرعية ونوفق بين النصوص التي ظاهرها نزول المطر من السّماء التي ظاهرها نزوله من السّحاب بأن الله تعالى ينزله من السّماء على البخارات المتجمعة في الجو مسماة بالسحاب ثم ينزله منها إلى الأرض فتارة تذكر النصوص محل نزوله الأول, وتارة تذكر محل نزوله الثاني والله أصدق الصّادقين والقائلين ومن أصدق من الله حديثا .

---

[1] النور 40.

[2] يقال لكل مارتفع و علا قد سما , و يقول ابن منظور :السماء كل ماعلا فأظلك , ومنه قيل لسقف البيت سماء , انظر ابن منظور , لسان العرب ج7, حرف السين.

[3] أراد بالسماء المطر و بضميره في رعيناه النبات , و البيت لمعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب , و هو عم لبيد بن ربيعة الشاعر , و سمي معود الحكماء ببيت قاله :يعود مثلها الحـــكماء بعدي إذا مالأمر في الحــــدثان نابــا
انظر المزرياني أبي عبيد الله (ت384 هــ) , معجم الشعراء ,تحقيق إبراهيم السامرائي , دار صادر , بيروت , ج1 , ص 291 .

ونقل العارف بالله سيدنا أحمد الرفاعي[1] رضي الله عنه في بيان هذا التوفيق أن المطر قسمان مطر ينزل من السّماء وهو الذي يكون سببه خروج النبات ومطريتكون من بخارات الأرض وبحارها ويتصاعد إلى الجو ثم ينحدر إلى الأرض من السَّحاب وهذا لا يكون به الإنبات وإن كان له حكم ومنافع أخرى الله أعلم بها ثم إذا اثبت بالدليل العقلي القاطع ما يقوله الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون من أن المطر ليس إلا من بخارات الأرض و بحارها يتصاعد إلى الجو بسبب الحرارة ثم ينعقد بسبب البرد سحابا ثم يتحلل مطرا وتحقق ذلك بدون ريب ساغ لنا حينئذ على موجب القاعدة المقدمة أن نؤول النصوص التي يتبادر منها أن المطر ينزل من السّماء التي هي مسكن الملائكة بأن المراد بالسّماء في هذه النصوص هي ما علانا وصار سقفا لنا وهو السّحاب كما هو أحد معانيها اللغوية وقد ذكر هذا التأويل الإمام فخرالدين الرازي[2] رضي الله عنه في تفسير سورة البقرة وأشارإليه الشيخ الشربلاني في شرح مراقي الفلاح[3] وأن يقال أنه لما كان نزول المطر بأسباب سماوية, من جملتها حرارة الشمس المرسلة أشعتها إليها من جهة السماء فتثير وتصعد الأجزاء المائية من أعماق الأرض ومن البحار والأنهار إلى جوّ الهواء فتنشأ سحابا فيمطر كان الإنزال من السحاب حقيقة ومن السّماء مجازا باعتبارالسببية والله حسب الأسباب وقد ذكرهذا التأويل الشيخ اسماعيل حقي[4] في تفسير سورة النبأ وعلى كل فقد إندفعت الشبهة ووافقت النصوص الشرعية حكم العقل والله تعالى أعلم ومن تأمل الأحوال الكونية غاية التأمل , يقوم عليه الدليل الواضح و البرهان القاطع أن أمر المطر

---

[1] أبو العباس أحمد بن علي بن رفاعة (512 ــ 578 هــ) , انظر ابن خلكان , وفيات الأعيان ج 1 , ص 172 .

[2] انظر فخر الدين الرازي أبو عبد الله , التفسيرالكبير , دار الكتب العلمية , بيروت 2004 .

[3] حسن بن عمار الشرنبلاني أبو البركات (ت 1069 هــ)و يقصد هنا كتابه : مراقي الفلاح و هو في الفقه المالكي , انظر الشرنبلاني حسن بن عمار , مراقي الفلاح بامداد الفتاح شرح نور الإيضاح , تحقيق نعيم زرزور ,المكتبة العصرية 2005م.

[4] حقي إسماعيل البروتسري الاستانبولي أصلا (ت 1127 هــ)له حاشية على تفسير سورة النبأ للبيضاوي , وله تفسير ضخم للقرآن سماه روح البيان , انظر حقي إسماعيل الاستانبولي ,روح البيان في تفسير القرآن ,المطبعة العثمانية 1330هــ.

إلهي صرف فقد تتوفر دواعيه ولا ينزل وقد تسقى سحابه صيف مالا يسقيه وابل الشتاء ولا طل الربيع والله على كل شيئ قدير.

وعاصمة قطر لقنى الفرنسية مدنية كناكري CONAKRY التي هي الميناء الوحيد لهذا القطر يربطها مع KAN KAN خط حديدي على مسافة 700 كم وبها يستقرأ عني ببلدة كناكري بدار السيِّد الحاج أنجاي كن الذي له ولدان كبيرهما يقال له دودو كن والصّغير يقال له سعيد النور وأمام عاصمة كناكري جزيرة جبلية في البحر كانت تحت السلطة الإنقليزية وقد أعطتها لفرنسا على ما أخبرنى دودوكن المذكور وجئنا عاصمة كناكري في شهر أوت فصل الأمطار الغزيرة حتى إن الأمطار النازلة من السّماء ليلا ونهارا كأنّها أودية خصوصا في شهرأوت الذي تكثر فيه الأمطار بصفة لا تكيف وعاصمة كناكري عرقيا بها أناسا كثيرين نسينا أكثرهم ولا يبقى في المذكرة إلا السيد ادريس جوب والسيِّد الحاج محمد كتاث (بل إنّما) والحاج كن وأولاده .

وعاصمة قطر سرليون هي مدينة فرتاون FRITAWN

وهي ميناء عظيم له أهمية كبرى من الناحية التجارية والحربية نظرا للجبال القريبة منه ومن جملة ما زار سيِّدنا في هذه العاصمة الجوامع و الزاوية التجانية التي بها المقدم التجاني الذي تقدم ذكره وهذه الزاوية قريبة من دار هذا المقدم وهو القائم بأمورها قرأ سيدنا فيها الوظيفة بعد المغرب ونسمع صوت الذاكرين فيها للوظيفة كل صباح ونحن بالعلو الذي لا يبعد عن هذه الزاوية وقد حرص سيدنا بفرتاون بعض الأيّام ,حتى أنه أنابني لنعظن الناس في الجامع الذي يؤم فيه السيد الفاتجاني يوم الجمعة واستدعى سيدنا بالمدرسة التي تحت سلطة الجمعية الإسلامية بفرتاون التي كاتبها الخاص هو السيد إبراهيم ورئيسا السيد الفاتجاني ولها عدة أعقاد من السوريين واللبنانيين وأهل الوطن, كالسيِّد هارون الذي لازم سيدنا بجد وإجتهاد في الخدمة وكذلك بعض الإنقليز المسمى بالسيس يأتي في الغالب بالسيّارة سيدنا ليتجول به بالمدينة وخارجها تحت تأثير الجمعية

الإسلامية المذكورة ومن أعضاء هذه الجمعية أيضا السيد الشيخ علي الرفاعي السوري الذي طالما لازم سيدنا وقام بكثير من الأشياء وذهب سيدنا إلى محل العسكر الكائن في الجبل المشرف على عاصمة فرتاون , وزار الجامع الخاص بالعسكر وقام خطيبا في سواد الجيش يأمرهم بالصّلاة والمحافظة على أركان الدين وأبلغ لهم النصيحة وبالغ في إسدائها , وزارأيضا سيدنا إدارة محطة السكك الحديدية بفرتاون ومدرسة الشباب الإسلامية الذي تلى أمامه عصابة من التلاميذ سورة الفاتحة بأصوات مرتفعة متوازنة وبعاصمة فرتاون يقيم الحاكم العام الإنقليزي لكافة قطر سراليون وقد اجتمع بالكاتب العام للحكومة مع جماعة اللجنة الإسلامية التي تقدم ذكرها وتتصل فرتاون ببلدة بو BO بخط حديدي, ومن ناحية أخرى تتصل ببلدة ماكيني بخط آخر وعاصمة ليبيريا هي مدنية منروفيا التي تقدم الكلام منها وليس في هذا القطر بأجمعه خط حديدي لأنه قريب عهد بالمدنية الحاصرة ووسائل النقل فبها هي السيارات من النوع الأمريكي والمطار الذي في ليبيريا يبعد على مدينة مروفيا 80 كم وهو أبعد مطار رأيناه في هذه الأقطار وكيف لا وأن هذه أكثر من مسافة القصر ومروفيا نادرة من النوادر تكتب قصصها بماء الأحداق في الدفاتر وكيف لا وهي مشتقة من صروا.

وعاصمة لاكوت ديفوار هي مدينة أبدج حيث يستقر الحاكم العام وهي بلدة كبيرة ولا تزال الحكومة تبذل جهودها الجبارة في تصليح ميناها وفيها جسر عظيم يمتد على عرض ذلك النهر الذي يشقها على نصفين أمّا مناها الحالي فهو قرن بسّام GRAND BASSAM الذي يبعد منها نحو 30 كم يربطها خط حديدي وقد مرض فيها سيِّدنا وقد شفاه الله تعالى ولله الحمد وفيها محمد التجيني سائق السيّارات وأخذ شهرة بها غير أن بداية تعلمه كانت بمروفيا بأمر من سيِّدنا وكذلك تتصل مدينة أبدج ببلدة بوبو ولاصو بخط حديدي يبلغ مسافة 800 كم أو أزيد يمر في طريقه على بلدة بواكي عاصمة الوهابية بلاكوت ديفوار التي بها داعية هذا المذهب الضّال المسمى أتشوكوروا الذي ذكره وذهب سيدنا لصلاة

الجمعة بجامع بواكي وقام خطيبا في وسط أعيان الوهابية وصدع بالحق وأبلغ النصيحة وبالغ في إسدائها وأصاب القول في بيان فساد المذهب الوهابي وأصله التاريخي وفزعات دعاة الوهابية وأنهم يبغضون رسول الله صلى الله عليه وسلام ...الخ ما قال ومع سيِّدنا جيش من أصحاب الشيخ رضي الله عنه من السنغاليين أصحاب السيِّد جسر في رئيس السنغال الديني ببلدة بواكي الذي عنده جامع للصّلاة وقراءة الوظيفة بالجامع مدة عامين منذ فشو هذه العقيدة الفاسدة بينهم وإمام الجامع تجاني فأجازه سيِّدنا في إعطاء الطريقة وفتح الوظيفة بنفسه بالجامع الكبير وصار يتردد على الجامع مع السنغاليين لقراءة الوظيفة رغم المنكرين مدة إقامته ببواكي وتركناهم على ذلك الحال وفي نية الحكومة الفرنسية أن تربط قطر لفتى وقطر لاكوت ديفوار بخط حديدي الذي لا زال أمره على بساط المناقشة .

وعاصمة لاهوت فولتهLahaute voltaهي واقدوقو التي مدمجة في لاكوت ديفوار وأخيرا منها وصارت قطرا على حدة, وفي نية الحكومة أن تواصل السّكة الحديدية بين بوبو دلاصوو بلدة واقدوقو وعاصمة ساحل الذهب أكره التي نزل بها سيدنا ضيفا عند السيد الحاج نوقه NOGA والهوسي فأكرم مثواه غاية الإكرام وقد استدعى القنصل الفرنسي سيِّدنا لتناول العشاء بمحله الخاص أهل أكره خرجوا في سيّارة يشيعون بسيدنا خارج العاصمة وقد أخذت صورة لهذا الجمع حوت سيِّدنا قال لهم سيِّدنا نسمي هذه الصورة صورة المودعة , ثم ودعوه ورجعوا بسلام ولهذه المدينة خط حديدي يربطهما بمدينة خماسي Kumassi ومدينة تكورادي وقد وقع سيدنا إقبال عظيم بمدينة خماسي والذي قام بهذه الأدوار هم هوصة وغالب سكانها تجانية كما تقدم وبمدينة اكره يستقر الحاكم العام الإنقليزي وأكثر المسلمين بالشمال حتى هذا القطر أما الجنوب فإنهم قليلون وإجتمع سيدنا فيها بالكاتب العام الإنقليزي وعاصمة قطر التوقو الفرنسي مدينة لومي الواقعة على ساحل البحر ذلك السّاحل المعمور بالنخيل وهي الميناء الوحيد للقطر

وعاصمة قطر الدّهمي هي بلدة بورتوفو Porto novo حيث يتم الحاكم العام ون المصادفة أن أيام زيارتنا إلى الدهمي حل بهذا القطر وزير المستعمرات الفرنسية قادما من باريس ومن دكار مصحوبا بالحاكم العام لإفريقية الغربية الفرنسية وهذا الوزير هو السيد كوكت فلوري قام برحلة تفقدية عامة لأقطار إفريقيا الغربية وتبعد بلدة بورتتفو من بلدة موتونوا بمسافة 30 كم نزل سيدنا بكوتنو عند أحد الهوسيين يقال له الحاج مجيدو ومن السنغاليين الذين عرفناهم السيد بشر توب الذي إجتمع بسيدنا بعاصمة أبدج .

من بلدة كوتنو التحق بنارفين آخر وهو السيد الحاج عثمان عمر الفلاتي الذي رافق سيدنا في جميع أسفاره لبقية الأقطار ووجدنا أخاه بالبلدة المذكورة وهو إبراهيم عمر من كوتنو يتوجه خط حديدي إلى بلدة براكو الموجودة بشمال القطر طوله 400 كم تقريبا .

وأما عاصمة نيجيريا فهي مدينة لاقوص العظيمة التي زار فيها سيًدنا مدرسة أنصار الدين الإسلامي التي وقع بها احتفال عظيم عشية قدوم سيدنا إليها وتليت فيها خطب باللغة الوطنية البوربونه ترجمها لسيدنا في نفس المجلس السيد الشيخ آدم, الذي يقوم بالتعليم العربي في هذه العاصمة والذي زاول علومه بالأزهر الشريف ولهذه الجمعية أعني جمعية أنصارالدين عدة مدارس, يعلمون فيها أبناء المسلمين من أهل الوطن ,وهم جادون في هذه الأعمال القيمة جزاهم الله خيرا ,وقد حثهم سيدنا على التعليم الديني واللغة العربية إذ لا سبيل إلى معرفة الدين إلا بها والإنقليز أنفسهم يعتبرون هذه الجمعية لما لها من السّمعة بين المسلمين وقد أطنب سيدنا في أطنابه غاية الإطناب, حتى استغرق هذا المجلس و قتا واسعا و جيئ ببعض التلاميذ من الصغار ذكورا وإناثا, أحضروهم أمام سيدنا وامتحنوهم فأجابوا الجواب وأحسنوا الخطاب .

ونزل سيًدنا بعاصمة لاقوص ضيفا عند السيد الحاج صالح قربه الهوسي والسيد الحاج مختار الهوسي ,ومن جملة من لازم سيدنا الحاج حمزة مقدم الزاوية التجانية بالمدينة المذكورة والد مدير الذي رافق سيًدنا في جميع أسفاره بنيجيريا وزار سيًدنا ونحن

معه دار وزاوية السيِّد الحاج حمزة , وقد قام السيِّد الحاج صالح قربه والسيد الحاج مختار بواجبها أيام إقامة سيِّدنا بلاقوص أحسن قيام ,حتى أن الحاج صالح رافق سيدنا إلى بلدة كنو سافر معنا في القطار وزار أيضا محل تصفية المياه المجلوبة من خارج إلى مدينة لاقوص رأينا خلالها من براعة الإتقان في تسديد أمر تصفية هذه المياه وتلك الصهاريج البحرية ما يضمن لسكان لاقوص التمتع بصحة لا يخالطها كدر بشربها من هذه المياه العذبة المصفات ورئيس هذه الإدارة هو الذي بنفسه يتجول بسيدنا من بيت إلى آخر ويشرح له غوامض هذه الآلات الميكانيكية وصحب سيدنا في هذه الزيارة وفد عظيم من أعيان لاقوص المسلمين في عدة سيارات منهم صاحب الدقائق الذي أوقفنا في الطريق بدعوى شراء الفطور, ولا شك أن الركب بأجمعه ينتظر لهذه المهمة وهناك أشخاص رافقوا سيِّدنا في رحلة بنيجيريا لابأس أن نذكر أسماؤهم تخليدا لذكرهم وهم من أهل كنو, كالسيد معلم عبدالله سلغ والسيد الشريف محمد الأمين الذي اجتمع بسيدنا بدكار لأول مرة وشرح له أمر كنو والسيد معلم إبراهيم صاحب والسيِّد أحمد الشريف والسيِّد معلم عادم السّاكن بأزري و السيد أحمد التجاني والسيد مدثر من سكان لاقوص نجل السيد الحاج حمزة ,وإنشام السّنغالي من بلدة دلوه لاكوت ديفوار ومعلم خامس من أهل كنو والشاب الحسين والولد الصغير محمود حتى أن أهل كنو جاءوا لملاقاة سيِّدنا لما سمعوا وفي لاقوص ومنهم من لم نقصص عليك أيها القارئ لعدم ضبط أسماؤهم وقد إجتمع سيدنا بالحاكم العام إجتماعا رسميا وكذلك اجتمع بالكاتب العام بعاصمة لاقوص وهو يعرف العربية لكونه طالما إستقربالديارالشرقية حتى أنه عرض على سيِّدنا قوله تعالى " نور السّماوات والأرض " إلى قوله تعالى :" والله بكلً شيئ عليم "[1] قرأها كأنه عربي صميم لولا تعقيد اللسان الأعجمي بمقتضى الخلقة الأصلية وقنصل فرنسا هو الذي يصحب سيِّدنا في هذه الرسميات وهذا كله من باب المداراة التي أمر الشارع بها, وروي

[1] النور 35.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أوأخو العشيرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت له يارسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة إن من شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه)[1] أخرجه الترمذي في صحيحه والحجة فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أظهر له من البشر والطلاقة واللين خلاف ما قاله عند الإستئذان و لم يكن في قسم النفاق حاشاه وحاشاه وحاشاه ولكن هذا إلى باب التشريع لأمته لتعرف الفرق بين النفاق والمداراة التي لا بد منها وبين الناس وعاصمة لاقوص يربطها مع بلدة كنو التي تعد 50,000 نسمة خط حديدي يتوجه نحو الشمال يمر على مدينة أبيكوته كبيرة ومدينة أبادن التي أكثرها مجوس ويمر أيضا على بلدة زار بد إلى كنو وطول هذا الخط الحديدي يبلغ 750 مائل وهو حساب إنقليزي وهو تقريبا الميل العربي يخرج بحساب الكلومتر الفرنسي 1.100 كم[2] ولما جاء سيدنا لبلدة كنو وجد جما غفيرا من أعيان البلاد وغيرهم في إنتظاره بالمحطة ورئيس هذه الوفود كلها هو السيد أترمه بن سلطان كنو الذي تقدم الكلام عنه جننا بلدة كنو على الساعة السابعة صباحا بتنا ليلتين في القطار أطول مسافة رأيناها في السّفر على طريق القطار أما عاصمة الكمرون الفرنسي فهي مدينة يوندي Yonde التي يربطها مع مدينة دوالة Douala خط حديدي طوله 307 كم ويستقر الحاكم العام الفرنسي بعاصمة يوني والكمرون لا يشمله حكم برازفيل بل هو مستقل إستقلالا خاصا إلى فرنسا وحاكمه الكبير يقال له في العرف الفرنسي لهوت كوميسير Lahaut Comissong وعاصمة قطر القابو هي بلدة لبرفيل التي على سواحل المحيط وبهذا القطر كامنقى السيِّد علال الفاسي ونقل المواشي جدا هذا القطر رغم إتساع مساحات المرعى فالبقر الكثير بغيره من الأوطان يقل فيه جدا

[1] متفق عليه .

[2] ذكر د.محمد أبو العمائم أستاذ الآثار الإسلامية في مقدمته على كتاب العمارة العربية بمصر ,أن الميل العربي يساوي 1,972 كلم , انظر ولفرد جوزيف دللي ,العمارة العربية بمصر, الهيئة المصرية للكتاب ,سلسلة الألف 2000.

وسكانه قليلون وناهيك أن جميع القطر لا يتجاوزون 400,000 نسمة وقد إستدعى سيدنا الحاكم العام بالكمرون وحاكمه العام واجتمع سيدنا به واستدعاه وإجتمع أيضا بنائبه المقيم بدوالة أما عاصمة الكنغو الفرنسي بل كسائر إفريقيا الإستوائية الفرنسية هو عاصمة برازفيل التي تقع على ضفة نهر الكنغو الكبير مع بوانت توار التي وهي الميناء الوحيد خط حديدي يبلغ طوله 514 كم وقد مرّ أن في هذا الطريق من الغابات والجبال ما لا يكيف وقد ذكرتنا في جبال ستة التي في طريق الجزائر لما فيها من كثرة الغيران التي يجوس خلالها الرتل السريع تبلغ نحو الأحد عشرغارا ومن كثرة الجبال التي تكتنف سكة الحديد لا ترى من أمامك سكة الحديد إلى نحو الأربعين مترا ويقال أنهم في وجدوا في بوانت نوار وبرازفيل وما بينهما من الغابات معدن القنبلة الذرية[1] أخبر بها سيدنا من طرف حاكم بوانت نوار وعلماء الهندسة الفرنسية الآن في اشتغال وراء الحصول على هذه الذخائر الأرضية التي لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بالعلم الحديث عاصمة الكنغو البلجيكي كما تقدم هي مدينة كنصاصة ومن جملة مازار سيّدنا بعاصمة كنصاصة حديقة الحيوانات التي بها من عجائب المخلوقات ما أبهر العقول يكفيك أن بها أفواجا عديدة من خصوص القردة والفيل الأسود وأنواع النمر والفهد حتى الحمير توجد بهذه الحديقة لأن هذا الحيوان مفقود في هذه الأوطان إلا في بعضها كالسّنغال وقطر لفتى ونيجيريا أما غير هذه الأوطان فالحمر نادرة جدا الأمر الذي يدلك على أنهم يقومون بخدمة هذا الحيوان بأنفسهم وقد مرّ لك أنهم يحملون أمتعتهم على رؤوسهم وعاصمة وطن التشاد هي مدينة فرلامي Fort-Lamy التي هي همزة الوصل بين إفريقيا الشرقية والغربية و بها تمر وفود الحجّاج التي تأتي من إفريقيا الغربية على طريق البر قاصدين بيت الله الحرام وزيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة و السّلام ورب مرات منعتهم المياه الخريفية عن الوصول إلى غرضهم ويوجد بمدينة فرلامي كثير أهل السودان المصري يشتغلون

[1] اليورانيوم.

بالتجارة وقد مر لك أنه في فصل الخريف تنقطع المواصلات البرية بالسيارات بين الكمرون وفرلامي وبين فرلامي والسودان المصري ولا يفتح الطريق للسيّارات إذا نزلت الأمطار إلاّ بعد أشهر لكثرة المياه الرّاكدة التي تحدق بنواحي فرلامي والمصالح الحكومية في هذه الأشهر لا تكون إلا بالوسائل البحرية بطريق الزوارق أو الجوية وعاصمة قطرالنيجرالفرنسي هي مدينة نيّام Niamey وهي محل الحاكم العام لهذا القطر وعاصمة السودان المصري أو الفرنسي وليس المصري هي مدينة بمكو التي تتصل بدكار بخط حديدي يبلغ طوله 1250 كما تقدم وبها الحاكم العام لهذا القطر الواسع المعمور بالمجوس والسّحرة كما تقدم وقطر قمبيا عاصمته بنجون وقد مر لنا أن سيِّدنا وجد عقيدة الوهابية قد تسربت في كثير من الأقطار خصوصا قطر لاكوت ديفوار الذي تكثر فيه هذه العقيدة وعقيدة الشيوعية[1] حتى أنه وقع بين الشيوعيين والحكومة الفرنسية بعاصمة أبدج مأريقت به الدماء وحمدنا الله تعالى حيث وجدتنا هذه الفتنة خارج قطر لاكوت ديفوار ومن دسائس الوهابية أنهم ينكرون الولاية والكرامة والتوسل بالصالحين حتى بالنبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي مزيد بسط في هذا الموضوع عند كلامنا على السودان المصري وقلنا أن السبب في تفشي هذه العقيدة في هذه الأقطار وهم الحجاج من أهل الوطن يأتون جهلا بهذه النزاعات ويشبونها بأوطانهم ظنا منهم أنها من الدين حتى تركت كثيرا من الناس أوراد المشائخ التي طالما تعهدوا بالمحافظة عليها قبل فشو هذا الأمر حتى أن سيدنا وجد الوظيفة التجانية قد تركت في كثير من الأوطان تحت تأثير هذا التيار الأثيم الذي تخرج بين ظلمائه شرارات الجحيم وما من قرية يدخلها سيدنا إلا ويعيد لها شبابها الأحمدي وتعمر مساجدها وجوامعها بقراءة الوظيفة أكثر مما كانت عليه

[1] عقيدة فلسفية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية نشأت من الفكر الاشتراكي خلال النصف الاول من القرن 19 ,و تقوم على فكرة المجتمع اللاطبقي و تعادي الأديان لأنها ترى أنها تغني عن الدين ,محمد بن إبراهيم الحمد , الشيوعية , دار ابن خزيمة 2002.

من قبل رغم الحاسد والمنكر حتى استتب الأمن ورجع إلى ما كان بعد تصدع أبنية تلك الأركان قال الشاعر :

وإذا أراد الله نشـــــــر فضـــــــيلة   طويت أنـــاخ لهـــا لســـان حســـود[1]

وقول آخر :

استتار الرجـــال فـــي كـــل عصـــر   تحت ســـوء الظنـــون قـــدر جليـــل

ما يضر الهلال في حنـــدس الليـــل   ســـواد الســـحاب وهـــو جميـــل[2]

والقيام بمثل هذه الأمور حق عظيم على كواهل السوريين في هذه الأوطان وهم من إهماله بمكان وحقهم القيام بدعاية هؤلاء الناس نحو الإسلام والدين الصحيح والتمسك بعقيدة السلف الصالح و قد قيل أن مالكا بن أنس رضي الله عنه قال:(لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)[3] والأوائل كانوا على دين صحيح وعقيدة سليمة من أنواع الزيغ والضلال والإسلام بين أظهر هؤلاء المشارقة الذين ينتسبون إلى العروبة باللسان لا بالقلب وهو يستغيث بين جحيم المجوسية الوطنية والدعاية المسيحية الأجنبية والعقائد الجديدة الفاسدة وينادي بأعلا صوت ياغوثاه ! ياغوثاه! ينادي فداء الغريق يستغيث ولا يغاث وأنا أقول في حق هؤلاء الناس ما قاله الشاعر الفرزدق :

---

[1] البيت لأبي تمام , من قصيدة أرأيت أي سوالف و خدود , انظر الخطيب التبريزي ,شرح ديوان أبي تمام ,تحقيق راجي الأسمر , دار الكتاب العربي , ط2 , 1994. ص 98.

[2] نسب البيت لعلم الدين الصوفي , و الحندس هي الظلمة الشديدة ,انظر السكندري أحمد بن محمد بن عطاء الله ,لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي , دار البشائر دمشق 1992.

[3] ورد في كتاب المبسوط للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي المالكي (ت 282) قال القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى , ذكره ابن تيمية في الاقتضاء , انظر القاضي عياض , الشفا بتعريف حقوق المصطفى ,تحقيق علي محمد البجاوي ,دار الكتاب العربي1984 .ج2,ص 88.و ابن تيمية , اقتضاء الصراط المستقيم ,مكتبة الرشد ,ج 2,ص 762 .

وقول ابن الفارض في تائيته :

ونجح سبيلي واضح من إهتدى ولكنها الأهواء عمت فــأعمت[1]

(غريبة) ومن جملة الدواهي التي توجد في هذه الأوطان ذباب يقال له تزي تزي[2] Tsé Tsé خصوصا بأراضي إفريقيا الإستوائية الفرنسية والكنغو البلجيكي والكمرون وهو أكبر من الذباب المتعارف يصيب هذا الذباب الفتاك الشخص وإذا ما لسعه يعقب لدغته حرارة شديدة من شدة الإصابة يتكون من هذه الإصابة مرض عضال يقال له مرض النوم وبالفرنسية Le maladie du Sommiel وقد تسبب من هذا الذباب إتلاف عظيم وأضرار فادحة كادت أن تكون من النوادر في بابها من ضياع الأنفس البشرية خصوصا بجهة الكنغو وتعقب إصابتها ترادف الحمة على الإ نسان المصاب وأوجاع الرأس الثقيلة وبذلك يفقد الشخص المصاب النوم ويقع له فتورعظيم في دماغه الذي يبعث عليه الحزن المسترسل وفي بعض الأحيان يفقد الإنسان التمييز ويضعف بدنه بصفة فادحة حتى لا يبقى منه إلا الجلد على العظم إذا لم يسرع بالمعالجة وبعد ثلاث أو أربع سنين يجد الميل العظيم إلى النوم حتى أن نومه من ثقله يشبه حالة الممات لشدة إستغراقه فيه وبذلك يضيع الإنسان والعياذ بالله تعالى من مصائب المخلوقات ولا ملجأ من قدر الله إلا إليه وأنجح دواء لهذا الذباب هو دواء التلقيح Le pigure لأن لهذا المرض بالخصوص زراريق تلقيحية خاصة وفي هذه الأقطارمن صنوف الأمراض والعلل ما لا يتصوره العقل وذلك كله متسبب عن كثرة الرطوبات وشدة الحرارة في غالب هذه الأوطان مع عدم تجرد

---

[1] انظر ابن الفارض أبو حفص شرف الدين , ديوان ابن الفارض , شرحه و ضبط نصوصه و علق عليه عمر فاروقالطباع ,دار القلم بيروت,ص 210 .

[2] ذبابة تسي تسي اسمها العلمي : كلوسينا (داء المثقبات الإفريقي), تتسبب في نقل مرض النوم القاتل ,لأن المصاب يدخل غيبوبة تدوم إلى موته , و أول من ربط بين الذبابة و المرض الجراح الانجليزي ديفيد بروس , انظر زياد الأحمدي , مقال ذبابة النوم القاتل , مجلة الأسنة ج16 ص 793.و الموسوعة العربية العلمية , مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ط1 , 1996.

أهلها غالبا من الأوساخ والعقوبات زيادة على جنود البعوض التي تترنم بمجرد غروب الشمس خصوصا في الأماكن الشجر ية القريبة من الأنهار السيالة والمياه الراكدة .

مساحة هذه الأقطار الإفريقية وعدد سكانها :

و لم يبق أيها القارئ اللبيب إلا معرفة مساحة هذه الأقطاره عدد من يعمرها من النسمات البشرية لتكون على بينة من أمرك فيما يتعلق بالحالة الجغرافية لهذه الأوطان ولا شك إن ذلك مما يسرك كثيرا وتعني بمعرفة ذلك كأنك جلت في هذه الأوطان وتكون لك مشاركة لا بأس بها ميدان البحث بين أولئك الذين لهم الدراية الواسعة في علوم الجغرافية أما مساحة افريقيا الغربية الفرنسية فهي 6.659.708 كم مربع .

السكان 14.000,000 نسمة والأجانب منهم 21.00 .

أما مسافة افريقيا الغربية الإنقليزية فهي : 1.100.000 كم مربع وسكانها : 20.000.000 نسمة .

ومساحة إفريقيا الإستوائية الفرنسية فهي 2.370.000 كم مربع وسكانها 3.132.000 نسمة .

وقد حان لنا الآن على أن نتكلم على ما يتعلق بالسودان المصري الذي أوقفنا مطية الكلام عنه الحدود إلى أجل مسمى والآن نطوي الأحوال والكلام على أحوال إفريقية الغربية طي السجل للكتاب وقد إختلف الأدباء في التفضيل بين الشرق والغرب ولكل أدلتة قال صاحب الغرب :

الغـــــــرب شـــــــيئ نفــــــيس	ولـــــــي عليـــــــه أدلــــــة
الشمس تغرب فــــــــــــــــيه	ومنـــــــه تبـــــدو الأهلـــــة

قال صاحب الشرق :

الشـــــرق شـــــيئ نفـــــيس   ولـــــــي عليـــــــه دلالـــــــة
البـــــدر يطلـــــع منـــــه   ومنـــــه تبـــــدو الغزالـــــة[1]

والمراد بالغزالة الشمس

الكلام على الرحلة في السودان المصري :

اعلم أيها القارئ أن هذا القطر الجديد كما ستعرفه هيئة أهله تغاير ما ألفته من أحوال أهل إفريقيا الغربية من سائر النواحي لأن هذا القطر بصفة عامة له صبغة شرقية مشوبة بالخلق العربي القديم وأحوال المدينة الشرقية الراهنة فهو يمثل العروبة في سودانها والهيئة الإسلامية في إنسان عبقها وتحت سواد حاجبها سبق لنا أن قلنا أننا دخلنا لقطر السودان المصري من بلدة أبشي Abéché آخر مركز كبير من قطر التشاد الفرنسي وجئنا على السيارات إلى أدري Adre ثم دخلنا بلدة جنينة Djenene أول مركز من قطر السودان المصري وسبق لنا أن قلنا أن رفاق سيدنا هم أحمد العناية والسيد محمد علي الشنجيطي ومحمد بن التجيني والسيد عثمان عمرو السيد أبو بكر أبو اليمني الذي جاء مع سيدنا من فرلامي والسيد الطيب الذي رافقه من بلدة أبشى من أهل السودان المصري التجار وقد إستدعى حاكم البلدة المذكورة سيدنا للحضور لحفلة تكريمية تناول فيها سيدنا الآتاي ونحن جميعا معه ضمت هذه الحفلة أعيان المسلمين على إختلاف صفاتهم وأعيان النصارى على إختلاف طبقاتهم أيضا ولما جاء سيِّدنا إلى جنينة بتاريخ الموافق ليوم السّبت 23 سبتبر ويوم ذي الحجة سنة 1361 _1949 نزل ضيفا عند سلطان السيد بحر الدين الذي قابل سيدنا بالحفاوة ومنها ذهبنا بطريق الطائرة إلى بلدة الفاسر عاصمة دارفور Darfaschy أول مركز كبير من الناحية الغربية لوطن السودان

---

[1] الأبيات الأربع لنفس الشاعر, وقد نسبها محمد الشرقاوي لعالم من المشرق دون ذكر الاسم , انظر محمد المعطي الشرقاوي , ذخيرة الغني و المحتاج صاحب اللواء و التاج , تحقيق عبد المجيد بوكاري , دار الكتب العلمية 2009, ص 470.

المصري وجدنا آلافا من إخواننا المسلمين بالسيارات الكبرى المشحونة بشخصياتهم الفاضلة من تجانيين وغيرهم في إنتظار سيدنا رضي الله عنه في مطار الفاشر وتبصر رايات أهل الطرق الأجنبية من قادرية وختمية وإسماعلية وغيرهم ترفرف فوق رؤوس أولئك الفضلاء الذين يواصلون في الأناشيد و القصائد الترحيبية فرحا بقدوم بضعة القطب المكتوم رضي الله عنه . قال الشاعر :

رفيقان شتى ألــف الــدهر بيننــا وقد يلتقــي الشــتى فيأتلفــان[1]

بارك الله فيهم من رجال وبمجرد نزول سيًدنا في المطار وجد زمره أمامه من أفاضل البلدة أكثرهم تجانيون فبادرهؤلاء إلى السلام على سيدنا وبعد التحية ركب سيًدنا سيارة خاصّة به وبرفاقه وتبعه من وراءه ما يقرب من عشرين سيّارة كبرى مشحونة كلها بالخلائق فلا ترى إلا حماما أبيض يعلو هذا السفن السوداء ولا زالوا يترنمون بتلك الأناشيد المؤثرة حتى انتهت السفن وأنيخت المطايا بدار السيًد الحاج بدوي زين العابدين ذلكم الرجل الفاضل الذي حاز من مكارم الأخلاق ما خلد له الشرف الأثيل والمجد الجليل بين الخلائق وترى كثيرا من الناس راكبين على الخيول التي تعطيك أملا صحراويا قد غبرت أيامه أمام سيدنا ببلدة الفاشر بدار السيد الحاج بدوي سنته أيام تعد من أيام المواسم العيدية ولم ينفك عن ملازمته السيد الحاج بدوي والسيد الحاج محمد سلمونه والسيد العلامة الأزهري سيد محمد الأمين إمام الجامع الأعظم و المدرس ببلدة الفاشر فهؤلاء الثلاثة برهنوا على محبتهم الصّادقة وخلتهم الصميمة لجانب سيدنا رضي الله عنه أيام إقامته بالفاشر وحتى بعد مغادرته لهذه البلدة فقد واصل معه السيد محمد سلمونه والسيد محمد الأمين الشريف كرار الرحلة في كافة الإنحاء السودانية كل ذلك اعتناء

[1] ذكر البيت دون نسبة في معجم البلدان , و نسبه ابن خلكان في الأعيان لابن الأعرابي (ت 231 هـ) انظر ياقوت الحموي , معجم البلدان ج 2 ,ص 401 , و ابن خلكان , وفيات الأعيان , ص 492.

منهما بخدمة سيِّدنا رضي الله عنه والسيد الحاج بدوي جاء بعد مدة لزيارة سيدنا فرض اقتضاه الحال فشهد مع سيدنا زيارة جزيرة أبا Aba في ضيافة السيد عبد الرحمن المهدي لسيدنا رضي الله عنه وذهب معه إلى مدى ثم إلى أم درمان ولا زال بها حتى ذهب سيدنا إلى القاهرة جزاه الله فضل جزاء يوم اللقاء والجزاء وعائلة السيِّد بدوي برهنت على محبتها الصادقة للجناب حيث أنك ترى الأصل والفرع من هذه العائلة الكريمة في جد وإجتهاد في خدمة الركاب العمري جزاهم الله خيرا ووقاهم شرّا لمثل هذا فليعمل العاملون وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون وترى أيام إقامة سيِّدنا بدارالحاج بدوي كأن دارهذه العائلة جامع جمعة من كثرة الخلق أو مصلى يوم أحد الأعياد والوظيفة صباحا ومساءا تضم آلافا من الذاكرين وسيدنا في وسطهم كالبدر بين النجوم يساهمهم في هذه الملحمة التعبدية والذي ينوب سيِّدنا في الصلاة بالجماعة إذا غاب عنها هو السيِّد محمد الأمين الشريف كرار وترى الوفود تتزايد يوما بعد يوم لزيارة سيدنا بدار الحاج بدوي من بلدة الفاشر ومن نواحيها البعيدة والقريبة حتى أنك لا تكاد تجد شبرا إلا وهو معمور ونشر سيدنا الطريقة بهذه البلدة بصفة لا توصف فإنك تراه يلقن الطريقة في المجلس الواحد للمئين من الناس بعد تلاوة الشروط وعرضها عليهم والقبول بذلك وكل واحد من هؤلاء الناس ورغم كثرة عددهم يصافح سيدنا شعارأخذ العهد والميثاق الأحمدي وبعد ذلك كل واحد يتسلم ورقة إذنية على سبيل التبرك بنسب سيِّدنا رضي الله عنه إلى الشيخ سيدنا رضي الله عنه أذكار الطريقة اللازمة بأعيانها وجواهر ألفاظها فترى دار السوفدى كعبة القاصدين وموئل الوافدين وإختلفت الشبيبة التجانية ليلة إكراما لسيِّدنا تليت فيها الخطب البليغة والقصائد الشعرية ولا زالت هذه السنة مستمرة في سائر البلدان حتى حللناها بكافة أنحاء السودان المصري فما من بلدة يحلها ركاب سيدنا إلا ونجد الناس في إنتظارنا قبل حلول البلدة بعدة أميال على عدة سيارات و سائر أرباب الطرق الصعبة تساهم في هذه الإحتفالات في رأي بلاد جئناها وذلك بإشارة مشائخهم كالسيد عبد الرحمن

المهدي شيخ أنصار المهدية الساكن بالخرطوم في قصرمشيد يحاكي قصورملوك الأندلس أو ملوك الدولة العباسية في عنفوان شبابها بدار السّلام وقد زار سيدنا بحكم الإستدعاء الرسمي من الشخصية المذكورة في هذا القصر العظيم وكذلك السيد المرغنين شيخ السادة المرغانية الحتمية الذي له من الأتباع في كافة أنحاء السودان المصري حيث يوجد المسلمون عددا كثيرا وقد زار أيضا سيدنا في قصره العظيم أيضا الكاتب بالخرطوم الذي لا ينقص زينة على المتقدم وقد جاء السيدان المذكوران لزيارة سيدنا رضي الله عنه ارجاءا لزيارته لهما بالمحل الذي هو مقيم به بأم درمان وهو دارالسيد حسن الطيب من آل هاشم العائلة المشهورة بأم درمان وهو الآن قاضي الخرطوم بحري وهذه العائلة عريقة في الطريقة التجانية وما من بلدة يحل بها سيدنا في كافة السودان المصري أو كان مارا بها بطريق القطار والوقت لا يسمح بالنزول فيها بمقتضى البرامج السفرية المنظمة إلا وتلاقي من الحفاوة والإكرام من أهلها عامة تجانيين وغيرهم فضلا عن إخواننا التجانيين مالا يوصف وكم مرة نجد الناس في المحطات مهيئين لسيدنا ومن معه أنواع المشروبات اللذيذة والآتاي فتناول في ذلك في نفس القطار عند وقوفه بالمحطة ونسمع من أفراد أولئك الأفاضل تلكم الأناشيد المؤثرة التي تارة تذكرنا في حي سلمى وعزة قال الشاعر :

وما كنت أدري قبل عـــزة مالبكـــا ولا موجعـــات القلـــب حتـــى تولـــت[1]

وتارة تهب علينا بريح الطرب والإنشراح وهكذا الإنسان بين قبض وانبساط فتراه بحسب المقام البساط وذكرتني هذه الحالة في قول الشاعر :

وقفنـــا وقـــد ســـطت بأحبابنـــا النـــوى على الدارنبكيها ســـقى ربعهـــا المـــزن

[1] البيت لكثير عزة , انظر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي , ديوان كثير عزة , قدم له مجيد طراد ,نشر دار الكتاب العربي , ط2 , 1416.ص 68.

وزادت دمـــــوع الـــــواكفين يرســــمها فلو أرسلت سفن بهــا جــرت الســفن

ولم يبــق صـــبر يســتعان علـــى النـــوى بـــــه تـــــودع الخلـــــيط ولا جفـــــن

ســـالفا الصـــفا لمـــا رأينـــا غـــرّا منّـــا يزيد بســكان الحمـــى والهـــوى يـــدنو

أفيك لمحل الشوق يا ريح موضع وذكرتـــي فقد ضعف عن حمل أشواقنا البـــــــدن[1]

حال الإقبال على سيدنا إقبالا قل أن يوجد بمثله لغيره , يقول الشاعر :

ما زلت تكتب في التـــاريخ مجتهـــدا حتى رأيتك في التاريخ مكتوبـــا[2]

وقام إخواننا الختمية أتباع الشيخ السيد علي المرغني وإخواننا الأنصار وأتباع الشيخ السيد عبد الرحمن المهدى بأدوار هامة نفي هذه الإستقبالات على إختلاف أحوالها وأظهرت الطائفتان بسرورهما الكامل بهذه الزيارة العمرية بالأقطار السودانية وذلك تحت باعث الأخوة الإسلامية وتحت تأثير إذن مشائخهم جزاهم الله خيرا ووقانا وإياهم ضيرا إنه ولي النعم وتقام في البلاد التي يحلها سيّدنا عدة إحتفالات يحضرها الميئون من الناس تتلى فيها القصائد في مدح سيّدنا وترحيبا به وتسمع فيها أيضا الخطب البليغة في الترحيب بسيدنا ويتناول أثناء ذلك المشروبات اللذيذة والحلويات الوطنية المتنوعة والآتاي الحليبي ويقوم بهذه القصائد والخطب شبان الإسلام ومن أبناء هذه الديار السودانية يتلون تلك الكلمات العربية بحماس ونشاط تبرز شرارته المتواترة من أفواه أولئك الشبان مستقبل الأمة الإسلامية وحفاظ الأدب العربي في هذه العصور ومغزى ذلك كله هو إكرام سيّدنا وإظهار الرابطة الإسلامية بين شعوب الإسلام وإن تباينت الألوان وسطت الديار فالمبدأ واحد والمقصد جوهر فرد وكثيرا ما تعرضوا في الخطب والقصائد إلى إعراب مغزى

[1] الأبيات لأحمد بن جعفر السراج القارئ (ت 500 هــ) , انظر ياقوت الحموي ,معجم الأدباء , ج 1 , 301 .

[2] البيت للحسن بن زولاق الليثي (919 ــ 997 م)كان فاضلا في التاريخ , من مؤلفاته : سيرة كافور الإخشيدي , انظر الزركلي , موسوعة الأعلام , ص 449,و ابن خلكان , وفيات الأعيان ص 279.

هذه الزيارة المعمرية في هذه الأقطار الإفريقية صرحوا وإعترفوا اعترافا لا يخامره شك ولا ريب حتى غير التجانيين بأن هذه الزيارة رابطة إسلامية جديدة بعثها الله تعالى بواسطة هذا السيد العظيم في قلوب المسلمين لأن هذه الزيارة نادرة من نوادر الدهر حتى إنني سمعت من بعض العلماء من إخواننا السودانيين أن قال أن هذه الزيارة فتوح إسلامية جديدة لم تقع إلا في زمان الصحابة رضي الله عنهم الذين أوضحوا الإسلام وتركوا بسبب إخلاصهم وسمام شجاعتهم عدوه ذليلا .

ومن بلدة الفاشر سافرنا على طريق الطائرة إلى أم درمان والخرطوم ووردت على سيِّدنا رسالة برقية من الشيخ السيد محمد الحافظ[1] من القاهرة على أنه توجه إلى الخرطوم لملاقاته المنتظرة ووردت عليه أخرى مضمونها وصوله إلى الخرطوم وهو لا زال بالفاشر ولا يفوتنا أن نقول أن السيِّد أبو بكر أبي اليماني والسيد الطيب رجعا من جنينة إلى محليهما أحدهما إلى فرلامي والآخر إلى أبشة بعد أن تزودا من صالح الدعاء ما طمحت إليه نفوسهما من حضرة سيِّدنا و رجعا بسهام وقد صحب سيِّدنا على متن الطائرة من الفاش إلى أم درمان السيِّدان المقدم ذكرهما وهما السيد محمد الأمين الشريف كرار و السيّد الحاج محمد سلمونة من أهل الفاشر وكذلك صحب سيدنا في هذه الرحلة الجوية سلطان وأمير بلدة الفاشر وهو السيد رحمه الله رئيس محكمة الفاشر الأهلية والعضو بالجمعية التشريعية ووالد السيد محمد الأمين كرار الشريف كرار هو الذي نشر الطريقة التجانية في نواحي الفاشر ومديرية دارفور وأمره مشهوربهذه الأقطار وظهرت على يده كرامات ظهور الشمس في رابعة النهار الشيئ الوحيد الذي يبرهن على صلاحه مع شدة الإستقامة الدينية ومكان الأخلاق وأكرم الفريد في بابه ومناقيه أجل من أن تحصى وكذا والد السيد الحاج محمد سلمونة فقد قام بنشر الطريقة في تلك النواحي أي قيام وأحكم أمر

[1] محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم المالكي التيجاني (1827 ــ 1978 م) لقب بالحافظ لأنه يحفظ كتب السنه و مسند الإمام أحمد و الموطأ و غيرها , انظر أحمد محمد الحافظ , العارف بالله محمد الحافظ التيجاني , موسوعة أعلام الفكر الإسلامي , 2004, ص 928 ,929.

الدعاية إليها أي إحكام بارك الله فيه من رجل وخير إمام بيد أن الشيخ بحرا وهو السّابق بهذه الدعاية الأحمدية وكم ترك السابق لاحق والأول للآخر غير أننا في طريقنا من الفاشر إلى أم درمان ببلدة الأبيض بطلب من أهلها تناول فيها سيِّدنا الغداء ووجدنا في الناس أفواجا أفواجا بالمطار منتظرين سيِّدنا بعدة سيارات كما هي العوائد السابقة واللاحقة كان تناول الغداء في دار السيد الحاج محمد طه التجاني مقدم السادة التجانية جئنا الأبيض على السّاعة الحادية عشر ونصف قبيل الزوال وعلى الساعة الثالثة بعد الزوال إمتطينا مرّة ثانية متن الطائرة قاصدين أم درمان بعدما شيع الناس سيدنا بالمطار كما وقع في الإستقبال وصلنا مدينتي أم درمان و الخرطوم على السّاعة الرابعة والنصف مساء وجدنا بمطار أم درمان في إنتظار سيِّدنا العلاّمة السيِّد محمد الحافظ التجاني المصري الذي جاء على متن الطائرة من القاهرة ليجتمع بالطلعة العمرية إتماما وتوفيه لذلك الوعد القديم الذي لا يفي به إلا صديق حميم وكذلك وجدنا السيِّد أحمد البشير المفتش للمدارس التعليمية الأولية التي بالمديرية الشمالية بالسودان وكذلك السيِّد الحسن الطيب القاضي الشرعي بالخرطوم البحري السّاكن بأم درمان وعدة شخصيات بارزة من مدينتي أم درمان و الخرطوم فسلم القوم الذين في مقدمتهم الشيخ الحافظ على سيدنا و ظفروا بلثم راحته الكريمة موطن الندى و سيف قهر العدا وترى الشيخ الحافظ و قد علا وجهه الكريم نور البشر فرحا وسرورا باجتماعه ببغيته المقصودة وحصوله على ضالته المنشودة والكل فرح ومسرور بهذا الإجتماع المبارك فركب سيدنا السيّارة الخاصة به وتلا الجماعة قاصدين دارالنزول والإقامة التي طالما طاب لسيِّدنا المقام فيها و العبد الحقير تخلف للقيام ببعض الأمورالحكومية من الإستظهار لالأوراق السفرية التي تخول الأجنبي حق الدخول للأقطار الأجنبية وكأوراق هيئة الصحّة العامة وكان يعضدني في القيام بهذه المهمة السيّد أحمد البشري ذلكم الأديب الحبيب التجاني المتفاني الذي فاز بزيارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه بفاس وهو أول رجل من أهل السودان المصري من

قام برحلة نحو الديار الفاسية في هذه العصور مما يدل على شد عزمه ومتانة حزمه و صدق نيته وصفاء سريرته وبعد إتمام هذه المهمة التحقنا بسيِّدنا حيث طاب المقام ولا يزال سيِّدنا رضي الله عنه مقيما بدار السيِّد حسن الطيِّب مدة إقامته بأم درمان أما السيد محمد الحافظ فهو ملازم لسيِّدنا ولا ينفك عن مجلسه غالبا إلا في أوقات النوم ويحضر مع سيِّدنا لمائدة أكله في الغداء والعشاء وشرب قهوة الصّباح أمّا محل النزول للشيخ الحافظ فهي دار السيِّد الفاضل الذي ظفر من سيدنا بالرضى الكامل الحاج موسى زين العابدين الذي ضرب بسهم وافر في إكرام سيِّدنا وترى دار السيِّد حسن الطيب وآل هاشم أيام إقامة سيدنا بها محل الوفود التي تعمر أركانها وافدة على سيدنا من جميع نواحي السودان المصري رجاء التماس البركة منه والنظر في طلعته الزكية واحد تجديد الإذن عنه في طريقة جده سيدنا رضي الله عنه ولا زال الأمر هكذا حتى طويت صحيفة أيّام أم درمان أذن فيها سيِّدنا لمن أذن وجدد لمن جدد وأجاز في الطريقة من أجاز وزار فيها قصر السيد عبد الرحمن المهدي باستدعاء منه لسيِّدنا و زار أيضا قصر الحاكم العام الإنقليزي في إستدعاء منه ويصحبه في جميع هذه الزيارات الرسمية وغيرها الشيخ محمد الحافظ وعدة شخصيات بارزة من أهل الوظائف العليا من بلدة أم درمان والخرطوم التجانية تشريفا لركاب سيدنا وإظهار لعظمته في عين الجميع وقد استدعى سيِّدنا خلال هذه المدة السيد الحاج موسى زين العابدين متقدم الذكر في محله الخاص المشيد على النمط الحديث ونيق الأركان وعزيز البنيان حفظه الله من عين الحسود في كل زمان وأوان وكذلك إستدعاه أخ السيد الحاج موسى وهو السيد عثمان زين العابدين فأكرم مثواه بارك الله فيه وفي أمثاله من الكرام ولا زالت أوراق الإستدعاءات من مختلف الشخصيات ترى على أثناء سيِّدنا أثناء هذه الإقامة الشيئ الوحيد الذي لا تحويه المحافظة ولا تحصره المدركة أما الحفلات المسائية فحدث عن البحر ولا حرج لكثرتها من مختلف الطوائف وتدعى عاصمة أم درمان والخرطوم البحري والخرطوم البرّي بالعاصمة المثلثة

لأن هذه العاصمة السودانية من هذه المدن الثلاث والتي يبلغ عدد سكانها الآلاف وهذه العاصمة فيها من وسائل المدينة ما تجد فيها النفس بغيتها من أنواع الرقي و الرفاهية ما يضمن للإنسان كمال الإستراحة والإطمئنان وهي عاصمة تجارية تظهر خلالها روح السودان المصري من حيث الأهمية التجارية وهي بلدة تشخص الثقافة العربية والإنقليزية في أكمل أوصافها وناهيك بالمعهد العلمي الإسلامي[1] الذي بها حيث نجد أبناء المسلمين ثدي الشريعة الإسلامية يجود عليهم بلبانه المصفاه ولا تزال شفاههم تستلذ طعم ذلك الغذاء إلى الوقت الحاضر وقد تخرج من في العصور الماضية رجال فهموا الدين وأفهموه ولا زالت حسنائهم وجهود مساعيهم تراثهم تراثا محفوظا يتمتع به المتأخرون من علماء الشريعة وأدباء اللغة العربية في تلكم الأقطار اللهم أجز بجزائك المتقدم وأعن المتأخر إنك على كل شيئ قدير و ينتهي سير التعليم في هذا المعهد العلمي لمدة 12 سنة فيتحصل التلميذ على الشهادة الإبتدائية في 4 سنين و الشهادة الأهلية يتحصل عليها لمدة 8 سنين والشهادة العالمية لمدة 12 سنة و بذلك ينتهي دور التعليم بهذه الكلية تدرس به علوم الشريعة وسيلة ومقصدا على الأساليب الشرقية في ميدان التعليم وليس فيه قسم التخصيص لأن الشهادة العالمية عندهم تغني عن ما أخبرني بذلك أحد العلماء الآخذين بزمام التعليم بالمعهد المذكور وهو العلامة الشيخ مجذوب مدثر[2] الذي حاز من الفضل والسمامة مكارم الأخلاق ما كفاه شرفا ونبلا وهو من فحول إخواننا التجانية بأم درمان غير أن أصله من بلدة بربر المشهورة بهذا الوطن ووالده كان آية إعجاب في النزاهة والصّلاح والعلم ومصرفة الطريقة التجانية ما هو مشاع بين الخاص والعام لله دره من عالم صالح إمام والشيخ السيد مجذوب مدثر المذكور هو رئيس اللجنة التجارية بأم

[1] أصبح يعرف فيما بعد بجامعة أم درمان الإسلامية .

[2] الشيخ مجذوب مدثر (1898 ــ 1985 م) شيخ التيجانية في السودان ,تخرج من المعهد متخصصا في الفقه و اللغة , عمل مدرسا فيه ثم تولى رئاسته سنة 1963 , انظر أحمد عبد الرحمن , مقال الشيخ مجذوب مدثر الحجاز , مجلة معهد أم درمان العلمي الالكترونية 03 ــ 01 ــ 2006.

درمان والخرطوم التي أسسها سيدنا رضي الله عنه وهو محبوب مقبول عند الخاص والعام ومن أراه من أبناء العلم من هذه الأوطان زيادة التحقق في العلوم الإسلامية فيشد الرحال نحو الأزهر الشريف بالقاهرة إذ غالب هؤلاء الأعلام أزهريون والدليل على هذا أن الرابطة والعلاقة بين أهل السودان المصري والديار المصرية قديمة جدا مرت عليها قرون عديدة حتى قبل الإسلام وناهيك بهذه العلائق بعد ظهور شمس الإسلام سيما بعد إنتشار الفتوح الإسلامية فإن من تتبع حضارة وأصل الثقافة السودانية يجدها من بنات الأفكار المصرية وبهذا المعهد الإسلامي بأم درمان نحو 350 تلميذا يزاولون العلوم في مختلف الرتب وبالقطر السوداني المصري معاهد علمية أخرى تعتبر فروعا لهذا الأصل ويرجع عهد تأسيسه إلى الشيخ محمد البدري ومدينتنا أم درمان والخرطوم تقعان على ضفتي نهر النيل أما مدينة أم درمان فإنها تقع على الضفة الشرقية من النيل الأبيض وأما الخرطوم فإنها تقع على ضفة النيل الغربية من النيل الأزرق فإن النيل الأزرق والنيل الأبيض يجتمعان في هذه العاصمة المثلثة وترى النيلين يكونان بحرا من المياه السيالة حتى أن أهل الوطن يطلقون لفظ البحرعلى النيل لاتساعه وكثرة مياهه أما النيل الأبيض فإن منبعه من نواحي البحيرات الكبرى من جهة افريقيا الجنوبية وهذه البحيرات هي بحيرة فكتورية انيتدةnianzia Victoria و بحيرة البيرتو نيتزة Alberto nianza و بحيرة كوقه Lac choga وأبعد منبع له هو لفرنزة حيث يبعد هذا المنبع من شواطئ البحر الأبيض بمسافة قدرها 6.694 كم والنيل الأزرق الآتي من بلاد الحبشة منبعه من بحيرة أتصانه Lac Tsana ويجتمعان كما قلنا بحوض أم درمان والخرطوم وطول النيل الأ بيض من أقرب منبعه 3670 كم وطول النيل الأزرق 900 كم[1] .

وقال المرحوم محمد الحافظ إبراهيم يصف النيل :

---

[1] يمتد النيل الأبيض على مسافة 720 كلم ,بعد بحيرة فيكتوريا , و يستمر في مساره حاملا هذا الاسم حتى يدخل العاصمة الخرطوم ليلتقي بالنيل الأزرق القادم من الهضبة الإثيوبية , منبعه هناك بحيرة تانا , ويمتد النيل الأزرق على مسافة 1400 كلم .

نظـــرت للنيـــل فـــاهتزت جوانبـــه   وفاض بالخير فـــي ســـهل ووديـــان

يجري على قدر فـــي كـــل منحـــدر   لم يجف أرضا ولـــم يعمـــد لطغيـــان

كأنـــه ورجـــال الـــري تحرســـه   ملـــك ســـار فـــي جنـــد وأعـــوان

قد كان يشكو ضياعا مذ جرى طلقـــا   حتـــى أقمـــت لـــه خـــزان أســـوان[1]

وقال غيره منالأدباء فيه على طريق التورية :

قلـــت مســـتعطفا لســـاق ســـقاني   من طلا نيل مصـــر أطيـــب كـــأس

أنـــت أشـــهى إلـــي القلـــب لكـــن   قلبـــــه لـــــين وقلبـــــك قـــــاس[2]

وفي مدة إقامة سيًدنا بأم درمان ذهب زائر لبلدة المئمه التي ضربها أتباع خليفة المهدي سفكو فيه الدماء وهتكوا المحارم وعاثوا في الأرض فسادا الأمر السيئ الذي خلده لهم التاريخ حتى أن الناس المسلمين في أيّام هذه الحوادث المهولة التي قام بها المهدية تمنوا أن تفتح لهم الأرض فيدخلون فيها من شدة الأهوال الحالة بهم التي تأباها الإنسانية فضلا عن الدين وأصاب الناس جوع شديد فإن المهدية يأخذون الأقوات بصفة غنائم ويحاصرون البلدان فيقطعون عنهم المدد الخارجي وقد عم هذا البلاء كافة أنحاء السودان المصري التي حل بها اتباع خليفة المهدي وما عمرت مرة ثانية هذه المتمة التي لا تبعد كثيرا من أم درمان إلا بعد واقعة المهدية قطعنا في ذهابنا إلى المتمة نهر النيل الأزرق على زورق لأن طريق المتمة تأتي عليه وبعد أيام في بلدة أم درمان التي تعددت فيها زيارات سيدنا لعدة محال باستدعاء أهلها وكم تليت من خطب وقصائد كلها في مدح سيًدنا و الثناء عليه والذي يتكلم على لسان سيًدنا في هذه الحافلات كلها في مختلف الأنحاء

---

[1] انظر حافظ إبراهيم , ديوان حافظ إبراهيم , تحقيق الشربيني شريدة , دار اليقين ,ط 1 , 2011.

[2] ذكر البيتين دون نسبة في أنوار الربيع , صدر الدين المدني ابن معصوم (ت1119 هـ)تحقيق شاكر هادي شكر , مطبعة النعمان ط 1 , 1388 هـ .

والبلدان السودانية إنما هو الشيخ السيِّد محمد الحافظ المصري فترى في كل خطاباته عدة أبواب من مختلف المواضيع العلمية تارة في آداب وأسرار التشريع الإسلامي وتارة في آداب التصوف وإن التصوف هو الدين الصحيح إذ هو روح العمل بما يقتضيه الأحكام الشرعية ولا ينفك في سائر خطاباته في الرد على الطائفة الوهابية وغيرها من الطوائف الإسلامية التي تطعن في التصوف بل تطعن حتى في الجناب النبوي نسأل الله السّلامة والقافية من هؤلاء الناس وتراه يملي على القوم الحاضرين جواهر نصائحه القيمة مدللة بالنصوص من الكتاب و السنة ولربما دام خطابه في كثير من المجالس نحو الساعة أو أكثر بل وقعت له (مناهبات مناظرات مع الوهابية من أهل السودان المصري كادت أن تستغرق كامل الليل وهو يجامعهم بالأدلة الكتابية والسننية والعقلية التي يسلمها كل ذي عقل سليم فتراه في سائر مجالسه منصورا وعدوه مقهورا وكذلك في سائر تجولات سيدنا في البلدان السودانية المصرية فإن هذا السيِّد هو الذي يقوم نيابة عن سيدنا في إبلاغ وإيضاح شروط الطريقة التجانية لمن يريد الإنخراط في سلكها الميمون وهكذا شأنه في سائر أسفاره مع سيِّدنا وكم حاج وناضل على الإسلام والطريقة التجانية والسنة الأحمدية المحمدية وكذلك يوجد في السودان المصري طائفة تسمّى أنصار السنة المحمدية مع إنهم لعمري أضرار السنة المحمدية من حيث لا يشعرون لأنهم أعداء أنصار الإسلام بالحاح والمقال وبعد إنتها ء الإ قامة بأم درمان توجهت عناية سيدنا لزيارة البلدان السودانية الأخرى فغادرنا أم درمان على متن القطار إلى بلدة شندي التي تبعد من أم درمان قدر ثلاث ساعات بسير القطار ونزل سيدنا ببلدة شندي ضيفا عند السيد عبد الكريم السيد محمد وقد وجدنا كثيرا من الناس ينتظرون في قدوم سيدنا بمحطة شندي ومن شندي ذهب سيِّدنا لزيارة ضريح العارف بالله سي محمد بن المختار الشنجيطي مؤلف مولد إنسان الكمال[1] وترياق الفـــــــــهوم في شــــــــم رائحة

[1] انظر محمد بن المختار الشنجيطي , مطلع الجمال في مولد إنسان الكمال ,المكتبة الأهلية ط 3 , 1979 .

مناقب القطب المكتوم[1] رضي الله عنه وأرضاه وكتاب الواردات[2] الذي إلى الآن لم يطبع أما الأولان فقد طبعت بالمطابع المصرية على يد الشيخ الحافظ وكتاب الواردات كتاب من أنفس كتب التصوف على ما سمعنا لكونه يتكلم في الحقائق ذهب سيدنا بحاشيته لزيارة هذا السيد العظيم ومعه حفيدان أعني حفيدي الشيخ محمد بن المختار المذكور وملما السيد محمد والسيّد البشير والمحل الذي به الضريح المذكور يقال له جزيرة أم حرام على ساحل نهر النيل الأبيض وحضر هذه الزيارة الشيخ محمد الحافظ وجزيرة أم حرام تبعد على شندي نحو22 كم وهذا الرجل هو من الرًجال الذين نشروا الطريقة التجانية بما نشر وسد يتصل بسيدنا الشيخ رضي الله عنه بواسطة السيًد محمد السقاف الفاسي الذي فاز بالأسرار من الشيخ رضي الله عنه أما السيد المفضل السقاط فقد كان مقيما بأرياف مصر ببلدة يقال لها قنا وقد فاز هذا السيد بالإطلاق من سيًدنا رضي الله عنه ومن شندي ذهبنا إلى بلدة بربر التي وقع بها لسيًدنا أميال عظيم ودخلت الناس الطريقة التجانية أفواجا أفواجا كغيرها من هذه البلدان من قطر السودان المصري و قد قدمنا أن الحتمية وأنصار المهدي قاموا بأدوار هامة في الترحيب بسيدنا في مختلف البلدان الأمر الذي خلده لهم التاريخ في هذه التحولات كلها ومن بربر ذهبنا إلى أتبره محل تقاطع السكك الحديدية ثم من أتبره ذهبنا بطريق القطار إلى بلدة بورت سودان Port soudane الذي يقع على سواحل البحر الأحمر الذي أنشأته الحكومة الإنقليزية وهو الآن مرسى السودان المصري الوحيد نظرا لأهميته التجارية نزل سيدنا في هذه البلدة عند السيد الفاضل الحاج مسعود محمد صاحب الأيادي البيضاء والإكرام للفقراء وجعلنا جولة قريبة فشهدنا جوف البحر الأحمر على متن زورق أسفله من بلور لا يجب ما تحته فشهدنا جوف البحر الأحمر ورأينا ما فيه من عجائب وغرائب صنع الله من

---

[1] انظر المؤلف نفسه , ديوان ترياق الفهوم في شم رائحة مناقب القطب المكتوم , مكتبة القاهرة , ط2 , 2000.

[2] تم تحقيق الكتاب و نشره , انظر المؤلف نفسه ,كتاب الواردات الإلهية المسمى الوصايا ,تحقيق محمد إبراهيم محمد سالم ,القاهرة , نشر المحقق , 2004.

المخلوقات الذي أتقن كل شيئ فشهدنا فيه الغابات الشجرية بشكل بديع تقصر العبارة عن وصفه وهذه الأشكال التي تبدو كلّها شجرية هي أشكال صخرية في الحقيقة و يخالها الرائي أنها أشجار وترى الحيتان على إختلاف أنواعها وتباين أشكالها تسبح في جوف البحر ذاهبة إلى مختلف النواحي من هذا البحر العميق الحاصل أن جوف هذا البحر كصفحات الكتاب على صحيفة فيها ما ليس في الأخرى أو كالمتحف العظيم الذي يجد فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت وترى في جوفه الجبال الشامخة بينها الحيتان تسعى لمختلف الأنحاء تحت صخورها كأنها أمم كل أمة تسعى إلى حيها وبلادها وما يعلم جنود ربك إلا هو وما من دابة في الأرض وما من طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالنا ووجدنا لميناء يورث سودان الباخرة المصرية راسية مرقوم على جنبها الطائف وباخرة إيطالية لا ندري ما إسمها وتمت هذه الجولة البحرية بخير و سلام والمسافة بين بور تسودان ومكة المكرمة على متن الطائرة لا تتجاوز 45 دقيقة وعلى الطريق البحري 24 ساعة ومن بورت سودان توجه سيدنا إلى بلدة كسلا و صحبه في بقية هذا السّفر إلى أم درمان السيد الحاج مسعود محمد الذي فاز من سيدنا بالإجازة ومعه أيضا رفيقه السيد التجاني عمر معنا أيضا من الجماعة السيد الحاج عثمان صالح والسيد صالح ثابت أفندي والسيد ادريس رفقاء السيد الشيخ محمد الحافظ في رحلته التي قام بها في السّوادين عام 1935 ولا زال هؤلاء الثلاثة يخدمون ركاب سيِّدنا في هذه الرحلة ويقومون بشؤون الشيخ الحافظ أحسن قيام حتى إنتهت هذه الرحلة بالرجوع إلى أم درمان مرة ثانية وهؤلاء الرجال الثلاثة من التقاة الصّالحين والأحباب المخلصين يشهد لهذا سعيهم المشكور وفعلهم المبرور في مختلف الأحوال والأسفار هي معيار الرجال جزاهم الله خيرا أما الحاج عثمان صالح فهو من أهل أم رواية وصالح ثابت من أهل بربر أما ادريس فهو من أهل الشواك قرب العضارف[1] والسيد الحاج عثمان والسيِّد صالح ثابت

[1] بلدة سودانية تقع شرق السودان .

هما كاتبا الرحلة بالسودان المصري كلفهما بذلك الشيخ سي محمد الحافظ ولما جاء ركب سيدنا إلى بلدة كسا وجدنا في محطة كسلا ألافا من الناس ينتظرون قدوم سيِّدنا الذي نزل ضيفا بدار السيِّد التجاني ابن المليح الذي قام بضيافة سيدنا أحسن قيام جزاه الله خيرا يوم القيام وبلدة كسلا قريبة من أرض الحبشة قطر اريترا لا تبعد عن الحدود إلا قدر 25 كم ولقربها قد إحتلها الإيطاليون في هذه الحرب سنة 1939 غير أنهم لم يطل مكثهم بها وأخرجهم الإنقليز فورا من هذه القطعة السودانية والمبادلات التجارية جارية بين القطرين وعاصمة ارترا هي مدينة أسمرة قريبة جدا على ما سمعناه من أهل الوطن وبعاصمة أسمرة على ما قيل جامع عظيم إسلامي ومدينة أسمرة على ما قيل من أجمل هذه المدن والطريق الجوي بين الخرطوم وأسمرة يستغرق ساعتين وبلدة كسلا يوجد فيها النخل الذي يأتي بالتمر وقيل أنه يثمر مرتين في العام ومن كسلا ذهبنا إلى بلدة أروقة بطريق السيارات ومنها إلى بلدة وقر ومنها إلى متاتيب ومنها إلى تندلاي ومنها إلى مكني ثم رجعنا مرة ثانية إلى كسلا ثم ذهبنا إلى بلدة شواك التي يكثر بها شوك السّعدان ثم ذهبنا إلى الفضارف التي وقعت بها مناظرة قيمة بين الشيخ الحافظ وعلماء الوهابية وهؤلاء الوهابية يعتقدون الجهة لله[1], تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وسيأتي بيان عقيدتهم الفاسدة بايضاح وقد رجع كثير من الوهابية عن معتقدهم الفاسد إلى الحق بفضل هذه المناظرات العلمية وكانوا ينكرون الوسيلة والكرامة للأولياء رضي الله عنهم على ما سيأتي بيانه ومن القضارف ذهبنا إلى قلع النحل ومنها إلى بلدة الحواته التي ابتلى الله تعالى أهلها بأمراض دموية فاسدة تنشأ عنها مثل في ساق الإنسان ومن الحواته ركبنا القطار إلى السوكي ومنها إلى مكوار التي تسمى بستار المدينة وبقرب هذه المدينة سد عظيم خزان للمياه على النيل الأزرق يحفظ كميات مائية معدة لسقي المزروعات في

[1] يقولون أن الله متواجد في خارج العالم في مكان يختص به في جهة من العالم هي جهة الفوق ,(قولهم هذا يؤدي إلى التجسيم المحض)

المساحات الواسعة كزراعة الدخان[1] والسمسم وأنواع الذرة والقطن الذي هو الزراعة الوحيدة المقصودة للحكومة الإنقليزية والذي بنى هذا السد العظيم هو الحكومة وبقرب سنار المدينة سنار التقاطع وهي محل ملتقى السكك الحديدية الآتية من الخرطوم إلى الأبيض والثانية من هي الآتية من بورت سودان ومن سنار مررنا على كوسي ثم ذهبنا إلى بلدة أم روابة التي نزل بها سيدنا ضيفا عند السيد الحاج عثمان صالح رفيق السيد الحافظ وكاتب الرحلة وصاحب الأمداح النبوية التي طالما ردد صوته الحسن بألفاظها العذبة ومنها ذهبنا إلى بلدة شركيلة وبلدة الغبشا وبلدة العباسية التي تسمى عند أهل الوطن بجبل تقلي ثم ذهبنا إلى بلدة الرهد التي وجدنا بها مراسلة من سيدنا محمد الكبير التجاني مضمونها الإذن في الطريقة الإجازة لبعض أهلها ثم منها ذهبنا إلى الأبيض محل السيد عكاشة القائم بأمور سيدنا في هذه الأسفار كلها و قد برهن على إخلاصه في العمل إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى وكذلك السيد محمد الأمين الشريف كرار الأزهري[2] من بلدة الفاشر لا يزال مرافقا لسيِّدنا هو و السيد الحاج محمد سلمونة باخلاص و إجتهاد فيما يشهد إليهما من الخدمة إلى أن بلغ سيدنا مدينة الأبيض فأمرهما بالرجوع إلى الفاشر فامتثلا للأمر المطاع لله درهما من سيدين فاضلين كريمين ووقع لسيدنا في بلدة الأبيض إقبال كريم بشخص في أمثاله من بلدان السودان العظيمة ونزل سيدنا في الأبيض ضيفا في دار السيد المرحوم أحمد التجاني والبكبا شي عوض الكريم ومن بلدة الأبيض سافر سيدنا بطريق السيّارات مصحوبا من جماعة من الأحباب الأبيض إلى بلدة بازة وقد وجد في هذه البلدة شقاقا وخلافا عظيما من بعض الأحباب دام هذا الشقاق بينهم السنتين فأصلح سيدنا كعادته بينهم وجرت في واد يهم سيول الأخوة بعد ما طال جفافها بما حل بينهم من الضغائن والا من فرضي الله عنه من سيد كريم نبيل

[1] يقصد التبغ.

[2] محمد الأمين الشريف (1901 ــ 1976 م)من شيوخ التيجانية يلقب بأزرق كركوج , وهو من كبار علماء السودان .

وجزاه عن المسلمين خيرا جزيلا ومن بارة ذهبنا لبلدة خرسي[1] التي بها العالم الكبير المؤرخ المشهور بالشيخ محمد الدوليب توفي رحمه الله تعالى وكان من أهل الفتح وقد تكلم هذا السيد العظيم في منظومته المشهورة على ما سيقع في السودان من الفتن منها فتنة أنصار خليفة المهدي فقد رفع عنها النقاب وأزال عنها الحجاب ووقع الأمر كما قال وهو كما قلنا مشهور بالفتح و الصلاح قبره ببلدة خرسي المذكورة وقد ثبت أن هذا السيد اجتمع بالشيخ مولود فال الشنجيطي وأخذ عنه الطريقة التجانية إمام السيد مولود فال بناحية خرسي مدة وقال الشيخ الدويليب أنني أتيتك بإذن من الحضرة الإلهية والمحمدية ثم رجعنا من بلدة خرسي إلى بلدة الأبيض مرة ثانية ومن الأبيض توجه سيدنا رضي الله عنه إلى بلدة كوستي غادرنا الأبيض صبيحة يوم السبت على الساعة السابعة في القطار وقد صحب سيدنا في هذه الرحلة الميمونة وفد عظيم من وجهاء وعظماء إخواننا التجانيين يتركب هذا الوفد الميمون من نحو 40 كم شخصا والقصد من هذه الصحبة لهذا الوفد هو زيارة جزيرة أبا التي بها السيد عبد الرحمن المهدي الذي استدعى سيدنا من الخرطوم عند إجتماعه به أول مرة بأن يزوره مرة ثانية في هذه الجزيرة التي تعتبر المقر المقدس عند أنصار المهدية حيث أن متعبد الشيخ المهدي المرحوم يقرب منها خرجنا من كوستي عشية يوم الأحد 21 صفر والخير سنة 1329 ذهبنا على السيارات نحو 10 سيارات تحمل رجال هذ ا الوفد إلى جزيرة أبا المذكورة حيث ينتظرنا السيد عبد الرحمن المهدي الذي جاء من الخرطوم للوفاء بهذا الوعد الذي وعد به سيدنا رضي الله عنه إذ كلمة الشرف من صدف وكلمة النفاق من خزف وجزيرة أبا عبارة عن مساحة واسعة تقع بين أحضان النيل الأبيض والتي هي على ملك السيِّد عبد الرحمن المهدي شيخ الطائفة المهدية بأقطار السودان ومساحة هذه الزراعات تبلغ 22000 فدان يزرع بها القطن والأشجار المثمرة على إختلاف أنواعها كالعنب والمنقو والبرتقال والليمون والتين و

[1] بلدة خرسي تسكنها قبيلة الدوليب فقط .

الرمان ومقدار الفدان عند أهل السودان المصري ثلامائة قصبة والقصبة طولها 17 ذراع أكثر من حساب الهكتار بقليل وسقي هذه الزراعات كلها بواسطة 17 موتورا والماء مجلوب من حياض النيل الأبيض المحيط بهذه الجزيرة وعدد سكان هذه الجزيرة 45000 نسمة وهؤلاء السكان منهم أنصار ومنهم مهاجرون أما الأنصار فإنهم يخدمون على أنفسهم وإذا إحتاجهم شيخهم السيد عبد الرحمن فإنهم يلبون دعوتهم فيما يأمرهم به وأما المهاجرون فإنهم منقطعون إلى خدمة السيد عبد الرحمن ولا يأخذون منه في مقابل خدمتهم ولو فلسا واحدا وحسبهم منه الأكل و اللباس فقط وبهذه الجزيرة جامع لقراءة القرآن الكريم يحتوي على 8 حلقات من الصبيان الذين يقرؤون كتاب الله تعالى في كل حلقة 150 تلميذا وهم يقرؤون القرآن على العادة القديمة بعد المغرب على ضياء النار فمجموع التلاميذ في الحلقات الثمانية 1200 تلميذا وسمعنا منهم أنه يوجد خارج الجزيرة 85 حلقة وفي كل حلقة جامع لقراءة القرآن وآخر للصلاة ويقال أن في الجزيرة بتمامها 45 حلقة قرآنية و 45 زاوية للصلاة و ستة جوامع للمنظمة يوم الجمعة وبهذه الجزيرة أيضا معهد علمي يقوم بتعليم من حفظ القرآن العلوم الدينية التي عليها مدار التعبد الإسلامي ومؤونة هؤلاء التلاميذ على السيد عبد الرحمن المهدي تقدر في السنة 26000 أردوبا[1] من الطعام ومقدار الأردب 200 كيلو و للسيد عبد الرحمن قصر بهذه الجزيرة وبستان عظيم للتجول وخلوة ومكتبة ومتحف جمع فيه من الآثار التاريخية التي ترجع إلى مملكة المهدية ما يلفت الأنظار ومن جملة ما عرنا عنه مصحف السيِّد محمد بن المختار الشنجيطي المتقدم الذكر وهو من أجود المصاحف نظرا لخطه الجميل ورونقه الذي ليس له مثيل حتى أنك ترى الحرف فيه قدر الإصبع والسبب الوحيد في سقوط هذا المصحف العظيم في أيدي المهدية هو أنهم أخذوه من جملة ما غنموه من أموال المسلمين

[1] الأردب يساوي أربعا و عشرين صاعا , و هو عند الحنفية 78 كغ , و عند جمهور العلماء 84,96 كغ , انظر بحث في تحويل الموازين و المكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة (الأردب) , مجلة البحوث الإسلامية , العدد 29 , 1420 .

وقت تيار فتنتهم التي بلغت جميع أنحاء السودان وذهب سيدنا صحبة السيد عبد الرحمن ومعه السيد محمد الحافظ إلى زيارة الغار الذي كان يتعبد به الإمام المهدي قبل الاصداع بدعوته وفارقنا الجزيرة المذكورة صباح يوم الثلاثاء على الساعة التاسعة ونصف في 11 صفر بعد أن أقمنا بها يومين في حفاوة وإكرام ومن جزيرة أبا ذهبنا إلى بلدة سنار التقاطع مرة شربنا فيها الماء ووقعت إستراحة قليلة اعطى سيدنا في هذه المهلة الزمانية الطريقة لجم غفير ممن هبت عليه ريح السعادة الإلهية ثم خرجنا منها ومررنا في الطريق على بلدة دار السّلام التي بها السيّد التجاني مبشر أحمد بن أحفاد الشيخ سي عمر الفوتي رضي الله عنه وكأنه هو الذي نشر الطريقة في هذه الناحية عملا بطريق أسلافه الكرام ثم ذهبنا إلى بلدة ود حداد بحذف لا م ولد فإن أهل السودان يخدمون لاهما في خطاباتهم ويقولون ود عوض ولد وهذه الطريقة لها أهل في العربية فإن العرب تراهم يخفون بعض الحروف لكثرة الإستعمال وتناولنا الغداء في هذه البلدة وأعطى سيدنا الطريقة فيها لكثير من الناس كما هي العادة في سائر البلدان التي يحلها في هذه الرحلة من أولها إلى آخرها و على الساعة الرابعة ونصف مساءا يوم 10 صفر ذهبنا على السيّارات إلى بلدة الحاج عبدالله نزل سيِّدنا بها ضيفا عند الشيخ مصطفى عمر وقد أخذ على سيِّدنا في بلدة الحاج عبدالله الطريقة نحو 7000 شخصا ووقع عليه ازدحام عظيم يذكرنا في أيام كنو بنيجيريا بين طوائف هوصة و خرجنا من الحاج عبدالله قبيل الغروب بنصف ساعة ليلة الجمعة 11 صفر سنة 1369 متوجهين إلى بلدة واد مدني التي يستقر بها الشيخ يوسف بقوي[1] الذي رافق سيِّدنا في كثير من تجولاته قبل قدومه واد مدني ولهذا السيِّد من مكارم الأخلاق ما قول له أن يعد في زمرة الأخيار وهو من العلماء العاملين وله تآليف وأخبرني بأنه إجتمع بأخينا سي إسماعيل بن شعبان في مكة المكرمة ووقعت

---

[1] يوسف بقوي (1896 ــ 1988 م) من أشهر مشايخ التيجانية في السودان .انظر كمال عمر الأمين , مقال عن الشيخ يوسف بقوي , جريدة القوم (07 ــ 11 ــ 1988).

بينهما معرفة وصار سي إسماعيل يحادثه في الحرم إلى أن أخذه النوم كما أخبرني السيِّد يوسف وقد أثنى على أخينا سي إسماعيل بن شعبان التونسي غاية الثناء نظرا لما جبل عليه من مكارم الأخلاق وفصاحة التعبير الذي هو وظيفة إخواننا التونسيين وقال لي أن السيد إسماعيل تعهد له بارسال ما يحتاجه من الكتب من تونس وصلنا مدينة واد مدني ليلا والمسافة بين الحاج عبدالله واد مدني 65 كم وكل هذه المسافة معمورة بالزراعات القطنية مساحات واسعة تسقى بماء النيل الأزرق مجلوبة بواسطة سواقي كبيرة مثل الأودية السيالة تيارة تراها على يمين الطريق وتارة على يساره مجلوبة من حياض خزائن المياه النيلية الكائن قرب مدينة سنار التي تقدم ذكرها ولهذا السّد العظيم المنفعة العظمى التي لا توصف في تسديد أمور الزراعات بجزيرة واد مدني المذكور ولا ترى في كامل الطريق بين الحاج عبدالله وواد دني إلا مسافة زراعية واسعة كأنها بستان واحد مما زاد الوطن المذكور ثروة على ثروة ومدينة واد مدني مدينة كبيرة بالنظر لغيرها من قرى السودان الذي خول لها هذا التقدم السريع هو ما ذكرناه من ميدانها الزراعي الواسع حتى أن المتحصل من هذه الزراعات القطنية من جزيرة مدني يعد بآلاف الأطنان في السنة الذي يبلغ ملايين الجهات المصرية وهذه المدينة واقعة على ساحل النيل الأزرق ومن حسن الحظ أنني خرجت ليلة ونحن بمدني أتفسح على ضفة النيل فوقفت وقفة التأمل في هذا البحر العظيم فأبصرت القمر في سمائه يبعث أشعته الذهبية على صفحات هذه المياه النيلية كأنه قد خط طريقا ذهبيا يشق مياه هذا البحر يتخيل للرائي أنه سهل العبور وما هو إلا ضرب من الخيال و الغرور وقد أخذ عن سيدنا عدد عظيم من أهل مدني الطريقة التجانية وفاز من نبلائهم من فاز بالإجازة من سيِّدنا ومحل نزول سيدنا وكافة من معه هي دار السيِّد الشيخ يوسف بقوني المذكور آنفا وعلى ما قيل أنه أخذ عن سيدنا الطريقة 10000 من الناس والعبد الحقير والسيد محمد علي قد أنزلنا الشيخ يوسف

بقوى في محل مكتبته العلمية التي حوت من نفائس التآليف العلمية ما حوت حتى أن السيد محمد علي جعل بهذه المناسبة أبياتا شعريّة في مدح هذه المكتبة فقال :

من بعد رحلتنا فـــي ســـائر المـــدن	الحمـــــدلله إذ ســـــرنا إلـــــى مـــــدن
فأكرموا نزلنــــا فـــي ظــل مكتبــة	لـــــم يحوهـــــا قـــــروي ولا مـــــدني
كأن من بات في الأسفار ينظرهـــا	قد بات في الحرم المكـــي أو المـــدني

وأهل السودان المصري أعني العلماء منهم يقتنون الكتب العلمية ولهم صلة بالديار المصرية في جلب نفائس الكتب العلمية في كافة الفنون فلا تدخل لدار عالم منهم إلا وتجد له مكتبة عظيمة والذخيرة العلمية لأبعادها ذخيرة في هذه الدنيا فإن الإنسان العاقل يدخر لنفسه ولعياله ما يحتاجه من الأقوات في سبيل تغذية هذا الجسم الترابي الفاتي و ينبغي له أن يحتاط كل الإحتياط للذخيرة العلمية التي هي غذاء الأرواح ومن المعلوم أن الروح أفضل من الجسد يناله الفناء والروح لا ينالها الفناء فهي من الأشياء الباقية التي استثناها العلماء من عموم قوله تعالى "كُل شيئ هالكِ إلاّ وجْهُهُ "[1] وقد ابتلى العلماء ببيع كتبه إنا لله وإنا إليه راجعون ولعمري أنها ليلة عظيمة فقد كان العراقيون ومن والاه من أهل الشرق يظنون بالكتب ظن الأشراف بالأعراض فقد غلب أديب على نسخة الجهرة لابن دريد غلبة الفقر وهو أبو الحسين علي بن أحد الفالي فباعها للشريف المرتضي بستين دينارا فلما تصفحها الشريف وجد فيها بخط البائع هذه الأبيات :

أنست بهـــا عشـــرين حـــولا وبعتهـــا	لقد طال وجـــدي بعـــدها وحنينـــي
ومـــا كـــان ظنـــي أننـــي ســـأبيعها	ولو خلدتني فـــي الســـجون ديـــوني
ولكـــن لضـــعف وافتقـــار وصـــبية	صـــغار علـــيهم تســـتهل شـــؤوني
فقلـــت لـــم أملـــك ســـوابق عبـــرة	مقالـــة مكـــوي الفـــؤاد حـــزين

[1] " لا إله إلا هو كل شيئ هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون " القصص 88 .

وقـــد تخـــرج الحاجـــات يـــاأم مالـــك كـــرائم مـــن رب بهـــن ضـــنين[1]

ويقال أن المرتضي رد النسخة إلى صاحبها بعد قراءة هذه الأبيات وترك الدنانير.
ثم توجهت همة سيدنا رضي الله عنه إلى زيارة قرى جزيرة واد مدني زارها كلها في يوم واحد وهذه القرى هي قرية أبسط وقرية الكمر وقرية برتيل وقرية الطلحة وقرية التكله أقام سيدنا بواد مدني يومين ثم غادر مدني متوجها إلى أم درمان والخرطوم مرة ثانية يوم الثلاثاء صباحا قبيل الزوال في صفر ووقفنا وقفة خفيفة بقرية الخصاحصة وما وصلنا أم درمان والخرطوم إلا عند المغرب فصلينا المغرب في جامع الخرطوم الكبير ولعمري أنه لجامع عظيم واسع الأرجاء ضخم البناء وبين أم درمان والخرطوم قنطرة حديدية عظيمة على نهر النيل يبلغ طولها نحو 500 مترا تعلوها الأنوار الكهربائية ليلا تسهيلا لسبيل المرور للسيّارات والترتفاي وللمارة من الناس وقد قلنا أنه يسكن هذه العاصمة السودانية الشيخان السيد عبد الرحمن المهدي شيخ المهدية في قصره المشيد والسيد علي المرغني[2] شيخ الطائفة الختمية[3] في قصره المشيد وبينهما منافسة شأن العظماء في جميع الأعصار والأمصار .
وقد قلنا أن في جزيرة واد مدني زراعات واسعة تشغل آلافا من الفدادين من القطن وزراعات الأقوات كالدخان والذرة بأنواعه والسمسم وغير ذلك من المواد الغذائية حتى أن جزيرة واد مدني تعتبر خزينة الأقوات الوحيدة في هذا القطرنظرا لما لها من الأهمية الكبرى في ميدان الزراعات وترى أيضا بين مدن الخرطوم الزراعات الواسعة تتخللها

---

[1] الأبيات للإمام النحوي أبو الحسن الفالي , انظر الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج 18 , ص 54 .

[2] علي بن محمد المالميرغني (1873 ــ 1968 م) زعيم ديني و سياسي سوداني , سليل الأسرة الميرغنية المعروفة في مصر و السودان و إرتريا . انظر أحمد محمد أحمد حلي , طائفة الختمية أصولها التاريخية و أهم تعاليمها , دار خضر للنشر و التوزيع بيروت , ط 1 , 1992 , ص 13.

[3] طريقة صوفية نشأت عام 1817 . على يد محمد عثمان الميرغني الختم ,انظر المرجع السابق .

السواقي النيلية من النيل الأزرق بفضل سد سنار العظيم معدة هذه السواقي لسقي هذه المساحات الواسعة في زراعة القطن الذي هو الثروة الوحيدة لهذا الوطن وتقدر الحاصلات الزراعية سنويا تقريبا 12.000,000 جنيها مصريا تقريبا بالفرنك الفرنسي على أن قيمة الجنيه 700 فرنك فرنسية تكون نتيجة الحاصلات الزراعية سنويا 8.400.000,000 فانظر إلى هذه الثروة وإلى هذه المشاريع الزراعية تاريخ تأسيسها لا يزيد على 65 سنة فقط كذلك يوجد شجر السمق ويكثر شجر الأراك في طريق يورث سودان التي تبصر فيها بعض الجبال وقرب هذه الأماكن تسكن بنت عم السيِّد علي المرغني السيدة مريم الساكنة في جبيت والسكنات في طريق بور تسودان ولها محل في بور تسودان وسواكن القريبة من بورت سودان وعدد سكان واد مدني يبلغ 60000 نسمة دفي نفس المدينة وحدها ويرجوعنا إلى أم درمان والخرطوم تمت رحلة تجولات سيدنا في الأقطار السودانية المصرية التي استغرقتشهرين دخلنا أم درمان ليلة الأربعاء 16 صفر الخير وعاد سيدنا إلى منزله الأول هو دار الشيخ حسن الطيب القاضي بالخرطوم البحري ولا ننسى أن السيدين حفيدي السيد محمد بن المختار الشنجيطي السيد محمد والسيِّد البشري ولا زالا صحبة سيِّدنا في هذه الرحلة كلها من أولها إلى آخرها وقد أظهرا في هذه التنقلات العمرية من الجد والإجتهاد في سبيل خدمة سيِّدنا ما خول لهما أن يكونا عند سيدنا بالكانة العظمى جزاهما الله خيرا ووقاهما وكافة الإخوة خيرا ولا ننسى أيضا الشيخ الجعيلي ذلكم الرجل الكبير الحازم في خدمة سيدنا رغم كبر سنه وضعف بنيته وعمره يتراوح إلى 70 سنة وهو رجل حاز من التوفيق ومكارم الأخلاق ما هو جدير به ولا تزال الوفود التجانية ترد على سيدنا خلال هذه الإقامة بأم درمان رغبة في أخذ الطريقة آتية من جميع النواحي السودانية واليك أسماء الشخصيات البارزة التي رافقت سيدنا في هذه الرحلة :

رقم	الإسم	البلدة
01	الشيخ السيد محمد الحافظ	مصر
02	السيد الحاج عثمان صالح	أم أروأبه
03	السيد صالح ثابت أفندي	بربر
04	السيد محمد ختار الشنجيطي	جزيرة أم حراحر
05	السيد عكاشة	الأبيض
06	السيد إدريس موسى اجيبسيت	أشواك قرب القصارف
07	السيد الشريف محمد الأمين كرار الأزهري	الفاشر
08	السيد محمد سلمونة	الفاشر
09	السيد الحاج بدوي زين العابدين	الفاشر
10	السيد الحاج مسعود محمد	بروت سودان
11	السيد التجاني عمر رفيق الحاج مسعود	بور تسودان
12	السيد الشيخ يوسف بقوي	واد مدني
13	السيد الدكتور محمد حامد	أم روابا
14	السيد مجذوب محمد عبدالله	مديرية ونقلا
15	السيد ابو بكر بن صالح الزبرماوي	القضارف
16	السيد البشير بن السيد الختار الشنجيطي	بربر
17	الشيخ السيد مدثر القاضي أحمد عبد الرحمن	شندي

ولهذا السيد آداب فائقة ومعرفة بفقه الإسلام والطريقة التجانية .

وغير هؤلاء من الوجهاء والأعيان والعلماء والأعلام والجرائد السودانية سواء كانت عربية أو إنقليزية تهتم غاية الإهتمام بهذه الرحلة تراها دائما تعلق ملاحاظاتها على هذه

التنقلات في مختلف الأنحاء السودانية حتى صارت بدون مبالغة أخبار سيدنا هي مطمع الأنظار و شغل الأفكار في سائر الديار .

الكلام على السودان من الناحية المدنية :

إعلم أيها القارئ أن المسافة السودانية المصرية كغيرها من الأقطار تنقسم إلى عدة أقسام تسمى هذه الأقسام مديريات بجملة أقسام القطر السوداني المصري تسع مديريات :

1-وهي أولا : مديرية الخرطوم عاصمتها الخرطوم وسكانها 329000 نسمة ساحتها .

2-مديرية كارديفان عاصمتها الأبيض سكانها 1.518.900 نسمة مساحتها ..؟

3-المديرية الشمالية عاصمتها الدامر سكانها 616300 مساحتها

4-مديرية النيل الأبيض عاصمتها ما لكال سكانها 711500 نسمة مساحتها

5-مديرية بحر الغزال عاصمتها واو سكانها 7.14500 ن مساحتها

6-مديرية النيل الأزرق عاصمتها واد مدني سكانها 1465400 نسمة مساحتها

7-مديرية دارفور عاصمتها الفاشر سكانها 882800 مساحتها

8-المديرية الإستوائية (حيث تكثر المجوس والمسلمون هم الأقلية) عاصمتها جوية سكانها 590.900 مساحتها ..؟

جملة سكان السودان المصري 7.547.500

أما المديريات الست الشمالية :

فمعظمها مسلمون سنيون وتوجد أقلية من المجوس ومسيحية معظمهم في المدن أما المديريات الثلاث الجنوبية فهي خليط بين المسلمين والنصارى وأغلبية السكان هم المجوس وقد قلنا أن أبعد منبع النيل الأبيض هو من البحر الأبيض على مسافة 6.694 كم لفرنز Luvinronza أما النيل الأزرق أبعد منبع يسمى لتل أبه Little Ableau على بعد 4757 من البحر الأبيض .

الناحية الثقافية في السودان :

أما الناحية الثقافية في هذا القطر فإن أهله أخذوا منها النصيب الوافر على ما يقتضيه الوسط الإسلامي السوداني فتجد بينهم كثيرا من العلماء والأباء ولهم سلف لا يقل على علم الأسلاف في النواحي الإسلامية بالأقطار الأخرى وقد قدمنا أن لهم معهدا علميا بأم درمان يرجع تأسيسه إلى الشيخ أحمد البدوي وقد أسس هذا المعهد العلمي سنة 1912 ميلادية و قبل هذا المعهد كانت تدرس العلوم بالجوامع والمساجد على العوائد القديمة يقول فيه شاعرهم :

السحر فيك وفيك من أسبابه	دعة المدل بعبقري شبابه
يا معهدي ومحط عهدي صباي	من دار تطرق عند شباب نابه
اليوم يد فعني الحنين فأنثني	ولهان مضطربا إلى أعتابه
هو معهدي ولئن حفظت صنيع	فأنا ابن سرعته الذي غنى به[1]

أما عدد مدرسي المعهد العلمي فهم 35 مدرسا منهم 5 من المصريين وثلاثون من السودانيين وشيخ علماء المعهد سوداني هو العلامة الشيخ أبوشامة عبد المحمود[2] غير أن هذا المعهد في هذه الأوقات الأخيرة دخله شيئ من النظام العصري الصرف الأمر الذي أدخل عليه بعض الوهن العلمي إذ من المعلوم أن النظم العصرية وإن كانت من جهة حسنة فهي من عدة جهات فاسدة فتراها تدخل ضعفا جديدا على العلوم الشرعية لأن العلوم النقلية تستدعي مزيد اعتناء في دائرة الضبط على غيرها ومما يناسب هذه

---

[1] الأبيات للشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير (1912 ــ 1938 م) لم يكمل دراسته بالمعهد بسبب فصله منه لأسباب سياسية , صدر له ديوان شعر سماه : إشراقة , انظر التيجاني يوسف بشير , إشراقة , دار البلد للطباعة و النشر الخرطوم , ط 6 , 1999.

[2] الشيخ أبو شامة عبد المحمود (1884 ــ 1972 م) قاض معلم جمع بين العلم و حفظ القرآن , تولى القضاء و الافتاء ثم رئاسة المعهد العلمي مابين 1943 و 1945 , كان له بالغ الفضل في تطوير المعهد و إضافة مواد للدراسة , انظر عثمان سعد الدين محمد أحمد , تاريخ المعهد العلمي بأم درمان , شركة مطابع السودان للعملة ط1 , 2007.

المباحث الثقافية مسألة علمية جرت بين العبد الفقير والسيد محمد عال العلوي الشنجيطي طالما بسطت هذه المسألة ببينا في بساط المناقشة وأخيرا شاركنا فيها العلامة الشيخ الحافظ المصري نصها أنه وقع خلاف بين العلماء المتأخرين في وجوب زكاة هذه الأوراق المالية التي عمّ التعامل بها الآن سائر أركان المعمورة وعدم وجوب الزكاة فيها كزكاة العين الذهب والفضة ببعض العلماء يرى أنها تنزل منزلة التقريب والنصاب فيها نصاب التعدية بطريق التقويم الذي يختلف أمره باختلاف الأعصار والأمصار وبعضهم يرى أنها تزكى زكاة العروض بمعنى أن المدير يقومها كما يقوم عروض تجارية في آخر السنة وإختلفت آراء العلماء في هذه العصور المتأخرة نظرا وجوب النص الذي سببه حدوث التعامل بهذه الأوراق وأنها لم تكن في عهد الأقدمين فقد تعلقت همة العبد الحقير في مساهمة العلماء بإبداء رأيه في هذه المســـألة التي طالما كانت موطن المناقشة ونص الفتوى الحمد لله وعبده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد فلقد اتسع نطاق الخلاف بين العلماء الأعلام من متأخري أعلام الإسلام في هذا العصر الحاضر في مسألة زكاة هذه الأوراق المالية الرائجة بين الناس رواج الذهب والفضة فبعض العلماء أوجب الزكاة فيها وجعلها تتعلق بعينها و بعضهم أجراها مجرى العروض التجارية والذي يظهر للعبد الحقير وأرجوا من الملك الوهّاب أن يكون هذا الرأي عين الصّواب أن القول الصّحيح هو القائل بوجوب الزكاة في عين هذه الأوراق المالية فإن من تحقق بمقاصد الشريعة الإسلامية السمحة والحجة البيضاء التي يبلها كنهارها في أصل مشروعية الزكاة وأشرقت عليه شمس حكمة هذه المشروعية علم علما يقينا لا يخامره شك ولا ريب بوجوبها في عين هذه الأوراق ذلك أن المقصود من إيجاب هذه الفريضة على المسلم في دائرة التكاليف هو إظهار سماحة الإسلام و إعتناؤه بالإنسانية من حيث كونها إنسانية التي رفع الله قدرها في بساط التكريم ولقد كرمنا بني آدم لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم بدليل جواز إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم وإن كانوا

أغنياء إظهارا لهذه السماحة وكفك الأسير بالفداء مطلقا على مذهب ابن عبد الحكم[1] وإعطاء المدين منها للوفاء بدينه وعتق الرقيق ذكرا أو أنثى سواء كان سالما أو معيبا على ما ذكره اللحمي عن مالك وأصحابه ونقله الباحي عن ابن حبيب عن مالك ومن نتائج هذه السماحة الإسلامية هو الربط الوثيق بين أفراد الشعوب المتنافرة تنافرا طبيعيا جبلت عليه نفوسهم إذ النفس من حيث هي نفس جبولة على حب المال قال تعالى "وتحبون المال حبّا جمّا"[2] فتأكيد المصدربوصفه بعد تأكيد الفعل بمصدره شعر بهذا المعنى على حد قوله تعالى "وكلم الله موسى تكليما"[3] ومن آثار هذه المحبة هو الشح به وكما أن النفوس جبولة على الشح بما لديها من المادة هي أيضا مجبولة على حب من أحسن إليها قال تعالى :" هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان "[4] وما ملك إنسان قلوب الأحرار إلا بالإحسان فلا يقع الإرتباط الوثيق الأدبي والحسي بين الغني والفقير إلا بوجود هذه المشروعية زيادة على هذا أن الزكاة طهارة للمال ولذا حرم منها آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم نظرا لكونها أوساخ لأموال والله يقول : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "[5] على ما في المقام من بحث وجيه الوقت الحاضر .

وأعظم عامل لجلب المنفعة للفقير في هذا الزمان هو تزويده وعدم حرمانه من هذه الأوراق المالية لأنه يتوصل بها لجلب منافعه العاجلة ودفع مضاره كذلك فهو في أشد الحاجات إليها خصوصا أهل الأمصار والمدن أرباب العائلات الكثيرة قال تعالى : "إنما الصدقات للفقراء"[6] الآية فجعل وصف الفقر من أسباب الأخذ من هذه المالية دليل على

---

[1] هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم (187 ــ 257 هــ) مؤرخ من أهل العلم بالحديث , مضري المولد و الوفاة , تولى والده رئاسة جماعة المالكية في مصر , انظر عبد السلام السيد , موسوعة علماء العرب , الأهلية للنشر و التوزيع ط1 , 2005 .

[2] الفجر 20 .

[3] النساء 164 .

[4] الرحمن 60 .

[5] الأحزاب 33.

[6] التوبة 60 .

وجوبها فيها من حيث الإستدلال بالحكم النوعي على الحكم الشخصي لأن وصف الفقر يوجب الأخذ من مطلق زكاة وكونه في خصوص هذه الأوراق هو حكم فردي فقد إستدللنا على وجود الحكم في الهيئة الفردية على وجوده في الهيئة النوعية التي هي الأخذ بوصف الفقر من مطلق والهيئة الفردية هي الأخذ بوصف الفقر من خصوص هذه الأوراق وهذا التقرير جديربالقبول لمن تذوق سر إرتباط الأحكام بالأوصاف وذلك أيضا أن وصف الفقر يزال بمطلق مالية وبالأخص هذه الأوراق الرائجة في جميع العالم البشري رواج الذهب والفضة قال تعالى :" و اعلموا أنّما أمْوالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما إستطعتم واسمعوا وأطيعوا و أنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "[1] فتأمل قوله تعالى فتنة التي تشعر بشدة المعالجة النفسانية وهي مظهر من مظاهر الإمعان وقوله تعالى :" وأنفقوا بعدها التي تدل بمفهومها على سوء مصير من تقاعس عن هذا الطلب وقال تعالى :" خذ من أموالهم صدقة تطهًرهم "[2] الآية فقد أطلق في المال قال ابن العربي رحمه الله تعالى . الآية تبقى على عمومها فيما عداها استثني كالرقيق والبغال والحمير والخيول التي لا تتعلق الزكاة بأعيانها إلا إذا كانت عروض تجارة وأمّا الحصر الوارد في الحديث رواه مالك في الموطأ نصه حدثني عن مالك أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على دمشق في الصدقة إنما الصدقة في الحرث والعين والماشية قال مالك وتكون الصدقة إلا في ثلاثة أشياء في الحرث والعين والماشية[3] .

قال العلامة الباقي لفظ إنما للحصر فيتحمل نفيها عما عدا الثلاثة وإن جاز أن يكون منها ما لا زكاة فيه لكنه لم يقصد بيانه و يحتمل أنه أوقع الثلاثة على ما تجب فيه الزكاة لأنها معظم ماتجب فية كحديث جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا فعبرعن الأرض

[1] الأنفال 28 .

[2] التوبة 103 .

[3] انظر الإمام مالك , الموطأ , كتاب الزكاة ج 1 , ص 579.

باسم التراب لأنه أعظم أجزائها قلت والحصر في الحديث هو كالحصر في قوله تعالى :" قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير "[1] مع أن المحرمات أكثر من أن تحصى إذ المقصود من هذا الحصر في خصوص هذه الأفراد المبالغة في الرد على كفار مكة الذين حرموا على أنفسهم أشياء أجلها الله وكالحصر في قوله تعالى :" اعلموا أن الحياة الدنيا لعب و لهو "[2] فالحصر في الحديث المتقدم وهذه الآيات الشريفة إنما هو حصر إضافي كما هو معلوم عند علماء البلاغة في تقسيم الحصر إلى إضافي وحقيقي فاقتصاره في الحديث على الأنواع الثلاثة وتعبيره بأنها يفيد إخراج ما ورد إخراجه بعبرة من الأدلة السمعية ولما جرى التعامل بهذه الأوراق في هذا الزمان وفق التعامل بالنقدين رأسا تنزل هذه الأوراق منزلها إذ لا غرض للشارع في خصوص هذه النقود بيد أن التعامل السابق كان بها وإنما غرض الشارع أسمى وأعلا من هذا فغرض الشارع كتحقيق عامل الأخوة والرابطة الوثيقة بين الأجناس والشعوب وإزالة الضغينة بين الغني والفقير وهذا الغرض يتحقق لا محالة بالذهب والفضة كما يتحقق بغيرهما مما جرى به التعامل بين الناس حتى أن الحنفية رضي الله عنهم أجازوا قيمة زكاة الفطر أي دفعها من النقود بل قالوا أن هذا أفضل للفقير لأنه أكثر نفعا إليه ويكفيك أن الناس في هذه العصور أنست نفوسهم بالتعامل بهذه الأوراق أكثر من غيرها مما كان أصلا للتعامل والمشاهدة أقوى دليل لأن حامل الذهب أو الفضة لا يأمن على نفسه كما يأمن على نفسه من يحمل هذه الأوراق ولربّما حمل الإنسان معه عدة آلاف ولا يشعر به أحد نظرا لخفتها وكونها قابلة للستر وعلاوة على هذا أن لهذه الأوراق عند كافة الدول العالمية قيمتها الذهبية أو الفضية تحت ضمان السلطان الحاكم بأي ناحية من النواحي العالمية وديعة في البنك الدولي وهو المسؤول بهذا الضمان المالي

---

[1] الأنعام 145.

[2] الحديد 20 .

عند الحاجة إليه ودعوى عدم التوصل إلى هذه القيم الذهبية أو الفضية لا ينهظ حجة لأن هذا الأمر عارض والأمر العارض أهمله الشارع في كثير من الأمور إذ لو كان الأمر العارض يعتد به لما كفى الوضوء لمن إقتحم المشقة فتوضأ والحال أن فرضه التيمم لعلة به لأن المرض عارض لا يعتد به ومعنى عدم الإعتداد به أنه لا يؤثر بطلانا في الوضوء على فرض اقتحام المشقة ولو كان الأمر العارض يعتد به لفقد وجوب الزكاة بالمرة في هذا الزمان نظرا لأخذ الحكومات الضرائب من الرعايا فمن حجة الغني أن يقول أن هذه الضرائب مع أداء الزكاة يجحف بمالي مع أنه عديم الحجة شرفا فهو في آن واحد يؤدي هذه الضريبة بحكم القهر السلطاني و يؤدي الزكاة بحكم الشريعة الإسلامية السمحة ولا يظلم ربك أحدا ولا قائل من العلماء أن هذه الضرائب تغني عن الزكاة على فرض وجود القائل فيكون موضوع هذا القول إذا كان الآخذ لها هو سلطان المسلمين الجائر أما السلطة الأجنبية فلا و الدليل فإن هذه الأوراق لها قيم ذهبية أن الحاج إلى بيت الله الحرام يتسلم هذه القيمة الذهبية من بنك جدة على حسب المالية التي دفعها من الأوراق في بلاده التي تكفيه في مصاريف الذهاب والإيّاب والمتعهد بهذا الصرف النقدي إنما هي الدولة الحاكمة في بلاده كيفما كانت جنسيتها وقد ثبت عن مالك رضي الله عنه أنه قال في باب الصرف منها ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها[1], أن أبتاع بالذهب والفضة والورق نظرة ألم يكف هذا قياسا؟ ألم يترك مالك لأصحابه مجال النظر مفتوحا وإن قيل أن قول مالك مفروض في الرِّبا نقول أن باب الرِّبا وباب الزكاة بينهما من التناسب ما لا يخفى على من إستعرض فروع البابين وحقق النظر فيها فإننا نجد العين الذهب والفضة تتعلق بهما الزكاة ويدخلها الربا بنوعيه و الحبوب تجب فيها الزكاة مع أنها ربوية وهناك سر آخر في الحصر الوارد في الحديث وهو أن الله تعالى لما أوجب الزكاة في أشياء عينها بأشخاصها وندب

[1] المرجع السابق باب الصرف , ص 213.

بالدليل العام إلى صدقة التطوع حيث قال "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون "[1] وقوله أن تفرضوا الله قرضا حسنا "[2] الآية . حصر الزكاة الواجبة في هذه الأعيان لتكون أصلا أدبيا فيها وأيضا أن لهذه الأوراق المالية الأثر البين في الحياة وحياة المجتمع الإنساني فإننا نجدها مظاهر الثروة الواسعة سيما في هذه فإنك تجد الإنسان يصير مالكا بها للعقارات والمساحات الزراعية الواسعة التي هي مطية الثراء الكامل ويتوصل بها الإنسان إلى سائرأغراضه الحيوية بأنجى طريق وصارت أكثر أموال هذا الزمان فإن مال الغني وإن كان معصوما في دائرة حاجياته وضرورياته وكمالياته لكنه تتعلق به مسؤولية كبرى في دائرة الترف والسير مع الزخارف والفقير بجنبه يصدق عليه المثل العربي :شر أهر ذا ناب[3],وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله و صحبه وسلم .

قال الشاعر :

إذا لم تصن عرضا وتخش خالقـــا وتستحي مخلوقا فما شـــئت فأصـــنع[4]

وقال آخر :

إذا لم تخـــش عاقبـــة اللّيـــالي ولم تســـتحي فأصـــنع مـــا تشـــاء

فلا والله مـــافي العـــيش خيـــر ولا الـــدنيا إذا ذهـــب الحيـــاء[5]

---

[1] الحج 77.

[2] التغابن 17.

[3] جاء في مجمع الأمثال للميداني و يعني حلول المصيبة التي لا راد لها , انظر الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري , مجمع الأمثال و الحكم , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دار المعرفة بيروت , ج 1 ص370 .

[4] البيت لأبي دلف العجلي , انظر الذهبي , سير أعلام النبلاء ج 10 ,ص 290.

[5] البيت لأبي تمام , انظر التبريزي , شرح ديوان أبي تمام , ص 167.

وأهل السودان المصري بالرغم من كونهم مالكية يتعاطون سنة القبض في الصلاة وهذه المسألة من المسائل التي كثرت فيها المناقشات بين العلماء وقد روى مالك حديثها في الموطأ قال فيه : وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة .

حدثني يحي عن مالك عن عبد الكريم بن أبي المخارق البصري أنه قال من كلام النبوة إذا لم تستح فأفعل ما شئت ووضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة (يضع اليمنى على اليسرى) وتعجيل الفطر والأستيناء بالشعور[1] , فقوله وضع اليمنى على اليسرى من كلام مالك رضي الله عنه ليس من الحديث وهو أمر مجمع عليه وروى أشهب عن مالك لا بأس به في النافلة و الفريضة وكذا قال أصحاب مالك المدنيون وروى مطرف وابن الماجشون[2] أن مالكا إستحسنه قال ابن عبد البر[3],لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف وهو قول جمهورالصحابة رضي الله عنهم و التابعين كذلك وهو الذي ذكره مالك في الموطأ ولم يحك ابن المنذر[4] وغيره عن مالك غيره وروى عنه أيضا إباحته النافلة لطول القيام وكرهه في الفريضة وروى ابن القاسم عن مالك بالإرسال وصار إليه أكثر أصحابه ونقل ابن الحاجب المالكي[5] أن ذلك حيث تمسك معتمدا لقصد الراحة قال خليل وسدل يديه وهل يجوز القبض في النفل أوان طول وهل كراهته في الفرض للإعتماد أو خيفة إعتقاد وجوبه أو إظهار خشوع تأويلات الحاصل أن في القبض عند المالكية ثلاثة أقوال آخر أحدها الإستحباب مطلقا وهو قول مالك في رواية مطرف وابن

---

[1] انظر الإمام مالك , الموطأ , كتاب الصلاة , باب وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة , ص 100.

[2] ابن ماجشون مفتي المدينة , و أحد تلامذة الإمام مالك توفي عام 213 هـ.انظر الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج 10 , ص 410.

[3] أبوعمر يوسف ابن عبد البر (368 ـ 463 هـ)فقيه مالكي و محدث و مؤرخ أندلسي , يلقب بحافظ المغرب , انظر الزركلي , الأعلام ج 8 , ص 240 .

[4] أبو بكر محمد بن المنذر النيسابوري (242 ـ 463 هـ)صاحب "المبسوط " و " الإجماع " , انظر المرجع السابق ج 5, ص 294 ,و الذهبي , المرجع السابق , ج 14 , ص112.

[5] أبو عمرو عثمان الكردي الأصل المالكي (570 ـ 646 هـ)انظر المرجع السابق ج 23 ,ص 264 ,و الزركلي , الأعلام , , ج 2 ,ص 130

الماحشوب عنه في الواضحة وقول المدنيين من أصحابنا وإختاره غير واحد من المحققين كاللخمى[1] وابن عبد البر وابن الغربي[2]

وابن رشد[3] وابن عبد السّلام[4] وعده ابن رشد في المقدمات من فضائل الصلاة وتبعه عياض في قواعده ونسبه في الإكمال[5] للجمهور وبه قال أئمة المذاهب الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وسفيان الثوري[6] وإسحاق ابن تقوية وأبو ثور[7] وداود بن علي[8] وأبو جعفر جعفر الطبري[9] وغيرهم الثاني إباحته فيهما وهو قول مالك في سماع القرينين[10] وقول أشهب في رسم شك في طوافة من سماع ابن القاسم من جامع العتبية الثالث منعه فيما حكاه الباجي[11] وتبعه ابن عرفة[12] وهو من الشذوذ قال الشيخ أبو عبدالله سي محمد بن أحمد المسناوي في رسالة له في القبض وإذا تقرر الخلاف في أصل القبض كما ترى وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى :" فإن تنازعتم في شيئ فردوه إلى الله

---

[1] علي بن محمد الربعي القيرواني (ت 487 هــ) من فقهاء المذهب المالكي , انظر المرجع السابق ج 5 ,241.

[2] أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي (468 ــ 543 هــ)انظر الذهبي , السير , ج 20 , ص 197 .

[3] أبو الوليد محمد بن أحمد (520 ــ 595 هــ) فيلسوف و قاض و مفكر مالكي المذهب , توفي بمراكش , انظر المرجع السابق ج 21 , ص 309.

[4] العز بن عبد السلام (577 ــ 664 هــ) سلطان العلماء , فقيه شافعي , انظر الزركلي , الأعلام , ج 4 , ص 198.

[5] انظر القاضي عياض , إكمال المعلم بفوائد مسلم , تحقيق يحي إسماعيل , دار الوفاء ط 1 , 1998.

[6] عبد الله سفيان بن سعيد المسروق الثوري (97 ــ 161 هــ) من كبار أئمة الإسلام , انظر الذهبي , المرجع السابق , ج7 , ص 230.

[7] إبراهيم بن خالد أبو ثور الإمام الحافظ مفتي العراق (170 ــ 240 هــ) المرجع السابق ج 12 , ص 73.

[8] أبو سليمان داود بن علي البغدادي المعروف بالأصبهاني (200 ــ 270 هــ) علامة حافظ , انظر المرجع السابق , ج 13 , ص 98.

[9] محمد بن جرير الطبري (224 ــ 310 هــ) انظر المرجع السابق , ج 14 , ص 268.

[10] القرينان عند المالكية هما: أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري (140 ــ204 هــ) و ابن نافع عبد الرحمن بن القاسم (132ــ 191 هــ)لاقتران سماعهما عن الإمام مالك فقد كانا من تلامذته . انظر المرجع السابق ج 9, ص 50 وج 9, ص12, والزركلي, المرجع السابق ج 3 , ص 129.

[11] أبو الوليد سليمان الباجي (403 ــ 474 هــ)فقيه مالكي و محدث و قاض أندلسي , انظر الذهبي , المرجع السابق و ج 18 و ص 535.

[12] ابن عرفة أبو عبد الله بن محمد الورغمي المالكي (716 ــ 803 هــ) إمام جامع الزيتونة في العهد الحفصي , انظر المرجع السابق ج 11 , 548 .

والرسول "[1] وقد وجدنا سُنة رسول الله صلى الله عليه و سلم قد حكمت بمطلوبية القبض في الصلاة بشهادة ما في الموطأ و الصحيحين وغيرهما من الأحاديث السّالمة من الطعن فالواجب الإنتهاء إليها والوقوف عندها والقول بمقتضاها أنه ابن عرفة عياض روى الوافي يمسك بالكف أو بالرسغ واختار شيوخنا قبض اليمنى على رسغ اليسرى ووضع اليمنى على ذراعه اليسرى وابن حبيب[2] ليس لوضعهما موضع معروف القاضي تحت صدره وفوق سرته أن من ابن الحاج على مياره[3].

الرد على الوهابية بإبطال عقائدهم الفاسدة بالأدلة النقلية في إثبات الولاية والوسيلة والكرامة :

هذه الطائفة المبتدعة التي تظن نفسها أنها على شيئ وهو من الحق في مكان سحيق إعلم أن الولاية ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقوله تعالى :" ألا أنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدّنيا والآخرة "[4] . الآية . ومن يدع أن المراد بالآية خصوص الولاية الشرعية المكتسبة بالطاعة والرياضة وينكر المراتب الخاصة التي منحها الله لأوليائه بمحض الفضل والإجتباء فهو بحجير في محل الفضل والإمتنان بدليل قوله تعالى :" والذين آمنوا وكانوا يتقون "[5] جملة مستأنفة وعليه فالآية الكريمة شاملة للولائيين الولاية خاصة كولاية أهل المراتب العليا من أكابر الصديقين وأعلام العارفين الذين فازوا بتلك المراتب السّامية بمحض الفضل والكرم الإلهي ذلك فضل الله يؤته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

[1] النساء 59 .

[2] عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن الصحابي عباس بن مرداس , أحد علماء المالكية (170 ــ 298 هــ)انظر المرجع السابق , ج 12 , ص 103 .

[3] العلامة أبي عبد الله ابن الحاج علي ميارة المالكي (1101 هــ) الخرشي نسبة إلى أبو خراش قرية من البحيرة بمصر , انظر الزركلي , المرجع السابق ج 1 , ص 50.

[4] يونس 62 .

[5] يونس 63.

وشاملة أيضا للولاية الإسلامية العامة التي يتصف بها كل مسلم إمتثل الأوامرالشرعية واجتنب النواهي إذا فالولاية الخاصة غير مكتسبة والولاية العامة مكتسبة بالإكثار من الطاعات.

وأما دليلها من السنة فهوما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر " رواه البخاري ورواه مسلم من رواية عائشة وفي روايتها قال ابن وهب محدثون أي ملهمون وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه و سلم : إن من عباد الله أناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا بأمرهم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[1] وروي عن النبي صلى الله عليه و سلم قال قال تعالى " إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم "[2] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الموضوع وأما الإجماع فقد أجمعت الأمّة على أن من ثبت عند الله بين المسلمين هو مصدق فيما يقول ويدعى لأن عند الله الثابتة التي تواتر أمرها بين المسلمين تنفي عنه إحتمال الكذب وقد ثبت أن كثيرا من الناس ممن تواترت عند الله بين الناس ادعى الولاية وأجرى الله سبحانه وتعالى على يده كثيرا من الكرامات .

الكرامة للأولياء رضي الله عنهم :

أما الكرامة فهي الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله على يد مدعي الصلاح غير مقرون بالتحدي وهي ثابتة بالكتاب والسنة والوقوع الخارجي الذي لا ينكره إلا معاند

---

[1] الحديث مروي عن عمر بن الخطاب , متفق عليه .

[2] قال البخاري حديث مرسل .

مكابر أما دليلها من الكتاب فقوله تعالى سيدتنا مريم عليها السلام " وهُزّي إليك بِجذْع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي "[1] الآية . وقال تعالى :" كلما دخل عليها زكريّا وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب "[2] فكان عليه السلام يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء والأبواب عنها مغلقة وقوله تعالى في أصحاب الكهف :" وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاورعن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشّمال "[3] الآية. ومن أدلة ثبوت الكرامة للأولياء رضي الله عنهم ما حكاه الله عز وجل في سورة النمل مما يتعلق بقصة سيدنا سليمان عليه السلام والملكة بلقيس والذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بين مرخيا[4] الذي آتى بعرش الملكة بلقيس من سبأ باليمن وهذه الملكة بنت شراحيل من نسل يغرب بن قحطان وكان أبوها ملكاعظيم الشأن ولد له أربعون ملكا هي آخرهم فأحضر آصف بن يرخيا المذكور عرش هذه الملكة لسيدنا سليمان عليه السلام في أقرب حين كما حكاه الله تعالى عنه وكان آصف بن يرخيّا صديقا من الأولياء يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ومن الأدلة القرآنية على ثبوت الكرامة للأولياء رضي الله عنهم أحياءا وأمواتا قصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام قال الله تعالى في سورة الكهف " وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحا "[5] فأنت ترى أنهما أعني الغلامين حفظا في أنفسهما وفي مالهما ببركة وصلاح أبيهما وقد قيل أنه أبوهما مباشرة وقيل هو الأب السابع أو

---

[1] مريم 25 .

[2] آل عمران 37 .

[3] الكهف 16.

[4] يجمع العلماء على أنه من أحضر عرش ملكة سبأ و هو أحد علماء بني إسرائيل , انظر محمد بن جرير الطبري , جامع البيان عن تأويل القرآن , تحقيق أحمد محمد شاكر , الناشر مؤسسة الرسالة ط 1 , 2000.

[5] الكهف 82.

العاشر وفيه دليل واضح على أن بركة الأصول الأتقياء تنفع الفروع قال الله تعالى :" والّذين آمنُوا واتبعتهم ذريّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم "[1] الآية . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة رهط عينا سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي[2] الله عنه فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهداة بين عسفان ومكّة ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصّوا آثارهم فلما أحسّ بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا أنزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق منهم خبيب وزيد وغيرهم فتعاهدوا أن لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم بن ثابت أيها القوم أما أنا لا أنزل على ذمّة كافر الأهم أخبر عنا نبيك صلى الله عليه وسلم فرموهم بالنيل فقتلوا عاصما ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد وابن الدنئة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم قال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبكم أن لي بهؤلاء أسوة يريد القتلى فجزوه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد ابن دنئة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فأتباع بنو الحارث بن عامربن نوفل بن عبد مناف خبيبا عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله فاستجار من بعض بنات الحارث موسى يستتجد بها فأجارته فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموسى على يده ففزعت فزعة فقال خبيب بعد أن عرفها أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك قالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب فوالله لقد وجدته يوما يأكل قطفا من عنب في يده وإنه لموثوق بالحديد وما بمكة من ثمرة ...! وكانت تقول أنه لرزق رزقه الله خببيا فلما خرجوا به الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين فركع ركعتين

[1] الطور 21.

[2] حمي الدبر , سبق الحديث عنه.

فقال والله لولا أن تحسبوا أن ما في جزع لزدت اللهم أحصهم عددا وأقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا وقال :

وقال فلست أبالي حين أقتـــل مســلما   على أي جنب كـــان لله مصـــرعي
وذلـــك فـــي ذات إلا لـــه وإن يشـــا   يبارك على أوصال تبلـــو ممـــزع[1]

وكا خبيب هو سنة لكل مسلم قتل صبرا وأخبر يعني النبي صلى الله عليه و سلم أصحابه يوم أصيبوا أخبرهم وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيئ منه يعرف وكان قتل رجل من عظمائهم فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئا .رواه البخاري في صحيحه . فأنظر أيها المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى هذه الكرامة لهذا الصحابي في حال حياته شهدت كافرة بها وهي أكل العنب وهو موثوق بالحديد مع فقد هذه الثمرة من مكة فشهادتها أيضا فضل كما يقولون ما شهدت به الأعداء فضل وحماية عاصم بن ثابت بعد وفاته بالدبر وهي كرامة لهذا السيّد العظيم الجليل بعد وفاته رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين وأولياء الله الصالحين

والكرامـــات مـــنهم معجـــزات   جازها مـــن نـــوال الأوليـــاء

والتصديق بكرامات الأولياء فر ع التصديق بمعجزات الأنبياء لأن الله تعالى من حكمته أن جعل كل واحد من الأولياء رضي الله عنهم على قدم واحد من الأنبياء الكرام عليهم الصّلاة والسّلام فكرامات الأولياء في الحقيقة معجزات مستمرة إلا أنها غير مقرونة بالتحدي وخالق كرامة الولي هو الله الذي لا يحول ولا يزول .

[1] قائل البيتين الصحابي الجليل خبيب بن عدي الأنصاري , وذكر ابن هشام في السيرة كل القصيدة , وذكر البخاري هذين البيتين , انظر البخاري في صحيحه حديث رقم 2880.

الوسيلة :

أما التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء المرسلين وغيرهم من الصّالحين هو جائز لأن من يتوسل إلى الله بنبي أو ولي حي أو ميت لا يريد أن ذلك النبي يخلق ما يطلبه لأن هذا ليس أحد وإنما هو للواحد القهار بل يريد أن الله سبحانه يسهل له مطلبه بحرمة ذلك النبي أو الولي فالتوسل يتعلق بوصف المطلوب الذي هو تعجيل الإجابة بالتحصيل عليه لا بجوهره وإيجاده في حد ذاته وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله وإستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما "[1] ومعنى استغفار الرسول لهم إنما هو طلب غفران ذنوبهم من الله ولا شك أن هذا هو الوسيلة بعينها حيث أنهم يجعلون الرسول واسطة في غفران ذنوبهم وقد أمر النبي عليه الصلاة و السلام الأعمى بالتوسل به صلى الله عليه و سلم وذلك ما أخرجه الترمذي وصححه والنسائي و البيهقي والطبراني بأساليب صحيحة اعترف بها الحفاظ ومن ضمنهم الشوكاني ورووا جميعا عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا أعمى جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم وهم جلوس معه فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصّبر فقال ليس لي قائد وقد شق عليّ فقد بصري فقال له أنت الميضأة فتوضأ فصلي ركعتين ثم قل (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه في) وفي رواية فإن كان لك حاجة فمثل ذلك قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرق بين المجلس حتى دخل علينا بصيرا فكأن لم يكن به ضر[2]. وهو أوضح دليل على الجواز حيث أن النبي صلى الله عليه و سلم أمره أن يتوسل به ولو لم يكن جائزا لما أمره بذلك ومن ادعى أن ذلك خاص بحالة الحياة نقول له ما الفرق بين الحياة والممات ؟ إن كان التوسل بذات المتوسل به فحجتك

---

[1] النساء 64 .

[2] أخرجه الترمذي و صححه الألباني عن حديث عثمان بن حنيف .

باطلة ولك الحق وإن كان التوسل إنما بمكانة الوسيلة وحرمتها عند الله تعالى فذلك لا فرق فيه بين الحياة والممات ومعلوم عند كل عاقل أن مكانة النبي صلى الله عليه و سلم لا تنقص بعد موته بل هي في الزيادة بعد وفاته لأنه ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه وأعلا على أن النبي صلى الله عليه و سلم حي في قبره وكذلك إخوانه الأنبياء والمرسلون بل حتى أولياء الله الصّالحين ومصداق ذلك الكرامات التي ظهرت لهم بعد وفاتهم رضي الله عنهم التي شهد بها الخاص والعام ودليل حياة النبي صلى الله عليه و سلم وإخوانه الأنبياء والمرسلين قوله تعالى :" ولا تحْسِبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربًهم يرزقون "[1] الآية .

وقد أجمع العلماء على أن الأنبياء أعلى درجة وأتم فضيلة من الشهداء فثبت لهم الحياة من باب أولى وهو صلى الله عليه و سلم سيد الشهداء قال عليه الصلاة و السلام : الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون " رواه أبو يعلي والبرهيتي من طرق متعددة من حديث أنس بن مالك وصححه البيهقي و الحافظ السخاوي في القول البديع[2] وقال العلامة المناوي في شرح الجامع الصّغير[3]رجال ثقاة وأيضا قوله صلى الله عليه و سلم حياتي خيرلكم يحدثون ويحدث لكم فإذا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم[4] , رواه ابن سعد في الطبقات من حديث ياسر بن عبدالله المزني مرسلا بسند صحيح وقال بعضهم أنه حسن لإرساله ولا يعترض على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم بفعل عمر بن الخطاب رضي

---

[1] آل عمران 169.

[2] انظر السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ) , القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع , تحقيق بشير محمد عيون , مكتبة المؤيد و مكتبة دار البيان .

[3] فيض القدير في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ,كتاب شرح فيه محمد عبد الرؤوف المناوي (952 ــ 1031 هــ) كتاب الجامع الصغير للسيوطي , انظر الزركلي ج 6 , ص 168 .

[4] الحديث مروي عن أنس بن مالك .

الله عنه حيث توسل بالعباس[1] بعد انتقال النبي صلى الله عليه و سلم للرفيق الأعلى لأن عمر رضي الله عنه إنما فعل ذلك لكونه سنة الإستسقاء ولكون العباس من ذوي الحاجة إلى المطر أو لكون عمر أراد يبين للناس أنه يجوز التوسل بغيره صلى الله عليه و سلم لفضله أو لقرابته منه عليه السّلام أو لخوفه على ضعفاء المسلمين إذا تأخر المطر بعد التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم أو ليدلهم على أن التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل لأن في الصحابة من هو أفضل من العباس كسيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما فليس في فعل عمر هذا دليل على أن التوسل بالنبي ممنوع وقد تبين لك مما ذكرناه من الأدلة أن التوسل بغيره فتوسل سيدنا عمر رضي الله عنه بسيدنا العباس يكفي في ذلك ولا يخفاك الصيغة التي مالها بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وهي اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك :

وأما التوسل بالأعمال الصّالحة فهو أمر يجمع عليه بين كافة العلماء قال الله تعالى " يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة "[2] الآية . وقصة أصحاب الغارالتي ذكرها البخاري في صحيحه[3] دليل على جوازذلك من السنة .

من عقائد الوهابية الزائغة الوقوف عند ظواهرالمتشابه والقول بالجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا :

هذه الطائفة الضالة جعلها الله تعالى فتنة دينية بين الأنام وحياض العقيدة الإسلامية الصحيحة التي عليها مدار مذهب أهل السّنة و الجماعة رضي الله عنهم ترى هؤلاء الفرقة الضالّة يسعون بكل جهودهم في تكدير صفو هذه المشارب بين المسلمين يصدق عليهم قوله تعالى : "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون ألا إنّهم

[1] ذكره البخاري في صحيحه كتاب الجمعة برقم 954 , و كتاب المناقب برقم 3434 .

[2] المائدة 35.

[3] القصة ذكرها البخاري في باب الإجارة , أما مسلم ذكرها في باب الذكر و الدعاء .

هم المفسدون ولكنّ لا يشعرون[1] وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا فتراهم يؤولون الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على حسب أهوائهم الفاسدة وأفكارهم الكاسدة قال الله تعالى في حق هؤلاء الناس وأمثالهم " فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربّنا وما يذكر إلاّ أولوا الألباب "[2] فما تقتضيه طريقة السّلف أن يكون الوقف في الآية على اسم الجلالة وقوله تعالى بعد والراسخون في العلم كلام مستأنف والراسخون مبتدأ وفي العلم متعلق به ويقولون خبره وأمّا طريقة الخلف من أئمة الإسلام فالوقف على قوله أولي الألباب فالراسخون معطوف على إسم الجلالة قال بعضهم و يؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك وما يذكر إلا أولوا الألباب وبيان ذلك أن علماء الإسلام من سلف هذه الأمّة وخلفها إختلف رأيهم في التشابه من القرآن والسنة مع إجماعهم على تنزيله الله تعالى عما لا يليق بجنابه العظيم من أوصاف المثلية لعباده مما يقتضي الجلوس أو الجهة أو الجارحة فهم متفقون في هذه الناحية وإنّما الخلاف بينهم في تصوير هذا التنزيه القدسي للأمة فطريقة السّلف هي ترك المتشابه على ظاهره وتفويض الأمر لله تعالى باعتقاد ظاهر الدليل وتنزيه الله تعالى عما لا يليق به مثلا قوله تعالى "بل يداه مبسوطتان"[3] . الآية يقول السلف نؤمن أن لله يدا حيث أثبتها ظاهر الدليل لكن نفوض أمرها إلى الله تعالى بعد الإعتقاد الجازم أنها ليست كأيدينا و هلم جرا وهذه الطريقة التفويضية أسلم وأما الخلف فإنهم يصرفون الدليل على ظاهره ويؤولون إليه بالقدرة الكاملة مثلا وهي أحكم لأنها في سياط المناظرة تنتج الدليل الواضح الذي يسلمه حتى الكافر .

---

[1] البقرة 11.

[2] آل عمران 07.

[3] المائدة 64.

قال الله تعالى " الرحمن على العرش استوى "[1] لقول السلف استواء يليق به ويفوضون على المتشابه لله تعالى من ذلك قول الإمام مالك رضي الله عنه معنى الإستواء على العرش في حقه تعالى لما سئل عنه قال:(الإستواء معلوم و الكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع)[2], وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة فيقولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون أن المراد بالإستواء الإستواء بالتصرف والقهرفالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والإستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد في اللغة يقال استوى السلطان على الكرسي بمعنى جلس استوى على الأقطار وبمعنى ملك وقهر ومن التأني .

قول الشاعر :

قد استوى بشر علـــى العـــراق　　　من غيــر ســيف ودممهــراق[3]

وحينئذ فالمتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى الثاني المسلم الصّميم هو الذي يؤمن بهذه الأدلة و يعوض الأمر إلى الله تعالى تنزيهه عما لا يليق من صفات المخلوقات وإلى الطريقتين المتقدمتين في تفسير المتشابه به من الكتاب والسنة قال اللغاتي في جوهرته :

وكـــل نـــص أوهـــم التشـــبيه　　　أولـــه أو فـــوض ورم تنزيهـــا[4]

قال الإمام بن غائم المقدسي :

قـــل لمـــن يفهـــم عنـــي مـــا أقـــول　　　قصر القـــول فـــذا شـــرح يطـــول

---

[1] طه 05 .

[2] ذكره الحافظ البيهقي في الأسماء و الصفات , انظر البيهقي أبو بكر الحافظ , الأسماء و الصفات , تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي , مكتبة السوادي , جدة ط 1 , 1993 .ص 596.

[3] البيت للأخطل , الأخطل , ديوان الأخطل ص 140.

[4] انظر اللقاني , جوهرة التوحيد , البيت 40.

ثـــم ســـر غـــامض مـــن دونــــه ضــــربت والله أعنـــاق الفحـــول
أنــــت لا تعـــــرف إيـــــاك ولا تدري من أنت ولا كيف الوصـــول
أيـــن منـــك الـــروح فـــي جوهرهـــا هل تراها هل ترى كيـف تجـول
أيـــن منـــك العقـــل والفهـــم إذا غلب النوم فقـل لـــي يـــا جهـول
أنـــت لا تـــدري صـــفات ركبـــت فيك حارت فـــي خفاياهـــا العقـول
أنـــت أكـــل الخبـــز لا تعرفــــه كيف يجري منك أم كيـــف تبـــول
هــــذه الأنفــــاس لا تحصـــــرها لا ولا تـــدري متـــى منـــك تـــزول
فـــــإذا كانـــــت طوايــــاك التــــي بـــين جنســـك أنـــت بهـــا ضـــلول
كيف تدري من على العرش اســتوى لا تقل كيف استوى كيـــف النـــزول
إن تقـــــل كيــــف فقـــــد مثلتــــه أو تقل أين فقـــد رمـــت الحلـــول
هــــو لا ابــــن ولا كيــــف لـــــه وهو رب الكيف والكيـــف يحـــول
وهـــو فـــوق الفـــوق لا فـــوق لـــه وهو في كـــل النـــواحي لا يـــزول
جــــل ذاتـــــا وصـــــفاتا وســــما وتعــــالى جـــده عمــــا تقـــول[1]

وقد اختلف رضي الله عنهم في معنى الحكم والمتشابه على أقوال كثيرة الأولى منها أن الحكم هو الواضح المعنى يعني ما كانت دلالة لفظه على معناه واضحة أما باعتبار نفسه أو باعتبارغيره والمتشابه ما لا يتضح معناه أولا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره.

وأعلم السّلف والخلف يتفقان على التأويل الإجمالي بصرف الدليل عن ظاهره للموسم للمحال عليه تعالى لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك النص و عدم التعيين

[1] عبد السلام عز الدين بن أحمد بن غانم المقدسي واعظ له نظم و نثر توفي بالقاهرة عام (678 هــ / 1280 م) من كتبه تفليس إبليس , انظر الزركلي , الأعلام ج 3 , 355.

وسبب هذا الخلاف كما تقدم هو إختلافهم في الوقف في الآية الكريمة هل هو على أنهم الجلالة أو على قوله "وما يذكر إلا أولوا الألباب"[1] وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية[2] :اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في أي الكتاب ما يصح من السنة وذهب أئمة السّلف إلى الإنكفاف عن التأويل وإجراء الظواهرعلى مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى والذي نرتضيه وأيّا وندين لله به عقيدة أتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما ولا شك أن يكون إهتمامهم به فوق إهتمامهم بفروع الشريعة وإذا التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع وقال أصحاب القرن الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثورى والأوزاعي[3] ومالك واللّيث[4] والشافعي وأحمد ومن عاصرهم وكذا من أخذ عنهم زمن الأئمة فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشّريعة وأرباب هذه الطائفة الوهابية يتسترون في بث عقيدتهم الفاسدة بين المسلمين بأنهم حنابلة وحاشا الإمام أحمد بن حنبل أن يعتقد غير عقيدة السّلف الصّالح كما تقدم وهم في ذلك على عقيدة محمد بن عبد الوهاب التابع لابن تيمية ومن المعلوم أن بلاد نجد هي مصدر الشرورالإسلامية سلفا وخلفا روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : ذ كر النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم وبارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا فأظن قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان[5] .

---

[1] البقرة 269.

[2] هو أبو المعالي عبد الملك بن حيوة الحويني , الملقب بإمام الحرمين (419 ــ 478 هــ) فقيه شافعي , من أهم ما ألف : الرسالة النظامية في الأركان الإسلامية , انظر بوعليش إكرام , العقيدة النظامية لأبي المعالي الحويني , مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية , 1435.

[3] عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي (88 ــ 175 هــ), انظر الذهبي , السير , ج 7 , ص 108 .

[4] الليث بن سعد بن عبد الرحمن , عالم الديار المصرية (94 / 175 هــ) انظر المرجع السابق , ج 8 , ص 137.

[5] عن ابن عمر رضي الله عنهما , ذكره البخاري في باب الفتن .

النهضة التجانية بالسودان المصري :

لا شك وأنك أيها القارئ اللبيب أخذت معلما مما تقدم لك من أسفار سيَّدنا رضي الله عنه في نواحي إفريقيا الغربية من النهضة التجانية الجديدة التي حلت بالديار التجانية من هذه الأقطار واستشرقت مطلعا على نتائج هذه الزيارة الميمونة في نفسها وبآثارها يمينا حلت البركات التي تنذر بخير المستقبل لهذه الطائفة الأحمدية التجانية بفضل هذا السيد العظيم الذي نزل وابله بعد شدة المحل وطول الجدب جاء سيَّدنا رضي الله عنه السّودان وغيره من الأراضي الإفريقية تحت وازع النصيحة ومدفوعا بدافع الإخلاص في القول والعمل وجد إخواننا التجانيين من أهل السودان المصري أمة مخلصة للجناب الأحمدي الماضوي طالما تخيلت طيف منام من أشباح ملك الديار وهبوب ريح مغربية تطفئ عنهم من لهيب الإشتياق الذي تكنه صدورهم وطالما التمسوا ترياق المعالجة حتى ظفروا بضالتهم المنشودة والطائفة التجانية هي إن كانت في نفسها سواد في البلاد له قيمته الأدبية في المجتمع السوداني لكن هذه القيمة مستورة تحت حجاب الهيئة الوطنية من أرباب الطريقتين السائدتين في القطر وهي المرغانية من جهة, و المهدية من أخرى بفضل وجود المراجع العليا لهاتين الطريقتين من نفس الوطن ومن المعلوم أن كل شخص لا يذود إلا على حياضه والشخصية التجانية السودانية كاملة في نفسها من حيث المعنى الأدبي الذي تدين لله به و هي في هذا الميدان لا يجاريها غيرها من أهل الطرق الأخرى رغم وجود المعرض الوطني فاستعرضت الطلعة العمرية تحت ظل ذكائها هذه المعاني الجوهرية ودرست الحالة التجانية أصولا وفروعا فعمدت إلى حسن الهيئة التجانية من جميع نواحيها فعمدت إلى جمع كلمة الإخوان التجانية بتأسيس لجان تجانية, تتركب كل لجنة من رئيس ونائبه وكاتب للجمعية ونائبه والأعضاء , فكل لجنة من هذه اللجان في أي بلدة من بلاد السودان تمثل هذه اللجنة برئيسها الهيئة التجانية في تلكم البلاد, وظيفة هذه اللجان هي النظر في المصالح التجانية والتي عليها يرفع إلى الهيئة التجانية من تحسين

وتأسيس كالنظر في أحوال الزوايا التجانية من إنشاء زاوية في الحل الذي محتاج أهله إلى زاوية يذكرون فيها الوظيفة , وتقام بها الصّلوات الخمس وتعمير الزوايا بقراءة القرآن الكريم, وما يجب معرفته من علوم الدين أو تحسين زاوية تصدعت أركانها وآل إلى السّقوط بنيانها, فهذه المهمة الأصلية لهذه اللجان, و هناك مهمات أخرى فرعيّة تنظر فيها اللجان عند حدوثها تحت الرقابة الرئيسية كل مهمة يقع فيها النظرعلى ما يقتضيه الحال والرئيس الأعلا لهذه اللجان كلها هو سيدنا ومولانا إبنعمر رضي الله عنه قال الشاعر :

لو منح عود على قــوم عصــارته   لمج عودك فينا المســك والبانــا[1]

وقال الآخر :

أبــاح الــدمع أســراري بــوادي   له فــي الحســين آثــار بــوادي

فمن نهر يطــوف بكــل روض   ومن روض يــرف بكــل وادي

ومــن بــين الضــياء مهــاة أنــس   سبت له وقــد ملكــت فــؤادي[2]

وقد تلقى إخواننا التجانية ما دعاهم إليه سيدنا من الوحدة و السير نحو الكمال, بغاية القبول والإجلال فتألفت اللجان من التجانية في سائر بلدان السودان , وانتخب الرؤساء ونوابهم والأعضاء في كل جمعية, وساد النظام على كافة الهيئة التجانية بالقطر المذكور العزيز الذي يبشر بسعادة المستقبل الأحمدي في هذه الأصقاع وغيرها من نظم هذه التأسيس العمري , إن لجنة أم درمان والخرطوم في الحقيقة هي المشرفة على اللجان الخارجية بقطر السودان , وسيعقد اجتماع عام يحوي مندوبي اللجان بأكملها في كل سنة

[1] البيت لحماد عجرد(ت 161 هــ) , انظر المرجع السابق ج 7 , ص 157 .

[2] الأبيات لحمدة بنت زياد بن تقي العوفي (ت 600هــ) شاعرة أندلسية تلقب بحمدة بنت المؤدب , انظر عبد الرحمن السيوطي , نزهة الجلساء في أشعار النساء , تحقيق صلاح الدين المنجد , دار العارف للطباعة و النشر, ص 88.

, يقع هذا الاجتماع العام المشترك في عاصمة أم درمان والخرطوم تدرس فيه حالة الهيئة التجانية بكافة قطر السودان بصفة عامة وتعرض فيه نتائج أعمال هذه اللجان لتكون كل لجنة على بينة من أمرها من جهة المعنى الديني والأدبي والإقتصادي وفي كل لجنة من هذه اللجان في اختلاف البلدان لها زيارة على الرئيس ونائبه والكاتب ونائبه, أمين مال تدفع إليه الاشتراكات الفرضية والتبرعات من ذوي الهمم تصرف هذه الأموال في المشاريع الدينية من تأسيس وتحسين للزوايا التجانية لترجح الكفة التجانية من الوجهة النظامية الأدبية كما هي راجحة في كافة أقطار الإسلام من الوجهة الدينية , ولله الحمد وله المنة وما التوفيق إلا بالله عليه توكلت وعليه أنيب, فإن الهيئة الإجتماعية التجانية بالسودان لها معناها الأدب العظيم يشعر به كل ذي عقل سليم ولذا ترى أرباب الطرق الأخرى من الوطنيين كشيخ الطائفة المرغنية الختمية ولشيخ الطائفة أنصار المهدي تود كل واحدة من الطائفتين أن تنحاز إلى جانبها الهيئة التجانية لتعزز بها جانبها وتفوز بها على الأخرى في سبيل تسديد مصالحهم الشخصية , لكن الهيئة التجانية بما أنها تفضل الوجهة الدينية على الوجهة الشخصية, تراها واقفة وقف الحياد شاعرة بمبدئها الخالص قاصدة منتهاها آخذة بزمام المطية بسم الله مجراها ومرساها, ومن حسن نيتهم وجليل إخلاصهم أن فيض الله لهم بسابق العناية الأزلية والسعادة الإلهية قدوم هذه الطلعة البدرية , فنصرتهم نصر الطائفة البدرية فجمعت شتاتهم بعد التفرق وأجرت سيولهم بعد الجفاف بوابلها المدفق والآن ولله الحمد هم في انتظام بين جد واجتهاد وإبرام وإحكام ,حتى علت معالمهم على السهول والآكام ,وظفروا بمرادهم بين الخاص والعام من أيد الأمراء والحكام بفضل وجود ذلك الإمام الهمام :

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء[1]

[1] الأبيات من همزية البوصيري .

ورئيس اللجنة الأمدرمانية الخرطومية هو العالم العلامة الدراكة الفهامة المدرس بالمعهد العلمي بأم درمان سي مجذوب دثر بن العالم العلامة.

والأصل الفضل كلاهما من كبار التجانية بهذه الأقطار وأمرها شائع ذائع في كل الأمصار والأعصار وكان والد السيد المذكور بينه وبين العلامة الشيخ سي أحمد سيكرج الفاسي المغربي علامة بطريق الرسائل تلكم الرسائل القيمة التي تكتب بماء الذهب إن فقد ماء العيون والتي تدل فحواها على قيمة الرجلين جزاهما الله عن الإسلام والطريقة التجانية خيرا والسيد مدثر قد إجتمع بالعالم العلامة الشيخ سي الفاهم هاشم الفوشي أمين المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وعنه أخذ ما أخذ من شيوخه الكبار و قد ترجم له ترجمة تليق بأمثاله, وقد أختير هذا السيد لهذه الرياسة لكونه جدير بهذا المنصب الجليل بين الحقير والجليل لماله من الأخلاق الكريمة التي قل أن توجد في غيره.

والناس أكبرمن أن يمدحوا رجــلا   حتــى يــروا عليــه آثــار الكمــال[1]

ونائب الرئيس هو العالم الأديب اللوذعي النجيب, الذي هو لكل خير قريب و بكل فضيلة يسعى وعن كل رذيلة ينأى, بيته بيت علم قديم التجاني من القلب الصميم السيد الحسن الطيِّب من آل هاشم القاضي الشرعي الآن على عاصمة الخرطوم ,الساكن بعاصمة أم درمان الذي تقدم لنا ابن سيِّدنا رضي الله عنه نزل بيته الكريم وكاتب هذه اللجنة الميمونة هو الأديب الفاضل المتأهل لذلك الخير بفعل الملك القدير السيد عبدالله النحاس, ونائبه الفاضل المحترم اللبيب السيد محمود على جاد وأمين المال هو الفاضل المحترم والخير صاحب الفواصل والفضائل ,السيِّد الحاج موسى زين العابدين ونائبه هو

---

[1] ذكر البيت في نيل الابتهاج دون نسبة و بالرواية التالية : و الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا   مالـــم يروا عنده آثار إحســـانا   انظر الجزري أبي السعادات المبارك (ابن الأثير) توفي 606 هــ نيل الابتهاج بتطريز الديباج , تحقيق محمود خفاجي , المكتبة الاسلامية , ص 288.

الأجل الشخصية الفاضلة السيِّد عثمان توفيق حمّاد , وأما الأعفاء الكرام ذو الهمة والاحترام هم السادة الشيخ عمر سليمان بابكر زروق ، با يكر سليمان ، عبد الله عمر الساوري ، عبدالله عباس الشيخ أحمد محمد الإمام بحيري ، علي أبو القاسم ابراهيم عرديب حسن صالح ، الشيخ الجعيلي ، عبدالله الحاج حسن ، السيد مصطفى السيّد محمد التجاني ، السيد عبد الرحيم ، السيد محمد التجاني .

خلاصة عامة تتعلق بأحوال السودان المصري من نواح شتى :

أما حالة السودان فهي كغيره من الأقطار, بين تغيير وتبديل وإجمال وتفصيل , وقد ظهر جليا لك أيها القارئ أن أهل السودان المصري أخذوا حظهم الثقافي بفضل وجود المعاهد العلمية , التي لا تخلو منها بلدة, فإنك بزيارة على معهد أم درمان العلمي الكبير الذي تقدم الكلام عنه والذي تخرج منه فحول في الشريعة الإسلامية والأدب العربي, فإنك تجد بجميع البلدان الكبيرة بالسودان مدارس بالعربية والإنقليزية وكذلك تجد في السودان مدارس صناعية كبرى جامعة الثقافة باللغتين في أم درمان والخرطوم بحري والخرطوم, وقد تخرج من هذه المدارس العليا الثقافية محامون وأطباء يشتغلون في وطنهم بين أفراد جنسهم ومن المدارس الصناعية تخرج فاس يتعاطون أنواع الصناعات الوطنية التي أوجب معرفتها الوقت الحاضر, كمعرفة تسيير الكهرباء وتصليح السيّارات وهلم جرا ,ويوجد أيضا في بلدة اتبرة مدرسة من هذا النوع الصناعي وللسودان علاقات تجارية مع مصر وإنقلترا والخارج من بقية الأقطار الأجنبية تصدر العاج و ريش النعام وجلود الأنمر وجلود البقر والغنم و الإبل ويكثر بهذه الأوطان المواشي والبقر والغنم والإبل, والبقر هو الكثير أما الصّناعة الوطنية فإنها رائجة بين أهل البلاد وكذلك صناعة الأحذية للرجال والنساء وأقمشة من صنع السودان و البساط من شعير الإبل, والحاصلات الزراعية للوطن هي الأرز والدخن والذرة بأنواعها وحب السمسم الذي يعتصر منه الزيت وهذه الزراعة بالخصوص كثيرة في هذه البلاد, ويوجد السمق العربي بكثرة في السودان

يجلب منه للخارج ,وتكثر زراعة الذرة والدخن خصوصا في جهة كسلاء وأشواك الفضارف, فإن أهل هذه الأوطان لهم عناية خاصة بهذه الزراعة الفوتية ,وقد سبق لنا أن المساحة الوحيدة للزراعات التي لا يجاريها مكان في هذه البلدان هي جزيرة واد مدني خصوصا في زراعة القطن الذي هو الثروة الوحيدة لهذه الديار نظرا لرغبة الخارج فيه , ويوجد زراعة الموز وشجرة البن القهوة في النواحي الجنوبية للسودان أعني المجوس, فإن النواحي الجنوبية للسودان أخصب في النواحي الشمالية لكثرة أمطارالأولى وقلة أمطار الثانية فإن الجهة الشمالية للسودان لولا مياه النيل الأبيض والأزرق ماهي إلا صحراء قاحلة بيد أن الزراعة فيها تكثر على سواحل النيلين بفضل المياه السيّالة التي لا تنقطع وبفضل المشاريع الجديدة التي أحكمت أمرها الحكومة الإنقليزية فقد أصبحت النواحي الشمالية تتمتع بخطها الزراعي وأهل السودان يتعاطون أمر التجارة والزراعة بجد واجتهاد لو ساعدتهم الظروف تمام المساعدة , لكنهم لم يعدموا حظّا في ميدان المعترك الحيوي وهم أهل عقيدة صادقة في الإسلام وأهل التصوف يعظمون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم غاية التعظيم والتكريم وتراهم ينتصرون للتصوف أكثر من انتصارهم لمصالحهم الشخصية مما يدل على صدق العزيمة, وغالبهم متقيد بطريقة من طرق المشائخ رضي الله عنهم و سيأتي التعرض للطرق في السودان, وتراهم يكرمون العلماء ولهم شعور ثقافي جلي فيهم , يتقادمون للخير بسرعة وللشر يقادون بالسلاسل, وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين, وحسن الظن بعباد الله أدب كل مسلم .

وأكثر أمراض السودان مرض الحمى الذي تسمى بالإنقليزية MALARIA سببه وجود الناموس, وفي بعض الأمكنة القريبة ضمن مجاري المياه ,ومن العجائب أنه يوجد في جهة بلدة الحوات[1] مرض يقال له الفرنديد[1] سببه دود يدخل مبدئيا من أسفل رجل

[1] الحواته ثاني أكبر مدينة في ولاية القضاريف جنوب السودان .

الإنسان, ولا يزال هذا الدود يسري في ساق الإنسان من دون شعور حتى يصل إلى الفخذ, وإذا ترك وتغافل عنه الإنسان ربما وصل إلى إبطيه أو عم سائر جسده إذا لم يسرع بمعالجته, وينشأ هذا المرض على ما قيل من شرب المياه الراكدة المختلطة بأبوال المواشي والبهائم في البادية وذلك في إبان انقطاع الأمطار ,أما إذا كانت المجاري المائية سيالة بالأمطار تزول تلك العفونات ولا يبقى لهذا المرض أثر البتة, وانظر أيها الأخ مافي الماء الجاري من المصلحة ومافي الراكد من المفسدة, حتى أن الفقهاء رضو في باب الطهارة على أن التطهر بالماء الراكد مكروه مع وجود غيره , وذكروا ما في ذلك من المصلحة الطبية ما ذكروا, قال خليل وكره ماء راكد يعني غير جار قالوا ولو كان كثيرا ما لا يستبخر أو تكن له مادة, فمن سماحة الإسلام أنه يحتاط للمتعبد أكثر من إحتياطه للعبادة .

(علاج هذا المرض) وصفة علاج هذا المرض السيئ , أنه يعمد إلى فتح الرجل الذي دخلت منه هذه الديدان لأنها لما تتمكن من الإنسان تجعل فيه مثل الخيط الطويل منها وبعد جذب هذا الخيط قليلا لخارج الساق, يعمد هذا المعالج إلى تتبع هذا الخيط بالكي بالنار على طول السّاق , فلما تحس هذه الديدان لا تزال تخرج من الخيط المذكور بعضها يتابع بعضا حتى يخرج من ساق الإنسان خيط طوله مقدار ذراع أو ذراعين , على حسب المبادرة بالعلاج أو تأخره , ويتكبد أهل هذه القرية وهي الحواتة من خيط كسلا[2] مشاق عظيمة من هذا المرض المؤلم .

وبعاصمة أم درمان والخرطوم عدة جرائد وطنية تصدر باللغة العربية, بعضها أسبوعية وبعضها يومية وهي جريدة الأمة , صوت السودان, السودان الجديد, النيل,

[1] الفرنديد و يقال له كذلك داء التنينات أو دودة غينيا , مرض طفيلي يحدث بعدوى دودة تنتقل عن طريق شرب ماء ملوث بالدودة أو يرقاتها , لا يوجد دواء أو لقاح لهذا الداء إلى غاية عصرنا هذا . انظر ماهي الدودة الغينية ؟ الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية , 28 ,10 , 2011.

[2] كسلا جنوب شرق السودان على ارتفاع 496 متر .

الصراحة, المستقبل, التلغراف, الرأي العام, المؤتمر كردفان, وأهل الوطن بعضهم تراه أسود حالك كبقية الأقطار السودانية من أهل إفريقيا الغربية والاستوائية, وهؤلاء هم سكان الوطن الأصليون وبعضهم تراه أسمر سمرة مقبولة, وهؤلاء أغلبهم اندمجوا بحكم المصاهرة القديمة مع الوطن وأهله, فإن غالب هؤلاء تجدهم جاءوا من الجزيرة العربية من عهد قديم واستقروا بالسودان خصوصا بعد الفتوح الإسلامية, التي آخت بين الشعوب رغم تباين أشكالها وتباعد بلدانها وتجد بالسوادين كثيرا من الفلاته ,غالبهم يسكنون البوادي في الحالات البعيدة من المدن و بعضهم في القرى, وتراهم في غاية المحافظة على هيئتهم الشعبية بالانضمام إلى بعضهم بعضا تقوية لشوكتهم في هذه الأقطار, وتوجد قبائل الفلاته خصوصا في خط كسلا والشواك والقضارف بكثرة في بوادي هذا الخط, يشتغلون بالزراعة قرب حلاتهم , والحلة عند أهل السودان يطلق على جمع من البيوت في البادية , يتكون من هذا الجمع قبيلة وهو الموافق للإطلاق العربي , قال خليل في باب الصلاة في فصل صلاة المسافر والعمود في حلته في كلامه على مبدأ القصر الذي يختلف باختلاف الشخص المسافر, والحلة بكسر الحاء يعني محلته وهي منزل قومه , فالحلة والمنزل بمعنى وكذا توجد قبائل الضلان في الناحية الجنوبية من القطر السوداني المصري في طريق بلدة الرصيرص[1] , لبعدها لأنها تبعد على نحو 400 كم في الجهة الجنوبية قد اكتفى عند زيارة هذه البلدة و نواحيها التي توجد بها الطائفة التجانية بكثرة في القرى في البوادي , اكتفى سيدنا بمراسلتهم بعدة رسائل مدارها على النصيحة الدينية , وملازمة ذكر أولاد التجانية والمحافظة على الصلوات والاعتصام بحبل الدين الإسلامي , وتعمير المساجد , وقراءة الوظيفة التجانية صباحا ومساء , أو في أحد الوقتين كاف.

[1] تقع في منطقة النيل الأزرق جنوب السودان .

وأرسل عدة إجازات في إعطاء الطريقة لمن تأهل, لإعطائها فقد أرسل السيد علي موسى الفلاتي الساكن في بلدة ميرنو للفلاته ,على اختلاف أماكنهم فأبلغ الرسالة وأجاد في الدلالة جزاه الله خيرا, وأرسل إلى أهل الرصيرص الذي طالما وعدوا في زيارة لهم ابتغاء النظر في طلعته الزكية , لأن الأمور تحت التصاريف الإلهية لا دخل فيها لمخلوق أرسل إليهم عدة رسائل وعظية وإجازات لنشر الطريقة التجانية بواسطة السيد محمد الضوي التاجر بالرصيرص, الذي قام بهذه الأمانة العمرية أحسن قيام, وبذلك لم يفت هؤلاء الناس بما فاز به غيرهم من الإخوان السودانية, الذين ظفروا بزيارة سيِّدنا رضي الله عنه لبلدانهم وكل ميسر لما خلق له, وقد نشر سيدنا الطريقة في هذه الأراضي الغربية والشرقية من أقطار السودان من عاصمة دكار بقطر السنغال ,إلى عاصمة كنصاصة من الكنغو البلجيكي إلى بورت سودان من قطر السودان المصري, وحتى الأماكن الجزئية التي لم يصل إليها , اكتفى بنشر الطريقة فيها مكاتبة ومشافهة , في الأماكن التي أكن لأهلها الأباعد أن يجتمعوا بسيدنا فيها ورجعوا لهداية أقوامهم بالأمانة التجانية, التي لم يفز بها إلا السّعيد ,قال سيدنا الشيخ رضي الله عنهم كل أعمار الناس ذهبت مجانا, إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق[1] فإنهم فازوا بخير الدنيا والآخرة , وناهيك بها من بشرى وقال قل للمقبل عن إنما الإقبال منا, وقل للمدبر منا إنما الإدبار منّا, وقال تحدثا بنعمة الله لما سئل عما ناله أصحابه من المزايا هل ذلك من صلاة الفاتح أم من غيرها, فقال للسائل من أصلنا ولله الحمد, إلى غير ذلك من المزايا العظام التي قصرت عن إدراك شأوها أكابر الأعلام .

ولنرجع إلى مسألة الجنسيات في السودان, قلنا أن الجنس الأسود الحالك هم سكان الوطن الأصليون, والجنس الأسمر هم طوائف عربية جاءت من الحجاز إلى السّودان, وبحكم الاختلاط العنصري مع أهل الوطن بسبب المصاهرة غلبت عليهم هذه السّمرة ,

[1] يقصد صلاة الفاتح.

ويوجد بينهم البيض لكنهم من القلة بمكان أصلهم من الأقطار المصرية ومن عرب الحجاز الجدد ومن بقايا الأتراك لأن الدولة التركية كانت حاكمة على السودان المصري مدة طويلة, والذي نلفت نظرك السديد إليه أيها القارئ ,أنه يوجد من بين الأجانب القاطنين بالسودان قبائل من هوسة أصلهم من نيجيريا, استوطنوا السودان منذ مدة ولكن أهل الوطن يطلقون عليهم لفظ فلاته فإن اسم فلاته عند أهل السودان يشمل جميع الأجانب ,السودان من فلاته أنفسهم ومن هوصة ومن قبائل أخرى جاءت من جهة السودان الفرنسي الغربي, استوطنت السودان المصري, ومن الأمر الغريب أن أهل السودان المصري الأصليين يأنفون من فلاته ولا تطيب نفوسهم إليهم, ويرون أن الشعب الفلاتي شعب منحط بدعوى أن الفلاته سمرة ويتعاطون أمر الأوفاق والطلاسم , ويدعون أمورا من سر الحرف لاعلم لهم بها, وبذلك أكلوا أموال الناس بالباطل وحرفوا الحق , لكن أخذ هذا المعنى على إطلاقه وتشويه عرض الصالح بما جناه الطالح ليس ما يستحسن, بل لا تقتضيه الإنسانية لأن الإنسان المحق يزن نفسه قبل أن يوزن غيره, فإذا كان ميزانه في نفسه صحيحا معتدل الكفتين إذ ذاك يعمد إلى وزن غيره إن كان ولا بد , فحسن الظن بعباد الله أولى , إذ من المعلوم أنه يوجد من بين قبائل الفلات علماء أجلاء وصالحون أفاضل والحق أحق أن يتبع, من هنا تعلم أيها القارئ قدر جناية الغريب إذا كان في أوطان الناس فجنايتة ليست قاصرة على نفسه بل يجر الوبال وسوء الظن بجميع عشيرته .

أما من الناحية الإدارية فإن السودان المصري أصله مشترك بين الحكومة المصرية والحكومة الإنقليزية من الناحية الإدارية , هذا أصل وضعه ولكن الآن السيطرة الإنقليزية هي السائدة في الوطن ولها التصرف الواسع, وترى فوق سطوح جميع الإدارات الحكومية العلمين الإنقليزي بوصفه والمصري, هلاله الأبيض في اخضراره الجميل , أما المشاريع الحكومية المصرية أسست خزان جبل أولياء الذي يحصر كميات وافرة من مياه النيلين

لأجل المصالح والمشاريع داخله , تحت عنوان الري المصري ولهم إدارات بالخرطوم يشتغل بها بعض إخواننا من المصريين, منهم الرجل الصالح الحازم اللبيب الفاني في محبة الشيخ رضي الله عنه السيد فريد, وهو من أجل من عرفناه من أهل مصر بالخرطوم وهو من أتباع الشيخ سي محمد الحافظ, وقد حاز هذا السيد من الأخلاق الجميلة والمزايا الجليلة ما خوله أن يعد في زمرة الأخيار , وله أولاد صالحون ومن مزايا الحكومة المصرية بالسودان تأسيس الجامع الكبير الذي بالخرطوم , وهي بصدد بناء جامع آخر بالخرطوم أيضا, وقد أسست أيضا كلية كبرى للعلوم العربية والإنقليزية بالخرطوم , وأسست جامعا ببلدة جوبة في أفحال المجوس بجنوب السودان, وهذا الجامع له التأثير العميق من ناحية الدعاية الإسلامية بين المجوس الذين دخلوا إلى الإسلام بكثرة, بل منهم بعد المتفاقه للإسلام عقد الرحلة إلى القاهرة لتلقي العلوم الإسلامية بالأزهر الشريف تحت السعاف الحكومية المصرية, وقد فتح العاجل فإن أبواب المجوس كانت قبل تأسيس هذا الجامع مغلقة في وجه الإسلام تحت تأثير الدعاية الإسلامية أو المسيحية عفوا , حتى أن أهل الدين القائمين بالدعاية الإسلامية طالما نهوا من التجول بالنواحي الجنوبية خوفا من تسرب الإسلام للمجوس, ولكن الآن ولله الحمد قد فتحت الأبواب المغلقة نوعا ما والمستقبل كما قلنا يبشر بالخير , وقد قدمت الحكومة المصرية إسعافاتها المتكررة لتجديد عدة جوامع من مساجد وجوامع بقطر السودان قد تصدعت أركانها, فبنوها وأحكموا بنيانها من جديد, وكل ذلك على نفقات الدولة المصرية و لها اليد الطولى على وطن السودان من الجهة الثقافية خصوصا الإسلامية والإحسان للفقراء و بث الروح العلمية بينهم , و يوجد بالخرطوم مكتب عظيم يرأسه خبير مصري اقتصادي في سبيل ترقية الصناعة الوطنية والتجارة الوطنية السودانية, ويوجد الآن بالقاهرة آلاف من طلبة السودان يزاولون العلوم الإسلامية وغيرها تحت ظل الحكومة المصرية بإسعافها التام لهؤلاء الغرباء وكان قبل استيلاء الحكومة التركية على السودان المصري يرأس هذه

الطوائف السودانية أمراء وطنيون تسمى إمارة هؤلاء بالسلطنة الزرقاء , وعاصمتها بلدة سنارد بعد هذه الإمارة الوطنية التي هي في الحقيقة تتعدد أمراؤها بتعدد القبائل , استوت الحكومة التركية على السودان وصارت هي الحاكمة في هذه القطعة الإفريقية الشرقية , وكانت عاصمة السودان وقت التركية هي الخرطوم وبور وميناء الوطن هي بلدة سواكن التي تقع على سواحل البحر الأحمر, أما ميناء بور تسودان فهو من تأسيس الدولة الإنقليزية فقط هو حديث العهد, وكان النائب عن الدولة التركية في السودان بصفته حاكم عام هو غردون[1] باشا , وجنسيته إنقليزية , وكان محل إقامة غردون هي مدينة الخرطوم عاصمة السودان الحالية , وكان المعين غردون المذكور في مهمته الرئيسية على السودان رجل نمساوي الجنسية وذلك بأمر من الحكومة التركية , واسم هذا الرجل النمساوي سلاطين Salatine وبوغتت الحكومة التركية بفتنة المهدية بين قبائل السودان, ودعى الناس إلى التصويف بهذه الدعوة طوعا أو كرها فتفاقم أمر الفتن على الدولة التركية فلا زال الإمام المهدي يواصل جهاده في سبيل تحقيق دعوته بين قبائل السودان, حتى عم أمره وضم ولا يزال هكذا حتى تحصل على الرئيس غردون النائب الدولة التركية فقتله في مدينة الخرطوم ووقع القنط على سلاطين النمساوي أسيرا ولم يقتل, وأخيرا أسلم على يد المهدي إسلاما صوريا ليتخلص من القتل , ولا تزال عين أنصار المهدي تراقب أحوال سلاطين رغم إسلامه الظاهري حتى أنه وضع في خطة مؤذن للصلاة , ولا زال الأمر هكذا حتى توفي الإمام المهدي سنة 1303 , وتولى أمر المهدية والخلافة بعد وفاة الخليفة المهدي عبد الله التعاشي[2] الذي لا زال يواصل, فتوجه بعد المهدي حتى اجتاز الحدود السودانية الحبشية ودخل في بلاد الحبشة مقاتلا حتى

[1] الجنرال غوردون (1833 ــ 1884 م)حاكم السودان البريطاني إبان الحكم التركي المصري للسودان ,قتل على أيدي أنصار المهدية .

[2] عبد الله التعايشي بن محمد التقي الشهير بعبد الله تورشين , هو خليفة محمد أحمد المهدي السوداني , و أعقبه في حكم السودان بعد وفاته في 22جوان 1885 ,استمر في الحكم إلى أن قتل عام 1889.

توصل أثناء قتاله المستمر إلى قتل بعض الملوك يسمّى بالنفس ENOUGOUZ , وأخيرا في مدة هذا الخليفة ارتكب سلاطين جواد الحيل والمكائد وطلب من الخليفة رخصة للاستراحة بدعوى أنه مريض التمس من الخليفة مدة سبعة أيام استراحة في بيته الخاص به لينظم أمر المكيدة , فعمد إلى رسم برنامج ناجح خلال هذه الرخصة التي قصد بها المكيدة, فلا يزال يستقل من محل مقصود إلى محل حتى ما تمت هذه الأيام السمية إلا وصار مسيو سلاطين داخل التراب المصري, وصار في مأمن من الخليفة , فوصل مصر وجعل اتفاق بينه وبين الدولة المصرية والدولة الإنقليزية في احتلال السودان بجيش الأولتين, ولا شك أن سلاطين المذكور يحمل معه سرّا عظيما من أحوال السودان الذي لا يخول للدولتين المذكورتين احتلال السودان بسهولة شأن القادم الخبير فتوجه الجيش المصري الإنقليزي قاصدا احتلال السودان تحت قيادة كوشتنير COCHTENAIR باشا الإنقليزي , كان قد ظفر بفتح السودان تحت قيادته الناجحة, وفي أثناء الاحتلال المذكور من طرف الجيش المشترك بين مصر والإنقليز وغالبه مصريون قابلهم المهدية ,أعني جيش الخليفة المهدي بالقوة والمكافحة الشديدة رغم كثرة جيش الاحتلال عددا وعدة ,وكانت نهاية الأمر أن وقعت النتيجة لجيش الاحتلال فظفر بمراده وتحصل الإنقليز على الخليفة المهدي, قتلوه ضربا بالرصاص في أثناء مواصلة القتال ضد جيش الاحتلال.

وكان الخليفة المهدي يصدق الوشاة فيما يأتوه من الأخبار, و ينتقم من أهلها بمقتضى الوشاية ولو كان الأمر باطلا, حتى تسبب في أضرار كثيرة في السودان وتضرر المسلمون غاية الضرر, حتى تمنوا أن تخسف بهم الأرض مرارا من هذا الظلم الذي لا يوصف وقد هتكت أثناء هذه الفتنة المحارم وسفكت الدماء البريئة وعم الفساد في سائر السودان والذي زاد الأمر تفاقما هو أن جيوشه كانت من خليط الناس , وقد قتل جميع أو جل أبطال الوطن خوفا من شوكتهم ليست له الأمر في السودان ودام ملكه وحكومته 12 سنة تقريبا نال فيها السودان ما نال من أنواع البلايا والمحن التي تقطع الليل المظلم ,

وصار بعد الاحتلال الإنقليزي المصري قطر السودان مشتركا بين الحكومتين, وهو لا يزال إلى الآن مشتركا غير أن الحكومة الإنقليزية في حقيقة الأمر, هي التي لها السلطة النافذة في إحياء ذكرى السيادة السامية للفاتح كوشتنير باشا الإنقليزي فاتح السودان, أقامت الحكومة الإنقليزية لهيكله تمثالا عظيما وهو راكب على حصانه بلباسه العسكري وسيفه الرهيب, معقل على جنب جواد الحديدي أمام إدارة المال, وتراه بهذه الصورة الحديدية ينظر إلى محل الواقعة المسمى بحبل كرري KARARI , وقد أقامت أيضا تمثالا آخر لغردون باشا الذي قتله المهدية ,وهو راكب على جمل وسط الشارع الكبير بمدينة الخرطوم المسمى هذا الشارع شارع غردون, و لتخليد ذكرى هذين الرجلين أسست الحكومة الإنقليزية مدرستين, أما مدرسة الطب فهي باسم كوشتنير باشا وأما الكلية العمومية فقد سميت باسم غردون , وقد خلدوا ذكرى سلاطين باشا صاحب المكيدة المصطنعة تمثالا يليق به وذلك بمدينة أم درمان .

طرق الصوفية في السودان المصري :

من المعلوم أن التصوف ابن الإسلام وحيث يوجد الدين الحنيف يوجد التصوف, الذي هو لبابه يوجد في السودان, من بين الطرق السائدة التجانية وهذه الطريقة التجانية انتشرت انتشارا عظيما, من قبل استلاء الأتراك على السودان, ولا يزال أمرها في انتشار هذه الساعة حتى فيض الله سبحانه وتعالى في هذه المدة الطلعة العمرية , فعم أمر الطريقة التجانية الحواضر والبوادي وظفرها الرائح والغاب, حتى كادت في هذه الأيام أن تكون هي الطريقة الوحيدة , نظرا لانتشارها السريع في أقرب المدد.

الثانية الطريقة القادرية[1] توجد هذه الطريقة في أماكن السودان بين قلة وكثرة وتوجد هذه الطريقة في الأماكن المرغنية المشهورة بالختمية[2] , مؤسسها السيد محمد عثمان

---

[1] مؤسسها الولي الصالح عبد القادر التيجاني , سبق التعريف به.

[2] سبق التعريف بالطريقة و مؤسسها.

المرغني تلميذ السيد أحمد بن إدريس المغربي[1] , ومن تلاميذ السيد أحمد بن ادريس المذكور السيد السنوسي صاحب زاوية جغيوب[2]في وطن يرقه نواحي بنغازي ,وطريقة السنوسية هي الطريقة الوحيدة في وطن طرابلس الغربي , وسيأتي الكلام عنها عند كلامنا على وطن التشاد ,ويكثر أتباع الحتمية الرغنية في نواحي دنقلة إلى شمال السودان , وجهة كريمة ونواحيها, ولها أتباع كثيرون في أنحاء السودان, شيخهم الحالي السيد علي المرغني باشا الساكن بالخرطوم بحري, ومن الطرق الطريقة السمانية مؤسسها القطب عبد الكريم السمان[3] دفين المدينة المنورة على صاحبها الصلاة وأزكى السلام, وشيخها الذي أتى بها من الحجاز إلى السودان هو السيد الطيب بن البشير, وتوارث أمرها أولاد الرجل المذكور , ومن الطرق الجديدة هي طريقة أنصار محمد أحمد المهدي بن عبدالله, وكان هذا الرجل قبل ادعائه المهدية مثال الزهد والنزاهة والعبادة في غاره المشهور, القريب من سكنى ولده بجزيرة أبا وأنصار المهدية يقدسون هذا الغار تقديسا زائدا على العادة , يزار إلى الآن وتتبرك به حتى أن قيل من شدة نسك المهدي وحرصه في العبادة أنه كان يختم القرآن في ركعة الوتر, وكان سبب ادعائه المهدية هو قتال الكفار من جهة, وقد اتفق له أنه في بعض الأيام حائلا في الوطن , حتى جاء إلى قرية أوحلّة في طريقه , فوجد عرشا قائما بالأفراح فسأل المهدي عن موجب هذا, فقيل له على ما سمعنا أن هذا عرس رجل تزوج برجل نعوذ بالله تعالى من شرور النفس وقبائح المخلوقات "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[4] , وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال الرسول صلى الله عليه و سلم : إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب

---

[1] هو أحمد بن إدريس العرائشي اليملحي العلمي الحسني أبو العباس (1758 ــ 1837م), أحد أعلام التصوف و مؤسس الطريقة الادريسية , و تسمى كذلك الأحمدية , ابنه محمد بن علي السنوسي بن العربي يعرف بالسنوسي الكبير (1787 ــ 1859 م) مؤسس الطريقة السنوسية , و الأسرة المالكة السابقة في ليبيا .

[2] الجغيوب بلدة ليبية جنوب شرق مدينة طبرق .

[3] محمد بن عبد الكريم السمان (1132 ــ 1189 م)مؤسس الطريقة السمانية التي تنسب إليه.

[4] الرعد 11.

من كان فيهم تم بعثوا على أعمالهم[1],وقال تعالى :" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة "[2] وذنوب السفهاء جناية عن الصّالحين غفر الله زلاتنا وزلات المسلين آمين , وأما ادعاء المهدية لهذا الرجل , فهي دائرة بين الحقيقة وإعجاز بين معتقد من الضيم ومنشد يقول أن هذا الوصف في حيز الترخيم وآخر غلبه عامل التسليم , أما المهدية على حقيقتها فهي لا زالت عند العارفين في بساط الانتظار نظرا لتخلف بعض أدلتها المعروفة عند حذاق النظار, وقبر الإمام المهدي في مدينة أم درمان يزار و يتبرك به عند الأنصار, ومن الطرق الصوفية التي يظل عدد أتباعها في السودان الطريقة الأحمدية مؤسسها الشيخ أحمد البدوي دفين مدينة طنطا من التراب المصري وهذه الطريقة أكثر اتباعا من الشاذلية[3] , ومن الطرق الشاذلية إمامها الوحيد السيد القطب الشاذلي الذي شاع وذاع وملأ ذكره سائر البقاع والأصقاع ,ومن الطرق بالسودان الإسماعيلية وهي فرع من المرغنية إمامها هو السيد إسماعيل الولي[4].

يتبين لك أيها القارئ بهذا, أن التصوف له حظ عظيم عند إخواننا السودانيين وعقيدتهم في الأكابر رضي الله عنهم حسنة , جزاهم الله عن العقيدة الإسلامية الصحيحة خيرا ووقاهم خيرا ,وهناك في بعض القرى السودانية وفي أم درمان والخرطوم طائفة من أحداث الناس تدعى بأنصار السنة المحمدية, لها نوادي تزعم أنها السنة المحمدية وهم ضدها على خط مستقيم من حيث لا يشعرون , شعارهم هم بعض الأولياء رضي الله عنهم أنصار الدين الإسلامي حالا ومقالا إنا لله وإنا اليه راجعون من أمراض العقيدة الفاسدة, التي تفشت في الأقطار الإسلامية في هذه الأعصار المتأخرة, والإمام مالك رضي الله عنه يقول " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها, وعهدنا السّلف

---

[1] متفق عليه.

[2] الأنفال 25.

[3] الشاذلية طريقة تنسب لأبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الزاهد (571 ــ 656 هــ) و سكن مدينة شاذلة فنسب إليها.

[4] إسماعيل الولي البديري (1787 ــ 1860 م) مؤسس الطريقة الاسماعيلية بالسودان .

الصّالح يحافظ على عقيدته في الإسلام وقد حذرنا النبي صلى الله عليه و سلم من هؤلاء الفسقة في العقيدة, حيث وصفهم صلى الله عليه و سلم في حديثه الشريف من صحيح الترمذي, عن معبدالله بن مسعود رضي الله عنه, قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيتهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرمية)[1] نعوذ بالله من هؤلاء الأشرار, وأماتنا الله تعالى على محبة سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه, وتعظيم سائر أولياء الله تعالى رضي الله عنهم أجمعين .

ويوجد في قطر السودان المصري الأقباط, أكثرهم في الخرطوم وأم درمان وأتيرة وبقلة البقية , شغلهم التجارة والإدارة الحكومية وهم من الجنس الأبيض وممن يتعهد الكنيسة , "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " لله الحمد وله المنة على دين الإسلام ومحبة سيد الأنام والتصديق بأولياء الله الكرام, وتوجد شركات أجنبية أكثرها في الخرطوم, ودونك ألفاظ مستعملة بين أهل الوطن في خطاباتهم الدراجة, منها كلمة برده معناها أيضا, وكلمة جو معناها داخل الشيئ من منزل أو غيره, ومنها إزيك معناها كيف حالك, ومنه يزول معناها يا رجل فزول معناها رجل , ومنها أي معناها نعم, ومنها طفال كناية عن استمرار الشيئ ومعناها أستريح أو تفضل معناها اذهب, ومنها بدْرِ معناها باكرا , ومنها باتو تستعمل في الاستفهام عن الشيئ, و يطلقون لفظ جبنة على القهوة مجازا إلا فهي علم على آله التهدة, وهو مجاز لغوي مشهور مجاز مرسل الذي علاقته غير المتشابهة, وهو من إطلاق اسم المحل على الحال , وقد يطلق عربية اسم الحال على المحل مجازا, وقد اجتمعنا في قوله تعالى " خذُوا زِينتكُم عِنْد كلً مسْجِدِ "[2] إذ المراد بالزينة الثوب , والمسجد الصّلاة والثوب محل لمعنى الزينة الحقيقي

---

[1] الحديث روي عن أبي كريب عن عبد الله بن مسعود , ورواه الترمذي في سننه كتاب الفتن , باب في صفة المارقة .

[2] الأعراف 31.

فقد أطلق اسم الحال على المحل وقولنا بالمسجد الصلاة , وهي حالة في مكانها الذي هو معناه الحقيقي فقد أطلق اسم المحل على الحال , والقرينة في الأول أنه لا يعمل التكليف بأخذ الزينة , إنما يعقل بأخذ محلها وفي الثاني السّياق الذي نزله في الآية ذكر هذا التوجيه العلامة الشيخ مخلوف في حواشيه على شرح الدمنهوري[1] على الجوهر المكنون وصورة الجنة المذكورة هذا.

حديقة الحيوانات بالخرطوم :

في مدينة الخرطوم كغيرها من سائر المدن العظام توجد حديقة فيها من أنواع الحيوانات الوحشية ما شغف عليه معينا بهذه الأمراس ودونك أسماء الحيوانات الموجودة 1) قط أبو ريشات يوجد بسودان مصر 2) النمر بأنواعه من غابات السودان المصري في الجهة الجنوبية حيث تكثر الغابات 3) الغزال بأنواعه المتباينة وأشكاله المختلفة بين كبر ونحافة وطول وقصر من صحراء السودان, 4) عنسق وهو حيوان من الضخامة بمكان, لا يكيف يعيش بسواحل الأنهار, وتارة بقلب الزوارق يسمى بالقرنسية Hippsopsotimme 5) الفهد وهو أنواع الأنمار 6) أبو مركوب نوع من الطيور التي تعيش قرب الأنهار مثل دجاج الماء غير أنه كبير ولا يفر من الإنسان[2] 7) الطاووس والغرنوق 8) الزرافة بأنواعها 9) بقر الوحش وهو من الزينة بمكان والشعراء يتمدحون به ويجعلونه شعار الجمال قال قائلهم .

قلـــت إذا أقبلـــت وزهرشـــهادى كنعـــاج الفـــلا تعســـفن رمـــلا[3]

---

[1] حاية العلامة اليخ مخلوف بن محمد البدوي المنياوي (1101 ــ 1192 هــ) على شرح حلية اللب المصون للعلامة الشيخ أحمد الدمنهوري , على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني و البيان و البديع

[2] و يسمى حذاء النيل الأبيض بسبب كبر منقاره .

[3] البيت لعمرو بن ربيعة , ذكر في ملحق ديوانه , انظر عمرو بن ربيعة , ديوان عمرو بن ربيعة , تحقيق فايز محمد , دار الكتاب العربي , ط2 , 1996.

10) الأسد واللبؤة وترى الأسد مأسور في دائرة شباكه كأنه ملك حكم عليه بالأسر 11) الضبع بأنواعه 12) قط زياد 13) أبو شوك[1] 14) نوع من الخنزير يقال له كدروك 15) حمار الوحش ملون بالخطوط البيضاء والسوداء 16) أم كبجو 17 ADDAX[2] 17) النعام 18) الفيل وهو خلق عظيم يجلب بخرطومه الطويل كلما أراد جلبه بأسهل وأيسير الأساليب وهذا الخرطوم عند الفيل بمثابة اليد عند الإنسان فتراه يجذب الأكل بهذا الخرطوم ثم يلويه حتى يصل إلى فمه الواسع ثم يقذفه فيه وهو بجلده الأسود الخفيف كأنه متدرع بالنحاس 19) الفكرون من أكبر نوع الذي لا تسعه إلا قصعة 20) هرّ الجاموس 21) القردة بجميع الأنواع والأشكال 22) التمساح.

تلكم الحيوانات الوحشية الموجودة في حديقة مدينة الخرطوم, ليس لهم من السنة إلا ثلاثة فصول الشتاء والخريف والصيف , هذه حالة الأمطار في الجهة الشمالية والجهة الوسطى من قطر السودان المصري, أما الناحية الجنوبية فإنها تكثر فيها الأمطار كبقية أقطار إفريقيا الاستوائية , وتكثرالفواكه من جميع الأصناف في الناحية الجنوبية , نظرا لكثرة أمطارها وفصل الزراعة هو فصل الأمطار , أما الوسائل النقلية في السودان بين المدن والقرى فهي إما القطار أو السيارات , ويسمون السيارات الكبرى ألوري وهي الكاميو, أمّا بين السودان ومصر فهي القطار إلى بلدة حليفة الهربية من الحدود المصرية السودانية ,وبلدة حلفة الوسيلة السفرية هي المركب البحري في جهة النيل, مسافة يومين إلى بلدة الشلال ومن الشلال إلى القاهرة على القطار, فالمسافة بأجمعها بين الخرطوم والقاهرة على هذه الصفة تدوم أربعة وصباح الخامس على الساعة الثامنة يصل القاهرة , وأما الخطوط الجوية فإنه يوجد خط جوي بين الخرطوم والقاهرة تستغرق مسافته في الطائرة 8 ساعات أو أقل, والشركة العاملة في هذا الخط مصرية, يوجد أيضا خط جوي

[1] حيوان كبير حجمه بين القط و الكلب , أشواكه قد تصل إلى الثلاثين سنتمتر .

[2] نوع من أنواع الغزلان .

الخرطوم وأسمرة في بلدة أرتريا المستعمرة الإيطالية القديمة, عاصمتها أسرة ويقال أنها مدينة جميلة جدا, وبها جامع إسلامي عظيم وهناك خط جوي بين الخرطوم وإنقلترا شركة إنقليزية ,وخط جوي بين الخرطوم وكنو بنيجيريا, وهناك طائرة إنقليزية عاملة بين جنينة القريبة من حدود السودان والتشاد إلى أم درمان والخرطوم .

أما مسألة المهور في الأنكحة الشائعة في مدينتي أم درمان والخرطوم المرتبة الأخيرة لعموم الناس 50 جنيها , أما أهل المرتبة المتوسطة فالمهورعندهم 200 جنيها مائة هالة ومائة من الكاليي , أهل المرتبة العليا 300 جنيها إلى 500 إلى 700 , ومن عوائدهم أنهم يشترون الألبسة لكافة أفراد العائلة أصولا وفروعا وحواشي , ومن عوائدهم أنهم يستدعون جميع معارفهم من أحبابهم ويذبحون الذبائح الكثيرة, تفخيما لأمر الوليمة كما هي عوائد المدن من التكلف لعقدة النكاح ,أما اللغات الوطنية العجمية فهي موجودة بين القبائل على اختلاف أجناسها من الفلاته وهوسة ودناقلة وأهل المجوس من الجنوب, وبعض المسلمين الذين أسلموا أخيرا, وأما اللغة السّائدة بين المسلمين خصوصا في الجهة الشمالية و الوسطى فهي اللغة العربية.

أما الطقس في السودان فإنه حار يغلب عليه الجفاف ويعتدل الطقس في حبيب وسكنات حيث سكن السيدة مريم المرغبية , وبلدة أركويت في هذه البلدة يذهب الحاكم العام الإنقليزي بالسودان وكبراء الحكومة الإنقليزية يأخذون الاستراحة الصيفية , نظرا لاعتدال الهواء في الفصل الصيفي في هذه البلدة , والعلة في اعتدال الهواء هو ارتفاع هذه النواحي على سطح البحر لوجود الجبال فيها ويكثر شجرالأراك في هذه النواحي جدا وهي في طريق بور تسودان ,أما الجهة الجنوبية فتكثر فيها الحرارة والرطوبات من كثرة أمطارها, أما العمولة النقدية الرائجة في الوطن هي ورقة الجنيه, وورقة 5 جنيه و50 جنيه و 100 جنيه ونصف الجنيه وربع الجنيه , هذا في الأوراق المالية أما النقود الفضية فيوجد 60 قرشا و 10 قروش و 5 قروش وقرشين ,هذه النقود الفضية وكذلك

يوجد القرش وهو من معدن البرنز و النيكل والقرش ينقسم إلى تعريفتين الواحدة تعريفة وأكثر.

قبائل السودان عبابسة ينتسبون لعم النبي صلى الله عليه و سلم سيدنا العباس على ما قيل من الغرائب أنه يوجد قبيلة في السودان يقال لها المجانين الواحد يقال له مجنوني وقبائل الجعليين .

سفر سيدنا إلى الديار المصرية :

بعد أن أحكم نظام هذه اللجان التجانية وأخذت البيعة من طرف الوفود السودانية توجهت عناية سيِّدنا رضي الله عنه, لزيارة الديار المصرية للقيام بالمهمات التجانية وكان المحرض له على الذهاب إلى الأمصار , هو الشيخ سي محمد الحافظ المصري فقد ألح عليه غاية الإلحاح , سافر سيدنا إلى القاهرة مصحوبا بالسيد أحمد الحافظ المذكور ومحمد خديمة ورافقه إلى بلدة حلفة التي تقع قرب الحدود المصرية السودانية ,السيد البشير بن السيِّد محمد المختار الشنجيطي والسيد صالح ثابت من أهل بربر , والسيد عكاشة والسيد الحاج مسعود محمد من أهل بور تسودان ورفيقه التجاني عمر, و الكل ذهب إلى محله ورجع إلى بلاده بعد توديع سيِّدنا من بلدة حلفة, وكان سفر سيدنا إلى مصر بطريق القطارالذي تقدم أنه مع السّفر البحري, في مركب النيل وركوب القطار مرة أخرى الذي هو تابع للشركة المصرية يستغرق هذا السفر بأجمعه من الخرطوم إلى القاهرة, نحو الأربعة أيّام وصباح اليوم الخامس وصاحبه يكونا بالقاهرة ,غادر سيدنا الخرطوم إلى مصر يوم الأربعاء على الساعة الحادية عشر وثلث قبيل الزوال يوم 23 صفر سنة 1369 الموافق لـــ 13 ديسمبر سنة 1949, و استغرق سفر سيِّدنا إلى القاهرة 12 يوما تقريبا لأنه زار بعض البلدان في طريقه فيها التجانية, وزار بعض الآثار التاريخية والخلفية, وسيأتي إيضاح هذا السفر عند التعرض إليه أما العبد الحقير والسيد محمد عال الشنجيطي, فإننا انتظرناه في أم درمان إلى رجوعه من الديار, وأقمنا في هذه المدة بدار

السيِّد الحاج موسى زين العابدين في عناية الحفاوة والإكرام وبالمناسبة نذكر هذه الأبيات التي آثارها مقام الافتراق مع سيدنا رضي الله عنه عجل بساعة التلاق بجاه صاحب البراق صلى الله عليه وسلم ملأ النواحي والآفاق .

قال الشاعر :

إني وإن كـــان ابـــن عمـــي غائبـــا	لمـــزاحم مـــن خلفـــه وورائـــه
ومفيده نصـــري وإن كـــان أمـــرا	متزعزعـــا فـــي أرضـــه بســـمائه
وأكـــون وإلـــى مســـرة وأصـــونه	حتـــى يجيـــئ علـــي وقـــت أدائـــه
وإذا دعا باســـمي ليركـــب مركبـــا	صعبا قعـــدت لـــه علـــى ســـياته
وإذا ارتدى ثوبا جميلا لـــم أقـــل	يا ليت كان علي حســـن ردا ئـــه[1]

قال هذه الأبيات أبو عروة المدني .

وقول الآ خر :

و لمـــا يزرنـــا للرحيـــل وقربـــت	كرام المطايـــا والركـــاب تســـير
وضعت على صدري يدي مبـــادرا	فقـــالوا محـــب للعنـــاق يشـــير
فقلـــت ومـــن لـــي بالعنـــاق وإنمـــا	تداركت قلبي حـــين كـــاد يطيـــر[2]

وفي كامل هذه المدة ونحن بأم درمان بدارالسيد المذكور جزاه خيرا ,لا يزال أخونا اللبيب المحب الأريب , صاحب المحبة الصادقة والحلة الحاذقة السيد علي الأمين حجاز يؤانسنا بكلامه الطيب وأخلاقه الكريمة الفاضلة, وتراه يسعى بكل جهوده في نخفيف وطأة الفراق بسيدنا ماحل بنا من ألم الغربتين , مع الملازمة التامة , وتراه يتخلل

[1] الأبيات لأبي عروبة المدني , انظر الأصفهاني , الأغاني ج 2 , ص 33.

[2] الأبيات نسبت لأبي نصر النحوي النيسابوري (404 ـــ 489 هـــ) في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ج 6 , ص 2641.

مجالسنا بالحكايات الحكمية تسلية لنا, بارك الله فيه من أخ صادق وخليل حاذق, ولا زلنا نعهد صلاة الجمعة بالجامع العتيق بمدينة أم درمان ,ومن الاتفاق أن فاتتنا يوما صلاة الجمعة بعد السعي إليها فلما رجعنا إلى محلنا أردنا أن نصلي الظهر جماعة, فقال السيد محمد عال نصلي فرادى عملا بقول خليل (ولا يجمع الظهر إلا ذو عذر)[1] ذكره في فصل الجمعة, أن من فاته صلاة الجمعة لا يصلي الظهر جماعة , بل إفرادا أي يكره جمعه إلا بعذر كثيرالوقوع, كمرض وسجن وسفر, فالأولى لهؤلاء الجمع, ويندب صبرهم إلى فراغ صلاة الجمعة, وإخفاء جماعتهم لئلا يتهموا بالرغبة عن الجماعة, وزاد ابن عرفة من الأعذار المطر الغالب, وعزاه لابن القاسم :واحترز به حمق فاتته لغيرعذر من فاتته نسيا أو عمدا, فإنه يكره له الجمع وإذا جمعوا لم يعيدوا على الأظهر, خلافا لمن قال بإمامهم إذا جمعوا كما في بهرام بن رشد[2] لأن المنع لم يرجع لأصل الصلاة وإنما يرجع لوصفها ,وهو الجمع فهي مجزئة بأصلها مكروهة بوصفها, والذي يراه العبد الحقير هو جواز الجمع بدون كراهة في صورتنا نحن لأننا معذورون بالسعي إليها, والفوات أمرعارض ونحن وإن لم نكونوا مسافرين بالفعل, فنحن في حكم المسافرلأن الانتقال أقرب إلينا من شرك النعل , فصلينا الظهر رباعية بمقتضى الواقع وجمعنا لها بمقتضى الوصف التقديري, وهو غلبة السفرعلينا فلا كراهة إذا لقول خليل إلا ذو عذر , وقد قال الشارح المحقق الدردير بعد قول المصف هنا كثير الوقوع , بمعنى متوقع الحصول حتى أننا على هذا التخريج جمعنا للظهور مندوب زيادة على انتفاء الكراهة لأن مصب الكراهة على فقدان القدر الواقع والمتوقع , ضم إلى هذا سعينا إليها مع الفوات ونزيد المقام بحثا أدبيا شرعيا, فنقول أن هذه الكراهة نزنها بميزان الشرع وقوات الجماعة كذلك فالأصليون قالوا في المكروه ما ييثاب على تركه ولا يعاقب على فعله , والجماعة في الصلاة سنة

[1] ينضر المختصر ص 2161.

[2] بهرام بن عبد الله الدميري المصري (ت 805 هـ) يعد كتابه : الشامل في فقه الإمام مالك من أهم كتب المتأخرين المالكية , انظر القرافي , توشيح الديباج , ص 205.

مؤكدة وثوابها يفوق طبعا ثواب اتقاء المكروه ,لأن المكروه على فرض فعله لا عقاب عليه وإنما فات فاعله الثواب بتركه وثواب كما قلنا على فرض الترك لا يعادل ثواب صلاة الجماعة , من أنها تفوق صلاة بصلاة بسبع وعشرين درجة, فإن قيل أن المحافظة على ترك المكروه أولى من المحافظة على فعله في غالب طاعة أن المكروه من باب المفاسد والمحافظة على الجماعة , من باب الصالح ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة قلنا هذه المسألة مفروضة في المحرمات مسألتنا في باب المكروهات ولا قائل بأن المكروه محرم, إذ لو كان محرما لوجد فيه العقاب وإنما يتأتى هذا الكلام لو كان ولا يتوصل إلى فعل طاعة واجبة إلا بارتكاب محرم لمن يريد الذهاب إلى الحج مثلا بمال مغصوب, فنقول له رد المفسدة وهي تناول المال الحرام, مقدم على جلب المصلحة وهي الذهاب إلى الحج ونتوقى من الحرام بترك الواجب في هذه العذرة والله ورسوله أعلم .

وذكر لنا أن بعض الطلبة في قول صاحب ياقوتة الحقائق بالتعريف بحقيقة سيد الخلائق[1]عند قوله الذي لا يدركه دارك , فدارك اللهم فاعل من أدرك بمقتضى القاعدة الصرفية يأتي على صيغة مفعل , نقول الجواب عن هذا أن هذه قاعدة أغلبية فقط لا كليّة فقد قالت العرب في أنهم الفاعل من أعشب عاشب, وفي اسم الفاعل من أحصن محصن والقياس معشب ومحصن وقيل في اسم الفاعل من أسهب مسهب, وذكر في الصّباح مهم ومخول من أعم الرجل وأخول إذا اكثرت أعمامه وأخواله, وذكر ابن القطاع في كتابه الأبنية مسهم بالصيم آخرا من السّهم إذا أكثر وقد ذكر أبو حيان وتلميذه العيومي في مواضع من المصباح في حلها الكسر على القياس, وقرأ قوله تعالى :" والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم"[2] بالوجهين أعني الكسر والفتح

---

[1] ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق , هو عبارة عن مجموعة أذكار و أوراد تركها أبو العباس أحمد التيجاني .

[2] المائدة 05.

وكلام القاموس صريح في أن مسهب بالباء يقال بكسر الهاء كما يقال بفتحها من غيرتفرقة أنظر ابن الحاج علي شرح الإمام بحرف على لامية الأفعال عند قولها :

و بام فاعلي غيــرذي الثلاثــة حتــى وزن المضارع لكــن أولا جعــلا

فيما تضم الخ .

وكذا وقعت المذاكرة في كلمة مركز من جوهرة الكمال, فالرواية المعروفة عندنا هي مركز بفتح الكاف كمعقد واللغة تساعد على كسرها, فيقال مركز كمسجد كما قالوا في المشرق والمغرب و سقط الرأس بالكسر ومناسبها الفتح, وقد حكى المصباح في المشرق و المغرب أيضا في لغة وحكى صاحب القاموس الفتح في مسقط رأسي ويجري في مركز ما جرى في هذه الثلاثة من ثبوت الوجهين عن العرب وكسرالكاف في مركز رواية عن سيدنا رضي الله عنه .

العاصمة المثلثة السودانية :

[الخرطوم البحري والخرطوم البري وأم درمان]

من المعلوم البين أن العاصمة المثلثة السودانية المصرية, التي هي عبارة عن هذه المدن الثلاث , لها صيغة خاصة بين مدن السودان كغيرها من العواصم, نظرا لموقعها التجاري العام والاقتصادي والإداري والمادي, مع هذه العاصمة عدة أسواق شهيرة منها أسواق صناعية وأخرى تجارية,

وفيها عدة إدارات حكومية في مختلف الشؤون زيادة على معهدها العلمي الذي تقدم الكلام عليه وفيها أيضا عدة جوامع ومساجد وزوايا تجانية وغير تجانية ,ولها المزية الكبرى بين مدن السودان من الناحية الإدارية الحكومية ضرورة أنه يقيم بها الحاكم العام للحكومة الإنقليزية وحاشية دائرته الكبار, وبها أيضا القضاء الإسلامي الشرعي الذي تتعلق مهمته بإدارة الشؤون الشرعية التي ترجع إلى الأنكحة والطلاق وأحوال المواريث

بين المسلمين والوقوف عند مهمة صيام شهررمضان, بما يثبت الصِّيام والإفطار إلى غير ذلك مما للقضاء الإسلامي حق التنفيذ فيه في بقية الأقطار الإسلامية وفيها من رجال الفضل علماء عمل ما يهدأ له الفؤاد.

أما الجوامع فإنه يوجد في الخرطوم جامع و احد كبير وهو العتيق الذي أسسه الخديوي ملك مصر القديم .

وجامع عبد المنعم محمد والحكومة المصرية الآن بصدد بناء جامع كبير على نفقتها مقدار النفقات في بناء هذا الجامع تبلغ 200.000 جنيها , وهناك مساجد أخرى للصلوات الخمس و بعضها تقام فيها الجمعة أيضا إلا أنها أقل أهمية مما ذكر.

أما الخرطوم البحري ففيه جامعان كبيران أحدهما بنته الأهالي, والآخر ساهمت فيه الحكومة الإنقليزية والأهالي ,وفيه أيضا مساجد أخرى للصلوات الأخرى الخمس وفي بعضها تقام الجمعة , أما أم درمان ففيها الجامع العتيق الذي ساهمت في بنائه الحكومة و الأهالي وهناك جامع آخر تقام فيه الجمعة للسيد عبد الرحمن المهدي , فهو الذي أسسه على نفقته الخاصة, وجامع السيد مدثر ابراهيم الحجاز فهو الذي أسسه على نفقته, وهو من كبار التجانية بأم درمان وهو والد رئيس اللجنة أم درمان حديث التأسيس, جامع عبد المجيد تقام به الجمعة أيضا وجامع الشيخ مغريب الله السماني وجامع الشيخ مرزوق[1] الذي تتلى فيه الوظيفة التجانية دوما, وهو في آن واحد جامع وزاوية تجانية وجامع حمد البردقال فبناه السيد على نفقته , وجامع عبد الغفار الطيب بناه على نفقته , وجامع الشيخ يوسف الأحمدي بناه على نفقته مع بعض التبرعات من غيره , وجامع محمد حسن الملقب بسرتجار معناه رئيس التجار, وجامع الشريف التقلاوي علي بنته قبيلة الهاشماب على نفقتها, وجاع ودرو بناه على حسان مع بعض التبرعات , وجامع أبو سرة بناه على حسابه الخاص فقط من دون مشاركة الغير, و جامع البلد وجامع عز على نفقته جاع

[1] قرية الشيخ مرزوق هي إحدى القرى التابعة لمركز البلينا محافظة سوهاج , جنوب مصر .

الشيخ أحمد النيل على نفقته , وجامع ولد ايوب وجامع عبدالله أدعيته وجامع الشيخ أحمد حسين وجامع الصواراب وجامع علي مجذوب وجامع الكوارتة .

وأما الزوايا التجانية منها زاوية الشيخ مرزوق الذي جعل له التعارف بالشيخ سكبرج على طريق المراسلة وله سند إلى سيدنا رضي الله عنه يتصل بالعلامة المذكور وزاوية السيد عمر سليمان وزاوية بابكر زروق وجامع الشيخ مجذوب مدثر تتلى فيه الوظيف ة التجانية وزاوية السبحانة وهي في الخرطوم وتذكر الوظيفة التجانية في كثير من المساجد غير ما ذكر من الزوايا .

أما أسواق هذه العاصمة سوق الصاغة وسوق الفاتورة وسوق العيش حيث تباع الأقوات اليابسة من دخن وذرة بأنواعها وقمح والبصلة والفصولية وغير ذلك من الحبوب, وسوق التمر وسوق اللحم وسوق الأدهان وسوق الجلود وسوق الخضروات والفواكه بأنواعها , وسوق الصيني حيث تباع الأواني اللازمة للمنزل , وسوق الأسر وسوق البخارين والحدادين وسوق الخياطين وسوق الجلادين حيث تصنع السروج واللجم الخيلية والظروف السفرية وسوق الأحذية وسوق المواشي وبها كثير من الأسواق كغيرها من المدن .

أمّا الإدارات الحكومية فهي إدارة المحافظة للأمن العام وإدارة المحكمة الشرعية والمدنية التي تنظر في الشؤون الشخصية , ومستشفيان حكوميان كبيران وإدارة شركة الأنوار الكهربائية والمياه وبنك كبير في الخرطوم , و له فروع في أم درمان وهذا البنك يسمى بالبنك الأهلي المصري, والبنك العثماني والبنك البار كليز El Bank Cliz وهو بنك دولي انقليزي وله فرع في أم درمان وإدارة المالية في إدارة الخرطوم وإدارة الحقانية[1] وهو إدارة تشريعية قانونية وإدارة البوسطة و أعراف بالخرطوم ولها فرع في أم درمان , وآخر بالخرطوم بحري وإدارة الأشغال العامة وإدارة المديرية والمركز وإدارة السكك

[1] مايصطلح عليه الآن بوزارة العدل .

الحديدية وإدارة النور الكهربائي والمياه في الخرطوم وإدارة التلفون بالخرطوم ,وإدارة الطب بالخرطوم ومستشفيان كبيران للحكومة بالخرطوم ,وإدارة مصلحة القمارق بالخرطوم ,وإدارة البيطري التي لها شأن بالحيوانات وإدارة العلوم والمعارف بالخرطوم وإدارة المجلس التشريعي والتنفيذي من الحكومة السودانية وإدارة الحاكم العام غدارة السكرتير الإداري أما أصحاب المزايا الخيرية فمنهم السيد عبد المنعم محمد, فقد أحسن هذا السيد على الفقراء والمساكين قدرا ماليا مبلغة 90.000 جنيها مصريا وهذا المبلغ أدخله في التجارة ليكثر نفعه ويقاوم عامل الإنفاق حتى تبقى مستمرا نفعه للفقراء, وهذا السيد من كبارالتجانية في أم درمان وقد توفي هذا السيد ومنهم السيد الشيخ العلامة شيخ علماء السودان قاطبة في عصره , السيد أبو القاسم هاشم وأخوه الشيخ الطيب هاشم كان إليه مرجع الفتوى الإسلامية في السودان, توفيا رحمهما الله تعالى, ومنهم الشيخ مدثر إبراهيم الحجاز والد الشيخ الدباغ وهو من العلماء الأجلاء ,ومنهم الشيخ حجاز سليمان الحجاز من أكابر العلماء وأخيار الصالحين , ومن كبار الطريقة التجانية, وهؤلاء المذكورون كلهم من كبار التجانية الذين أحيوا آثار السلف الصالح في حياتهم ,ومنهم الشريف عمر ساوري من كبار العلماء وهو أيضا من كبار التجانية , ومنهم الشريف عمر قمبو من أهل العلم ومن الطريقة التجانية , وهؤلاء كلهم أموات وأما الأحياء من أهل العلم و الطريقة التجانية , فهم السادة السيد مجذوب مدثر والشيخ مرزوق والسيد عمر سليمان وأبا بكر سليمان أخ عمر سليمان,, ومحمد الإمام وأبا بكر زروق و السيد علي الأمين عثمان الحجاز من الأخيار والتجانية الأصدقاء والسيد الحاج موسى زين العابدين والسيد عثمان توفيق له قرابة مع الحاج موسى ز ين العابدين ولم يكن أخاه كما تقدم وبكر النحاس وكافة أصحاب اللجنة المتقدم ذكرهم و هناك أعيان غير تجانية .

وأما أكبر شوارع أم درمان فهي شارع ايروق و شارع الموردة وشارع الأربعين وشارع كروي وشارع الخليفة أعني الخليفة خليفة المهدي وهذه الشوارع الكبرى في أم

درمان أما شوارع الخرطوم فهي شارع غردون وشارع السردواية يعني الحاكم العام وشارع سكة الحديد وأما الخرطوم البحري فأكبر شارع فيها هو شارع الترنفاي وهناك شوارع أخرى لكنها أقل أهمية من المذكورة .

أما النوادي العامة ففي الخرطوم نادي الأشقاء يعني مصر والسودان وهو عنوان الإتحاد بين القطرين القطرين ونادي الإتحادين في أم درمان ونادي الأمة وهم أنصار المهدي ونادي المجلس البريطاني ونوادي كرة القدم للشباب السوداني .

أما أكبر مدن السودان تفد العاصمة الثلاثية فهي الأكبر وواد مدني وبورت سودان أثبرت وبرز وكسلا و زنقلة .

المولد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام العاصمة السودانية المثلثة وكافة مدن السودان, يحتفل أهلها بذكر المولد النبوي الشريف كغيرهم من بقية أقطار العالم الإسلامي , فهم يظهرون الفرح الشديد والتعظيم السّامي الذي لايتشبث بزمامه إلا من صفت عقيدته الإسلامية نحو الخباء الأحمدي الأكرم, صلى الله عليه و سلم والاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم من الأشياء التي حدثت بعد القرون الثلاثة, وفيه من أسرار الرابطة الإسلامية المحمدية ما هو ظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار, لأنه يبقي ذكر محبته صلى الله عليه وسلم في سائر قلوب المسلمين , ويجدد بينهم الأخوة الكاملة لأن المسلم إذا رأى أخاه يقدس مبدأ دينيا وأعظم به وأكرم من مبدأ, فإنه يجد في نفسه انشراحا تبعثه في نفسه العقيدة الدينية الخالدة في سويداء قلبه والاعتناء بالاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم من دلائل المحبة , فهي في آن واحد عقيدة إسلامية مدللة, وتختلف أحوال الناس في إظهار هذا الفرح باختلاف الوسط الذي يعيشون فيه, فالمدني يحتفل بذكرى المولد الشريف على ما يقتضيه وسطه من كثرة النفقات التي ترجع إلى توسيع نطاق المأكل والمشرب , زيادة على العادة والحضور إلى مجالس تلاوة سيرته صلى الله عليه و سلم إلى غير ذلك ممّا هو من شأن المدن و القرى , يتعاطى احتفالا يليق

بالوسط الذي هو به والعبودية كذلك, ولما كانت أم درمان والخرطوم يوصف من بقية مدن العالم الإسلامي الشريف, فهي تحافظ على القيام بواجبها الديني غاية المحافظة , تخليدا للذكرى هذه السعيدة الإسلامية , ومن عوائد أهل أم درمان والخرطوم في المولد النبوي الشريف أنهم ينصبون الخيام الواسعة و كل طريقة من الطرق الصوفية تختص بخيمة , ما عدا التجانية أما إخواننا التجانية فإنهم في واد والناس في واد, فيجتمع الناس في هذه الخيام ويقرؤون قصة المولد الشريف وبعد الانتهاء من قراءة قصة المولد الشريف, يشرعون في المديح النبوي بتلاوة القصائد وبعد الانتهاء من القصائد النبوية, تراهم كل طريقة تشرع في حضرتها على اختلاف الطرق , يجعلون الحضرات الرقصية كما هو معروف عند سائر الطرق غير التجانية, وفي أثناء الذكر يتناولون المشروبات اللذيذة, وفي ليلة المولد الشريف يذبحون البقر والغنم احتفالا بليلة المولد وتحيا ليلة المولد عندهم إلى الصباح أعني ليلة الثانية عشرة وبعد ليلة المولد الشريف تجعل احتفالات المولد في الدور و المنازل وفيهم من يحي ذكرى المولد الشريف في المساجد الجوامع يحضرها الغفير من الناس .

أما عوائدهم في شهر رمضان فإن الجيران يجتمعون في أي منزل من المنازل المجاورة على حسب اتفاقهم الذي يتفقونه قبل رمضان بأيّام, و يختارون و احدا من الجماعة يأتي من أجوارهم للفطوريوميا في داره على أن كل واحد من الجماعة يأتي بما تيسر من داره ويأكلون جميعا عند هذا الرجل المتفق عليه, ويدخلون على شرط أن يبقى باب هذا المنزل مفتوحا في وجه كل سائل يلتمس معروفا من المساكين, و يصلون التراويح في هذا المنزل الذي يقع بها الفطور إذا كان من بينهم من يحسن القراءة, أو يذهبون إلى أقرب مسجد من حومتهم التي هم ساكنون بها, أما احتفالهم بالأعياد الإسلامية فإنهم يتأهبون في عيد الفطر بإحضار عدد وافر من الخير والحلويات المتنوعة ليستقبلوا الزوار الآتين لأداء التحية العيدية يوم العيد للتصدق على الفقراء

والمساكين ويلبسون الثياب الجديدة كما هو معروف عند سائر الناس أما صلاة العيد فإن غالبهم يصليها في المصلى خارج البلد وإ سم محل المصلّى "محل العرضة " وهو غربي أم درمان ميدان كبير ومساحة واسعة أما العجز فإنهم يصلون في المساجد أما عيد الأضحى فإنهم يتأهبون له بالحلويات لاستقبال الزوار وأما الأضحية فإنهم يضحون بالظأن لا غير و يختارونها من أجود نوع من الظأن .

أما من الناحية الإدارية الحكومية فإن أهل السودان لهم الحظ الوافر في خدمة هذا الشأن فتراهم يعمرون أركان هذه الإدارات بيد أن الرئيس تارة يكون سودانيا, وتارة يكون إنقليزيا وكونه سودانيا هو الغالب هذا في الرئاسة الثانوية , أما الرئاسة العليا في المحاكم الكبرى لا يكون الرئيس فيها إلا من الإنقليز حتى إنه بمقتضى قانون السودنة الجديدة أصبح مدير المحافظة من السودانيين (الكومسار) ومعنى قانون السودنة هو إسناد الوظائف العليا للسوداني إذا كان أهلا لذلك من الناحية العلمية, والآن هم بصدد تكوين حكومة محلية على فرض حصول الاستقلال لأهل السودان المصري, وخروج الإنقليز فإن هذه الحكومة المحلية هي التي تدير شؤون البلاد, وهذه الحكومة المحلية الأهلية تحت إشراف الحكومة الإنقليزية تتركب هذه الحكومة المحلية من زعيم ووزراء ورئيس الوزارء ومن أعضاء, وهم شيوخ القبائل الذين يمثلون شتات الأمة .

أمّا من ناحية اليد العاملية في المدن هي صناعة البناءات والنجارة وصناعة الحديد وصناعة الميكانيك لتصليح السيارات والأنوارالكهربائية وتصليح الأسلاك البرقية وتلفون واما أهل البوادي فإنهم يتعاطون أمر الزراعة وتربية المواشي .

مشاهير التجانية في قطر السودان المصري :

قد حوى هذا القطر الواسع من فحول الطريقة التجانية ما تقر به عين المحب منهم الرجل الوحيد العالم العلامة الهمام ناشر الطريقة التجانية في الحواضر والبوادي سيدنا

السيد محمد بن المختار الشنجيطي متقدم الذكر, وغالب هؤلاء الفحول الذين ستسرد اسما وهم أخذوا عنه إما مشافهة وإما بواسطة, وهم القاضي أحمد الرحمن حبيب خليفته وهو الذي يقول فيه أنا مع القاضي فزنا بالتجاني , سعدنا قسم الجعليين والرئيس الديني فيهم الكبير لأنه ينحدر من أصلين كبيرين السادة السناهير المشهورين في السودان بالصلاح والبركة والعلم والولاية والسادة المكاتيب أصل المكانة الشمخى علما وعملا وصلاحا آباءا وجدودا, وهم قدوة عامة الجعلين في الدين ومنهم العلامة الشيخ محمد الخير خوجلي الغيشاوي[1] صاحب المكانة الكبرى في العلم وتدريسه, وعميد قبيلة الغبش ومدرس العلوم في معهدهم المعلوم وقد تخرج عليه علماء كثيرون بالسودان حتى أن الشيخ محمد أحمد المهدي , قرأ عليه العلم فهومن شيوخه ومنهم القاضي الشريف محمد طاهر قاضي المديرية ببربر الذي أعجب لتلمذته , وأخذه عن السيّد لأنه لم يذعن لأي شريف كان في الكرة الأرضية إلا السيد محمد صاحب الخصوصية والمزية , ومنهم الشيخ محمد الربيع وأولاده العلماء النجباء الأدباء المعروفون الشيخ الطاهر والشيخ الربيع والشيخ محمد الأمين ومنهم الشيخ الطاهر و الشيخ أحمد الحاج الذي قال له شيخه تموت شهيدا, وقد كان كذلك وولده العلامة الفاضل الشيخ محمد المفتش بالمدارس السودانية , ومنهم الشيخ والقاضي ولد الحاج سعيد وولده القاضي الشيخ الحسين العبادي من قبيلة العبابدة الذين يرجع وطنهم إلة دراو ضعية مصر, ومنهم الشيخ الحاج العباس العالم الربطاي والشيخ عبد العاطي الربطابي, والصالح الشيخ أحمد الشناب وأخوه الشيخ محمد وجعل قبيلة الربطاب ومنهم الشيخ محمد خبير الأوش العالم الجعلي , والشيخ أبو الحسن العالم الورع ابن الشيخ المختار العالم الكبير الورع الشنجيطي ومنهم الشيخ عبد الرحمن والشيخ العوض والشيخ بشارة الأرباب وأخوه الشيخ الفكي حامد بن أحباب القاضي أحمد , والفقيه أحمد محمد عوض السيد والشيخ أحمد الحاج الحابراي وكان أول أخذه على الشيخ

---

[1] من علماء بربر شمال السودان .

سعد عند مروره للحج , ومنهم الشيخ إدريس وجميع قبيلة الجابرات المنتمية إلى الشرف ومنهم الشيخ أحمد الهدي الولي الشهير صاحب الكرامات الكثيرة , وقبيلته السوارب وهو الذي يقول لشيخه السيد من مدح فيه وهديكم بجنابكم متعلق الذي ومنهم الشيخ أحمد هاشم أبو العائلة الهاشمية الكبرى , وأولاده العلماء الأفاضل الشيخ محمد هاشم العالم الغزير والقاضي أيضا وإخوانه فضيلة مفتي السودان سابقا الشيخ الطيب هاشم وله ديوان في مدح سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه, وشيخه هذا مطبوخ كما لأخيه المتقدم الشيخ محمد قصائد كثيرة وهو صاحب مقدمة مولد إنسان الكمال شيخه ومنهم العلالم العالم العارف, الذي جمع بين العلم والسياسة أبو القاسم هاشم المكمل لنظام المعهد العلمي ومشيد بأم درمان, والذي كان دائم الهدى بذكر شيخه السيد ومن ذلك أنه قال ثلاث رأيتهم لم أر مثلهم شيخنا السيد في الولاية والعلم, وشيخنا محمد الخير خوجلي في الفقه الورع, والمهدي في الشجاعة يعقب هذا بقوله , وهذه كلها مجموعة في شيخنا السيد ومن أولاده العلامة مفتي السودان الآن, الشيخ الهاشم أبو القاسم وأخوه الشيخ محمد أبو القاسم المفتش لدى المحاكم الشرعية بالسودان, وأخوه القاضي الشيخ أحمد أبو القاسم وأخوه الشيخ مالك أبو القاسم وأخوه الشيخ العالم المدرس مدثر أبو القاسم, وأخوه الشيخ إسماعيل أبو القاسم, كما أن من أولاد المرحوم الشيخ الطيب هاشم المفتي الأستاذ الشيخ أحمد البشري المفتش بالمدارس السودانية , وأخوه القاضي الشيخ حسن المفتي والشيخ طاهر الطيب أحمد الهاشم , ومنهم الشيخ الحسين العلامة الأزهري فإنه عندما زار السيد محمد بن المختار في جزيرته أم احراحر وأنزله السيد منزلته الإكرام كعادته مع الناس عامة, فضلا عن أهل الشأن من العلماء الأعيان , وأجلسه على سرير عال وعندها أخذ بزمام المذاكرة العلمية نزل الشيخ الحسين عن السرير وجلس في البساط على الأرض وخلع طربوشه من رأسه , فعزم عليه السيد بالجلوس على السرير فاعتذر, وقال يا سيدي هذه أنوار لا أساويها في المجلس ويقال أنه أخذ الطريقة عنه ولكنه لم يشتهر بها ,

ومنهم العلامة الكبير الشيخ أحمد عيسى الأنصاري وبينهم أهل علم ومكانة لأنهم هم الذين أحضروا العلم من مصر بعد تعلمه على العلامة الشيخ الدردير, قال عنه الشيخ محمد خير الدوش الذي انتهى تعليمه على يديه أنه كان خلوئيا وطلبت منه الطريقة الخلوئية, فقال لي حتى ترجع إلى أهلك في الجعلين وتعد إلينا فلما رجعت إلى أهلي زرت المتمة[1] عاصمة الجعلين, فوجدت الشيخ أبو الحسن الشنجيطي بن المختار وحضر من مدينة المخيرف عاصمة مديرية بربر من شيخنا السيد محمد وأعطاه الإذن في الطريق فتزاحم عليه الناس لأخذها بكثرة ,ويخلف لهم مع علمه وورعه من عند نفسه, مؤكدا أن شيخنا السيِّد من جهة العلم الظاهر لو درس المذاهب الأربعة لأملأها من حفظه, فأخذت الطريقة عنه كسابقة ثم رجعت إلى شيخي الشيخ أحمد عيسى المتقدم ببلدهم ميدو عيسى وكأنه كان في نفسي شيئ, لأن طلبت منه الطريقة الخلوئية أولا وأمرني بعد رجوعي من العلى , فوفقت لأخذ الطريقة التجانية وبعد سلامي عليه ومثولي بين يديه وسأله عن أهلي ومكاني , أردت الإعتذار له فقلت له إني أخذت الطريقة التجانية فقام إلي بفرح وسالمني ثاني مرة ومدلي جواهر المعاني بعد أخذه من محله, وقال لي أنا أيضا أخذت الطريقة التجانية فاجتمعت به في الخرطوم وهو إذ ذاك متزوج ببنت قاضي القضاة الشيخ السلاوي[2] العالم الكبير الشهير والأديب الذي أنجب العلماء والشعراء ومن هيأته المذكورة عنه أنه كان يقبل الهدية من قضاته , فأتاه أحد بغير هدية فقال له وأين هديتك فقال له ما عندي فقال عزلناك , لما قلت ما عندي ولينا من بذل أو ما علمت بأن ما حرف يكف عن العمل .

عزلنـــــاك لمــــا قلــــت مـــا	عنـــــدي وولينــــا مــــن بــــذل
أو مـــا علمـــت بـــأن مـــا	حـــرف يكـــف عـــن العمـــل[3]

---

[1] المتمة من أكبر القبائل العربية في السودان , وصلت بداية القرن 1 هــ .

[2] الشيخ أحمد أفندي السلاوي (1791 ــ 1840 م) ولد بمدينة سلا , بجوار مدينة الرباط المغربية .

[3] انظر القرافي , التوشيح , ص 118.

ومنهم الشيخ الطاهر الحي مادي الولي الكبير المعروف وقبيلته الحماد, ومنهم العالم أحمد الملقب بكنيتش عالم الأبيض , ومنهم مما لا يتسع المقام لذكره .
أما عظماء الملك و الدنيا فقد انقادوا للسيد وأخذوا عنه الطريقة التجانية السلطان حسين سلطان دارفو[1]ر إلياس باشا, وأحمد بك صنع له الله من عظماء الأبيض الجعليين العوضية ومنهم السيد محمود الضوى وأولاده, وهو سر تجار مديرية بربر ورئيس مجلسها وينتمون إلى الشرف, ومنهم شيخ العرب حسين باشا خليفة مدير مديرية بربر ودنقلة وإخوانه شيخ العرب حامد خليفة وشيخ العرب حسين خليفة من قبيلة العبابدة من صعيد مصر وقطنوا السودان .

أما البيوت الكبيرة الشهيرة بالسودان وفروع القبائل كثير ممن أخذ عنه, وقد كان تضر في زمنه , من ساداتنا الإشراف والأولياء العلماء الكبار التجانيين الشريف الكوري دفين أم درمان وقد كان لمعاصرته كان له فتور في مودته مع السيد , حتى رأى في المنام كأنه يلبسه أحمد في رجليه , فرآها رجلي السيد وحضر له واستسمحه وقال له تالله لقد اترك الله علينا, ومنهم السيد الكمالي, وهو من العلماء العاملين وكبار التجانية, ومنهم شيخ الإسلام سابقا العلامة الكبير الغيور على الدين الشيخ محمد البدوي والقاضي الشيخ أحمد البدوي من قبيلة الدواليب, وأكثر هؤلاء يستحق ترحمه رضي الله عنه يقي علينا هو جدير بالذكر الشيخ عبد الرحيم بن أحمد الذي قال فيه استأذن الكرتوب ملأن جواهر ومعنى الكرتوب هو الوعاء و الشيخ الحسن عبد القادر والشيخ أحمد عثمان نقلنا أسماء هؤلاء الأماجد عن حضرة العلامة الشيخ مدثر قاضي بلدة شندى . ومنهم سي الشيخ خليل الوزقالي وأمهل هذا السيد من أدفو مديرية أسوان بالقطر المصري وقد أخذها السيد عن سي محمد العلي عن سي الحاج علي التماسيني, وهذا السيد هو الذي تولّى تربية سي

[1] حسين كامل (1853 ــ 1917 م) هو الابن الثاني للخديوي إسماعيل , عين سلطانا لمصر و السودان عام 1911 حتى وفاته .

الشريف الدردابي المغربي الذي نشر الطريقة أيضا بالسودان المصري , ووقع له صيت عظيم وإقبال عند الناس حتى الأجانب عن الطريقة , وأصل الشيخ الدرداي من ضواحي مدينة تطوان تقدم هذا السيد من المغرب إلى السودان المصري صحبة مولاي علي الحسيني الإدريسي سنة 24 هـ وجاء السودان المصري بقصد السفر إلى الحج , وأعطى الطريقة بالسودان المصري ولما عاد إلى بلاد المغرب أخذ التقديم من القطب الكامل والعارف الواصل سي مولاي محمد بن سي البشري , ووقع السيد الإردابي مع الحكومة الإنقليزية ما وقع حتى أدى به الأمر أن غادر السودان ودخل القطر المصري الذي بث فيه الطريقة أيضا ومن القاهرة توجه إلى المغرب الأقصى حيث توفي صبيحة الجمعة 11 جمادى الأولى 1355 .

[مسألة]

ومن جملة ما وقع المذاكرة فيه هل يجوز في كلمة الحق من صلاة الفاتح لما أغلق النصب عن المفعولية أولا, وهي قولنا ناصر الحق الجواب اعلم أننا إذا نظرنا إلى هذا التركيب من جهة الدراية نقول بجواز النصب الأهم, إلا إذا ادعى أن اسم الفاعل هذا بمعنى إنما الماضي وليس المضارع , لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عملا بقول صاحب الخلاصة .

كفعله اســم فاعــل فــي العمــل إن كان عــن مضــيه بمعــزل[1]

ومحل عدم عمل اسم الفاعل عمل فعله إذا كان بمعنى الماضي, إذا لم يصح حلول المضارع محله إذا صح وقوع المضارع موقعه, نحو كان زيد ضارباعمرا أمس لصحة كان زيد يضرب الخ ...فإنه والحالة هذه ينصب لمفعول ولو كان بمعنى الماضي, لأنه

[1] في البيت إشارة إلى أن اسم الفاعل يعمل عمل فعله إذا كان دالا على الحال أو الاستقبال عند كونه مجردا من " ال " , انظر ابن مالك , الألفية البيت 428.

بعد التأويل يصير بمعنى المضارع مما رأت في المثال, وهذا كله على مذهب غير الكسائي[1] أما الكسائي فقد أجاز عمل اسم الفاعل عمل فعله مطلقا, كان بمعنى والمضارع أو بمعنى الماضي وجعله منه قوله تعالى " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد "[2] فذراعيه منصوب بباسط وهو ماض, وخرجه غيره على أنه حكاية حال ماضيه بدليل قوله بعده ونقلبهم دون وقلبناهم والمعنى يبسط ذراعيه , والمشهور في حكاية الحال أن يقدر الماضي واقعا زمن التكلم وقيل أن يقدر المتكلم نفسه موجودا في زمن وقوع الفعل, ويعبرعلى كل بما يدل على الحال وهو المضارع, وعليه إذا علمت أن اسم الفاعل يكون بمعنى الماضي ويؤول في بعض أحواله أن يقع موقعه المضارع كما تقدم في المثال, وعلما إن إمام نحاة الكوفة يقول بجواز عمل إسم الفاعل عمل فعله مطلقا سواء كان بمعنى المضارع المتفق عليه أو بمعنى الماضي الذي يقول به هذا الإمام, ظهر لك جليا جواز قراءة لفظ الحق بالحفظ على الإضافة لاسم الفاعل الذي هو ناصر وهكذا الوجه تعضده الرواية المشهورة على السنة أصحاب سيِّدنا رضي الله عنه وأرضاه , و يجوز قراءته بالنص على المفعولين من جهة الدراية التي هي الصناعة الفنية على أن لفظ ناصر في صلاة الفاتح يساعده معنى المضارع لأن نصرالنبي صلى الله عليه و سلم للحق كان في حياته عليه الصلاة و السلام على طريق المباشرة وأفعاله صلى الله عليه وسلم التي من جملتها الجهاد بالسيف وأقواله وتقريراته واستمر هذا الأمر بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى , فهو لا يزال ينصر الدين على يد أمراء الإسلام علماء الأنام بما ترك لهم من التراث الأدبي الذي لا يفنى إلا بفناء هذا العالم فهو صلى الله عليه وسلم بهذا التقدير قد نصر في حياته الدين مباشرة وهي إلى الآن لا يزال ينصره على يد من ذكرنا, فالقرائن الحالية والمقالية تؤيد أن يكون اسم الفاعل في صلاة الفاتح

---

[1] الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة (737 ــ 805 م) إمام نحاة الكوفة .

[2] الكهف 18.

بمعنى المضارع وكونه بمعنى المضارع محل وفاق بين العلماء في علمه عمل فعله قال في الألفية :

وأنصب بذي الأعمال تلوا وأخفض ... وهو لنصب ما سواه مقتضى[1]

[فائدة] قد تقدم لنا في باب فقه المسافر أن المسافر ينبغي له أن لا يطيل الغيبة عن وطنه وأهله ونذكرها ما جرى في زمن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه, من المعلوم كان أمير المؤمنين كان يطوف المدينة ليلا وكان يفعل ذلك كثيرا فاتفق له أن ذات ليلة من الليالي بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها وهي تقول :

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وأرقني أن لا ضجيع ألاعبه

ألاعبه طورا وطورا وكأنما ... بدا قمر في ظلمة الليل حاجبه

يسر له من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشى لا تحتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا شيئ غيره ... لانتقض من هذا السرير جوانبه

ولكنني أخشى رقيبا موكلا ... نفسا لا يفتر الدهر كاتبه[2]

ثم تنفست الصعداء وقالت لكان على عمر بن الخطاب حشته وغيبة زوجي عني وعمر رضي الله عنه واقف يسمع قولها, فقال لها عمر يرحمك الله ثم وجه إليها بكسوة ونفقة وكتب لها أن يقدر عليها زوجها وعن السعي قال بينما عمر يعس ذات ليلة إن من بامرأة جالسة على سرير وقد جافت وهي تقول :

تطاول هذا الليل واخضل جانبه ... وأرقني أن لا خليل ألا عبه

فوالله لولا الله لا شيئ وغيره ... لحرك هذا السرير من جوانبه

---

[1] انظر ابم مالم , الألفية , البيت 435.

[2] انظر السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر , تاريخ الخلفاء , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , مطبعة السعادة , مصر 1952.ص 124.

فقال عمر رضوان الله عليه أوه ثم خرج حتى دخل على سيدتنا حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت يا أمير المؤمنين ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال رضي الله عنه أي بنية كم تحتاج المرأة الى زوجها؟ فقالت في ستة أشهر. فكان لا يغزى جيشا له أكثر من ستة أشهر و بمناسبة هذه الواقعة العمرية, نذكر واقعة عن المسلم قال بينما أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه, وهو يعسّ بالمدينة ادعى فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل, وإذا بامرأة تقول لابنتها بابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فاخلطيه بالماء, قالت لها يا أماه أو ما علمت ما كان يعزمه أميرالمؤمنين , قالت وما كان من عزمته يا بنية ؟ قالت إنه أمر مناديه فنادى لا يتشابه اللبن بالماء , فقالت لها بابنيه قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء فإنه في موضع لايراه عمر ولا منادي عمر, فقالت الصبية لأمها يا أماه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا , وعمر يسمع ذلك كله يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ,و مضى في عسه فلما أصبح قال يا أسلم اذهب إلى الموضع فانظر من القابلة ومن الحقول لها, وهل لها من بعل فأثبت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها وإذا تلك أمها ليس لها بعل فأتيت عمرفأخبرته فدعى عمر ولده فجمعهم , فقال هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه لو كان بأبيكم حاجة إلى النساء ما يسبقه منكم أحد إلى هذه الجارية, فقال عبد الله لي زوجة وقال عبد الرحمن لي زوجة وقال عاصم با أبتاه لا زوجة لي فزوجني, فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتا, وولدت له البنت بنتا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكأن الرواية الانية هي أنها ولدت بعاصم بنتا وولدت البنت سيدنا عمر بن العبد العزيز رضي الله عنه[1] .

(عذيبة في بابها) سمعنا في هذه الأيام أعني أيام إقامتنا بأم درمان, أن امرأة رمت نفسها في بحر النيل , وذلك أن هذه المرأة لها أخت غيرمتزوجة فأراد أهلها تزويجها ومن

[1] انظر المرجع السابق , ص 128.

الإشفاق أن وفاة أم البنتين كانت سبقت هذه الحادثة بمدة قريبة, فالعائلة في الحقيقة لا زالت في طورالحزن , فلما أراد الأهل والأقارب تزويج هذه البنت امتنعت أختها المتزوجة من الإسراع بتزويج أختها بدعوى الإحداد على الأم, فلم يسمع الأقارب قولها وبادروا بتزويج البنت فلما رأت أن قول أختها لم يسمع بادرت تحت جناح الغفلة إلى تنفيذ غرضها الباطني أخذا بأذيال الحق والطيش, فلبست لباسها الجميل وتحلت بحليها الذهبية وقصدت بحر النيل وأهلها وزوجها تحت حجاب الغفلة لا يعلمون , فلما وصلت إلى محل شديد العمق من بحر النيل رآها بعض الفلاحين فقال لها ما تريدين يا بنت ؟ أريد أن أشرب الماء كان جوابها, فقال لها ابتعدي من ذلك المكان فإنه غريق فاستغفلته البنت ورمت نفسها في جوف الماء ومن الغريب أن هذه المرأة متزوجة وهي حامل أيضا فلما رأى الفلاح ما رآى ذهب إلى المركز الحكومي وأخبرهم بالأمر, ومن الاتفاق أنه اجتمع بخالها عند مدير المحافظة كل منهما يرفع قضية البنت لهذا المدير, فانظر أيها الأخ هذه الحادثة المهولة وما ينشأ عن الخلاف العائلي من المكائد الخفية, وكان أمر الله قدرا مقدورا فأصبحت العائلة كلها في قلق وحزن جديد !.وإلى كتابة هذه الأحرف لم نسمع عن هذه الغريقة ما آل إليهم .

ومما جاءت به الأنباء الماضوية نعي صهرسيدنا رضي الله عنه وهوالسيد علي بن السيد الطاهربن زيان[1] الساكن ببلدة المشرية الذي شيع سيدنا في هذه الرحلة إلى الدار البيضاء بالمغرب الأقصى, مات هذا السيد رحمه الله بالمشرية بعمالة وهران إثر مرض دام خمسة أيام, جاء سيدنا هذا النعي وهو بالقاهرة ونحن بأم درمان في انتظاره, و هذه عادة الله في خلقه , أما البنت التي تقدم أنها ألقت بنفسها في النيل فقد أشرقت نجمها بعد الأفول وألقتها مياه النيل بالساحل على بعد 70 كم من الخرطوم ووجد حليها على أصله لم يضع منه شيئ ونال أهلها غم عظيم ,حتى أنهم مكثوا هم وجيرانهم خمسة أيّام بدون أكل

[1]من أعيان المدينة.

وقيل أن البنت قبيل الواقعة كانت تقول أن نفسها تحدثها بأن ملك في النيل, ولما أخرجت دفنت في المقبرة هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون .

وهذه عاقبة المناقشات العائلية التي لا تأتي إلا بالشر إذ قلب الإنسان بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء لما يشاء , نسأل الله تعالى أن يقابلنا بفضله وعفوه إنه ولي النعم ومصدر كل عطية مكرم به.

ولنختم هذا المجلد المبارك[1] بإيراد قصائد بليغة , وبهذا سيدنا خلال إقامته ببلدة بربر عاصمة الأتراك القديمة في قطر السودان تليت هذه القصائد بمناسبة الاحتفال العشي الذي تناول فيه سيدنا الشاي ترحيبا بقدومه الشريف, وذكرنا هذه القصائد بحسب مع أن سيدنا رضي الله عنه مدح بقصائد عديدة تزيد على 50 قصيدة تليت كلها في مناسبات الاحتفالات التي أغلبها في العشي أولا لضيق الوقت لأشغاله السفرية, وثانيا أن هذه القصائد المذكورة أجدر من غيرها بالذكر لمن أرادها أن يقتصر, أما الخطب الرنانة التي تليت بمناسبتها فهي تزيد على عدو القصائد, أكثرها قام به الشباب السوداني من إخواننا التجانية والمرغنية في استدعاءاتهم والمهدية وكذلك جزى الله الجميع خيرا جزيلا وأولى هذه القصائد نصّها .

تحيّة أم درمان :

حي ضيف السودان أهلا و ســـهلا	حفيـــــد الأحمــــد التجـــــاني
وعظيم رأي اللـــي العــرف حقّــا	فـــي بـــلاد تعظـــيم التيجـــاني
أيهـــا الســيِّد الجليــل المنـــدى	قـــد قرأنـــا لأحمـــد التيجـــاني
أترانـــا وأنـــت خيـــر كتـــاب	قد رأينــاه مــن ســنا التيجــاني
قـــل رأيـــتم تعطشـــا وولاء	وإنتســـابا لأحمـــد التيجـــاني
وإمتـــدادا مـــن فيضــه نتكـــرم	بحـــديث لأحمـــد التيجـــاني

[1] يقصد السجل الكبير من المخطوط , الذي قارب على نهايته .

أينمـــا كنـــت أنـــت أقـــرب منّـــا ... فـــي بســـاط لأحمـــد التجـــاني

وإلتفـــات الآبـــاء شـــيئ طبيعـــي ... وزنـــــي وأحمـــــد التيجـــــاني

هـــو للكـــل والحـــديث شـــجون ... نحـــن قـــوم لأحمـــد التيجـــاني

علـــم الله لـــو وجـــدت مـــرادي ... فـــي إمتـــداحي لأحمـــد التيجـــاني

لنظمـــت الـــداري وهـــو ســـيأتي ... دون شـــك بأحمـــد التيجـــاني

شـــهد الله مـــن شـــهدت شـــؤوني ... فـــي حيـــاتي بأحمـــد التيجـــاني

إستوى الأمر والمكـــارم جـــاءت ... وهـــي نشـــرمن أحمـــد التيجـــاني

قد عرفنـــا بـــه الشـــهود ومـــنكم ... قـــد شـــهدنا لاحمـــد التيجـــاني

صف إلينا الدواء خالـــدين غطّـــى ... وشـــكونا لاحمـــد التيجـــاني

ورأينـــا بشـــارة قـــد تجلـــت ... يوم (عيد) مـــن أحمـــد التيجـــاني

فعلي (للطـــائر) المبـــارك حيـــتم ... كســـفير لأحمـــد التيجـــاني

قدم (الصـــك) بالفتوحـــات فينـــا ... وأســـأل الأجـــر أحمـــد التيجـــاني

قد حســـبنا عليـــه يـــوم (الســـبت) ... واجبنـــا محمـــد التجـــاني

و(بلـــى) قالـــت فجـــاءت إلينـــا ... كعـــروس مـــن أحمـــد التجـــاني

عـــالم الـــدر قـــد رأيـــتم رجـــالا ... تحـــت نـــور لأحمـــد التيجـــاني

ورأيـــتم لأكـــرم الخلـــق يبـــولي ... مكرمـــات لأحمـــد التيجـــاني

قـــل إلـــى عـــالم التناســـل هـــذا ... وتقـــرب لأحمـــد التيجـــاني

قـــد شـــهدتهم كماكـــد وشـــهدتم ... من أجابوا يـــا أحمـــد التيجـــاني

(سندي) واصـــل يضـــيئ جمـــالا ... وكمـــالا (بالحفـــاظ) التيجـــاني

سل ولمصر لما وضـــعت لكفـــى ... تحت كـــف (للحـــافظ) التيجـــاني

إنه الســـيد المحـــدث عـــن مـــن ... قد تجلـــى فـــي أحمـــد التيجـــاني

خاتم الرسل ســـيد الخلـــق طـــرّا ... ألـــيس التـــاج احمـــد التيجـــاني

صل يا رب ثم سلم على من ... هو جد لأحمد التيجاني
وختام الحديث يا رب فاحفظ ... لحفيد لأحمد التيجاني
من الأديب عوض الكرم حمزة ... يا مدرمان وتنزل

[تحيّة بربر]

للضيف الكريم الفطم السيِّد الحاج ابنعمر حفيد السيد أحمد التيجاني رضي الله عنهما :

نلت يا بربر السعيدة سعدا ... سجل اليوم في الصحالف مجدا
وأشهد السيد العظيم وأدى ... واجب الإبن للحسب المفدي
جاء من ناس للتيجاني حفيد ... يلبس المجد و السماحة عمدا
الكسب السود رفقة وبياضا ... وسوانا يسود ما ضلّ مبدا
آل بيت التيجاني أنتم كرام ... قد بذلتم من الهداية رفدا
ووصلتم لنقطة الباء لمّا ... إن لبستم إلى الخيفة بردا
أيها السيد الجليل مقاما ... نحمد الله في المساجد حمدا
قد رأيناك يا كريم السجايا ... وعظيما منها لكثيرا سمدا
زادك الله كمالا و رفعة ... وجمالا يزداد نورا وعدا
لو عددنا مناقبا للتيجاني ... لعددناك في المناقب فردا
لك أدت بنت القريض التحايا ... واستعدت حيث المكان إستعدا
يا مكان الحديث والقول إني ... لك أهدي قصائد تتحدّى
زانها الدين والوفاء فجاءت ... خالات تعز والله تقدا
لك تسعى وما سألت عليها ... عين ودرا يكون فتحا ونقدا
أنت باب إلى الرجاء وهذا ... ما وصلنا إليه صححه قصدا
ما قصدنا غير النبي وآل ... في مجال يصير الحر عبدا

بك صحت إلــى القلــوب عيــون لســـت أدري تشـــهد حمـــدا
التجـــاني أو النبـــي وإنًـــي في بياني لا أركب الصعب عمــدا
يسهل الصّعب يا حفيــد التيجــاني بعد هــذا مهمــا أنــي واســتبدا
كلنـــا يســـأل إلتقائـــك يـــا مـــن لــــك وهـــاجرت لإخوانـــك
وأرى بربــــــر العزيــــــزة ألا ورفاقا كنا لــدى الــدرس مــردا
حفظــت ود مــن يصــوغ إلــيكم شــاردات ومنــك يخطــب ودا
وودكم في الحيـاة فـتح ونصـر وبـــدار الجــزاء يصــبح ســعدا
ســعدا مــن صــافحوك وبــالوا فـــي ولاء إلـــى النـــواذل صـــدّا
يكفي جدا من بياني الفلول خــلاق تجحــد النــور والحقيقــة حجــدا
إذا أصــليه مــن بيــاني شــظايا تمرق القــدل ثــم تحســن كيــدا
إنـــك الســـيد الكـــريم وإنًـــي لــك أبــدي ممــا أراه اســتجدا
من حــديث تــرى بــه للقوافــل كشــراب إلــى الضــيوف أعــدّا
لست ضــيف يــا ســيدي مــنكم والــــيكم ونعبــــد الله وحـــــدا
تحت نور إلى التيجــاني ونزعــى حرمـــه العهـــد إجتماعـــا ووردا
رغم قــوم بــاتوا فــي كــل واد نصــــراء البدعـــــة تتـــــردى
ســبل لأجــدادك الكــرام نجــاة هد قــوم الضــلال للــدين هــدّا
هل سيرضى خير الأنــام إذا مــا جــاءه الأوليــاء يمشــون وفــدا
يطلبون القصاص ممــن أســاءوا دون شــك لهــم سيقضــب جــدا
وهناك الــبلاء والمقــت خلصــن يــا إلهــي إلــى القصــائد جنــدا
محنـــة تـــدهم الـــبلاد وتمشـــي تحث نشر الحنيف يزفــا رويــدا
زعموا ســنة الرســول إحتقــارا لــــــولي أمــــــده وأمـــــــدا
ولخيـــر الأنـــام مـــدا خيوطـــا ســـحبتهم إلـــى جهـــنم خلـــدا

تحصـــيه محنـــة وأنـــت ســـفير   للتجـــاني فشـــل إلـــى الله ردا
فالبلايـــا أن اســـتمرت أضـــرت   وأرفع الكف الـذي لـك أهـدي
وأخـــتم القـــول الحـــديث دعـــاء   ثلث يا بربـــر السـعيدة ســـعدا

عرض الكريم ثمرة أم درمان منزل

رقم 174 / 41 يادروق السودان

تحية واد مدني

للضيف الكريم العظيم السيد الحاج إبنعمر حفيد سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه

(مولاي صاحب السيّادة)

أتـــرع الكـــاس فـــالبلاد إســـقدت   لجمالهـــا النفـــوس اشـــرأبت
وأصـــلح العـــود إن أوتـــار قلبـــي   بك مولاي فـــي المحافـــل غنـــت
أم دون ثـــــم بربـــــرا مـــــن   لك ركبـــت بـــه المهابـــة حفّـــت
أينمـــا ســـرت فالمهابـــة ســـارت   وبنـــات القـــريض آيـــا تـــدلت
لـــك مـــدحي وللفضـــيلة مـــدحي   و لك الفضل فـــي شـــوارد حنـــت
ليراعـــي وقـــد وقفـــت خطيبـــا   بـــدار أرى إلـــى المحافـــل هـــزت
كـــل مـــدح إلـــى الوفـــاء رهـــين   ووقـــائي لـــه الملـــوك أقـــر ت
ووقـــائي بـــه النصـــوف يبـــدو !   فـــي إبـــاء بـــه النزاهـــة صـــحّت
صـــح فيـــك الحـــديث أنـــك أي   وكتـــاب أبوابـــه منـــك أملـــت
أغـــدق الكـــاس واســـمع لبنـــات   طـــاهرات إلـــى ركابـــك زفـــت
رقـــة الـــدين فوقـــه رقـــة ملـــك   ومليـــك لـــه المزاميـــر دقـــت
قد رأيت الملوك مـــا بـــين حفـــز   وأرى فيـــك هيبـــة قـــد تحـــدت

كـــم قلـــوب ملكتهـــا بمجيـــئ ... وطـــواق وفـــي بســـاطك أبـــدت
لشـــعور و لهفـــة وإنتســـاب ... وزوايـــا لهـــا الوظيفـــة رنّـــت
قـــل لـــك القلـــوب نحـــن ضـــمان ... وأمـــان مهمـــا الليـــالي إســـتجدت
وأمـــان الأقطـــاب شـــتى عظـــيم ... وضـــمان الأقطـــاب آي ترقـــت
قـــد ترقـــت بـــك الـــبلاد ولمـــا ... طفت حنـــت إلـــى النبـــي وصـــلت
ورأت التجـــاني فيـــك وهـــذا ... ومـــا أراه ولهجتـــي بـــك ر قـــت
أنـــي الحفـــل خالـــدات ســـتبقى ... لعصـــــــوروبامتداحك أ حيـــــت
قد هـــززت الكـــرام آل التيجـــاني ... لفتـــوح و فهـــو عرســـي تحلـــت
بكمـــال ومـــا تـــرددت حاشـــا ... في وفاء مهمـــا الأمـــور استشـــدت
يـــا وقيـــا ســـيدا وعظيمـــا ... وإمامـــا لـــه الحنيفيـــة أمـــت
حيـــث الأرض الديـــدان ترعـــى ... ودادا لحـــب لـــه الأكـــابر ربـــت
جاء من جـــاء شـــبلكم ثـــم جـــاءت ... بك نعمى على المحبـــين صـــبت
وســـحاب الكـــرام يمطـــر مجـــدا ... لك سحب على المـــزارع طلـــت
ببـــروق ومـــا عهـــدنا إلـــيكم ... خلبـــا و البـــروق منـــك اســـتمدت
مدد الصـــدق والجميـــل وجـــاءت ... خير غيـــث لـــه الـــزرع تحنـــت
كـــم تمنيـــت أن أرافـــق ركبـــاء ... لـــك مـــولاي والمشـــاغل صـــدّت
مـــا صـــددنا عـــن الـــولاء بحـــال ... فـــي مجـــال بـــه الكرامـــة عـــزت
نحـــن عـــرب وســـعادة أوفيـــاء ... للتجاني مهمـــا الســـنون اســـتمرت
نحن عـــرب وقـــد حفظنـــا إلـــيكم ... خير عهد بـــه الصـــفات اســـتدلت
ذلل الصـــعب يـــا حفيـــد التجـــاني ... وأتـــرع الكـــاس فـــالبلاد اســـمت

عرض الكريم حمزة أمدرمان منزل رقم 141 / 41بادروق السودان .

وأمــان الأخطـــاب شـــيئ عظـــيم / وضـــمان الأقطـــاب أي شـــرقت
قـــد ترقـــت بـــك بـــلاد ولمّـــا / طفت حنت إلـــى النبـــي و صـــلت
وارث للتجـــاني فيـــك وهـــذا / مـــا أراه و لهجتـــي بـــك ارقـــت
اثنـــى الحفـــل خالـــدات ســـتبقى / لعصـــور وبامتـــداحك أحيـــت
قد عـــززت الكـــرام آل التيجـــاني / لفتـــوح وهـــو عرســـي تحلـــت
بكمـــال ومـــا تـــرددت حاشـــا / في وفاء مهمـــا الأمـــور ا شـــتدت
ذلل الصـــعب يـــا حفيـــد التجـــاني / خير عهد بـــه الصـــفات اســـتدلت

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا وصحبه وسلم

أنـــا المطلـــوب فـــأطلبني تجـــدني / فـــإن تطلـــب ســـوايا لـــم تجـــدني
أنا المقصود فأقصدني لا تقصد ســـواء / كثيـــر الخيـــر فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا المعبـــود لا تعبـــد ســـواء / أنـــا الجبـــار فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا الـــرب الـــذي يخشـــى عـــذابي / بهـــيج الخلـــق فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا الملـــك المهـــيمن جـــل قـــدري / عظـــيم الملـــك فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا للعبـــد أرفـــق مـــن أخيـــه / ومـــن أبويـــه فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا الله الـــذي لا شـــيئ مثلـــي / أنـــا الـــدبّار فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا ملـــك الملـــوك وكـــل ملكـــي / لـــي الميـــراث فـــاطلبني تجـــدني
أنـــا الوهـــاب لعبـــدي ســـريعا / وفـــي العهـــد فـــاطلبني تجـــدني
تجـــدني راحمـــا ســـرا رؤوفـــا / لكـــل الخلـــق فـــاطلبني تجـــدني
تجـدني فـــي ســـواد الليـــال عبـــدي / قريبـــا منـــك فـــاطلبني تجـــدني
تجـــدني واحـــد صـــمدا عظيمـــا / كثيـــر الخيـــر فـــاطلبني تجـــدني

تجدني في سجودك حيث تدعو … وحين تقوم فاطلبني تجدني

تجدني واسعا للخلو عبدي … أنا المنّان فاطلبني تجدني

تجد مستغاثا مغيثا … أنا القهار فاطلبني تجدني

تجدني واسعا للخلق عبدي … أنا المذكور فاطلبني تجدني

إذا اللهفان ناداني حزينا … أقول لبيك فاطلبني تجدني

إذ المضطر قال إلا تراني … نظرت إليه فاطلبني تجدني

إذا عبدي عصاني لم يجدني … سريع الأخذ فاطلبني تجدني

وإن هو تاب تبت أنا عليه … أنا التواب فاطلبني تجدني

ومن مثلي وأين يكون مثلي … ليس يكون فاطلبني تجدني

هلم إلي لا تقصد سواء … أنا الرحمن فاطلبني تجدني

أتذكر ليلة ناديت سرّا … ألم أسمعك فاطلبني تجدني

ومن يحميك سوايا يا عبدي … من النيران فاطلبني تجدني

ولا يخلد في الفردوس غيري … أنا الرزاق فاطلبني تجدني

وهل في الخلق من يعطي جزيلا … سوايا ليس فاطلبني تجدني

أتعرف غافرا للذنوب غيري … أنا الغفار فاطلبني تجدني

سأغفر للعباد ولا أبالي … بيوم الحشر فاطلبني تجدني

وأكرم من أريد بلا حساب … أنا الوهاب فاطلبني تجدني

وأرحم من عبادي من عصاني … بجهل منه فاطلبني تجدني

تعذربي ولم ترقط مثلي … ولست تراه فاطلبني تجدني

وأكرم من يتوب إلي خوفا … لي الإكرام فاطلبني تجدني

لي الآلاء والنعماء عندي … لي الخبرات فاطلبني تجدني

لي الدنيا ومن فيها جميعا … لي الملكوت فاطلبني تجدني

الـــم أعطيـــك مـــن رزق كفانـــا   ألـم أغنيـك فـا طلبنـي تجـدني

ألــم تعلــم بــأني منــك أدنــى   مـن القوسـين فـاطلبني تجـدني

ألــم أشــفيك يــا عبــدي ســريعا   ألــم أعطيــك فــاطلبني تجــدني

أتعــرف مــن لــه إســما كاســمي   أنــا الرحمــان فــاطلبني تجــدني

أتعــرف ســاترا العيــب غيــري   أنــا الســتار فــاطلبني تجــدني

أتعرف مـن يقـول للشـيئ غيـري   كـن فيكـون فـاطلبني تجـدني

أتعرف مـن يغيـث الخلـق غيـري   مـن الكربـات فـاطلبني تجـدني

أتعــرف منقــذا غيــري ســريعا   مـن المهلكـات فـاطلبني تجـدني

أنــا قبيــل الــدهور وقيــل قبــل   وبعـد بعـد فـاطلبني تجـدني

أنــا الفــرد المــدبر فــوق عرشــي   بغيـر حلـول فـاطلبني تجـدني

أنــا الله الرفيــع فلــيس غيــري   أنــا القـدوس فـاطلبني تجـدني

أنــا الــرب المجيــب لمــن دعــاني   أنــا الخــلاق فــاطلبني تجــدني

أنــا الوهــاب لــلأرزاق جــودا   أنــا الفعــال فــاطلبني تجــدني

أن يــأتي الســماء بــلا عمــار   وداحـي الأرض فـاطلبني تجـدني

أنــا البــاقي إذا أفنيــت خلقــي   أنــا القيــوم فــاطلبني تجــدني

انــا محــي العظــام ومبتــديها   أنــا الفــلاح فــاطلبني تجــدني

أنــا الــرحمن خــالق كــل شــيئ   أنــا المنــان فــاطلبني تجــدني

أنــا الله الــذي لا رب غيــري   ولا معبـود فـاطلبني تجـدني

انا المتعـال فـوق عزمـي باسـمي   أنــا القهــار فــاطلبني تجــدني

أنــا القــدوس لا تطلــب ســواء   أنــا الــرحمن فــاطلبني تجــدني

أنــا كــافي الأرامــل واليتــامى   أنـا المقصـود فـاطلبني تجـدني

وقــد بــارزتني بالــذنب جهــرا   ولـم أفضـحك فـاطلبني تجـدني

وفـــي وقـــت اللقـــاء تجـــد كريمـــا كثيـــر العفـــو فـــاطلبني تجـــدني

أنـــا للعبـــد أشـــفق مـــن أخيـــه ومـــن أبويـــه فـــاطلبني تجـــدني

وآمـــن بالرســـول ومـــا أتـــاه مـــن القـــرآن فـــاطلبني تجـــدني

والهـــادي وكـــان لنـــا جبيبـــا فمـــن والاه حبّـــا كـــان منـــي

انتهت قصيدة المناجاة

ومما رواه سيدنا علي بن سي العبد من أحفاد الشيخ سي علي الحاج التماسين رضي الله عنه سي البشير بن سي يحمّه أن هذه القصيدة تقرأ في جوف الليل لقرع باب ملك الملوك ومناجاة الرب الكريم الذي لا يخيب من وقف ببابه سائلا مواهبه وطالبا فقله ونواله, اللهم إنا وقفنا ببابك مقرعين إليك مستطمرين جودك وإحسانك وأسألك بجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ارزقنا الإقبال عليك والقبول عندك يا رب يا أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا وآله و صحبه وسلم ,فائدة ذ كر بعض العارفين من أهل الكشف والتمكين رضي الله عنهم أنه ينزل في كل سنة ثلاثمائة ألف يليه وعشرون ألفا من الليلات وكل ذلك يوم الأربعاء الأخيرة من شهر صفر , فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة, فمن صلّى في ذلك اليوم أربع ركعات يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة مرة سورة الكوثر سبعة عشر مرة والإخلاص خمسة عشر مرة والمعوذتين مرة, ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء يحفظه الله تعالى بكرمه من جميع البلايا التي تنزل في ذلك اليوم ولم يحم حوله بليه من تلك البلايا إلى تمام السنة ,والدعاء المعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم إني أعوذ بك من شر هذا الشهر ومن كل شدة وبلاء وبلية التي تنزل فيه يا دهر وياديهور يا ديهار يا كائن يا كينان يا كنون يا أزلي يا أبدي يا مبدئي يا معيذ يا ذا الجلال والإكرام يا ذا العرش المجيد, أنت الفعال لما تريد اللهم أحرس بعينك نفسي وأهلي

وولدي وديني ودنياي التي ابتليني بصحبتها بحرمة الأبرار والأخيار بحرمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار برحمتك وبرحمتك يا أرحم الراحمين اللهم يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيز يا من ذلك بعزتك جميع خلقك يا محسن يا مجمل يا متفضل يا منعم يا مكرم لا إله إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين, اللهم بأم الحسن وأخيه وحيده وأبيه أن تكفيني شر هذا اليوم وما ينزل فيه يا كافي يا كافي يا كافي فسيكفيكم الله وهو السميع العليم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم[1] .

نقل من خط السيد محمد بن سالم السمغولي (رحمه الله)

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله و صحبه .

بحمد الله يصل الكتاب إلى حبيبنا ومن له خالص المحبة ضمن قلوبنا الفقيه الأرشد والنجم الطالع السعيد الأسعد, المقدم سي محمد بن سالم نجانا الله وإيّاه من كل ظالم, سلام الله عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وباركه حسنى , و بعد فقد وصلنا إلى جوابك الرفيع وفهمنا منه لذيذ خطابك البديع فلله الحمد على سلامتكم وعافيتكم , ومن جملة ما فيه أنك سألتنا عن أمور فاعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن قولك على جوهرة الكمال 66 مرة فهي تجمع المطالب الدنيوية والدينية والتوجه بها يكون في جوف الليل المكونة إلى القبول أقرب, وليس لها رجز معروفة سألت المقدم الذي لقنني إياها وزعم أن لا وأما السنة فهي قصد الشيء المأمور به , فمن حيث ماهي هي ولها القلب لكن مقاصد الأوراد من شروط الكمال ما فيها إلا زيادة الخير ولا حرج في تركها , بدليل قول سيدنا رضي الله عنه الذي سأله على مفتاح الورد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم واشرع في وردك, فلم يزده غيرهذا ولك إن شئت أن تتعوذ وتتلوا قوله تعالى "

---

[1] من دعاء الأربعاء عند التيجانية.

إنّ الله وملائِكتهُ يُصلّون على النبيً .. "[1] لبيك اللّهم ربي و سعديك و الخير كله في يديك وها أنا عبدك الضعيف الذليل الحقير, قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا لك ولرسولك صلى الله عليه وسلم , طالبا من محض فضلك وجودك وكرمك أن تقضي لي كذا والتعوذ والبسملة والفاتحة, وتشرع في الجوهرة فإنها سريعة في الإجابة وأما الخواص مثل الصلاة الغيبية وياقوتة الحقائق وغير ذلك فإنه يجوز ذكرهما قبل الصبح وبعد طلوع النهار وفي أي وقت شئت قياسا على الورد اللازم, اللهم إلا أن يكون في الأسماء الإدريسية فإنها إن تأخرت عن وقتها يتضرر العامل ضررا عظيما كما هو مقرر في الجواهر في الرسالة , وأما قولك على من فاته شيئ من هيللة الجمعة بعذر شرعي فلا يخلو من الرفق أما أن يزول عذره قبل الغروب فهذا لا بد له الذكر ولو فاتته الجماعة كذا من أدرك منها البعض مع الجماعة فلا بد له من كمال ألف فصاعدا, أو على القدر الذي اصطلحت عليه البلد و إما إن زال العذر بعد الغروب فهذا الإقضاء عليه لأن حضرة يوم الجمعة غايتها الغروب ثم إن كان فإنه لعذر عرض له في الوقت فلا بأس ويرجى أن يكتب له أجره بفضل الله تعالى إنما الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله وإن فوته بغير عذر فقد فوت على نفسه خيرا كثيرا أو إما تركها دائما تهاونا فإنه بحل به.

وقد أقيم مهرجان عظيم واحتفال ذكرياته لا زالت خالدة, في مدينة لاغوص بمناسبة قدوم سيدنا وهذا الاحتفال قام به مسلمو العاصمة المذكورة وكان هذا الاحتفال في بعض نواد المدينة تليت أثناءه الخطب المؤثرة, قام بها أفذاذ القوم بيد أن هذه الخطب كانت باللغة الوطنية البربرية, وتليت هذه الخطب بأكملها ، أقام المذياع الذي هيأته الجماعة الإسلامية وفي الختام قام سيدنا و تلى على القوم خطابه البليغ الذي يتضمن أساليب التربية الاسلامية دبت سوق النشيد حتى تعرض لنبذة من التراتيب الإدارية التي أنشأها الخليفة

[1] "إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما " الأحزاب 56.

الثاني أمير المؤمنيين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه, اختتم هذا الاحتفال بصلاة المغرب في نفس ذلك النادي وقد أقيم له احتفال في زيارته الأولى لهذه المدينة, أيام توجه إلى مدينة دوالا بقطر الكمرون جعله القوم كوداع لسيدنا عند مغادرته للاغوص, قاصدا ما ذكرته من البلاد الإفريقية ,غير أن هذا الاحتفال كان أفخر وأعظم من السابق حيث ضم أفذاذ القوم من شيوخ وشبان وممن حضره قنصل فرنسا بعاصمة لاغاواص .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رحلة نيجريا في المرة الثانية بعد الرجوع من بلدة حورت لامي .

غادر سيدنا بلدة كنو على متن الطائرة قاصدا عاصمة نيجريا الجنوبية مدينة لاغوص قصد مهمة إسلامية تتعلق بشؤون الحجيج عند المقيم العام الإنقليزي لها, وبعد أن أتم مأموريته الدينية توجه إلى مدينة ايادن, ومعه طائفة أعيان يربه سكان لاغوص منهم الشيخ لدكي من أفذاذ بريه بلاغوص فوعظ الناس في الجامع وبث الطريقة وأجاز من أجاز, ومن أبادن توجه إلى بلدة الوري حيث استقبله سلطانها بحاشيته الفخيمة ورجال الدين الكرام من أئمة وأعلام على نحو 14 كلم من البلدة المذكورة فجعل في هذه البلاد ماجعل في إخوتها ومنها توجه الى بلدة جدة حيث استقبله أيضا سلطانها بحاشيته ورجال الدين على بعض أميال خارج البلدة , ومنه توجه الى بلدة منا فاجتمع بالمسلمين بالمحطة حيث أنه في استعجال لركوب القطار متوجها الى بلدة كنو عاصمة قبائل هوصة, فمكث أياما ببلدة كنو مكرما معظما عند سلطانها عبد النور عباس وولده المحترم السيد تشرمة ولي عهده, ومنها توجه إلى بلدة كورة التي نزل بها ضيفا مكرما عند أميرها, واجتمع بالمسلمين فوعظ وأرشد ومن دوره توجه إلى بلدة زندر أول مركز حكومي بقطر النيجر الفرنسي, بيد أنه مر في طريقه على إدارة القمرق الدوانة الفرنسية ببلدة ماتمي , أول مركز صغير من قطر النيجر المذكور, وقد قابله مدير الدوانة الفرنسي هو وحاشيته المتركبة من أفذاذ هوصة .

و توجه سيدنا رضي الله عنه إلى بلادة زندر حيث نزل ضيفا مكرما عند سلطانها والسيد الحاج مختار الشريف الغداميسي أصلا الذي ولد ببلدة زندر, ولهذا الرجل العظيم مكانته الممتازة عند أهل زندر, لما أوتيه من الخير والكرم غير أن سيدنا قد تقابل مع أمير زندر الحاج مصطفى المتوفي رحمه الله تعالى, مقابلة خفيفة في حضرة حيث أن السلطان المذكور عاجله السير إلى بلدة نيامي بطريق الجو للمعالجة التي لاتقبل التأخير ومن الغريب أن هذه أول وآخر ملاقاة مع السلطان بسيدنا حيث أن المنية اخترقته إثرعملية جراحية في مستشفى نيامي أما حاكم زندر الفرنسي فقد جاء للسلام عليه حتى محله واستدعاه لتناول الأتاي بداره الحكومية هو ورجال ركبه الشريف من هوصة وغيرهم واستدعاه بعدها لتناول العشاء ومعه السيد الحاج المختار الشريف المتقدم الذكر آنفا , وقد ألف سيدنا أيام إقامته بزندر لجنة تجانية دينية مهمتها المحافظة على أمور الدين والذود عن حماه المطهرة ، وقد أذن فيها خلقا كثيرا كالعادة واستمرت الإقامة ببلدة زندر خمسة عشر يوما عوض الثلاثة أيام المزعومة سبب ذلك فساد الطرقات بكثرة الأمطار النازلة في فصل الخريف, حتى قطعت السبل بين زندر وبلدة نيامي لمدة أيام , ولاننسى المساهمة الجليلة التي فاز بها السيد أبالهوس في تسهيل الأمور السرية لسيدنا وأيام إقامته بزندر, جعل فيها ما هو جدير بالذكر ذلك أن من جميل الاتفاق ، صلى سيدنا على جنازة سلطانها المتوفي ببلدة نيامي كما أسبقنا ذكره ، واستقدمت جنازته إلى زندر حيث عبر بها بطريق الطائرة الحكومية , وشيع سيدنا عند مغادرته بلدة زندر في سيارته السيد الحاج مختار المذكور ورفيقه بعض الأميال ، خارج البلدة وقد وقعت مغادرة زندر قبيل الغروب ومنها جل ليلا بركبه الشريف بلدة تساوة حيث نزل ضيفا مكرما عند أميرها واجتمع صباح الغد بجميع المسلمين, ففعل ما فعل من وعظ وإرشاد بارك الله في أنفاسه وجعله ذخرا مباركا لسائر المسلمين أجمعين واجتمع بالحاكم الفرنسي أيضا ومن هذه البلدة توجه سيدنا الى بلدة نيلا نزل فيها في ضيافة السلطان و اجتمع فيها بسائر المسلمين ومنها توجه

سيدنا إلى بلدة ماداولا نزل فيها عند رئيس البلدة واجتمع فيها أيضا بالمسلمين كما هي الغاية المنشودة .

ونالنا من النصب والتعب ماينال المسافر, حيث أن السبل خربتها الأمطار الكثيرة حتى أصبحت وعرة المسلك واجتمع أيضا بحاكمها الفرنسي وجرت بينهما محادثة تتعلق بالمغرب الأقصى , حيث أن هذا الحاكم سبقت له معرفة الديار المغربية ومن بلدة ماداولا قطع سيدنا في ذلك اليوم بسيارته الأمريكية مسافة 370 كلم, فمر أثناء سيره على بلدة كوني واستراح فى بلدة دوقندالتى سكانها كلهم مجوس, جاء إليه رئيس البلدية الوطني المجوسي في محل الاستراحة الحكومية, فوعظه سيدنا بأسلوبه الحكيم الذي لايتأخر عنه إلا من كان نصيبه في دركات الجحيم رجاء دخوله في الإسلام, غير أنه لم يظهر في السعادة بحظ ولم تحل الهداية الإلهية قلبه المظلم, نسأل الله السلامة و العافية واستمرعلى كفره فأعوذ بالله من كفره ,وبعد صلاة العصر توجه سيدنا الى بلدة دوصو التي أناخ فيها مطايا الاىستراحة بعد هذا السير الطويل الشاق نزل ضيفا مكرما عند أميرها السيد الحاج مومن سعيد الذي فاز بمعرفة سيدنا بالحرمين الشريفين واجتمع بالمسلمين بالجامع فأرشد ووعظ وبث الطريقة الأخوية و أجاز, وبعد زوال ذلك اليوم توجه سيدنا إلى بلدة نيافين المركز حكومي العام لقطر النيجر الفرنسي, نزل فيها ضيفا مكرما عند الكي ثوري, بيد أن الرجل المذكور كان غائبا في الديار المقدسة لأداء النسك الإسلامي , والذي قام بأمر ضيافته خلال إقامته بهذه العاصمة نيامي هو ولده محمد الأمين , واجتمع سيدنا بكافة المسلمين في هذه البلدة بالجامع فكان يوما مشهودا واحتفالا بالنصائح الاسلامية محمودا , وأنزل ما كان بينهم من احتقار واختلاف حتى صاروا إخوانا بعد طول التفرقة, ورغب المسلمون من سيدنا أن يطيل الإقامة بين أظهرهم حتى يصلي بهم صلاة عيد الأضحي بالمصلى الغربي من الجامع فكان اليوم يوما مشهودا تجلت فيه شموس الرابطة الإسلامية بين المسلمين أيما تجل, واجتمع سيدنا بالحاكم العام لقطر النيجر الفرنسي للولاية العامة ،

حضر هذا المجلس الكاتب العام والذي ضرب بسهم لاينسى في سبيل خدمة سيدنا خلال إقامته بنيامي , هو السيد أبا الشفيط الذي لازال يتردد على سيدنا رضي الله عنه, وخلال إقامة سيدنا ببلدة نيامي وردت عليه انحرافات من مسلمين شمال قطر الدهمي والتوبو, كبلدة كن وبلدة بركو وغيرهما من البلدان يستقدمون إليهم بكل حث وإلحاح, فأجاب دعوتهم و غير برامج سيره المأمول لناحية وقدوقو بقطر لاهوت , جولته فأسند مأمورية هذا السير المأمول إلى خديميه و رفيقيه أحمد العناية[1] والسيد محمد عدل بن عيسى , فسافرنا بأتباعه السودانيين وبضائعه إلى بلدة وقدقو المذكورة وفي الساعة السادسة صباحا يوم السبت, غادرنا جميعا و غادر سيدنا أيضا بلدة نيامي إلى جهة الدهمى ونحن نحو لاهوت ,فولينا متجهين صوب وقدقو عن طريق بلدة فاة فقضينا بها يومين ومنها توجهنا إلى بلدة بوبودلاصو مررنا فى طريقنا بورمو مركز من مراكز لاهوت فولينا و قضينا ليلة ببلدية هوذ, و في الصباح دخلنا بلدة بوبود لاصو و لا ننسى أن نقول أن اجتمعنا بسلطان بلدة و قدقو المسيحي الوطني المجوسي سابقا و هو من السود أبلغناه تحية سيدنا ففرح بنا كثيرا و بعد محادثة يسيرة أمر بإنزالنا عند رئيس المسلمين سرك هوص فكلمة سرك عندهم هي الرئيس ومن بوبود توجه الأتباع السودانيون و بضائع سيدنا صحبة السيد محمد عدل الشمنجيطي على طريق القطار إلى عاصمة آيدجر بقطر كوت ديفوار ساحل العاج, كما أمر سيدنا حيث أنهم يركبون متن الباخرة الموجهة من مدينة ايدج إلى عاصمة الجزائر سيؤمون زاوية عين ماضي أما العبد الحقير فمكث في بوبو في انتظار سيدنا حسب التعاليم التي أصدرها إلي ضيفا عند السيد الديوب السنغالي السكرتير بالإدارة المالية في بلدة بوبو و هو من إخواننا التجانيين فأكرم ثواي غاية الإكرام و أسدى إلي معروفه بإسباغ .

[1] يتحدث المؤلف عن نفسه بصيغة الغائب .

على هامش الغرائب بهذه الأقطار, ومن أغرب أفعال المجوس بقطر لاهوت قولنا أنهم يستفتحون إبان زراعاتهم في البوادي بقتل نفس بشرية, ظنا منهم أنها فاتحة خير للعام الزراعي ويؤثر على ملك بلدة وقدقو المجوسي المتوفي أنه قال منذ بلوغه أوان التميز أنه ما رأى قط أحد من رعيته واقفا حتى أنه من غبائه كان يظن أن رعاياه خلقة بلا أرجل, وكانت الرعية إذا رأت هذا الملك ينكبون على وجوههم و يضربون بأيديهم الأرض وينادون باسمه إظهارا للطاعة والتعظيم, بيد أن ولده الآن الذي بوقدقو قد أعفى الناس من جعل هذه الاشياء لكونه تسوح , وجال في البلدان المتمدنة ومن أفعال هؤلاء المجوس أنهم إذا مات لهم ملك يدفنون معه بناتا أحياء ظنا منهم أنهن يخدمنه في حياته ويدفنون الملك في دهليز فى تخوم الأرض ويدفنون البنات الأبكار معه خفية وخشية الحكومة الفرنسية , الدفن يكون في بيت خاص في قصر ذلك الملك , ودفعا للتهمة يدفنون صندوقا مملوءا بالحصى للرهبان يدفنونها فى مقابرهم إخفاءا لفاحشتهم القبيحة ,أما ولد الملك المتوفي القاطن الآن ببلدة وقدقو عاصمة قطر لاهوت فولتا, فقد اجتمعنا به في قصره وعبيده حوله وأذرع هؤلاء العبيد ، وإنه شيع سيدنا وقت مغادرته المدينة كنو على عدة أميال وممن شيعه إلى بلدة زندر الهوصيين السيد عالم عبد الله سلغ والسيد محمود والسيد عالم التجاني والسيد معلم الحاج أبو بكر الوزير صاحب السلطان والسيد معلم إبراهيم رسول تشرمر, وغيرهم من أفذاذ هوصة ببلدة كنو.

ومن عجيب الاتفاق أن السنة الهجرية الجديدة عام 1370 في الفاتح محرم أدركت سيدنا في بلدة كوتونو من قطر الدهميA.D.F أما العبد الحقير فقد أدركته هذه السنة في مدينة بوبود لاهو, في انتظار سيدنا و أما بقية الجماعة في مقدمتهم السيد محمد عال فقد أدركتهم في بلدة اندج من قطر الكوت ديفوار ولاتنقطع الأمطار إلا ثلاثة أشهر في السنة كلها, ولذا تكثر فيها زراعات القهوة البنية والفول السوداني المسمى عندنا الكاوكاو, و تكثر أيضا هذه الزراعة في قطر النيجر الفرنسي حتى أنه على ماقيل أحسن قطر لهذه

الزراعة لكون هذا النوع من الحبوب الزيتية يعطي قدرا عظيما من الزيت أكثر مما يعطي هذا النوع نفسه في قطر السنغال مثلا ورغم النتائج العظيمة فإن حب هذا الفول صغير في قطر النيجر وفي السنغال , رغم كبر الحب فإن النتائج لاتساوي النتائج الحاصلة في قطر النيجر .

وقطر لاهوت فولقا كان بعضه تابعا لقطر النيجر وبعضه لقطر السودان الفرنسي حكومة بمكو, وبعضه لقطر الكوت ديفوار حكومة ايدج، أما الآن فقد اقتضت النظم الحكومية الفرنسية إفراد هذه المستعمرة بحكومة تخصها مقرها مدينة وقدقو التي سبق ذكرها غير مرة ويقل سواد المسلمين جدا في هذا القطر بالخصوص , الذي يبلغ عدد نسمائه 4.000.000 وأجدر بلدة بالذكر من هذا القطر التي يكثر بها سواد الاسلام هي بلدة بوبود, ففيها جامعا للجمعه و من كبار إخواننا التجانيين بها المسمى دان كويات , وهو ممن ظفر بالإذن أولا من سيدنا على سبيل التجديد ببلدة بالكوت ديفوار وظفر بالإجازة فى الطريقة من سيدنا فى بلدة بواكين من القطر المذكور, ووقعت بين هذا الرجل العظيم وبين الطيب السفياني الفاسي رحمه الله ,المراسلة الكتابية مما يشهد أنه قديم في الطريقة التجانية وهو يسكن الآن في بلدة بوبو, ولا زال هذا السيد يتردد علي في المحل الذي أنا مقيم به تسلية للعبد الحقير وابتغاء في أخبار سيدنا, الذي كافه سكان بوبود لاصو من المسلمين ينتظرون قدومه عليهم بفارق الصبر سعيا وراء ما فاز به إخوانهم من سكان البلدان السودانيين, التى زارها سيدنا رضي الله عنه, و طلبا منهم لإزالة الخلاف الواقع بين المسلمين باختلاف إمامي الجامعين الذي سببه الوحيد اندماج الشعوب الإسلامية في الانقلابات السياسية الرائجة بين الأمم العالمية في العصر الحاضر, وهذه معيبة أدخلت الخلاف بين كافة الشعوب العالمية لا يزال العالم بأسره يتجرع كؤوس هذه المحن إلى مالا نهاية له, وكونت بين الأمم الإسلامية الخلاف الذي نتج عنه تشتت المجتمع الاسلامي, و هذا الداء ليس له دواء إلا بالرجوع إلى التعاليم الإسلامية والتمسك بقواعد

الشرع الإسلامي العزيز فسبب هذه الاختراقات الواقعة الآن بين المسلمين هو ماجنى إليه رؤسائهم من إيثار الدنيا العلانية [1] وحب الرياسة التي هي قطب رجل هذه المساوي بأجمعها, فنحن المسلمون ينبغي أن يكون شعارنا الإسلام وحسبنا الوقوف عند أوامره ونواهيه والتأدب بآدابه العالين , فكيف يتأتى لمسلم انقدح نور الإيمان في قلبه أن يقول يوما هو من حزب الكومنست أو العكس من بقية الأحزاب التي نجمت عن التقلبات السياسية إلى أئمة بين الأمم العالمية , أفلم يكن له في وصف الإيمان الغنية فكافة الأمم الأجنبية تسعى في معالجة الشخصية فحسب, إذن فالخروج من هذا المأزق والنجاة من هذه الكارثة هو التقيد بحبل الدين الحنيف, فالمسلم كل مسلم هو من يكون همه الوحيد سعادة المجتمع الإسلامي وليعلم أن السياسة بحر لا ساحل له, وأن مبدأها النفاق وحافتها وخاتمتها الشقاق, فانظر إلى حالة الأمم العالمية بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى سنة 1914 أوزارها وخمدت نارها , سعت الأمم في تأليف جمعية أممية عالمية سعيا وراء الأمن العام العالمي , حتى صار نزع السلاح بينهم موضوع المفاهمة وبساط المناقشة وفي خاتمة الأمن أوجدوا بدا رغم الجهود الجبارة التي بذلتها فرنسا وإنقلترا وأمريكا في سبيل الدعوة إلى السلم , حتى باغتتهم الحرب العالمية الثانية سنة 1939 التي وقع فيها ما لا ينتظر وقوعه في الأهوال والفضائع التي منيت بها البشرية وبعد أن وضعت هذه الحرب الثانية أوزارها أيضا, دعت أمريكا مرة ثانية الأمم العالمية لتأسيس جمعية عالمية مقرها بالديار الأمريكية, لتحقيق الغرض المقصود والمرمى المنشود ولكن رغم ذلك كله بالجو العالمي الآن , قد تراكمت في أرجائه السحب كقطع الليل المظلم ونحن في انتظار حرب ثالثة عالمية سوف تنشب أظفارها حفظنا الله من بوائقها وحفظ جميع المسلمين أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها آمين, كل ذلك من نتائج السياسة التي مرساها استثمار عمل الضّعيف مجدي بالمسلمين أن يعتنوا بقيم الإسلام العامة

---

[1]– متى أنه عندهم صار أمر الإمامة كالسلطنة والرياسة الدنيوية .

والخاصة, أولى من العناية بمطامحهم وأغراضهم الشخصية , وليعلموا أن الإسلام أمانة مسؤوليتها موضوعة على كواهلهم فإن حفظوها فلهم ثواب من أدى الأمانات إلى الممات وإن أضاعوها فأعظم به من إثم برجال الدين في هذه الأقطار وعن أئمة المساجد تحدي بينهم في المنافسة ما يتسبب عنها انتشار الشقاق بين مسلمي البلدة بلدة بوبوله نظائر فقد قتل بعض الأئمة في قطر السنغال وهو في أداء صلاة الجمعة , وقد شتم الإمام داخل الجامع في بلدة نيافي من قطر النيجر الفرنسي وصارت فتنة بين المسلمين يوم عيد الفطر لم يسبق لها نظير سببها الخلافات الحزبية السياسية , حتى أرسلت الحكومة الفرنسية دائرة البوليس محيط الأمن وكما وقع بين مسلمي عاصمة كنصاصة في قطر الكونغو البلجيكي, حتى توعد بعض الأئمة أخاه بالقتل إذا هو وقف في محراب الجامع ولهذه الوقائع نظائر لا تحصى منها ما بلغه علمنا ومنها ما قصر عنه, وقد أزال سيدنا رضي الله عنه هذه الخلافات بين الشعوب الإسلامية في كافة الأقطار التي شملتها رحلته المباركة جزاه الله عن المسلمين والإسلام خيرا جزيلا آمين.

وهناك سبب آخر زيادة على السياسة مما زاد الخلاف بين المسلمين تشعبا واتساعا وهذا السبب هو ما إبتدأته الطائفة الوهابية من فكرة جديدة بين المسلمين, قبحوا للمسلمين عقيدتهم المطهرة الصحيحة وأرادوا أن يعيثوا في الأرض فسادا, وأمر الوهابية وعقيدتهم الفاسدة من الشهرة بين الطوائف الإسلامية السنية بماكان فمن بين البلدان التي منيت بفكرة الوهابية وأخذت نصيبها هي بلدة بوبو, والذي بذر زريعة هذه النبتة الفاسدة هو عبد الصمد الذي كان متقيدا بالطريقة التجانية وانسلخ منها نعوذ بالله من مكره وكذا رفيقه المسيحي الشوكورو الذي أخذ بأذيال الحرام لما سمع بقدوم سيدنا إلى بلدة بواكي عام 1949 , وذهب بنزعته الفاسدة, ومن فضل الله عز وجل كرمه على أهل العقائد الإسلامية الصحيحة قد ذهب ريح هؤلاء الناس وفشل أمرهم , فحل محل الباطل الحق

"وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"[1] وكان المسلمين في بلدة بوبو في انتظار قدوم سيدنا عليهم مؤملين بل محققين زوال كل باطل وخلاف طالما جاس خلال ديارهم والعاقبة للمتقين.

ولا تفهم أيها القارئ بما أسبقناه لك من الأمر بالتحابي عن السياسة أن الدين الإسلامي بعيدا عن السياسة كلا بل الدين الإسلامي عنده أمهات التشريع من كتاب وسنة علم اليقين أن الدين الإسلامي هو عين السياسة الحقة, البعيدة من كل تبديل وتغيير إذ السياسة من حيث هي تتركز على ثلاثة أمور وبعبارة أوضح للسياسة ثلاثة أدوار هي الأمر الأول دور الملاطفة و المساعفة والصفا والعفو وذلك صادف قوله تعالى :" ولو كنت فظّا غليظ القلب لأنفضوا من حولك فأعف عنهم وإستغفر لهم وشاورهم في الأمر"[2] وقوله تعالى أيضا :" أذلة على المؤمنين أعزة على الكفرين "[3] .
وقوله تعالى :" و الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "[4]وغير ذلك من الآيات .

أما الدور الثاني من أدوار السياسة دور الإنذار والتحذير من التمادي في العصيان حيث أن عاقبة ذلك العقاب الأليم وذلك ما يصادف قوله تعالى :" و ما كنّا معذبين حتى نبعث رسولا"[5] وقوله :" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجّة "[6] وقوله تعالى " وأنذرعشيرتك الأقربين"[7] ،وقوله أيضا " واتقوا قتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا

---

[1] الإسراء 81.

[2] آل عمران 159.

[3] المائدة 54.

[4] آل عمران 134.

[5] الإسراء 15.

[6] النساء 165.

[7] الشعراء 214.

منكم خاصّة"[1] وقوله عز وجل " فلوْلا نفر من كلً فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدًين و لتنذروا قومهم إنما رجعوا إليهم لعلهم يحذرون "[2] إلى غير ذلك من الآيات .

والدور الثالث للسياسة هو دور الغلظة و العنف إذا لم تأت الأدوار الماضية بالنتائج المطلوبة وتظهر في هذا الدور أنواع المكافحة بأجمعها لأن نفس هذا الدور الآخر مقول على إمراره بالتشكيك فيحتاج إلى دائرة واسعة لها البراعة التامة والخبرة الكاملة في الفروع التنفيذية , قد تقتضي المصلحة إيقاف أدوار العنف والرجوع إلى أحد الدورين السابقين لأن الدور الآخر لم يمكن مقصودا لذاته عند أرباب السياسة, و إنما هو حيلة من لا حيلة له ومنهم من لا خبرة له بالتقلبات السياسية , وذلك مصداق قوله تعالى " يا أيّها النبي جاهد الكفّار والمنافقين وأغلظ عليهم "[3] وقوله تعالى أيضا " قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظّالمين "[4] ... إلى غير ذلك من الآ يات .

وهناك دور رابع للسياسة يعقب الدورالثالث الذي نستطيع أن نسميه الدور الاحتلالي وهذا الدور الرابع هو الدور الإداري, يتضمن أنواعا يقتضيها النظام الجديد فهذه سياسة الإسلام وقد حافظ الإسلام على استبقاء قوة المسلمين بحيث لا يعتريها فشل ولا نهب ، قال تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءا فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا"[5].......وقوله تعالى :" ولا تكونوا كالّذين تفرقوا وإختلفوا من بعد ما جاءتهم البيِّنات فأولئك لهم عذاب عظيم "[6] وقوله تعالى " ولا تنازعوا

---

[1] الأنفال 25.

[2] التوبة 122.

[3] التوبة 73 .

[4] الأنفال 39.

[5] آل عمران 103.

[6] آل عمران 105.

فتفشلوا وتذهب ريحكم "[1] .لأن القوة في الأمة لها حسن عظيم يحيط كيانها وهذا السور هو سور الإتحاد الذي يضمّ شتات الأمة, فالمسلمون إلى الآن رغم سوادهم العظيم في العالم الأسلامي لم يصلوا إلى هذه النتيجة ورغم نجاح بعض الأمم الإسلامية وظفرها بالاستقلال كالدول الإسلامية الشرقية فلم تستطع إلى الآن الوصول إلى هذا الغرض الإسلامي المقدس ألا وهو الإتحاد العام الذي يضم شتات الأمم الإسلامية الشرقية منها والغربية , ودليل ذلك التخاذل الذي ظهر بين الأمم الإسلامية الشرقية في قضية حزب فلسطين للأمن الذي فتح المجال لليهود في التوسع حتى ضاوروا بمرادهم خذلهم الله ولا أبقى لهم دولة ولاسيادة وأذاقهم الذل والهوان إنه على ذلك قدير بالإجابة جدير.

كل ذلك من السياسة العوجاء والآراء العرجاء التي سلكت الأمم الإسلامية سبلها ووضعت لهم الأمم الغربية السم في الدسم , فعوض الاشتغلال بتحطيم قوة اليهود خاض عقولهم الطمع إلى أي قطر من أقطار الأمم تنضم إليه فلسطين فأصبحت القضية أخت واقعة أحد وقت مغادرة الرماة مواقعهم الحربية سعيا وراء الغنائم ظنا منهم أن الكفار انهزموا حتى تجرع المسلمون مرارة ذلكم الخلل الحربي لولا عناية الله برسوله صلى الله عليه وسلم وعنايته بأنصار دينه القويم فباغتهم المدد الإلهي الذي لا يقف أمامه شيئ ولا تقاومه أية قوة بلغت ما بلغت وعمهم وابل قوله تعالى " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين "[2].

ومن سياسة الإسلام أن دعى المسلمين إلى العمل وذلك معروف كما بالآية الكريمة " وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوم ومن رباط الخيل "[3] وقوله أيضا:" ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون وترجون من الله مالا يرجون "[4]

---

[1] الأنفال 46.

[2] البقرة 249.

[3] الأنفال 60.

[4] النساء 104.

وأزال عنهم الحرج والكلفة الشاقة ينسخ الوقوف أمام العشرة واستبداله بالوقوف أمام الإثنين وقوله تعالى " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة "[1] وقوله أيضا " لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها "[2] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

فإليكم معاشر المسلمين سياسة الإسلام الحقة التي لا تنتج إلا السعادة والأمة لو سلكت سبلها حق السلوك, فكيف يخامر عقل الإنسان أن الإسلام بعيد من السياسة وإنما الإسلام بعيد من السياسة العوجاء العرجاء التي لاتأتي إلاّ بالفتن الفقهية التي تتخلل العالمية كالسياسة الغربية التي زج المسلمون في العصر الحاضر بأنفسهم فيها, تلك السياسة نحذر المسلمين من الوقوع في شركها لأن فائدتها على فائدة إنما هي للأجنبي لا لولد الإسلام, فهل من الرأي السديد والعقل الصائب أن يزج المسلم بنفسه الغالية الشريفة في وطيس هذه المعمعة ؟

وهنا يقف قلمنا وبحجم عن التمادي في زيادة البحث في هذه التقلبات السياسية, فقد ظهر الحق وانبلج صبح النفس أمام كل ذي عينين وماذا بعد الحق إلا الضلال وما يتذكر إلا أولو الألباب وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

ولنرجع إلى ما كنا بصدد تقريره من رحلة سيدنا رضي الله عنه , فإن الأخبار أسفرت على أن سيِّدنا بعد ما تجول في شمال الدهمه كما قدمناه , ركب القطار وتوجه من بلدة بركو إلى بلدة كنتو الميناء التجاري للقطر المذكور بساحل المحيط الأطلسي بنواحي الجنوب حيث وجدت السبل منقطعة إذا هو تناول طريق وقدوقو فاضطر إلى الرجوع مرة ثانية إلى بلدة متنو المذكورة التي سبقت له زيارتها حيث نزل ضيفا مكرما عند السيد الحاج فجوة الهويسي, فمكث في كتنو بانتظار الطائرة أو الباخرة إثني عشر يوما وبصحبته محمد من التجيني والحاج عثمان عمر الفلاتي وبعد هذه الإقامة وجد

[1] البقرة 195.

[2] البقرة 286.

سيدنا سبلا في الباخرة فتوجه ومعه محمد فقط من كتنو إلى مدينة أبدج (الكوت ديفوار) وأرسل بقية البضائع مع الحاج عثمان عمر وأخيه إبراهيم عمر إلى بوبود لاصو على طريق ينامي بوقدوقو فنبوبو جاء الإخوان لبلدة بوبو حيث وجدا العبد الفقير في انتظاره الطويل الذي استغرق شهرا كاملا .

يقول الشاعر :

ستبدي لك الأيام ما كنت جــاهلا ويأتيك بالأخبــار مــن لــم تــزود[1]

وكان دخول سيدنا بلدة أبدج يوم : 30 أكتوبر سنة 1950 ولا زلنا في انتظاره إلى قدومه لبوبو.

أفادتنا الأنباء الأخيرة الواردة من بلدة أبدج أن سيدنا غادر هذه البلدة عن طريق الجو يوم الجمعة 22 محرم 1370 الموافق ليوم 3 نوفمبر 1950 ونزل صاحب السؤدد والفخامة في بلدة بواكي , حيث نزل ضيفا مكرما عند صاحب الفضيلة السيِّد جبيترفي رئيس السنغاليين ومرجعهم الديني وسيحل سيدنا ركب بلدة بوبولاصو إن شاء الله يوم الإثنين قادما من بواكيني على طريق القطار السريع .

حلول الركب العمري الشريف ببلدة بوبودلاصو :

طالما تشوقت هذه البلدة لهذه الزيارة الميمونة وكانت تحسب أن أمنيتها قمة خيال لطول الانتظار, حتى حقق الله تعالى ما كان متخيلا , فهاهو الخيال شخصا والظن علما قدم سيدنا لببودلاصو يوم الإثنين كما تقدم على السّاعة الواحدة بعد الزوال 25 محرم سنة 1370 هـــ الموافق ليوم 2 نوفمبر 1950 م ,فوجد جميع الطوائف الإسلامية على

[1] البيت لطرفة , انظر طرفة بن العبد , ديوان طرفة بن العبد ,تحقيق مهدي محمد ناصر الدين , دار الكتب العلمية , ط 3 , 2002.

اختلاف الأجناس في انتظاره في المحطة بأئمتهم ورؤساهم الدينيين وأعيان البلدة المذكورة و الكل يهتف فرحا وسرورا بقدومه المبارك المنتظر منذ زمن طويل .
وخلال هذه الإقامة العمرية ببوبو درس سيِّدنا أسباب الخلاف بين مختلف الشعوب الإسلامية درسا دقيقا, وبعد ذلك شمر على ساق الجد والاجتهاد ودخل معمعة هذه المشاكل القومية التي طالما أوقعت التنافر بين المسلمين, وفي الختام بلغ المرام وأصلح بين المسلمين صلحا وثيق العرى حتى أصبح كافة المسلمين يتمتعون بأخوة ورابطة إسلامية جديدة , فأصلح بين الإمامين الأمر الذي سهل سبل الإصلاح مع بقية القوم, وألف لجنة إسلامية دينية تتركب من معظم أعيان البلدة يبلغ عدد أعضائها 38 شخصا, منهم الإمامان واختار من كل جنس رجلين يمثلان ذلك الجنس منهم الصالح, وحل محل العداوة و التنافر الاتحاد التام والإخاء على الدوام, وبعد ذلك ذهب سيدنا لزيارة معظم المساجد التي فتح في أغلبها الوظيفة التجانية وأجاز إمام الجامع القديم الذي تاريخ تأسيسه يبلغ 30 سنة أو أكثر وأجاز غيره من نبلاء البلدة وأخذ عنه الطريقة خلق كثير, وأهملت بهذه الزيارة الميمونة شخصية الوهابية التي يبث لها عالم عبد الصمد حتى أصبح المذكور وحده لا يأوي إليه خليل, وحلت العقيدة الصالحة الصحيحة محل الزيغ والضلال وإلى الله عاقبة الأمور وقد تصدى سيدنا أيضا خلال هذه الإقامة لوعظ الناس في براح عظيم في بلدة بوبو , ضم هذا المجلس ما يزيد على عشرة آلاف منشط وهو رضي الله عنه طول هذا المجلس الحافل ينتقي للقوم من ضرب الإرشاد والوعظ ما أبهت الحاضرين وأدخل الإسلام على عدة أناس هداهم الله لطريقة القويم وأصبحت كافة سكان بوبو تهتف باسم سيدنا فرحا و سرورا ولا ننسى الجهود الحميمة الخالدة التي بذلها السيدان السيد دان كوباني والسيد سادة سيسي رئيس السنغاليين في سبيل رفقة سيدنا في أيّام إقامته ببلدة بوبو, وكذلك في سبيل السعي وراء الإصلاح بين المسلمين إعانة لسيِّدنا في مشروع الدين الإسلامي الهام ,واجتمع سيدنا أيام بوبو بالحاكم العام لقطر لاهوت فولتا الذي رحب به

كثيرا وسيغادر سيدنا بلدة بوبو قاصدا بلدة سقاصوا بالسودان الفرنسي يوم السبت 7 صفر 1370 الموافق ليوم 18 نوفمبر 1950 .

رحلة السودان الفرنسي :

زيارة سيدنا لعاصمة بمكو :

قدمنا أن سيدنا توجه يوم التاريخ السابق من بلدة بوبولاصو إلى بلدة سقاصو GassoSI أول بلدة من السودان الفرنسي التي قضى فيها يوما وليلة ونزل فيها ضيفا عند الأمير واجتمع فيها ببعض الطوائف الإسلامية , وفاز بالأخذ عنه أناس ومن بلدة سقاصو توجه إلى بلدة بوقوني Bougouni التي قضى فيها أيضا يوما وليلة , نزل فيها ضيفا عند الإمام وفاز بالأخذ عنه قوم وأجاز آخرين, ومن بلدة بوقوني دخل سيدنا عاصمة بمكو عاصمة السودان الفرنسي يوم الثلاثاء عشية 10 صفر سنة 1370 الموافق ليوم 20 نوفمبر 1950 وبمجرد حلوله هذه العاصمة أصبح ضيفا عند السلطان السيد مورقي نياري سلطان المسلمين بالمدينة المذكورة , وضيفا عند هيئة دائرة الكرام السادة السينغاليين القاطنين بالعاصمة المذكورة الذين هيئوا جميع وسائل الراحة لتوفير الرغائب أيام الإقامة, وقد اجتمع سيدنا بجميع الطوائف الإسلامية بالمنزل الذي هيئته طائفة ودائرة الكرام والتي تعدد فيه المجالس الوعظية والإرشادية , حتى أصبح هذا المنزل هيئة الزوايا التجانية بالوظيفة التي تقرأ فيه وإنما بعد صلاة المغرب التي يحضرها المئات وقد فاز بالأخذ عن سيدنا قوم كثيرون من رجال ونساء وأجاز أفذاذا من أهل المدينة ممن توفرت فيهم أهلية الإجازة .

ولا زالت الطوائف الإسلامية تؤم منزل سيدنا مدة إقامته بمدينة بكنو باستمرار واجتمع أيضا سيدنا بعاصمة بمكو بالحاكم العام لقطر السودان الفرنسي الذي رحب به غاية الترحيب وكذلك اجتمع ببعض الهيئات الحكومية العليا وقد صحب سيدنا في هذا

السّفر من بوبودلاصو إلى مدينة بكنو السيِّد دان كوباتي أحد أفذاذ مدينة بوبو والسيِّد الشريف مولاي إبراهيم السيِّد محمد بن مولاي عمر الشاكر ببلدة سقو بالسّودان الفرنسي وبعد زيارة بمكو شاقت نفس سيدنا لزيارة نواحي بلدة سقو وبلدة مويتي ونواحي بلدة تجفر , حيث مشهد الشيخ سيدنا عمر بن سعيد الفوتي رضي الله عنه , الذي ترك في التاريخ الإسلامي على سبيل العموم أثر لا يمحى وترك في التاريخ الأممي التجاني الذكرى المقدسة التي لا تزال خالدة ولا يزال بدرها شارقا في سماء العالم التجاني , لا يعتريه أفول وعاصمة بمكو مدينة كبرى تتصل بعاصمة دكار بخط جديد تبلغ مساحته 1250 كم^2 وهذه المدينة واقعة على مقربة من ضفة نهر النيجر لا يدخلها المسافر إلا بعد عبوره نهر النيجر على متن زوارق أعدتها الحكومة وسيلة للدخول إلى المدينة , يبلغ عدد سكان هذه المدينة 80000 نسمة وهي في طريق التقدم السريع كما هي عليه المدن في العصر الحاضر .

زيارة المشاهد العمرية الفوتية لما وصل سيدنا إلى عاصمة بمكنو تافت نفسه إلى زيارة مشهد الشيخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه , بنوأحمر بلدة بنجقرة في النواحي الشرقية بالسودان الفرنسي, ومن المعلوم أن الشيخ سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه له أهمية الكبرى في ميادين الفتوح الإسلامية بهذه الدور حتى السودانية, فقد أطلع شمس الإسلام في دياجي هذه الربوع والشاهد الصحيح الذي يبرهن على إخلاص الشيخ عمر بأن فتوحه كانت لإعلاء كلمة الله فحسب , لا يقصد الإحراز على السلطة ولا رياسة رسمية هو ما عليه الآن إيجاده من الإكتفاء بالرياسة الدينية بين قومهم , رغم منزلته بين أولئك الناس الذين ينظرون إليه نظر التعظيم والاحترام والاكبار.ولقد أفنى الشيخ الفوتي رضي الله عنه دهرا طويلا في جهاد المجوس من سكان هذه الأوطان, ودونت من أخباره نبذة وجيزة فإن الشيخ عمر لما رجع من الحج مكث في محل يقال له جكنقو gi ginko ثلاث سنوات وبلدة جنكنقو المذكورة من قطر لقتى الفرنسية من فوت

جو وأميرها إذ ذاك اسمه عمر وكان هذا الملك يجسد الشيخ سيدنا عمر الفوتي لما رأى من شدة إقبال الناس عليه, ولما أراد الشيخ عمر أن يبتعد من كيد هذا الملك أمر بعض تلاميذه بأن ينظروا له محلا بعيدا من حيز هذا الملك في الفلوات ليكون مطمئن البال, فلما وجدوا له محلا بالفلوات وسط الغابات قال الشيخ سيدنا عمر رضي الله عنه هذا هو المحل الذي كنت أطلبه , وأمر الشيخ عمر أصحابه بقطع الأشجار ليشرع في البناء وذلك هو أصل تأسيس بلدة دنقراي وأصل الكلمة دنقراو بالواو بمعنى الساحة البعيدة عن العمران والآن أهل الوطن يسمون هذه البلدة دنقراي بالياء ,ومكث الشيخ سيدنا الحاج عمر رضي الله عنه في هذه البلدة بعد تأسيسها وبناء ذلك الجامع العظيم أربع سنوات للوعظ والإرشاد قبل الشروع في جهاد المجوس وأصل بداية جهاده هو أن أمير المجوس لما سمع بالشيخ عمر استقر بدنقراي لم يطب له عيش وصار يكدر صفو عيش الشيخ عمر رضي الله عنه و صار يفكر في مهاجمته فهيأ الشيخ سيدنا عمر جيشا وقاتل هذا الملك الكافر ثم استمر في الجهاد بعد إحرازه الانتصار و كان الشيخ عمر رضي الله عنه زيادة على مقاتلته للكفرة يذود على حياض الطريقة التجانية ويرفع أعلامه بين منكري هذا السبيل .

غادر سيدنا بنعمر بلدة بمكو صبيحة يوم السبت وحل ببلدة Sigou في نفس هذا اليوم وكان في ضيافة الشيخ الهمام سيدنا محمد المنتقى بن الشيخ سيدنا أحمد الملقب بأمير المؤمنين بن سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه, ومواقف سيِّدنا أحمد هذا ابن الشيخ سيدنا عمر كالشمس في رابعة النهار ونسبه الشيخ المنتقى المذكور تساوي نسبه ابن عمه الشيخ السيِّد الحاج سعيد النورتال من الشيخ سيدنا عمر الفوتى ,لأن هذا الأخير هو السيد الحاج سعيد النور بن محمد ابن الشيخ السيِّد عمر الفوتي رضي الله عنه , فوعظ سيِّدنا رضي الله عنه الناس بساحة الجامع بسقو وعظا عظيما ودخل الناس الطريقة بين آخذ ومجدد طوائف كثيرة, وقد أجاز أيضا من أجاز ومن بلدة سقو توجه سيِّدنا إلى بلدة صن

SAN حيث اجتمع بالمسلمين ووعظهم وأخذ الطريقة من أخذ وجدد من جدد وأجاز من أجاز ومن بلدة صن توجه إلى بلدة مبتي MOPTI غير أنه استراح قليلا قبل وصوله إلى بلدة مبتي ببلدة ستارة Soutara حيث وعظ الناس أيضا ودخلنا بلدة مبتي عشية ولهذه البلدة موقع جميل لكونها محاطة بمياه نهري النيجر ونهر آلباني ,وهي بلدة تجارية هامة نزل سيدنا بها ضيفا مكرما عند حفيد سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه المسمّى السيِّد محمد عاقب بن محمد مكي بن عاقب بن الشيخ سيدنا الحاج عمر الفوتى رضي الله عنه, وجعل سيدنا مسامرة وعظية إرشادية لمسلمي البلدة استغرقت حوالي ساعتين أطنب فيها المقال و أكثر فيها من نصيحة الرجال وبث الطريقة كما جعل ببلدة سقو وبلدة صن المتقدمتين الذكر .

ومن بلدة مبتي توجه سيدنا مصحوبا بالسيد عاقب محمد المذكور مضيفه لميتي إلى بلدة بنحقرة التي يوجد بقربها على مسافة قدرها 18 كم مشهد الشيخ الحاج سيِّدنا عمر الفوتي رضي الله عنه ووقع له في بلدة بنحقرة استقبال عظيم من طرف سكانها المخلصين أسمعت في هذا الاستقبال الطلقات النارية بالبنادق والنساء يولولن فرحا وسرورا بالضيف الكريم ونزل سيدنا ضيفا مكرما عند أمير البلدة الذي هو أحد أحفاد الشيخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه المسمى السيد محمد مختاربن محمد العاقب بن الشيخ عمر رضي الله عنه وهو الذي عنده عصا الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه و شعره ومن عوائد العائلة العمرية الفوتية أن من يستقر في بلدة بنحقرة وبملك عصا وشعر الشيخ عمر الفوتي هوصاحب المملكة الرسمية الظاهرة و أما الرياسة والخلافة الباطنية الدينية هي عند الشيخ سيدنا محمد المنتقى بن سيدنا أحمد أمير المؤمنين ابن سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه, المستقر الآن ببلدة سقو كما قدمناه ولعمري إنه لرجل صالح كان أحق بها وأهلها وأولاد الشيخ سيدنا عمر رضي الله عنه أبناء صلبه هم 27 من الذكور و 26 من الإناث الأخيرة منهن كانت تسمى السيدة فاطمة توفيت ببلدة بوبود

لاصو منذ عامين عام 1948 م وولد الشيخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه بقرية حلوار من فوت تورو عام 1212 , وقدمنا أن مبدأ جهاده كان من بلدة ئنيه وتاريخ ابتداء الجهاد عام 1329 وقد بث الطريقة سيِّدنا أيّام إقامته ببنحقرة عاصمة مملكة العائلة العمرية الفوتية.

وفي صبيحة يوم الجمعة 21 صفر 1370 الموافق ليوم 15 ديسمبر 1950 توجه سيِّدنا مصحوبا بهيئة عظيمة من كبراء بلدة بنجقرة من بينهم السيِّد محمد مختار بن محمد العاقب أمير بنجقرة المذكور سابقا زتوجه هذا الموكب الشريف لزيارة مشهد الشيخ سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه الموجود في أعلى جبل يسمى دقنبري Daganbari الموجود على مسافة 18 كم من بلدة بنجقرة Bandia Gara , ولما وصلت بنا السيّارة إلى قرب أسفل الجبل حيث يوجد المشهد في أعلاه كما قدمنا مكتنف بالحجارة الضخمة, وهذه الواقعة الحربية التي فقد فيها الشيخ عمر رضي الله عنه فهي تمتد معارك كانت بينه وبين الفلات من أهل ماسنة, وهي فتنة شعواء وقعت بين المسلمين وأسباب هذه الفتنة على ما قيل أن أهل ما سنه كان ملكهم اسمه أحمد أحمد وجو هذا اسمه أحمد المعروب عند الفلات بالشيخ أحمد وهو دفين عاصمة الشيخ عمر المسماة حمد الله ,التي سيأتي الكلام عليها وهو الذي نزل عنده الشيخ عمر الفوتي ضيفا عند ذهابه للديار المقدسة لأداء فريضة الحج , ومن أسباب هذه الحرب بين الشيخ عمر وأهل ماسنة أن الشيخ عمر لما انتصر على الكفار في جهاده أرسل ثلاث رسائل واحدة إلى البياض أهل شنجيط وواحدة إلى أهل فوت نورو أخرى إلى أهل ماسنة[1]يبشرهم بانتصاره على الكفرة في راعة إلى أن قدم عليه جيش أحمد أحمد الماسنة يرأسه عبدالله بن أبي بكر بن همصاتح لمقاتلته , ومن أسبابها أيضا على ما قيل أن أحد ملوك الكفار لما فرض بلدة سقو التي كانت قرب مملكته خوفا من الشيخ عمر رضي الله عنه, فر هذا الأخير إلى ملك ماسنة

[1] ماسنة بالمغرب.

أحمد أحمد أرسل وراءه الشيخ عمر إلى ملك ماسنة وادعى أنه أسلم وأنه تحت بيعته فأخبره الشيخ عمر بأنه وجد في قصره ببلدة سقو ثلاثة أصنام وهذا الملك اسمه على بن منبر فهذه بعض أسباب هذه الفتنة .

وقد فهمنا من كلام الشيخ عمر رضي الله عنه أنه كان مظلوما في هذه الحرب حيث أنه تلوم كثيرا لأحمد أحمد ملك ماسنة ولم يرد مقاتلته بحال لكن هذا الأخير تغلب عليه سلطان الحسد وقاتل الشيخ عمر رضي الله عنه, فكان الشيخ عمر رضي الله عنه في هذه الحرب في الحقيقة مدافعا عن نفسه لا مهاجما وآخر واقعة ختمت فيها أنفاس الشيخ عمر رضي الله عنه هي هاته الواقعة التي وقعت بقرب جبل دفندري ,فجرى بينه وبين أهل ما سنة ما جرى ذلك أن جيش الشيخ عمر التجأ إلى الجبل وجعل فيه عزته والسلاح والبارود وصاروا يضربون أهل ما سنة المحاصرين لهم وأسفل الجبل , فكاد لهم الماسنيون كيدا جمعوا قدرا كبيرا من الحطب أسفل الجبل المذكور وحالو بينهم وبين الماء الموضوع في أسفل هذا الجبل بسعير النار الموقدة من طرف أهل ما سنة حتى صار اللهب النّاري بتصاعد إلى أعلى الجبل , حيث يوجد الشيخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه و الجيش والمستودعات التي فيها البارود, وكان الشيخ عمر جالسا على صخرة في أعلا الجبل قرب المكان الذي دخله ولم يخرج بعد, ووقع بسبب هذا اللهيب الناري انفجار وزلزال عظيم في الجبل لما وصلت النار إلى المستودعات ولحقت بالجيش العمري أضرارا فادحة حتى كاد أن يضمحل وهذه آخر لحظة من لحظات حياة الشيخ عمر رضي الله عنه , ومات من أصحابه من مات وأسر من أسر بينما هو على هذه الحالة السيئة إذ أقبل على الماسني أحمد التجاني من ألف أحمد بن سعيد الفوتي ابن أخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه وهو أخو السيد الفا هاشم الفوتي دفين المدينة المنورة على صاحبه أفضل الصلاة والسلام أقبل عليهم هذا البطل بجنود لا قبل لهم بها وفتك بأهل ماسنة فتكا عظيما, وكان ذلك بعد أن فقد الشيخ عمر رضي الله عنه ولم يوجد له أثر وقد

حدثني حفيده أمير بنجقرة بكرامة عظيمة وقعت للشيخ عمر رضي الله عنه, في هذه الواقعة في وطيس المعركة وكان بأعلا الجبل قرب أنصار المعلوم ، أمر الشيخ سيدنا عمر رضي الله عنه أخته أن تأتيه بشيئ من الماء ليتوضأ وكان الماء بأسفل الجبل يعني تحت سيطرة أعداء الشيخ عمر رضي الله عنه ولما كانت النساء نظرا لضعفهن لا يتعرض لهن أحد نزلت الأخت لجلب الماء و لم يصبها أحد من الماسنيون بشيئ فأتت بسيرها الشيخ عمر بالماء , فتوضأ الشيخ سيدنا رضي الله عنه وبعد الفراغ من الطهارة أمر سيدنا عمر الفوتي أمته بأن تلفت النظر إلى ناحية أخرى يعني لكي لا تنظره فتوجه الشيخ عمر لناحية القبلة وقال الله أكبر فالتفتت الأمة لما سمعت التكبير لناحية الشيخ عمر فلم تر شيئا هذا آخر عهد بالشيخ سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه فانظر أخي هذه الكرامة ما أعظمها ومن كرامات على ما حدثني به حفيده أن ماء الوادي الذي كان يسقى منه أهل بلدة الشيخ عمر قبل ولادته كان طعم الماء هذا غير لائق للشرب لما فيه من الملوحة , وفي صباح الليلة التي ولد فيها الشيخ عمر رضي الله عنه صار حلوا سائغا للشاربين ذلك أن امرأة من أهل القرية جاءت تسقى من هذا الوادي على العادة للغسيل في صباح تلك الليلة أحست بقطرة ماء أصابت عينها حالة تناول الماء وتحريكه فلم تحس بأثر كما أن العين إذا أصيبت بالماء المالح فإن الإنسان يشعر بنوع من الأكلة فلما ذاقت طعم الماء وجدته حلوا فتعجبت هذه المرأة من هذا الأمر وبعد الفحص والبحث في القرية أخبرت بولادة الشيخ بسيدنا عمر رضي الله عنه في تلك الليلة وبقي الماء على حاله من الحلاوة لم يتغير بعد إلى ساعة التاريخ وكم له من كرامات ومن مناقب ولده أمير المؤمنين أحمد قال الشيخ عمر في حقه كل ما أعطاني الله تعالى أعطيته إيّاه , وهو والد الشيخ محمد المنتقى الذي لا يزال على قيد الحياة في بلدة سو وهو الخليفة الديني صاحب الخلافة الباطنية لهذه العائلة الماجدة وأما خلافة الإمارة فلا بد أن يكون صاحبها في بلدة بنجقرة وبيده العصا والشعر, والشيخ محمد المنتقى هذا عمره الآن 76

سنة وله ابن صالح فاضل اسمه محمد المداني وهو الذي كان قائما بضياع سيدنا أيام إقامته ببلدة سقو وتولى الخلافة بعد وفاة الشيخ عمر رضي الله عنه ابن أخيه السيد أحمد التجاني بن الفا أحمد بن سعيد بإشارة من الشيخ عمر وبعد التجاني تولى الخلافة سعيد وهو الذي كان يدرس التفسير ولذا يعرف بينهم بتفسير وهو ولد أبي بكر سعيد أخو الحاج عمر فسيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه عمه وبعدها تولى الخلافة منير ابن الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه وبعده تولاها أحمد ولد الشيخ عمر وبعده عاقب بن الشيخ عمر وبعده تولالها مكي عاقب و بعده التجاني عاقب وبعده مختار عاقب وهو أمير بنجقرة الآن وأولاد الشيخ عمر رضي الله عنه الذين استشهدوا في واقعة جبل دفنري وجلبوا إلى بلدة بنجقرة حيث دفنوا في المحل المعروف بمقبرة الشهداء وهم : محمد المكي ، محمد الهادي ، ومحمد الماحي و أما المدفونون بهذه المقبرة وهم لم يموتوا بالواقعة المذكورة هم : الشيخ التجاني ، تفسير ، عاقب ، مكي عاقب ، التجاني عاقب ، الشيخ منير بن الشيخ عمر حيث دفن هذا الأخير ببنجقرة غير أنه ليس في هذه المقبرة المذكورة بل هو وحده ,وأكبر واحد في العائلة الفوتية الآن من الأحياء , هو السيد الهادي بن منتقى بن الشيخ عمر الفوتي عمره 850 سنة اجتمعنا به في بلدة صن SAN عند رجوعنا من بنجقرة وله ولد إسمه أحمد الهادي وعند رجوعنا من بلدة بنجقرة وبلدة موبتي زار سيدنا عاصمة " حمد الله " العاصمة العتيقة وهي عاصمة الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه التي لم يبق منها إلا الآثار ورسوم الأسوار والحصون وهي توجد بين بلدتي مبتي MOPTI وبلدة صوفارة SOFARA في طريق بلدة صن وفي العاصمة أعنيك عاصمة حمدالله يوجد قبر أحمد حمولبو وهو جد أحمد أحمد ملك ماسنة الذي جعل حرب مع الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه وكان جده أعني أحمد أحمد لبو المذكور لما استضافه الشيخ عمر في طريقه للحج قد هجر حفيده وهو أنذاك صغير في مجر الشيخ عمر رضي الله عنه غير أنه رغم هذا كله تجاهر بالضدية نحو الشيخ عمر رضي الله

عنه رغم هذه الوصية فأنظر مات السلف وأعمال الخلف . ولو لم تقع هذه الحرب بين الشيخ عمر رضي الله عنه وأحمد أحمد ملك ماسنة لكان في عزم الشيخ عمر رضي الله عنه مواصلة الجهاد إلى أقصى جنوب إفريقيا نحو نواحي رأس الرجاء الصّالح .

وبعد إتمام هذه الزيارة لهذه المشاهد العمرية الفوتية رجع سيدنا من بنجقرة أيضا إلى بلدة مبتي لاتمام بعض المهمات الدينية التي بقيت معلقة متوقعة على رجوعه و من مبتي توجه إلى بلدة صن التي قضى فيها ليلة في دار الإستراحة الحكومية CAM PEMENTواجتمع اجتماعا ثانيا بالمسلمين , ومن بلدة من توجه إلى بلدة سقو حيث نزل مرة ثانية في ضيافة الشيخ سيدنا محمد المنتقى بن الشيخ سيدنا أحمد الذي تقدم ذكره ولا بأس أن نذكر منقبة لهذا الرجل الأخير الملقب بأمير المؤمنين, وهو أن الشيخ عمر الفوتي كان في مجلس حزبي دام من الصّباح إلى وقت صلاة الظهر فلمّا حان وقت الصلاة قام الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه من المجلس قائلا فليؤذن المؤذن فلما قام الآذان قال من كان على وضوء مدة ثلاثة أيّام يصل بالناس فلم يجب أحد فأعاد الكلام ثانية فلم يجبه أحد ثم أعاد ثالثا قائلا إن 4 أمر من كان على وضوء مدة ثلاثة أيام ليصلً بنا فخرج من وسط النّاس ولده أحمد الشيخ [1] أمير المؤمنين فصلّى بالجماعة وصلّى وراءه والده الشيخ عمر رضي الله عنه ثم أعيد المجلس الحزبي بعد إتمام الصّلاة ودام إلى صلاة العصر فأذن المؤذن للصلاة وأعاد الشيخ عمر نفس الكلام الذي قاله في صلاة الظهر فصلى بالجماعة أيضا ولده أحمد أمير المؤنين ثم قال إن جميع ما أعطاه الله قد أعطاه لولده أحمد المذكور .

وأثناء الإقامة ببلدة سقو زار سيدنا خزان المياه النيجيرية والجسر العظيم الممدود على نهر النيجر المسمّى بسد فياركاله VIRKALA الذي يوجد على مسافة قدرها 45 كم

[1]– وفي اصطلاح الفلان إذا قالوا أحمد الشيخ فإ نهم يعينون ابن الشيخ هو رضي الله عنه أحمد أمير المؤمنين وإذا قالوا أحمد الفاسي يقصدون مؤسس مدينة حمدالله.

في بلدة سقو وتقدر المصاريف و النفقات التي صرفتها الحكومة الفرنسية في إنشاء هذا السد العظيم BARRAGE بمبلغ قدره 650 مليونا [1] قبل هذه الحرب الماضية سنة 1939 وهذه المياه المتجمعة في حوض هذا السدّ تسقى بها مساحات واسعة قدرها 20.000 هكتار .

في الوقت الحاضر وفي أمل الحكومة الفرنسية أن توسع نطاق هذه المشاريع الزراعية الأرزية وفي الطريق بين سقو و سد ماركالا MARKALA مررنا على قرية يتعاطى أهلها السحر كثيرا حتى تمهروا فيه تسمى هذه القر ية مارك دقوبا شاهدنا في زيارة هذا السد العظيم من عجائب صنع اليد البشرية ما يبهر العقول وترى الحيتان تحت تيار المياه المتدفقة من جوانب السد مثل الجراد كثرة وهي تعاني الشدائد بسبب تعكر سيرها المعتاد قبل إنشاء هذا السد ومن بلدة سقو جاء سيدنا عاصمة بمكو السودان مرة ثانية حيث نزل أيضا ضيفا مكرما عند إخوان دائرة الكرام السنغاليين جزاهم الله خيرا .

وهذا المؤتمر الذي حضره الشيخ عمر وقع في بلد ة سقو لمّا قاموا به من الواجبات في أمر ضيافة سيدنا رضي الله عنه, و أتت طوائف الأحباب والمسلمين محل إقامة سيدنا لزيارته وللتمتع برؤيته مرة ثانية في هذه الزيارة ولا زالت وفود المسلمين تفد على هذا المحل للتبرك بالطلعة العمرية إلى أن غادر سيدنا وحاشيته هذه العاصمة وسيغادر سيدنا هذه العاصمة يوم الأربعاء عند الزوال 3 ربيع الأول 1370 وفي 13 ديسبر 1950 متوجها على القطار السريع إلى بلدة خاي KAYES , وفي هذه الأسفار كلها بالسودان الفرنسي صحبه فيها السيد أحمد باالفلاتي ومن أهل بنجقرة الموظف الحكومي المقيم الآن بعاصمة بمكو وقد أبدى هذا السيِّد من صنوف الاجتهاد وأنواع العناية في خدمة سيدنا ما أبداه حتى أنه صحب سيدنا في سفره أيضا إلى بلدة خاي المذكور وهذا الرجل له مشاركة جيدة في العلوم الفرنسية زيادة على منصبه الديني الإسلامي الجدير بالذكر و

[1] – أعلم أن هذه المصاريف لإنشاء الجسر فقط أما مصاريف السد أيضا هي بميلغ ضخم من الفرنك

اسم هذا الرجل اللطيف والرفيق حمفات HAMPHATE وقد توادع سيدنا مع السيد دان كوباتي الذي أتى معه من بوبودلاصو وتفارقا في عا صمة بمكو .

مغادرة مدينة بمكو إلى ناحية خاي :

ركب سيدنا وحاشيته القطار السريع الذي يربط بين عاصمة بمكو بعاصمة دكار وقد ذكرنا أن هذه المسافة بين البلدتين تصل إلى حوالي 1250 كم ، غادرنا بمكو عند الزوال يوم الأربعاء الموافق لـــ 3 ربيع الأول 1370 و 13 ديسمبر 1950 وصلنا بلدة نخاي التي تقع على ضفة نهر السًنغال والتي هي آخر مركز كبير من قطر السودان الفرنسي وصلناها على الساعة الواحدة ليلا فوجدنا الناس أفواجا أفواجا بالمحطة في انتظار قدوم سيدنا وقد هيؤوا له دار الإقامة عند السيًد التجاني ثوري الفوتي .

فأصبح ضيفا مكرما في إقامته بخاي وبلدة خاي المسماة ببلدة " ألغبار" نظرا لجودة ترابها لأنه عند انقطاع المطر يكثر بها الغبار الذي ينثر لجاجه أقل شيئ من الريح , ونهر السنغال يقسمها نصفين وأكثر الناس فيها يشتغل باصطياد الأسماك التي توجد بكثرة واصطيادها من السهولة بمكان.

وبها جامع للجمعة وبلدة خاي لها موقع جغرافي عظيم حيث أنها تقع بين عدة أقطار قطر السودان الفرنسي الذي هو حكمها وقطر السنغال القريب منها, وقطر موريتانية ولهذا تجد فيها من أناس هذه الأقطار عددا كبيرا, ولهذا ترى أهلها الوطنيين يعرفون لغة كالفلان لقربها من فوته تورم ولغة بنبرة لأنها لغة السودان الفرنسي ولغة الأنوف لغة السنغال واللغة العربية لقربها من قطر موريتانية محل البياضين وهم الشناجطة.

بث سيدنا الطريقة فأخذ عنه من أخذ وجدد من جدد و أجاز سيدنا من أجاز ووعظ الناس وعظا بليغا في مجلس حافل, وكذلك زار سيدنا رضي الله عنه قبر السيًد الشريف محمد المختار المدفون في بلدة خاي آندي وهو القسم الثاني من بلدة خاي و هذا الرجل الصالح

من أهل ودان بموريتانية, وهو الذي نشر الطريقة التجانية بهذه البلدة ونواحيها فعلى المار بهذه البلدة زيارته .

الكلام على قطر السودان الفرنسي من نواحي كثيرة :

اعلم أن هذا القطر العظيم له أهمية كبرى من الناحية الزراعية وتربية المواشي فتكثر فيه زراعة الكاكاو والمسمى عندهم بقرت وكذلك زراعة القطن خصوصا قرب النيجر وزراعة الأرز خصوصا قرب المساحات الجديدة التي تسمى بمياه نهر النيجر المجلوبة من ناحية سد مركلا MARAKALA العظيم الذي قدمنا الكلام عليه عند كلامنا على زيارة بلدة سقو الذي يسقي الآن مساحة قدرها 20.000 هكتارا من الزراعات الأرزية وفي أصل شركة لونس النجريّة OFFICE du NIGER أن تسعى في صلاحية مساحة قدرها 100.000 هكتارا توسيعا لنطاق الزراعات في هذه الناحية غير أن هذه الحرب الماضية سنة 1939 هي التي أوقفت تيار العمل

وتوجد أيضا زراعات الموز والدخن والذرة الذي هو غالب عيش أهل البلد وتوجد زراعة الفُنيْFONION خصوصا في ناحية بنجقرة وبلدة سقو وقرب بلدة خايْ توجد زراعات يتخذ من حاصلاتها الحبال والقرنب[1] الذي تصنع منه الأوعية المسماة عندنا بالشكاير . وكذلك توجد زراعة البلوخ وأنواع البطاطس والعروق الأرضية المقتاتة .

وتكثر بالسودان تربية البقر كثرة عظيمة بحيث تراه بالفلوات أسرابا أسرابا وتكثر تربية الأغنام والإبل خصوصا بالشمال قرب نواحي بلدة تنبكتو وقاو ،وأهلها لهم العناية بتربية الخيول, ولا يزالون على العوائد القديمة في أفراحهم من ركوب الخيل واستعمال البنادق ,ويكثر المسلمون في هذا القطر العظيم الذي يبلغ عدد سكانه حوالي 3000000 ثلاثة ملايين أو يزيد, ولأجل هذا السواد الإسلامي العظيم في هذا القطر تجد في بلد أنه

[1] يقصد نبات القنب ,تستخدم أليافه لصناعة الخيش .

خصوصا الكبرى مساجد وجوامع عظمى يقرب شكلها من مساجد وجوامع جنوب شمال إفريقيا , ولك أن تر أن السودان الفرنسي هو مرآة جنوب الشمال الإفريقي.

ومن الجوامع الجديرة بالذكر جامع دجني DJENE بلدة شمال قطر السودان الفرنسي أهلها كلهم مسلمون وكذلك جامع بلدة مبتي MOPTI بمنظره البهيج بين المياه النيجيرية التي أعطته جمالا وكذلك جامع بلدة صن SAN وخصوصا جامع عاصمة بمكو الجديد الذي لا يزال تحت يد العمل وكذلك جامع بنجقرة إلى غير ذلك من المساجد والجوامع الكبرى بشكلها الوطني التي تفهمك حياة هذا القطر من جهة الناحية الدينية الإسلامية ويوجد في القطر خصوصا البوادي كثير من المجوس حفاة عراة حتى أننا سمعنا أن المجوس في جهة الديهمي يقضون الحاجة البشرية وقوفا كالحيوانات العمي ولا يجلسون على الأرض لابتغاء الستر,الحمدلله تعالى على الآداب الإسلامية ويوجد في هذا القطر معادن الذهب خصوصا ناحية بمكو فإنّ الذهب كثير فيها الذهب الخالص وكذلك بلدة SIGUIRI سِقِرِ من القطر نعني الفرنسية وهذه البلدة قريبة من عاصمة بمكو على مسافة 240 كم يؤمها الناس لشراء الذهب .

ويكثر في هذا القطر عدد الحيوانات المتوحشة في الغابات كالأسد بأنواعه والنمر كذلك وأنواع القردة, وقد كنا يوما سائرين إلى ناحية كولوبا KOULOUBA وهي طرف من عاصمة بمكو حيث يوجد فيها الولاية العامة والإدارات الكبرى الحكومية يقصد سيِّدنا ملاقاة الحاكم العام اعترضتنا طائفة من القردة يلعبون في الطريق, ومحل كولوبا له منظر جميل وموقع بديع نظرا لارتفاعه وجمال أبنيته ودقته ,وعاصمة بمكو تراها من أعلى هذا الارتفاع بأبنيتها الجميلة الواقعة على ضفة النجر وتوجد الفيلة بكثرة خصوصا في جنوب قطر السودان و في الناحية الشرقية منه .

خبر مزعج :

لما حل سيِّدنا بمدينة بمكو جاءه نبأ وفاة عمته الشريفة, سيِّدتنا كلثوم بنت سيِّدنا ومولانا البشير التجاني, أغدق الله عليه سحائب الرحمان والرضوان ورضي الله عنه عن الأصل و الفرع ،وكذلك سمعنا بخبر وفاة أحد أحفاد سيِّدنا الحاج علي التماسني رضي الله عنه وهو سيِّدنا محمد الصّغير ابن سيِّدنا محمد العيد المشهور بالشيخ الصّغير في الزاوية التجانية أغدق الله عليه سحائب الرحمان والرضوان, وقد ذكر باقي الجزء الأول في هذه القصة أننا سمعنا بخبر وفاة سيدنا ومولانا محمد الطاهر بن سيدنا ومولانا أحمدعمار التجاني رضي الله عنهما ووفاة ولده المبارك سيِّدنا أحمد بلعباس أغدق الله عليه سحائب الرحمان والرضوان بلغنا خبر المذكورين في بلدة قرصة من قطر الكمرون , وبلغنا خبر وفاة السيِّد سيِّدنا علي بن الحاج الطاهر زيّان وسيدنا إذ ذاك في القاهرة , وكنا بأم درمان السودان المصري و بلغني خبر وفاة السيِّد حمه بن صميره اليوشامي ونحن بفورت لامي قطرالتشاد وكذلك خبر وفاة ولده السيِّد معمّر وأنا ببلدة نيامي قطر النجر الفرنسي رحم الله الجميع وأغدق عليهم سحائب المغفرة والرضوان .

وقد تصدّى سيِّدنا واعتنى غاية العناية في تجولاته بالسودان لمكافحة الوهابية في عدة مجالس وعظيّة حتى علم الناس بكيد هؤلاء الناس, وكذلك تصدّى لمكافحة الحمويين وهم أتباع الشيخ حماه الله , وهم طائفة ينتسبون للتجانية ولا يذكرون من جوهرة الكمال في الوظيفة التجانية إلا إحدى عشرة مرة منها جريا على المنهاج القديم المذكور في جواهر المعاني من كيفية الوظيفة القديمة , وقد ذكرنا إنهم قد أوقعوا فتنا عظمى في هذا السبيل وهم يكثرون في جهة نيورو من السودان الفرنسي , وقد رجع كثير منهم إلى الصّواب الذي عليه الأصحاب من عهد الشيخ رضي الله عنه إلى يومنا هذا, من ذكر اثنتا عشرة من الجوهرة في الوظيفة وأكثر هؤلاء النّاس الذين جددوا العهد على سيِّدنا في جهة بنجقرة , وبعضهم في سقو وفي مبتي والبعض في بمكو نسأل الله لنا ولهم الهداية إلى سواء السبيل ،وتفارق سيِّدنا مع السيد حمعفان الفلاتي HAMPHATE BAH الموظف

بإدراة الفنْ LIPHANI بعاصمة بمكو تعارف مع سيِّدنا من بلدة خايْ , وهي آخر مركز كبير لقطر السودان الفرنسي من الجهة الغربية وقد دعى سيِّدنا لهذا الرجل بما يعود عليه بالنفع دينا وأخرى لما أبداه من الإخلاص في سبيل خدمة سيِّدنا أيام تجولاته بقطر السودان الفرنسي وقد أجازه في إعطاء الطريقة التجانية .

مغادرة بلدة خايْ إلى تمباكنده :

غادر سيدنا بلدة خايْ إلى تمباكنده التي هي أول مركز كبير في قطر السَّنغال ليلة الثلاثاء على الساعة الواحدة بعد منتصف اللّيل الموافق ليوم 1 ربيع الأول 1370 و 18 ديسمبر 1950 وذلك في القطارالذي قدم من بمكو متوجها إلى عاصمة دكار X,PRES وكان وصول سيدنا إلى تمباكنده صباح يوم الثلاثاء المذكور, وقد وجدنا الناس أفواجا أفواجا بالمحطة في انتظار سيِّدنا ورئيس القوم هو الإمام والقاضي ببلدة تمباكنده الذي هيأ لضيافة سيدنا ما هيأ وهو السيِّد الحاج سليمان بن محمد الفلاتي وقد وعظ سيدنا الناس في مجلس ضم أناسا كثيرين وعظا بليغا وبث الطريقة وأجاز أناسا تأهلوا لهذه الوظيفة .

ومن هذه البلدة بلدة تمباكنده توجه سيِّدنا لبلدة ومدينة قوناس ضيفا مكرما عند السيِّد الحاج محمد سعيد الفلاتي, و قد قضى سيِّدنا خلال هذه الإقامة موسم المولد النبوي الشريف عليه أفضل الصلاة والسلام بهذه البلدة وذلك بمقتضى النظام المسطور.

ومدينة قوناس تحت حكم بلدة و لنقرة WALINGARA ولا يفوتنا أن نقول إننا في الطريق بين تمباكنده ومدينة قوناس, عبرنا على نهرقمبدي GAMBLE على زورق عسكري وهذا النهر منبعه في قطر لفتى الفرنسية ويدخل إلى قطر قتنبيه الإنقليزية ويكثر التمساح في بطن مياه هذا النهر كثرة فاحشة, ولذلك يكون الحيوان الذي يسرح على ضفته أو الإنسان الذي يمر بها في خطر لو لم يقرأ لذلك حسابا و يكثر الأسد جدا بين تمباكنده وولنقرة في تلك الغابات وذلك لكثرة المواشي خصوصا البقر فإنه كثير جدا.

وقد تفارق أيضا سيدنا في بلدة تمباكنده مع صاحبه السيِّد مولاي بن السيد محمد بن مولاي عمار شريف الساكن ببلدة بسقو من قطر السودان الفرنسي , وقد رافق هذا السيد سيدنا من بلدة بوبود لاصو مع السيد دان كوبات الذي سبق ذكره وقد كان هذا السيد إبراهيم الشريف يترجم بين سيدنا والقوم بلغة بنبرة وقد صحبه في سفره بالسودان ووصل معه حتى تمباكنده وقد أبدى هذا السيد جهودا عظيمة في هذا السبيل لا تنسى ،وفي الأخيرأجازه سيدنا في إعطاء الطريقة التجانية وهو أهل لذلك وأهل هذا السيد من الصحراء المغربية وقد نشأ في هذه السوادين التي وفد إليها إسلامه .[1]

ومدة إقامة سيدنا في مدينة قوناس المذكورة بث الطريقة أيما بث وأجاز أناسا كثيرين تأهلوا لذلك ,وفضل نشرالطريقة أيضا في نواحي مدينة فوناس التي غالب سكانها قبائل الفلان يرجع إلى جهود السيد المقدم الحاج محمد بن سعيد الفلاتي الذي مقره بلدة مدينة قوناس وللترك بأسماء الأوطان والبلدان المقدسة قد سموا أعني السيد الحاج محمد كبن سعيد وأصحابه بعض قراهم بأسمائها فسموا مدينة قوناس باسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وسموا قرية باسم عين ماضي بفاس كسماس Cassamasse و هي قطعة من قطر السَّنغال تحت حكم مدينة زقنشور Zigonchour بلدة تقع بساحل المحيط الأطلنتكي وسموا بلدة توجد بقطر لفتى بورتيقيز Portugaise gyunee بطيبة, وقد أسلم بعض الناس من قبائل الفلان على يد سيِّدنا لمدينة القوناس , فحبس إسلامهم ذلك إنه يوجد إلى الآن من قبائل الفلان التي تسكن نواحي كسماس المذكورة لا يزالون باقين على كفرهم ، ومن مدينة قوناس توجه سيدنا إلى بلدة ولنقرة متقدمة الذكر التي بها المركز الحكومي ونزل ضيفا بها مكرما عند السيد مصطفى تيرفو ،وقد اجتمع بالطوائف الإسلامية فوعظهم وأرشدهم لما فيه نجاحهم دنيا وأخرى ،وكذلك بث الطريقة ونشرها فأخذ عنه من أخذ وجدد من جدّد وأجاز من أجاز ومن بلدة ولنقرة توجه سيدنا إلى كولدة

---

[1] – وسموا بلدة بدار الهجرة وأخرى بمصر وسموا نهر قنيبيا بالفرات .

Kolda التي هي أول قرية بقطعة أرض كسماس المذكورة وذلك باستدعاء من مسلمي البلدة المذكورة فنزل بها ضيفا مكرما عند السيد الشريف التجاني بن الشريف يونس وعائلة الشريف يونس عائلة مشهورة بنواحي حي كسماس وإليهم ترجع الرياسة الدينية , بهذه الناحية وهي عائلة تجانية عريقة واجتمع سيدنا فيها بجميع المسلمين ودخل الطريقة بها خلق كثير من رجال ونساءا زيادة على المجددين للعهد الأحمدي.

وزار أيضا سيدنا بلدة مدينة الحاج ونشر فيها أيضا الطريقة وأرشد الناس لما فيه صلاحهم دنيا وآخرة, وقد جاء لملاقاة سيِّدنا السيد المكي الشريف من أولاد الشريف يونس عند نزول سيِّدنا ببلدة كولدة جاء هذا السيِّد وافدا من عاصمة دكار على طريق الجو لما سمع وجود سيدنا إلى ناحية كسماس, ولا زال يتجول مع سيِّدنا بسائر القرى والبلدان تشريفا وتبركا بخدمة سيِّدنا رضي الله عنه كما تشرف بها غيره من النبلاء والأئمة بسائر هذه الأقطار التي عمّتها رحلته الميمونة المباركة ومن هذه البلدة بلدة كولدة توجه سيِّدنا رضي الله عنه مصحوبا بالسيِّد المكي الشريف المذكور و السيِّد الحاج محمد بن سعيد الذي مرّ الكلام عليه إلى بلدة سجو SIJOU ونزل ضيفا في دار السيِّد أحمد دفيْ السنغالي واجتمع سيدنا في بلدة سجو بسائر الشعوب الإسلامية فوعظ وأرشد الجميع وبث الطريقة ووقع هذا الاجتماع العظيم بساحة الزاوية التجانية بالبلدة المذكورة ومن بلدة سجو توجه سيدنا إلى بلدة مرسي سوم التي قضى فيها بعض السّاعات وتناول فيها الغداء واجتمع فيها بجميع المسلمين فوعظ وأرشد ونشر الطريقة أيضا ومن هذه البلدة المذكورة توجه سيِّدنا رضي الله عنه إلى بلدة بنجونة BINJOUNA غير أننا في الطريق عبرنا بحر كسماس في زورق حكومي ووصلنا بلدة بنجونة عند غروب الشمس في يوم الجمعة 19 ربيع الأول 1370 وفي 29 دبسمبر 1950 وعند وجوده على بنجونة نزل ضيفا مكرما عند السيِّد إسماعيل كن الفلاني بن معظ كن وقد تجول في كثير من القرى التي يقرب بلدة بنجونه وتحت حكمها وذلك كقرية جقون Jougan وقرية كنقبو

و Mangane وقرية مندقن Assil وقرية ايسيل Karchak وقرية كرشاك Kangbo قرية بلتقو Balango وسيدنا في كافة هذه القرى يرشد المسلمين ويعظهم لما فيه صلاحهم دنيا وآخرة وفي أثناء ذلك يبث الطريقة التجانية والناس في مجالسه بين آخذ ومجدد ومجاز جزاه الله عن الإسلام خير جزاء .

وبعد أن أتم سيِّدنا رحلته في هذه القرى التابعة لقطعة كسماس توجه إلى عاصمة كسماس مدينة زفتشور Zigunechor التي تقع بخليج المحيط وهي ميناء صغير تأوي إليه المراكب والبواخرالصغرى وزفتشور بلدة جميلة أكثر أبنيتها جديدة .[1]

دخل سيدنا زفتشور قادما بحاشيته مصحوبا بالسيِّد المكي الشريف بن السيد الشريف يونس والسيد الشريف إبراهيم بن السيِّد الشريف يونس ونزل ضيفا ببلدة زفتشور مكرما عند السيِّد الشريف أبي بكر بن الشريف يونس وهم إذ يسمى الشيخ عبد الوهاب يسكن هذا السيد أيضا لمدينة زفتشور وكانت زيارة سيدنا لبلدة زفتشور عشية يوم الأربعاء الموافق ليوم 24 ربيع الأول 1370 و 3 جانفي 1951 وقد جاءت لملاقاته بساحل البحر حيث ينتهي الزورق جموع المسلمين من أهل مدينة زفتشور والإخوان الأحباب التجانيين وهم يترنمون بأصواتهم العالية بذكرلاإله إلاّالله كما هي عادة الاستقبالات بقطر السنغال ,وقد اجتمع سيِّدنا في مجلس حافل بالطوائف الإسلامية والتجانية وقد وعظهم وعظا بليغا أكثر لهم فيه من النصيحة وحثهم على التمسك بأذيال الشريعة الإ سلامية أمرا ونهيا, استغرق هذا المجلس ثلاث ساعات ونشر الطريقة التجانية كما هي عادتة في سائر الأقطار والقرى التي يمر بها في هذه الرحلة الميمونة وقد زار سيدنا أيضا في إقامته بزفتشور محل السيد محمد بني السنغالي وقد أكرمه إكراما وأجرا جزاه الله خيرا, ولا بأس أن نذكر بعض ما ينتجه قطر كسماس من الحاصلات الزراعية فيزرع في هذا القطرالأرز بكثرة حيث أن الماء يكثر جدا بداخل هذه الأرجاء ,ويحصد الأرز عندهم في

[1]– ويكثر البعوض في كافة قطر كسماس خصوصا في فصل الأمطار نظرا لكثرة المياه الراكدة .

أول شهر جانفي فترى جموع النساء يشتغلن بحصد الأرز في الفلوات والخلاء بين شجر الغابات وهذه من عجائب المخلوقات حيث أننا بالشمال الإفريقي عندنا حصاد الزرع لا يشرع فيه إلا في أوائل شهر جويلية فانظر اختلاف الأقطار حتى في الحاصلات الزراعية فضلا عن غيرها, وكذلك يزرع الدخن بكثرة و يكثر النخل الذي يأتي بالزيت الأحمر وكذلك زراعة شجر الكوتشو والكولة في جنوب قطر كسماس وتوجد زراعة الكواكاو[1] الذي يستخرج من حبوبه الزيت المعروف عندنا بزيت الكاوكوية ولعمري إن قطر كسماس الذي ما هو إلا قطعة من قطر السنغال تكثر به الزراعات خصوصا الأرز الذي هو غالب عيش أهل الوطن .

وخلال إقامة سيدنا بمدينة ز فتشور وردت عليه قصيدة أنشأها بعض علماء القطر نزيل بلدة قرساس وهو العالم العلامة السيِّد الحاج محمد بودي بن الشيخ محمد المقبلي الفوتجلى في مدح سيدنا رضي الله عنه نذكر منها بعض الأبيات يقول هذا الشاعر مخاطبا سيدنا:

مني السلام يفوق المسك إذ نشرا	إلى إمام سما في المجد وإشتهرا
وفاق بالعلم والتقوى وفاز بها	فازت به الغر من أسلافه الكبرا
أعني الشريف حفيد القطب من وقعت	على جلالته الأجماع للبصرا
شيخ الشيوخ إمام العارفين أبو	العباس سيدنا التجاني من بهرا
بسط الرسول وفي العليا خليفته	وفخر ملته من صيته إنتشرا
فطبق الأرض والآفاق سمعته	وعم نشر حلاه البدو الحضرا
مني إليك سلام طيب عبق	يبدي المحبّة فيكم كلما نثرا
يبدي لكم إن أحبكم حبا	أرجو به من ربنا الظفرا
وحبكم أهل المصطفى وجبا	على الورى فاز من في حبكم غمرا

[1]– ومن هذه الزراعات هذا القطر الذرة والموز أيضا .

إلى أن قال :

وأنـــتم خيـــر رهـــط يرتجـــى بهـــم إحيـــــاء ملتنـــــا لا زلـــــتم وزرا

ولا يـــزال بكـــم ذا الـــدين مبتهجـــا كما بكم كان في الأديـــان مفتخـــرا

والله ينفعـــــــا دنيـــــــا وآخـــــــرة بحـــبكم ويرينـــا الـــنهج مفتقـــرا

ومن بلدة زفتشور توجه سيدنا مصحوبا بالشريف المكي بن الشريف يونس وحاشيته إلى بلدة بنجونة راجعا إلى بلدة تمباكده من حيث أتى , ومن بنجونة توجه إلى بلدة كولدا حيث يسكن الشريف المكي المذكور ومن كولدا توجه سيدنا إلى بلدة كونكد Konkandi للاجتماع بالطوائف الإسلامية التجانية التي وفدت إلى كسماس آتية من قطر لفتى برتفيز يقصد زيارته والنظر إلى طلعته الأحمدية والأخذ عنه والتجديد للعهد التجاني, وبلدة كونكد ريشها الديني هو السيد التجاني الصادق أحد تلامذته السيد الحاج محمد بن سعيد الفلاتي الذي يستقر ببلدة مدينة قوناس وهو الرئيس الديني والمقدم التجاني العام لتلك النواحي التي يسكنها عدد كثير من قبائل الفلان ومن كونكد توجه سيدنا مرة ثانية إلى بلدة مدينة قوناس المذكورة وذلك باستدعاء من الحاج السيِّد المقدم محمد بن سعيد المذكور فأخذ عنه في الزيارة الثانية خلق كثير من نساء ورجال ومن هذه المدينة مدينة قوناس توجه سيِّدنا إلى بلدة تمباكندة مصحوبا بالسيدين الشريف المكي والسيد الحاج محمد بن سعيد الفلاتي المتقدمي الذكر ومن تمباكنده افترق سيدنا بالسيد الشريف المكي والسيد محمد بن سعيد وقد نزل ضيفا مكرما أيضا في هذه الزيارة الثانية لتمباكندة عند السيد الحاج سليمان الفلاتي إمام جامع بلدة تمباكنده والمقدم التجاني الكبير بها و كذلك افترق سيدنا من زتمباكنده بالمترجم السيد الحاج مالك الساكن في بلدة خاي بالسودان الفرنسي وهذا السيد صحب سيدنا من بلدة خاي وتجول معه في رحلته من تمباكنده إلى

زفتشير عاصمة كسماس, وكان يترجم بين سيدنا والقوم بلغة ولب وهي لغة السّنغال وقد أبدى هذا السيد جهودا جميلة جزاه الله خير الجزاء .

(ملاحظة) توجد ألقاب تطلق عند قبائل هوصة بنجيريا وغيرها من أوطانه يلقبون بها الكبراء وأهل الفضيلة من أهل الدراية والعلم فتراهم يقولو ن :" عالم" ومعلّم . ويطلقون لفظة سرك على الأمير أما قبائل الفلان فإنهم يطلقون لفظة أتيرنووتشرنو ويخصون بها أهل الدراية الصّغار أما أهل العلم الكبار فإنهم يخصونهم بلفظة الفا ومن ذلك تسميه ألفا هاشم الفواتي المقدم والعلامة الشهير دفين المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

زيارة سيّدنا رضي الله عنه الثانية لمدينة كولخ :

ركب سيّدنا القطارهو والحاشية صبيحة يوم الأحد بتاريخ 4 ربيع الثاني 1370 الموافق لـــ14 جانفي 1951 من بلدة تمباكنده وصحبه في هذا السير الميمون السيد الحاج سليمان الفلاتي إمام جامع نمباكنده الذي تقدم ذكره , و السيد الحاج محمد بن سعيد الفلاتي أيضا ساكن بلدة قو ناس ودخل ، بلدة كولخ في نفس هذا اليوم بالتاريخ المذكور أعلاه ولما وصل القطار محطة قنقو وجد سيدنا في انتظاره العالم العلامة والدراكة الفهام الجامع بين الشريعة والحقيقة السيد الحاج الشيخ إبراهيم نياصي المقدم التجاني الكبير بهذه البلدة بسيارته الخاصة ومعه كثير من الإخوان التجانيين من تلامذته من البياضيين والسودانيين جاءوا, صحبة العلامة الشيخ الحاج إبراهيم لملاقاة سيدنا والتبرك بطلعته الزكية وبمجرد نزول سيدنا من القطار تقيد السيد الحاج ابراهيم بالترحيب وكمال التعظيم والاحترام مقدما أليق التحيات بالجانب الأحمدي وتلاه أولئك الكرام فوقع على شخصية سيدنا ازدحام عظيم حتى علا على رؤوس القوم بعض الفتام , وبعد ذلك ركب سيّدنا السيارة ومعه السيد الحاج إبراهيم نياجي صاحب الضيافة في كولخ وحيث يطيب المقام وماذاك إلا وفاء بعهد طالما تشوقت له أنظار أولئك الكرام ولما أخذت سيارة سيدنا تسير

تلتها بقية السيارات التي جاء بها كلها السيد الحاج إبراهيم لتشارك في هذا الموسم المبارك والاحتفال البهيج بقدوم سيدنا وهذه السيارات بأجمعها مشحونة بالإخوان التجانيين الذين جاءوا لملاقاة سيدنا بالمحطة والتي تقدم ذكرها والمسافة بين المحطة وكولخ تبلغ حوالي 22 كلم .

ولما وصلنا مدينة كولخ أنيخت المطايا بساحة المنزل المبارك الذي أعده الشيخ السيد الحاج إبراهيم فياجى منزلا لسيدنا مدة إقامته بكولخ ومن حسن الاتفاق أن كان هذا المحل البديع قرب الجامع العظيم ذي المنارتين الذي يحاكي في شكله الجميل ووضعه الجليل الجوامع الكبرى التي في مدن الشمال الإفريقي وقد زاده جمالا على جمالا الاستصباح بالأنوار الكهربائية, وقد جلب له الشيخ الشيخ السيد الحاج إبراهيم نياجى موتورا كهربائيا لتوليد النور الكهربائي هو و المنزل الذي سكنه سيِّدنا كل ذلك يبرهن على عناية السيِّد الحاج إبراهيم بالآداب الإسلامية والتاريخية التجانية التي فيه يشهد بهذا الخاص والعام وقد اعتنى بضيافة سيِّدنا مدة إقامته بكولخ عناية خاصّة .

وليس يصح فـــي الأذهـــان شـــيئ إذا احتـــاج النهـــار إلـــى دليـــل[1]

والوظيفة يقرؤونها في هذا الجامع على النمط والصيغة التي تقرأ بها الوظيفة في زاوية سيِّدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه بحروسة فأس الإدريسية ,صانها الله من كل بأس وهذا الجامع يوجد بكولخ مدينة وفي هذه البلدة بلدة كولخ يوجد جامع للخطبة إمامه السيد الحاج عثمان كن من أتباع الحاج مالك و كلا الجامعين ولله الحمد تقرؤ بهما الوظيفة التجانية .

و خلال إقامة سيِّدنا بكولخ زار محل السيد الحاج محمد نياض الخليفة وهو أخو السيِّد الحاج إبراهيم نياص وهو كبير العائلة النياصية , فكان سيدنا ضيفا مكرما في داره هو

[1] سبق ذكر البيت .

والحاشية و هذا السيد من كبار العلماء الأعلام وله عدة تأليفات علمية منها مرآة الصفا في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم و منظومة في وصايا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ،وكذلك أخوه السيد الحاج إبراهيم إنياص[1] من كبار العلماء الأعلام ومقدمي الطريقة الكرام وله صيت عظيم بلغ بلاد هوصة بنيجريا وله أتباع كثيرون خصوصا في بلدة كنو وبلدة خماس من قطر ساحل الذهب يأتون لزيارته كل عام خصوصا في المولد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وله عدة السانية في الطريقة تلقاها من أئمتها وأعلامها وله كتاب نفيس سماه كاشف الإلباس عن قضية ختمية أبي العباس[2] وقد برهن هذا الكتاب على نفس صاحبه ومؤلف في علم التصوف وزار أيضا سيِّدنا ضريح والد السيِّد الحاج إبراهيم المسمى الشيخ عبد الله نياص ترجمة سيدنا الحاج معبد الله نياص هو الشيخ الأبر الماجد الأغر أبو محمد الحاج عبدالله ابن السيِّد محمد و لد رحمه الله وقت الضحى يوم الإثنين ثالث ذي القعدة عام 1364 في قرية بفل من قرى جلف وسط السَّنغال , و له عدة تآليف منها مطهر القلوب في التصوف وتنبيه الناس على شقاوة ناقل عهد بيعة أبي العباس في الرد عن الطريقة التجانية أفحم فيه المنكرين وفقيد الآنام في أحكام الفقه والنوازل وحصن الخضر إلى غير ذلك من المصنفات المفيدة , وأول من تمنى الطريقة التجانية خال العلامة الشيخ إبراهيم الجلفي عام 1289 هجرية و أول من قدمه الشيخ محمد بن إبراهيم الفوت جلّيٌّ, حيث أمره أن يقدم أربعة من الرجال وهو قدمه أحمد بن أبي بكر وهو قدمه الشيخ سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه, و أكبر أولاده السيد الخليفة الحاج محمد والسيِّد الحاج إبراهيم فيافي وكان مضرب الأمثال في المحبة.

[1] سبق التعريف به .

[2] كاشف الإلباس عن فيضة أبي العباس لصاحبه إبراهيم إنياص الكولخي , سبق الحديث عنه.

ومن القرى التي زارها سيدنا مصحوبا بالشيخ العلامة الحاج ابراهيم نياحي خلال إقامته بكولخ زار سيدنا قرية كون ولمرم وطيبة وكرم الجبل ومتين وطيبة نسين ونيورو واندوقن وقد جاء من البياضيين إخواننا الشناقطة العلويين لملاقاة سيِّدنا بقرية كولخ عدة أعيان منهم السّادة : محمد محمود ابن عبد السرين الحاج و اخوه محمد المشري ، محمد بن الشيخ محمد الأمين بن بد ، الحافظ بن بده العلامة السيد محمد عال بن قتى وأخوه محمد الأمين ، محمد عبدالله بن السيد ، محمد ناجي بن الغابد ، محمد عبدالله بن محمد محمود ، أحمد بن محمد كعبدالله بن بيا ، أحمد محمود بن محمد مال بن الفغ ، سيد بن سيد عبدالله ، أحمد محمود بن الزباني ، محمد محمود بن ايب ، محمد محمود بن محمد بن الى الزباني ، أخوه عبدالله سيد بن خير ، محمد الحسن بن محمد بهي ، محمد عبد الرحمن بن ...الخ . وغيرهما من أفراد الأسرة العلوية .

وكذلك اجتمع سيدنا في بلدة كولخ بالسيد الشيخ عمر فني اليانجوتي من أعيان بلدة باترس وكبراء التجانيين بها وله ولد نجيب أديب أنشأ قصيدة في مدح سيدنا رضي الله عنه اسمه السيِّد محمد الكبير بن الشيخ عمرفى , ولا تزال الوفود من أهل مدينة كو لخ من التجانيين بعد على إقامة سيِّدنا بالمنزل الجديد الذي بناه الشيخ إبراهيم نيامي تأتي هذه الطوائف لزيارة سيدنا أفواجا أفواجا رجالا ونسوة صباحا ومساءا في ساعات الزيارة مدة إقامة سيدنا بكو لخ التي دامت سبعة أيام كانها أيام عيد بل فاقت أيام المواسم والأعياد و اجتمع أيضا سيدنا مع كبراء العلويين السيد محمد الهادي بن السيدين الشيخ بن مولود فال .

وممن اجتمعنا به أيضا في بلدة كولخ بعض حفدة السيد الحاج أحمد التونسي رحمه الله وهذا الحفيد المبارك يسمّى السيّد محمد الحبيب جاء إلى كولخ وافدا من قطر سرليون المستعمرة الإنقليزية بافريقيا الغربية عاصمتها فرتاون والسيد أحمد التونسي رحمه الله تعالى له صيت عظيم في هذه الأقطار وهو الذي نشر الطريقة التجانية بقطر سرليون

وقطر لبريا وكانت وفاة السيد المذكور ببلدة فايرو FAYRO من قطر سرليون بنواحي بلدة بو BO وكانت وفاة السيد الحاج أحمد التونسي عام 1356 هجرية على ما أخبرني به حفيده المذكور .

وقد تصدّى سيِّدنا خلال إقامته بكولخ[1] لوعظ الناس ليلة اجتمع فيها خلق كثير في ساحة دار الشيخ ابراهيم نياصر المذكور وكان سيدنا رضي الله عنه يعظ الناس بواسطة المكروفون باللغة العربية والشيخ الحاج إبراهيم يترجم كلام سيدنا لهؤلاء الطوائف, بلغة الوف لغة الوطن و خلال هذا الوعظ النافع هدى الله أقواما على يد سيِّدنا كما هي العادة فاعتنقوا الدين الإسلامي عددهم لا يقل عن عشرين رجلا, فأسلموا وحسن إسلامهم ولقنهم سيدنا الشهادتين وأعطاهم نسخا من الكتب التي ألفها بالفرنسية في آداب الإسلام وكان سيدنا أيضا قد وعظ النساء في ليلة قبل هذه وممن حضر هذا المجلس العظيم السيد الشيخ عمرفي من سكان بنجدن بقطر قمبيا وقد أمضى عشرة أيام بكولخ ، غادر سيدنا هذه البلدة متوجها نحو بلدة تواون مصحوبا بالشيخ الحاج إبراهيم المذكور والشريف مكي بن الشريف يونس وغيرهما من الأصحاب التجانيين من أخلاء الحاج إبراهيم, ويحمل هذا الموكب الشريف عشر سيارات على نفقة الحاج ابراهيم اكراما سيذنا رضي الله عنه ولا زال سيدنا ينزل بالقرى قرية قرية حتى إنتهى ليلا ببلدة توازن حيث أضحى ضيفا مكرما معظما عند السيّد الخليفة سيدنا أبي بكر بن الشيخ الحاج مالك سه وقد وعظ سيِّدنا الناس في عدة مجالس أثناء مروره بالقرى المذكورة حتى هدى الله على يده أقواما دخلوا في الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم جزاه الله عن الإسلام خير الجزاء وكذلك بث الطريقة أثناء مروره كما هي العوائد في كامل تجولاته العديدة في الأقطار المختلفة بين الأجناس المختلفة المتباينة رغم النصب والتعب على التعب ,أقام سيدنا ببلدة تواون مدة

---

[1]– مدينة كولخ من مدن القطر الكبيرة وهي مركز كبير تحت حكمة ثلث قطر السّنغال .

ستة أيام في إكرام وإعظام بين أولاد الحاج مالك ,وقد أنزله الخليفة في قصر مشيد تعلوه الأنوار الكهربائية وهو مفرد علم هذه البلدة .

وبعد تمام هذه الإقامة ببلدة تواون توجّه سيدنا إلى عاصمة دكار مصحوبا بالسيِّد الحاج منصور سه, الذي ما جاء دكار إلا لشدة عنايته بأمور سيّدنا كما هو دأبه من قديم مع سيِّدنا وكذلك إخوانه الكرام السّادة الأعلام جزاهم الله خيرا .

وقد استقبل سيدنا قبل دخوله إلى دكار بنحو الخمسين ميلا أمير دكار الكبير السيد الحاج ابراهيم من كبار التجانيين بقطر السنغال وكذلك جاء لإستقباله قبل الدخول الشيخ عمرفي وولده المبارك السيد محمد الكبير الأديب النجيب ، و من كولخ إلى دكار القائم بأمر الترجمة وبعض الأمور الخاصة هو السيّد العالم الشيخ محمد عال بن فتى العلوي الشنجيطي الذي طالما ذاق كأس الإغتراب مع سيّدنا في رحلته هذه الميمونة من أولها إلى آخرها جزاه الله خيرا الجزاء , وجاء لاستقباله رضي الله عنه من أهل دكار كثير من الناس جزاهم الله خيرا وفي أثناء طريقه كان يعظ الناس كما هي العادة ولا ننسى أن نقول أن سيِّدنا نزل في بلدة تيس THIES زار فيها دار السيّد الحاج منصور سه التي بناها في العهد القريب , وجد سيدنا الأصحاب التجانيين في إنتظاره وهكذا في سائر القرى التي مررنا بها في الطريق بين تواون ودكار وذلك بإعلام من السيد الحاج منصور سه لهؤلاء الناس لمرور سيِّدنا وبعد ذلك دخلنا عاصمة دكار يوم الثلاثاء 23 ربيع الثاني 1370 الموافق 31 جانفي 1951 .

دخلناها بين العشاءين وإنتهى بنا السّير إلى دار السيد عبد العزيز سه المحل المبارك الذي أعد لإقامة سيِّدنا مدة ضيافته في دكار ولا زال ضيفا مكرما معظما محترما عند السادة أولاد السيد الحاج مالك سه رحمه الله تعالى والذي تولى شؤون الضيافة خلال هذه الإقامة كلها هو السيد الحاج منصور سه الذي رافق سيدنا رضي الله عنه من تواون إلى دكار بأمر الخليفة السيد أبي بكر سه .

ولا تزال الوفود والزوار التجانيون يفدون لزيارة سيّدنا أفواجا أفواجا من مختلف أنحاء العاصمة السنغالية وأحوازها من القرى والبلدان ومن أقصى البلاد ودانيها للأخذ والتجديد والإجازة والتبرك بطلعته الزكية ,مدة هذه الإ قامة الميمونة والمباركة وجاء لزيارة سيّدنا لما سمع بقدومه إلى دكار السيد العالم العلامة الأديب الظريف الحاج عبد العزيز سه ومعه السيد الحاج أحمد رفيقه الحميم ومساعده الكبير الكريم جاء [1]من مدينة أندرفاديا واجب الزيارة جزاهما الله خيرا وجاء للسلام على سيدنا العالم العلامة فرع العائلة العمرية الفوتية والشيخ سيدنا الحاج سعيد بن النور بن الشيخ سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه ولا زال السيّد الحاج سعيد النور حفيد سيدنا عمر الفوتي يتردد على دارالسيّد الحاج عبد العزيز سه في زيارة سيدنا كما هي العوائد الكريمة من قديم, في زيارة سيدنا الأولى لعاصمة دكار وهذا السيد العظيم والهمام الكريم زيادة على مجده الخالد و شرف عائلته وسمو نسبه , فهو قد تحصل على حظ وافر من العلم الصحيح والأخلاق الكريمة الفاضلة فتراه يستغرق أغلب أوقاته في قضاء مصالح المسلمين خصوصا التجانية أعني المصالح والشؤون التي لها علاقة بالإدارات الحكومية فكم سعى في نجاة مسلم عند الحكومة قد حكم عليه أوقارب أن يحكم عليه بالإعدام أو السجن المؤبد طول حياته وكم سعى في طرح أو التخفيف على الأقل من غرامة أو ضريبة أعيت كاهل مسلم وكم تفضل بماله الخاص في إعانة المسلمين ومساعدة المنكوبين وكم تلاطف مع شخص قد أساء معه الأدب وأفاض عليه من أخلاقه الكريمة وصبره النادر وحلمه عديم النظير, حتى صار المسيئ صديقا حميما و منزله في دكار بالزوار ومريدي قضاء الحوائج والأوطار بمثابة الزوايا تتردد عليه الناس طائفة بعد أخرى من رجال ونساء ومن عظيم زهد وعدم مبالاته بالأمور الدنيوية وعدم أخذه بأذيال الرياسة والدعوى , أنه رغم شهرته وعظيم منزلته بين القوم يسكن بيتا بالكراء ولو أراد غير هذا لكانت له أهلية أن

[1]– الترجمة السيد الحاج سعيد النورتال

يسكن في قصر ملكي , لكنه لا يعبأ بأحوال الدنيا وجمع الأموال , فلك أن تقول من دون مبالغة أن السيد الحاج سعيد النورتال هو سيد إفريقيا الغربية بتمامها وكذلك إفريقيا الاستوائية فلم نر مثله في هذه الأقطار كالتي ذكرناها أطال الله حياته نفعا للإسلام وكم أزال نزاعا طالما تضاعفت فيه الضغائن قلوب الناس و كم عالج أمراضا قومية طالما تسببت في شتات المجتمع الإسلامي في هذه الأقطار الإفريقية البعيدة عن التعاليم الإسلامية, وكم حارب نزعة أجنبية غربية دبّت وجاست خلال ديار المسلمين فبادر السيد الحاج سعيد النورتال وسلّ سيفه للمحاربة حتى أوقف تياره الجارف ورجعت من حيث أتت وكم له من مزية قومية دينية وإجتماعية محفوظة في دفاتر قلوب المسلمين في هذه الأقطار خصوصا المنصفين أما غير المنصفين فقد إثبتهم عليهم النفقة بالحصانة وأين هذه من تلك حتى تخيلو خيالات وماهي إلا محض سيئات و ما قرؤا القرآن حق تلاوته قال الله تعالى " يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظّنّ إن بعض الظّن إثْمٌ"[1]

ولهذا السيد همة دينية إسلامية فاقت الثريا في عليائها قال الشاعر :

لـــه همـــم لا منتهـــى لكبارهـــا وهمته الصغرى أجل من الــدهر[2]

وقال شاعر

فإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجـــسام[3]

ولو استعرضنا مزايا هذه الشخصية الكبيرة الكريمة لما وسعنا هذا السّجل لكن ذكرنا شيئا من ترجمته لمنا سبة ذكره وكثيرا يقتحم المشاق العظيمة في سبيل الإصلاح بين المسلمين ويقطع آلاف الأميال سعيا وراء مرماه الصّالح ونيته الزكية فقد سافر حتى بلغ أقصى جنوب إفريقيا كل ذلك في خدمة ركاب الإسلام ,وكم أنكحة فسخها لما وجدها

[1] الحجرات 12.

[2] سبق التعرض للبيت.

[3] سبق التعرض للبيت.

على غير النظام الشرعي سمعنا هذا في بلدة بوبود لاصو, وكم خدم الطريقة التجانية كمهنة أسلافه الكرام وكم أجاز مقدما يستحق الإجازة من إطلاق تقييد على حسب بضاعته العلمية الأدبية وكم منع من لا يستحق لما رأى فيه من الخلود إلى شهوات النفس وابتغاء الرياسة بذلك .

أولئك بادئ فجئتني بمثلهم ، إذا اجتمعنا يا جريرالجامع وله اعتناء خاص في سبيل خرقة أبناء سيّدنا الشيخ رضي الله عنه وبشواهد هذه العناية كنار على علم يعلمها الخاص والعام،و فكيف يصبح في الأذهان شيئ إذا إحتاج النهار إلى دليل .

والسيّد الحاج سعيد النورتال رغم مكانته هذه العظمى تراه ملكا في زي المساكين حتى أنه لا يتميز بينهم في شيئ يصدق عليه قول القائل :

إذا أردت شـــريف النـــاس كلهـــم فانظر إلى ملك فـــي زي مســـكين

ذاك الذي حسنت في الـــدنيا ســـيرته وذاك يصـــلح للـــدنيا والـــدين[1]

ولله در الشاعر يقول :

تكلف المجد أقوامـــا وقـــد ســـئموا منه وإنك مشـــغوف بـــه كلـــف

كأنك الدرة الزهراء في صـــدف والناس حولك ترا ذلك الصـــدف[2]

وممن أجاز الشيخ سيدنا الحاج سعيد النور بالاطلاق الإمام العلامة سيًدنا الحاج مالك سه عن خالد الفاهم مير عن الشيخ سيًدنا الشيخ الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه وكذلك ممن أطلق له السيد الشريف محمد المختار الحسيني الذي كان قاطنا في بلدة انيورو المتوفّي ببلدة خاي بالسودان الفرنسي رحمه الله رحمة واسعة وهو أطلق له سيدنا الطيب

[1] البيتان لأبي العتاهية, انظر أبو العتاهية , ديوان أبي العتاهية , ص 165.

[2] البيتان منسوبان لمسعود بن علي بن أحمد , في معجم الأدباء , انظر ياقوت الحموي , معجم الأدباء , ج 2 ص 442.

بن سيدنا أحمد بن سيدنا الطيب السفياني الفاسي صاحب الإفادة الأحمدية وأمره سيدنا الطيب السفياني بأن يقدم ثلاثة رجال فقط لا يزيد عليهم أحدا وكل واحد من الثلاثة يقدم واحدا فقط وهذا الواحد يقدم واحدا فقط تقديما مطلقا وسند سيّدنا الطيب هو عن سيدنا السفياني عن سيّدنا الحاج الحسن الإجرائي عن الشيخ الكس نوسي, وهو عن جد المميز سيدنا الطيب السفياني الكبير رضي الله عنهم أجمعين عن سيّدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وللعلامة سيدنا الحاج سعيد النور شرح جيّد على نظم الورقات للإمام في الأصول سماء بغية الملتمس وجذوة المقتبس أو سلم الرقاة لشرح نظم الورقات, وهذا الشرح عبارة على إختصار كتاب لطائف الإشارات إلى شرح تسهيل الطرقات لنظم الورقات تأليف العلامة عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب[1] .

وممن جاء لزيارة سيِّدنا خلال إقامته بدكار العالم العلامة الشيخ السيّد الحاج إبراهيم نياصي مضيف سيدنا بكولخ ومن أياديه الكريمة وشمائله العظيمة أن أهدى لسيّدنا سيارة جميلة , بارك الله فيه من أمام ومزايا هذا الرجل ظاهرة بين الأنام يشهد بها الخاص والعام ولم يرجع إلى كولخ حتى وعد سيدنا بأنه سيعود إلى دكار مرة أخرى لموادعته وكذلك ممن اجتمع بسيدنا من الأفاضل الكرام مضيفه ببلدة مدينة قوناص السيّد الحاج محمد بن سعيد الفلاتي الذي خبره بين القوم شهير وكثير من أفاضل الفلات نذكر منهم السيد التجاني الصادق بن ألفا أحمد ديد صاحب بلدة كندكند Cand candi بنواحي كسماس ولا ننسى الجهود العظيمة التي قام بها السيّد الشريف المكي الشريف يونس في سبيل خدمة ركاب سيدنا رضي الله مدة إقامته بدكار بالسيد الحاج أنجاي كن مضيفه سابقا في عاصمة كناكي من قطر لفتى الفرنسية ووقع الإجتماع بولده المبارك السيّد

[1] تسهيل الطرقات لنظم الورقات للعمريطي (ت 890 هــ) في 211 بيت , و هو متن مختصر جدا تكلم فيه المؤلف عن حمسة عشر بابا من أبواب أصول الفقه , و هي أقسام الكلام , الأمر , النهي العام و الخاص , المجمل و المبين الظاهر و المؤول , الأفعال الناسخ و المنسوخ , الإجماع , الإخبار , القياس , الحظر , الإباحة , ترتيب الأدلة.....انظر عبد بن محمد علي قدس الشافعي , (1280 ــ 1335 هــ) لطائف الإشارات شرح نظم الورقات , مكتبة مصطفى البابي الحلبي 1950.

دودكن في بلدة زفتشور وهكذا أحوال الدنيا اللقاء بعد الافتراق بعد اللقاء ، وقد سعى سيدنا رضي الله عنه أيام هذه الإقامة بدكار في تأسيس جمعية تجانية مهمتها إحياء معالم الدين الحنيف وتجديد معالم الطريقة التجانية في هذه الأقطار والرئيس لهذه الجمعية هو أمير عاصمة دكار السيّد الحاج إبراهيم ديوب كما فعل مثل ذلك في السودان المصري ومدينة فورت لامي عاصمة التشاد فجزاه الله خيرا وأكرم به من مجاهد كنبيل وقد عود مجالسه الوعظية الإرشادية خلال هذه الإقامة بالعاصمة السنغالية , تلك المجالس الشريفة التي هي كالغرة في جبين الدهر حتى أنك ترى دار السيد الحاج عبد العزيز سه خصوصا عشية الجمعة رغبة في ذكر الحضرة والوظيفة مع سيدنا كالمصلي يوم أحد العيدين مشحونة بالعباد الناكرين وترى الناس جالسين حتى خارج المحل المذكور في الطرق المتصلة به حتى أن المرء يخال هذا المحل جامع جمعة فأنعم وأكرم وأعظم به من إمام عظيم ومرشد حميم .

أما السيّد الحاج عبد العزيز سه فقد أبدى جهودا وبذل النفس و النفيس خلال إقامة سيدنا بداره كل هذه المدة التي بلغت نحو الشهر, ولا يزال يبدي لسيّد نا وجماعته أصناف المكارم و صنوف الأخلاق الكريمة وأنواع المساعي الجميلة الجليلة ماهو جدير باتصافه وجرى بذلكم الكرم في مختلف أصنافه ورغم إتساع العائلة وكثرة النفقات فما أشبه يوم الضيافة الأمير يأولها سواء وهذا السيد مشهور بالعلم والكرم والصلاح وسعة الأخلاق ورقة القلب مع الخاص والعام, فما أشبهه بوالده الكريم ومن يشابه أباه فما ظلم والدر من معدنه لا يستغرب يصدق عليه قول الشاعر :

تـــــراه إذا ماجئتـــــه مـــــتهللا كأنك تعطيه الــذي أنــت ســائله[1]

[1] البيت لزهير, انظر زهير بن أبي سلمى , ديوان زهير , ص 389.

وهو من رجال الأدب برهنت على باعه الطويل في الأدب العربي والأدب الدوقي الأخلاقي منظومته التي بذل فيها النصيحة للمسلمين ولعمري أنها لمشحونة بالنصائح كالفلك المشحون أولها.

يقـــول حامـــدا الأهـــم العزيـــز	وشـــاكرا إلاه عبـــد العزيـــز
المـــالكي مـــذهبا نجـــل الرضـــا	الحاج مالك الإمـــام المرتضـــى
نجـــل الفقيـــه العـــالم الصـــوفي	بحر العلـــوم الجلفـــي الصـــني
ســـمي ذي النوريـــد عثمـــان فـــالإبر	من صيته بـــين البريـــة إشـــتهر

حتى يقول :

مســـتوهبا مـــدد ربـــه الأحـــد	والله واهب لمن شـــاء ةالمـــدد
مـــذكرا و المـــومنين الـــذكرى	تـــنفعهم أ ن يســـروا لليســـرى
موحـــدا توحيـــد عبـــد مفتقـــر	رحمة المولى الغفـــور المقتـــدر
فوجـــدوا إلاهكـــم بالقلـــب	ســـيان بالســـلوك أو بـــالحزب

حتى يقول :

ســـميتها زاد المشـــهر إلـــى	قطع طريق الحق كيمـــا يصـــلا
عليـــك بـــالتقوى ولـــين الجانـــب	للقـــرب للأخـــي وللأجانـــب
وإن ذا القربـــى وجـــار الجنـــب	حـــق لهمـــا فـــامتثلى واجتنـــب
تعـــاونوا علـــى الهـــدى والتقـــوى	والبر وأتركوا الخنا والطغـــوى
كونـــوا عبـــاد ربكـــم إخوانـــا	متحـــدين واحـــذروا العـــدوان
فـــالمومنون كلهـــم إخـــوان	لا ينبغـــي وبيـــنهم العـــدوان

فهي طويلة ولا يساعفنا الوقت لذكرها وله ديوان في مدح سيدنا ومولا نا أحمد التجاني رضي الله عنه .

رحلة سيدنا الحاج ابنعمر التجاني ابقاه الله إلى حي العلويين بقطر موريتانيا الجنوبية الغربية ونواحي فوته :

لما حل ركب سيِّدنا رضي الله عنه بعاصمة دكار بقطر السّنغال عائدا من سفره الطويل في الأقطار الإفريقية وكنا نظن أن دكار هي نقطة الانتهاء كما كانت نقطة الابتداء في الأسفار الغابرة, تعلق أصحاب سيِّدنا الشيخ رضي الله عنه من أهالي فوته الوافدين لعاصمة دكار لزيارة سيِّدنا تعلق هؤلاء بأذيال الجاه بفضيلة الهمام العلامة الشيخ سيدنا الحاج سعيد النورتال حفيد سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه و التمسوا من هذا السيد العظيم أن يلتمس من سيّدنا أن يزور نواحيهم الفوتية, رغبة منهم بأن تحظى أوطانهم بما حظيت به الأوطان الأخرى والمزايا بزيارة سيدنا لها فأجاب سيدنا دعاء السيد الحاج سعيد النور و ثمر على ساق الجد لزيارة الأقطار الفوتية رغم الأتعاب السفرية التي قضت قبل حلوله لعاصمة دكار.

غادر سيدنا عاصمة دكار هو وحاشيته المكرمة الشريفة التي تتركب من عدة شخصيات من أصحابه الأقدمين منهم أحمد العناية ومحمد والحاج عثمان وآدم القلام الصغير القائم بخدمة سيدنا وقد صحبنا في هذه المرة في هذا السفر المبارك الميمون الأديب الفقيه السيّد مختار بابو الذي كان قائما بأمر الترجمة بين سيدنا والقوم عام 1948 ومن أعيان وكبراء الوطن ممن صحب سيدنا في هذه المرة السيّد الفقيه الحاج محمد بن سعيد صاحب مدينة قو ناس من بلاد كسماس الذي مر الكلام عليه, وكذلك السيّد الفقيه الشيخ منتقى تال أحد أحفاد سيّدنا عمر الفوتي سافر هذا السيّد مع سيّد نا إلى فوته بأمر من السيد الحاج سعيد النورتال ,وقد أحسن صحبته ورفقته لله دره من كريم . وهو الواسطة بين سيدنا والقوم في أمر الترجمة والزيارة قلنا أن سيدنا غادر عاصمة دكارفي القطار

نحو مدينة سالوي أندر يوم 11 جمادى الثانية 1370 الموافق لـــ19 مارس 1951 ،ولما وصل القطار إلى بلدة تواون بلدة السيّد الحاج مالك سه رحمه الله رحمة وا سعة جاء لمقابلة سيدنا في المحطة السيّد العلامة الحاج منصور سه أحد كبراء أولاد السيد الحاج مالك سه الجدير بالذكر وهو الذي كان آخذ بزمام الأمر عند زيارة سيدنا لقطر السنغال الزيارة الأ ولى عام 1948,

وكذ لك جاء لمقابلة سيدنا نيابة عن والده الخليفة السيد الحاج الشيخ التجاني ذلكم الشاب الظريف الأديب وهو أكبر أولاد الخليفة السيد أبو بكر سه , ثم توادع سيدنا مع هؤلاء الناس وسار القطار نحو أندر و من الأسف المبين أن أخبرني سيدنا رضي الله عنه ونحو في أثناء هذا السفر بين تواون وأندربوفاة الهمام الفقيه المقدم البركة سيدنا علي بن محمد مقدم زاوية عين ماضي, وكذلك أخبرني بوفاة أختنا المرحومة السيدة فاطمة بنت سيّدنا الراجع أختي كفالة وقريبة رحمها الله رحمة واسعة, ولما وصلنا إلى أندر وجدنا القوم منتظرين قدوم سيدنا الحاج عبد العزيز سه بن سيدنا الحاج مالك سه والسيد محمد براده الفاسي وغير هذين من أعيان بلدة اندر ولما نزل سيدنا من القطار ركب في السيّارة المعدة له التي سارت به إلى دار السيد محمد براده الفاسي الذي كان النزول عنده طلبه منه ذلك من السيد الحاج عبد العزيز سه, وقد أقام سيدنا ببلدة سان لوي إحد عشر يوما إجتمع خلال هذه المدة بالطوائف الإسلامية وكافة التجانية واجتمعنا بضيفا اجتماعا رسميا بحاكمي قطري السنغال الشمالية وموريتانيا ومن بلدة أندر توجه سيّدنا إلى بلدة روصو ROSSO أول بلدة من قطر موريتانيا على ضفة نهر السّنغال الشمالية نزل ضيفا عند السيد الحاج بروالجاي وكان نزوله عام 1948 عند السيّد محمد تسك بن عبد الله تسك وكلاهما من روصو, وقد ركب سيدنا من أندرفي سيارة نائب موريتانيا السيد أحمد بن حرمة بن بابانة الذي صحبه إلى وصول نهر السنغال عند الضفة الجنوبية ثم توادع مع سيدنا وسأل من صالح الدعاء جزاه الله خيرا ووقاه ضيرا وهو من بيوت

العلويين الشريفة أقامته الأمة الإسلامية الموريتانية نائبا عنها في الشؤون الدولية تحت نتيجة الفوز بالإنتخاب وبعد إقامة خفيفة في روصو توجه سيدنا وحاشيته منهم السيّد الحاج عبد العزيز سه والسيّد محمد أحميدة التكنى والعلامة سيدنا محمد عال بن قنى العلوي رفيق سيدنا في أسفاره الطويلة والسيد محمد المرابط بن الخلفية سيدنا محمد الطلبة قاصدين قباب وخيام حي العلويين من أصحاب سيدنا رضي الله عنه قال الشاعر :

عسى عطفة منكم علي بنظـــرة فقـــد تعبـــت بينـــي وبيـــنكم الرســـل[1]

ومن روصو مررنا بحي العلويين قضينا عندهم ليلة وهذا الحي يقال له الركيز وهو بحر مشهور للعلويين بحر ثونة ويسكنون في جوانبه زمن الصيف كما قال سيدنا محمد فال بن باب العلوي أخوالنا ضم رضي الله عنهم من أبيات له :

أقاموا بهذا حتى إذا انســـلخ الشـــتاء توقوا ســـموم الغـــيظ فـــي حافـــة النهـــر

مر العقل يا ريـــح الجنـــوب ألاهبـــي أروح من ذاك النسيم علـــى قلـــب انحـــر

ثم أتينا من الركيز إلى محل قريب منه يقال له اللقة وهي اللجة وفي الركيز يقول القاضي محمد عبد الرحمن بن السّالك بن باب العلوي[2] فإن هذا البحر بحر لنا قد اشتريناه زمانا مضى ثم ادعيت قبائل ملكه ، لما رأوا دين الله انقضى فأردعهم خشية أن يدعى غيضة أسد الغا ب ، أسير الغضى وأسد اسم الذئب والغضى اسم شجر معروف . وفي الفقه هذه رجاء رجال من كبراء العلويين لمقابلة سيدنا قبل الحلول بحيهم الشريف رئيسهم الفقيه العالم السيّد الشيخان ابن الخليفة سيدنا محمد الطلبة العلوي الملقب

---

[1] من قصيدة : هو الحب فأسلم لابن الفارض , انظر ابن الفارض , ديوان ابن الفارض , ص 213.

[2] محمد عبد الرحمن بن السالك (1883 ــ 1978 م) بموريتانيا , مارس القضاء , و الــتأليف و الإفتاء , انظر إبراهيم إنياص , كشف الإلباس , ص 110.

بالشيخين[1] والذي سماه بذلك هو السيد الحاج ابراهيم نياص صاحب كولخ ومن ذلك أطلق عليه ذلك اللقب وهو " الشيخان" .

ومن اللقة ذهبنا الى الجرارية وهو حي السادة العلويين الكرام ويقال لبئرهم الذي يسقون منه "أ بو بكر" وقد مررنا في طريقنا ببئر يقال له بْرينْ وأول من حفره سيدنا محمد بن سيدنا عبدالله المشهور بيد حسان الطريقة وفيه يقول ابنه محمد بن محمد في أبيات يستسقي بها للعقل وهي آبار وحسني يسكنها العلويون يقول :

حتى إذا عمت السقيا مسارحها فاسبق المسارح من برين واستر ح[2]

وفيها يقول الشاعر المشهور المترجم له في الوسيط في أدباء شنجيط :

بينمـــا نحـــن فـــي أزاء بيـــرين نقتفـــي النـــوق وأريـــدنا الأضـــينا

لاح بيـــــت فخلتـــــه علويـــــا حيـــث كانـــت منـــازل العلوينـــا

فـــإذا البيـــت غيـــر مـــا ظننـــا أن في البيـــت قـــائلي مـــن ســـنينا[3]

ومن برين المذكور وصلنا حي العلويين ليلا وهو المعروف ببئر الجرارية ووجدنا حي العلويين مجتمعين عنده و ضربوا خيامهم بجانب الحي وخصصوا لسيدنا وجماعته خياما وبالغوا في الإكرام وذبحوا ونحروا المواشي والأنعام, حتى أنهم نحروا ناقة بيضاء من أجود النوق العتاق والتقينا بالأجلاء الأعلام جاؤوا لزيارة سيّدنا رضي الله عنه وممن التقينا به الأعلام العلماء الأجلاء فضيلة الخليفة سيدنا محمد بن السيّد أحمد بن

---

[1] هو محمد بن الطلبة العلوي الشنقيطي التيجاني (1905 ــ 1986 م) و قد لقبه إبراهيم إنياص بــ "الشيخين " , انظر محمد الطلبة العلوي , ديوان الشخين محمد بن طلبة , جمعه و رتبه محمد سعيد بن محمد , نشر و توزيع مؤسسة منير نواكشوط 1985.

[2] للشاعر محمدي بن محمد , انظر أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت 1331 هــ) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط , الشركة الدولية للطباعة , مصر , ط5, 2005.

[3] الأبيات لمحمد الحبيب ولد المرابط (ت 1905 م) شاعر موريتاني عني بالشعر و الأدب , انظر المرجع السابق , ص 215.

الشيخ سيدنا ومولانا محمد الحافظ والعلامة والفقيه السيّد محمد الأمين بن السيد أحمد بن بد حسان الطريقة وكلاهما خليفة عن والده وكلاهما شيخ بجميع أوصافه وكلهم في المرتبة الرابعة عن الشيخ التجاني رضي الله عنه وهم أشياخ القبيلة وأرباب الحل والعقد وخلفاؤها وساد اتها.

وممن اجتمعنا به من الأعلام أيضا سيّدنا عبدالله بن سيدنا محمد فال بن باب العلوي أخو الناظم وهو خليفة والده ومن السّادة العلماء سيدنا محمد عال المتقدم الذكر و سيدنا محمد عبدالرحمن بن الحاج ومن العلماء الكبار السيد العلامة محمد عبد الرحمن بن السالك بن باب العلوي, غير أن هذا الأخير عند زيارة سيّدنا لحي الجرارية كان غائبا في دكار وجاء لمقابلة سيّدنا عند رجوعه إلى دكار وهو من الأعلام والشعراء وبعد أن قضينا ليلتين ويوما في حي العلويين في غاية الاحترام ونهاية الإكرام سافرنا إلى محل يقال له بلغريان[1] غير أن سيدنا تعطل قليلا بسبب فساد السيارة بمحل يقال مله همزة اندوذ, فأرسل إليه السادة العلويين الإبل العتاق وبلغريان هو بيرلا دابلحسن أحد قبائل شنجيط, ومن سافر إلى بلدة بتمليت وهي مركز القادرية أهل الشيخ سدى سادة القادرية في موريتانيا, والتقى سيّدنا بكثير وأعيان البلدة المذكورة جاؤوا لزيارته والذي قام بأمر ضيافة سيّدنا في بلدة بتلميت هو السيد الشيخ ابن بلة الموظف بالبريد وكذا من الأفذاذ الأعيان الطيب السيّد يحي بن محمد بن من قبيلة أولاد دمان وقد أجازه سيدنا رضي الله عنه وممن صحب سيّدنا من كبراء العلويين إلى بتلميت الخليفة سيّدنا محمد و الطلبه وولده الكريم السيّد المرابط والسيّد الحاج عبدالله بن سيدنا محمد فال ابن باب العلوي والسيد محمد عبد الرحمن بن الحاج وعزهم من الفضلاء الأعيان جزاهم الله خيرا و وقاهم ضيرا, والتقى سيّدنا في بلدة بتلميت برجل من أبناء الأغواط يقال له بن موسى يقوم بالدراسة الفرنسية والعربية وقد تجاذبا أطراف الحديث في أخبار الوطن

[1] غريان إحدى المدن الليبية بالشمال الغربي تبعد عن طرابلس 75 كلم .

العزيز الذي يربطهما وقد صحب سيّدنا من بلدة بتلميت إ لى روصو هؤلاء السّادة المذكورين .

(تنبيه) : الجرارية بير مشهور عندها مدفن كبير من السادة العلويين أول من دفن فيها منهم السيد الصالح الفاضل الولي الصالح بن بد والسيد أحمد بن سيّدنا محمد الحافظ والسيد محمد بد والسيد محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن السيد محمد الحافظ العلوي وسيدنا محمد المختار بن أحمد فال وسيدنا عبدالله ابن الحاج وغيرهم وهي يقع الأرض أو معلاها وفيها يقول العالم العامل اجرود براكتوشن أحد علماء العلويين :

حـــاز الســـو احــب عـــن العقـــل أولـــى وكن والعقـــل علـــى حـــد السّـــوا

يا حبذا من زارهـــن وارتـــــــــــــــوى من ما تهـــن وبهـــن قـــد ثـــوى[1]

وفي بارين يقول الشاعر :

مروري بالركاب على برينا بهيج من بلابلي الدفينا

فإن للدوليين به سبيلا ونحن على سبيل الأوليا ن[2]

هذا ومن شدة محبة هؤلاء الناس أعني السادة العلويين لهذا السيد وجماعته, أن المحل الذي ضربت عليهم خيامهم جعلوا عليه غرسا من الأشجار تعيينا لذلك الموضع يتبرك به بعد نفعنا الله وإياهم ببركة هذا السيّد العظيم وبسلفه الصالح الأكرمين وكذلك فعل أهل الركيز وقد مدح بعض الشعراء من شنجيط سيّدنا الطيب بن سيّدنا علال التجاني بقصيدة مطلعها:

[1] لم أوفق في العثور على قائل البيتين .

[2] البيتان للشاعر السالف الذكر محمد الحبيب ولد المرابط , انظر محمد المختار ولد اباه , الشعر و الشعراء ,في موريتانيا ,الشركة التونسية للتوزيع , تونس 1987.

فجرك الأعلا خـــاتم الرســـل كلهـــم   وبحرك الأسمى قطب أهــل الجزائـــر[1]

ومن بتلميت توجه سيّدنا إلى بلدة روصو مرة ثانية التي سيسافر منها إلى النواحي الفوتية التي اشتهر أهلها بالمحبة التجانية الخالدة .

وقبل الشروع في الكلام على رحلة فوته لا يفوتنا أن نقول أن الذي كان واسطة بين سيدنا والقوم في حي العلويين إنما هو العلامة الفاضل الشيخ سيّدنا محمد عال بن فتى العلوي وكذلك إخوة السيد محمد أمين وهما اللذان مازالا يترددان على سيدنا في هذه الأسفارالموريتانية وكذلك السيد محمد المرابط ابن الخليفة سيدنا محمد الطلبة العلوي وإن السيد عبد العزيز سه صحب سيدنا في هذا السفر إلى حي العلويين ورجع منه إلى روصو ثم إلى سان لوي, أما السيدان المذكوران أولا ممن صحب سيدنا وهما السيد الشيخ منتقى تال والسيد الحاج محمد بن سعيد فقد توجها من سان لوي رأسا إلى فوته لتحضير بعض ما يقتضيه أمر زيارة سيدنا رضي الله عنه , فهذان الرجلان لم يذهبا مع سيدنا إلى حي الجرارية فالأوّل توجه إلى بلدة بوقي من قطر موريتانيا والثاني توجه إلى بلدة كيهيد من قطر موريتانيا أيضا وكذلك ممن صحب سيّدنا في هذه الأسفار من دكار إلى فوتة السيّد تيرن كردم واسمه الحقيقي محمد بن عمر ،وقد جاء إلى سانلوي خلال إقامة سيّدنا بها العلامة الشيخ السيد سيّدنا الحاج إبراهيم نياص مضيف سيدنا كولخ سابقا مصحوبا بولده للمباركة والشيخ التجاني وتقدم هذا السيد العظيم سيدنا إلى فوته حتى وصل بها السير إلى بلدة ما تم خدمة خاصّة للركاب العمري جزاه الله خيرا ورجع إلى بلدة اندر, و لا يزال سيدنا مقيما إذ ذاك بها ثم رجع من أندر إلى موطنه بكولخ بعد تمام المقصود ولا يزال هذا السيّد أعني الحاج ابراهيم نياص يبدي في شواهد الإخلاص وبراهين الإختصاص في سبيل خدمة سيّدنا رضي الله ولا ننسى أن نقول أن ممن صحب سيّدنا

[1] لم أوفق في التأكد من نسبة البيت .

من أندر إلى روصو السيّد محمد برادة الفاسي مضيف بأندر وكانت في الحقيقة أعباء الضيافة قد أخذ فيها السيد الحاج عبد العزيز سه بحظ وافر جزاهم الله خيرا إنه ولي ذلك والقادر عليه إذ كل خير منه وإليه و الناس إنما هم مظاهر للخير والشر.

ولا يزال السيّد محمد عال بن فتى العلوي حتى في رجوع سيّدنا من حي العلويين إلى بلدة روصو يبدي جهودا جبارة في سبيل خدمة سيّدنا رضي الله عنه الأمر الذي خلد له المزية والذكر الجميل ويكفيه من ذلك هجران الأهل والمال والخلاف والأقران مدة ثلاث سنوات وهو مرافق سيدنا في أسفاره الطويلة التي تكتب نتائجها ومزاياها وحسناتها الدينية بماء الذهب إن لم يكف ماء العيون جزى الله سيّدنا الحاج ابنعمر التجاني أفضل ما يجازي به مجاهد في سبيل الله آمين .

وقبل ذهاب سيدنا إلى موريتانيا وفوته وهو لا يزال مقيما بأندر وفاه خبر وفاة العالم العلامة الدراكة الفهامة الحدث آخر السّلف العالم سيدنا الحاج محمد الحجومي الفاسي توفي ببلدة دمنات بالمغرب الأقصى رحمه الله رحمة واسعة فأرسل سيدنا عدة رسائل لتعزية آله وذويه الكرام منها رسالة إلى العلامة مقدم الزاوية التجانية الكبرى بفاس العليا سيدنا الحاج إدريس بلعابد العراقي الفاسي وعمم فيها التعازي لسائر أصحاب الزاوية الكرام والأئمة الأعلام .

ارتحل سيدنا مع رفقائه الكرام من بلدة روصو قاصدا بلدة دقنة ببلدة بدور التي هي أول مركز حكومي كبير بالأقطار الفوتية وصحبه في هذا السفر أيضا السيد محمد عال بن فتى العلوي وكانت مرافقته سيدنا إلى بدورهي النهاية ثم بعد ذلك رجع إلى أهله حيث حي الجرارية التي تقدم ذكرها ولما جاء سيدنا إ لى بدور وقد مر في طريقه بعدة قرى فوتية سيأتي ذكرها الواحدة تلو الأخرى فوجد الأصحاب من أهل بدور في انتظار قدومه الشريف الذي طالما تشوقوا إليه فنزل بها ضيفا مكرما معظما محترما عند كبيرها و فذها الوحيد المقدم البركة السيّد الحاج بابا أندينق واجتمع بالمسلمين قاطبة من أهل بدور

في ممن دار السيد محمد الحافظ ولداع العلوي, أحد كبار التجانيين التجار بالبلدة المذكورة فوعظ سيّدنا الناس ونصحهم لما فيه صلاحهم دنيا وآخرة و كان المجلس حافلا كما هو الشأن في المجالس الوعظية العمرية, وبعد تمام المجلس أقيمت صلاة المغرب فصلى سيدنا بالناس وبعد ذلك دخل منزل محمد الحافظ المذكور الذي استدعاه لتناول العشاء عنه في تلك الليلة المباركة ومن بدور توجه سيدنا إلى نواحي بلدة كيهيد وقد مرّ في ذلكم الطريق على عدة قرى منها القرية الكبرى التي على ضفة نهر السنغال الشمالية في قطر موريتانيا, وهي بلدة بوقي حيث كان في انتظاره فيها السيد تيرن منتقى قال حفيد سيدنا عمر الفوتي .

وكان سيدنا يود أن يأتي إلى بوقي من بلدة بتلميت على طريق بلدة ألق لكن الطريق كان غيرلائق لكثرة الرمال التي تعترض المسافر في السيارة وكانت ضيافة سيدنا في بلدة بوفي عند السيد تبرن منتقى تال لأن له دارا فيها ، غير أنه قبل عبور النهر إلى بوقي مرّ بقرية فوته السنغالية يقال لها دمت التي وعظ فيها الناس أي وعظ و نصح أية نصيحة ومن بوقي توجه سيدنا إلى بلدة كيهيد, حيث السيد الحاج محمد بن سعيد مقدم مدينة قوناس في إنتظاره منذ أمد ،ولا تسأل عن اليوم الذي دخلنا فيه بلدة كيهيد فإنه لعمري يوم مشهود ووجدنا آلافا من الناس خارج البلدة على عدة أميال ونحو العشرين فارسا في انتظار سيّدنا ولما وصلت سيارة سيدنا لهذه الجموع اكتنفها الناس يمينا وشمالا مهللين ومكبرين وتقدمها هؤلاء الفرسان يعدون فوق خيولهم حتى صار الغبار وقتاعلى الطريق من شدة الازدحام و العدو مثل الغمام فوق رؤوس الناس وحتى صار بعضنا لا يرى البعض ونحن داخل السيارة, ولولا لطف الله وعنايته بسيدنا رضي الله عنه لا نقلبت السيارة من آونة إلى أخرى تسمع الطلقات النارية تخرق من أفواه البنادق ولشدة تتابعها ترى الخيول تقشعر جلودها وينالها من الفزع ما ينالها كأنها في وطيس المعركة , ولا يزال الشأن هكذا حتى انتهينا إلى بلدة كيهيد التي هي من مراكز جنوب

موريتانيا الكبرى ، دخلنا البلدة عند غروب الشمس وانتهت سيارة سيّدنا ورفقائه عند دار السيّد تييرن عثمان به القاضي ببلدة كهيد حيث طاب المقام فيها لسيدنا وجماعته مكثنا في هذه البلدة الميمونة خمسة أيام وسيّدنا يتابع جلساته الدينية الوعظية الإرشادية وبث فيها الطريقة وأجاز من أجاز حتى اتضح المجاز لكل ذي عينين ولم نتعرض لذكر القرى التي مرّ بها سيّدنا أثناء سفره لبلدة كيهيد وأخذنا ذكرها بالتفصيل حتى نذكرها متتابعة الواحدة تلوالأخرى وقد اجتمع سيدنا بالسّادة العلماء من أصحاب سيّدنا ببلدة كيهيد اجتماعا خاصا حثهم فيه على إسداء النصيحة للمسلمين والنهضة بالدين الإسلامي الحنيف وعقد مجالس تعليمية للعوام على طريق السؤال والجواب لأن ذلك أوقع في النفس, وحثهم أيضا على الأخذ بزمام الشريعة وإحياء معالم الدين واقتفاء أثر السلف الصالح فلبوا جميعا دعوته الصالحة وشكروه على ذلك و لا تزال طائفة هؤلاء الأعلام وكافة أهل كيهيد ونواحيها يترددون على محل سيدنا صباحا ومساءا ابتغاء البركة والبركة لله وحده وسماع النصيحة وقد مدح سيدنا بعض علمائها بقصيدة نذكر منها ما تيسر لذكره :

لورد ورده شيخي أبـــي العبـــاس أنـــوار ... بها إن تقت في فؤادي اليـــوم أكـــدار
رد ورده الغرب تظفـــر بـــالمنى فعســـى ... بسر شيخي تجيـــئ للـــروح أنـــوار
شيخي بـــه قـــد نـــال مـــن نـــال مرتبـــه ... بعـــد النبـــوءة أقطـــاب وأخيـــار

إلى أن قال :

لقد أتى البدر بدرالـــدين فـــي ظمـــا ... كنا وليس لنـــا فـــي حبـــه عـــار
على المريـــد هـــدايا الشـــيخ واجبـــة ... والمرء جزء أبيه قالـــت أخبـــار

و صاحب هذه الأبيات السيّد الشاعر أحمد بن محمد كاو ببلدة كيهيد وقال محمد كاو بن أحمد التلري القجلني :

ياغاديـــا يقتفـــي آثـــار أحـــرار | وراحـــلا يتمنـــى نيـــل أســـرار
نلثم برق هذا فخذ حبل الوصـــال لـــه | أسرار قدوتنا من غيـــر أضـــرار
سرى لنـــا معشـــر التجـــاني أن لنـــا | زيارة ابنعمر نـــاه عـــن أشـــرار

وقد جرت بيننا وعلماء بلدة كيهيد تذاكرات علمية قيمة قادتنا للبحث في الفرق بين علم الجنس واسم الجنس و النكرة, فقلت لهم أن علم الجنس موضوع للماهية المعنية ذهنا وخارجا وبذلكم التعيين صارعلما حتى صح وصفه بالمعرفة وصح يجيئ الحال منه فتقول هذا أسامة مقبلا وأما اسم الجنس فهو الموضوع للماهية المطلقة أعني الغير المعينة وبذلك انتبه على كثير من الأعلام بالنكرة نظرا لعدم التعيين في كل ذات وكان الفرق بينه وبين واضحا جليا لكونه موضوعا للماهية الغير المعينة كما قلنا والنكرة موضوعة للفرد المنتشر وللوحدة الشائعة فاسم الجنس كأسد والنظرة كرجل ,وقد فسر الأعلام هذه الثلاث بتفاسير متباينة غير أن المعمول عليه فأذكرناه مما حرره الأئمة الأعلام.

وكذلك تناولنا البحث في الفرق بين العام المخصوص والعام الذي أريد به الخصوص فقلت لهم إن العام المخصوص هو لفظ يقتضي العموم ثم يطرأ عند بعض المخصصات التي تخرج منه بعض ما يتناوله العموم من حيث أنه عموم[1] مثاله اقتلوا المشركين فقد أخرجت السنة بعض الأفراد مما لا يتناوله هذا الحكم كالنساء والصبيان والرهبان إذا لم تصدر منهم خيانة للمسلمين وأما العام الذي أريد به الخصوص هو أن يطلق اللفظ على العام والمراد به خاص بعينه كقوله تعالى " تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض "[2] .

---

[1] الزركشي بدر الدين ,البحر المحيط , دار الكتبي , ط1, ج 2 , ص 293.

[2] البقرة 253.

فالمراد بهذا البعض إنما هو النبي صلى الله عليه وسلم وكقوله تعالى :" الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم "[1] .

فالمراد بالناس الأولى إنما هو سمع واحد كذلك تناولنا بحث الفرق بين التخصص والنسخ فقلت لهم أن المخصص لا يتناول جميع أفراد العام بالاخراج من الحكم الذي يقتضيه لفظ العام وإنما يتناول بعض أفراد العام بخلاف الناسخ قد يتناول جميع أفراد المنسوخ بالأبطال وذلك كنسخ التوجه إلى البيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة وقد لا يتناول الناسخ جميع أفراد المنسوخ بالإبطال وذلك كأقوف الواحد للعشرة .في الجهاد نسخ كأوقوفه للإثنين فيبقى بعض أفراد المنسوخ لم يقض عليه الناسخ بالإبطال وإلا لبطل الجهاد من أصله وذلك خلاف الحكمة .

وتناولنا البحث أيضا عما يفعله المسبوق في الوظيفة إذا كان فرضه التيمم فيقرأ البدل وهي صلاة الفاتح إذا أتمت الجماعة بقية أركان الوظيفة ودخلت في الجوهرة هل المسبوق يقدم قضاء ما فاته من الوظيفة قبل الشروع في البدل أو يقدم البدل و بعد التمام يأتي بما فاته قلت لهم الذي أراه أن المسبوق يقدم تلاوة البدل لأنه قبل تلاوة البدل لا زال لم يتم وظيفته والقضاء إنما يكون بعد التمام والقضاء قبل التمام يعتبر قضاء في صلب الوظيفة وذلك خلاف المتعارف .

وأيضا يعطي البدل وهو العشرون من صلاة الفاتح حكم المبدل منه وهو الجوهرة حكما لا يصح القضاء قبل تمام الجوهرة لو كان هذا المسبوق متوضأ فكذا لا يصح القضاء قبل تمام البدل سواء بسواء ومنهم من يرى تقديم القضاء في هذه الصورة على الإتيان بالبدل وهو عجيب .

وكذلك تطلبنا أثناء البحث السرفي عدم قراءة الجوهرة بالتيمم كما إعترضه بعض المنكرين وقال أن القرآن والصلاة يتعبد بهما بهذه الطهارة الترابية فما بالكم معاشر

[1] آل عمران 73.

التجانيين تقولون أن الجوهرة لا تقرأ بالتيمم قلنا الجواب عن هذا أن القرآن والصلاة عبادة سائر الأمة والناس فيهم القوي والضعيف فالمناسب للتعبد العام أن يغتفر فيه ويتساهل فيه مالا يتساهل ولا يغتفر في غيره من أفراد التعبد الخاص كالجوهرة مثلا فالخطاب فيها موجه لطائفة مخصوصة لا يتناول غيرهم وهذه من الالتزامات التي يلتزمها المكلف والقيام بالالتزامات مشروع لا مناقشة فيه ودليلنا أن التعبد العام يتساهل فيه ويغتفر فيه مالا يغتفر في غيره.

قوله تعالى :" فاقرؤا ما تيسر من القرآن "[1] وقوله أيضا : " علم أنّ سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يسقون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسّر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزّكاة "[2] وأيضا أن التيمم جرى فيه الخلاف بين العلماء في الفروض العينية هل أن التيمم يرفع الحدث أو لا يرفعه ومن قال يرفعه اختلفوا هل يرفعه رفعا مطلقا أو رفعا مقيدا وعلى كل إننا معاشر التجانيين نقول أن الركن الرابع من أركان الوظيفة متردد بين الجوهرة وبدلها من صلاة الفاتح , فمكن فريضة الوضوء واجبه الجوهرة إلا إذا انعدم شرط آخر غير الوضوء كعدم اتساع المكان قدر ستة أشخاص ومن كان فرضه التيمم أو حصل له داع آخر يوجب البدل كالداع المذكور آنفا واجبه ذكر صلا ة الفاتح لما أغلق مع آن الأخذ بالبدل مع تيسر المبدل منه مشروع كالمسح على الخفين مع تيسر النزع وغسل الرجلين في كثير من الأحيان , وبالمناسبة في حشر المذكرات العلمية نذ كر ما جرى بيننا وبين إخواننا السادة العلويين من المذاكرة في بعض المجالس تذاكرت مع الأخ الكريم سيدنا المرابط بن خليفة محمد الطلبة العلوي في روايتين الرفع والنصب في استغفار الوظيفة له في روايتنا رفع الإسمين الكريمين وهما الحيَّ القيّوم وروايتهم إنما هي النصب فقلت له على سبيل المزاح والبسط

[1] المزمل 20.

[2] المزمل 20.

لعل في الرفع رفعا فأجابني بقوله ولعل أيضا في الفتح فتحا وتكلمنا أيضا في لفظة " مركز التي في الجوهرة هل الرواية بفتح الكاف أو بكسرها؟ قلت له الذي بلغنا أن الرواية بفتح الكاف وإن كانت اللغة تجيز الكسر فتقول مركز بالفتح كمقعد ومركز بالكسر كمسجد فقلت له في آخر الكلام, ولعل في الحفظ حفظا وأجابني بقوله ولعل في الفتح فتحا وكذلك تذاكرنا مع السادة تلامذة " الشيخان " ابن الخليفة سيّدنا محمد الطلبة المتقدم الذكر في قوله تعالى :" إذ قال ربّك للملائكة إنِّي خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إِلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين"[1] فقلت لهم أثناء المذاكرة في هذه الآية الشريفة أن إبليس الداعي لعدم سجوده هو أنه إنما رأى الحلة البشرية الطينية من آدم فقط والذي حال بينه وبين الحلة النوارية للذات الآدمية إنما هي الحجب الصادرة من دائرة الشقاوة ولهذا تكبر فلم يسجد وقال في زعمه محتجا على عموم السجود قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين فهو يدعى جهدا منه أن النار أشرف من الطين مع أن التراب من شرفه أن جعله الله طريقا للتعبد وذلك في الطهارة الترابية , وجعل الأرض مسجدا وطهرا وجعلها مقر ومدفن أوليائه وأصفيائه المقربين الكرام ولورأى ابليس الحلة النورانية في الطلعة الآدمية لسجد من دون شك لعلمه أن النور أشرف من النار, ولكن حكم الشقاوة سبق لما سبق نعوذ بالله من مكره وأما الملائكة الكرام إنما رأوا من آدم الحلة النورانية بحكم الإسعاد لهم من الله تعالى و لذلك بادروا بالسجود سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وأيضا من هذه القضية التفات إلى قضية أخرى ,وهي أن الله تعالى لما أراد انزال آدم إلى الأرض وكانت الأرض معمورة قبل بالملائكة قال الله تعالى للملائكته إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح

[1] البقرة 71 .

بحمدك ونقدس لك أجابهم الله تعالى بقوله :" إنّي أعْلم مالا تعلمون "[1] فأراد الله بقضية السجود وإظهار مزية هذا الجنس البشري لأصفيائه من الملائكة فأمرهم بالسجود على طريق الاختبار و الابتلاء من جهة وإظهار مزيه هذا الجنس من جهة أخرى ولله في خلقه شؤون فالسجود لآدم مباشرة وللنور المحمدي بواسطة والنور المحمدي هو الحقيقة المحمدية التي خلقها الله من نوره الكريم بالسجود لآدم صورة ولله حقيقة .

(استدراك) قد قدمنا في الكلام على علم الجنس واسمه أن الماهية معينة في الأول دون الثاني قلنا معنى التعيين في الأول إنه حاصل بمقتضى الوضع ومقصود لذاته بخلاف اسم الجنس فإن تعيين الماهية حاصل بمقتضى الوضع إذا الوضع بمقتضى التعيين لكن هذا التعيين في اسم الجنس غير مقصود فعدم قصده أكسب شيوعا وعموما فانتقى بهذا الجواب ما عسى أن يورد في هذا المقام فأفهم .

ولا يفوتنا أن نقول أن السادة العلويين خلال إقامة سيدنا بحيهم أطلعوه على إجازة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه سيدنا محمد حافظ العلوي لما اجتمع بسيدنا رضي الله عنه بالديار الفاسية فقد أجازه سيدنا إجازة مطلقة غير أنه أولا إنما أجازه أن يقدم عشرة فقط وهو ذلك الهدف له في الإجازة, والإجازة محفوظة إلى الآن عند العلامة السيّد محمد الأمين بن بد حسان الطريقة وهو بخط مؤلف الجامع سيدنا محمد بن المشري وفي أسفل الإجازة كتب سيدنا رضي الله عنه بخطه الشريف ورحمه المنيف ما نصه ما كتب أعلاه صحيح وأنا أذنت فيه إذنا عاما تاما وكتب آذنا ومجيزا أحمد بن محمد التجاني الحسيني لطف الله به.

وكتب بعد ذلك السيد حسان الطريقة هذه الأبيات :

هاج شجوني ولوعتي لحـــروف	كتبتهـــــــا أنامــــــل التجــــــاني
ففـــداء لصـــاحب الخـــط نفســـي	وبنانــــــا لـــــه بكـــــل بنـــــان

[1] البقرة 30.

وجـــزى الله ءاذنـــا ومجيـــزا   ومجـــازا بأكمـــل الرضـــوان

ورضـــي الله عـــنهم وجـــزاهم   عدد الرمـل والحصـى والزمـان[1]

وكذلك أطلعنا السيد العلامة الحاج عبدالله بن سيدنا محمد فال بن باب العلوي أخو الناظم على جواب عنده بخط سيدنا القطب المكتوم رضي الله عنه وأرضاه فتبركنا به وجزى الله صاحبه عنا خير جزاء ولنرجع إلى الكلام على بلدة كيهيد التي هي مقر كثير من الأعلام والفقهاء منهم فضيلة الشيخ العالم السيّد تيرن بوبكر الحاج وتلميذيه السيد عمر أحمد والسيد عبدالقادر والعلامة السيد والقاضي تيرن عثمان به وغيرهم من الفقهاء و خلال إقامة سيدنا ببلدة كيهيد قد زار بلدة الكسيبه التي فيها السيد الحاج عمر الذي أجازه سيدنا بالإطلاق أيام قدومه لدكار وبلدة كيهيد حارة للغاية وعسى طقس الحرارة يبلغ فيها 45 درجة حتى أن المحل الذي كنا فيه ترى النسوة يأتين يحملن ما يزيد عن 50 قلة ماء وترى أن هذه القلال بأجمعها في صحن الدارالتي نحن بها رجاء تخفيف الحرارة وكل هذه الجهود لا تجدي نفعا ولا يبرد الطقس نوعا ما إلا في أواخر اللّيل وهذه البلدة معمورة بالخلائق حتى صحن الدار التي بها سيدنا يعمر عدة مرات رغم اتساعه من كثرة الزوار الوافدين على سيدنا ابتغاء البركة وإلتماسا للإذن منه وكيهيد كما قلنا هي في الجنوب الشرقي من قطر موريتانيا وهي من المراكز الكبرى من بلدان حوض نهر الشمالي لأن فوته الموريتانية تقع في حوض النهر المذكور الشمالي.

أما فوته السنغالية فهي تقع في حوض نهرالسنغال الجنوبي وعليه فوقع فوته الجغرافي هو عبارة عن جنوب موريتانية الشرقي والشمال السنغالي الشرقي والنهر يقسمها نصفين وكلها أعني هذه المساحة الفوتية بأجمعها وحوض هذا النهر بأكمله معمور بالقرى المتلاصقة المتتابعة كالعقد المنظوم بحيث أنك لا تجد بين القرية والأخرى من البعد ما

[1] سبق التعرض للأبيات .

يزيد على نصف ميل هذا في الغالب وإذا تفاحش البعد فلا يزيد على خمسة أميال وقل وندر أن يكون بين البلدتين عشرة أميال هذا من النادر فالمسافر في نواحي فوته لا يحتاج إلى حمل الزاد والماء وهم يعتنون غاية العناية بتربية المواشي من بقر وغنم فالبقرعندهم لكثرته إذا أدعي أنه لا يحصى كان لذلك وجه ، وهم يعتنون أيضا عناية خاصة بأمر الزراعة والفلاحة فترى سائر جوانب النّهر على طوله مزروعا بالدخن ولأهل فوته اعتناء بتربية الخيول فلا تزال فيهم الصيانة والميل إلى هذه العادة القديمة وهم يتنافسون في ذلك أية منافسة حتى أن سيدنا ما من قرية يحلها أو يغادرها إلا ويستقبله الفرسان فوق خيولهم قرب الحلول أو يشيعونه عند المغادرة وتسمع أصوات البنادق من الطلقات النارية المتتابعة كالرعد المفزع حتى أنك ترى الخيول يخامرها الحماس فترقص أيضا ولا تستقر معتدلة بل تميل يمينا وشمالا وترى الغبار في سائرالطريق من شدة الحركة المتتابعة تحت سلطان ذوات الحواجز وذوي الأرجل يبلغ عنان السماء ولا يزال الأمر هكذا حتى أننا في اليوم الواحد أو في الليلة الواحدة نزور عدة قرى ربما تصل إلى العشرة بكل قرية يعمرها آلاف النسمات فيعمد سيدنا أولا إلى وعظ الناس أعني الرجال وعظا بليغا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتآخي والاتحاد والابتعاد عن النقرة والشقاق, واختلفوا في الطريقة ما بين آخذ ومجدد وجديد ومجازبعد الشروط الأساسية للطريقة التجانية وبعد التمام يصافح سيدنا الرجال واحدا واحدا وبعد الانتهاء من الرجال يلتفت إلى ناحية النساء اللاتي يجلسن على حدة فيعظهن بما يناسبهن و بعد تمام الوعظ يأذنهن في الطريقة كالرجال بين آخذة ومجددة ولا يصافحهن بل يكتفي بوضع يده الشريفة على رؤوس أولادهن الصّغار, وهكذا الأمر في جميع القرى التي نمر بها سواء في ذلك الليل أوالنهار ففي بعض الليالي لا ننام إلا على الساعة الثانية بعد منتصف الليل, وفي بعض على الواحدة وفي ليلة من كثرة تتابع القرى لم ننم قط إلا بعد صلاة الصبح و قراءة الوظيفة .

فانظر أخي إلى هذه الجهود التي كادت تخرج على الطوف البشري والاستطاعة الإنسانية كل ذلك يتحمله سيدنا رضي الله عنه ولا يحتاط لذاته ولا يقرأ لها حسابا في استراحة تهواها النفس البشرية , و ضف إلى هذا كله قلة النوم في النهار من شدة الحر فترى الواحد لا يزال يتصبّب عرقا حتى أننا هجرنا أكل اللحوم إلا في بعض الأحيان النادرة, نتناول شيئا من لحم الدجاج كل ذلك من شدة التعب والسفر المتواتر والحرارة الخارجة عن المعتاد بل نقتصرعلى شرب اللبن الممذوق أعني الممزوج بكثرة الماء والسكر, فهذا هوغالب قوتنا أيام سفر فوته التي تزيد على الخمسين يوما أما الأكل فهو أكثر من أن يحصى واللحوم على اختلاف أنواعها جزاهم الله خيرا ووقاهم خيرا بيد أننا عوقنا لذة الأكل لما ذكرناه من الأسباب والذي يترجم خطاب سيدنا للقوم في هذه التنقلات هو الفقيه العالم سيدنا تيرن منتقي بن السيد أحمد بن منتقى بن سيدنا عمر الفوتي رضي الله عنه فهذا الرجل أبدى جهودا جبارة لا تنسى في سبيل خدمة سيدنا فهو في آن و احد يقوم بالترجمة المذكور والشؤون الداخلية والخارجية مع القوم على اختلاف الشعوب التكرورية من قبائل الفلان وكذا يقوم هذا السيد الكريم بأمر نظام برامج هذه الأسفار المتتابعة ومن جودة فكره السديد أنه يدبر جميع ذلك ولا يظهر سآمه وتراه من حسن أخلاقه لما يتم أمر سيدنا يأتينا إلى محلنا الخاص ويعمد إلى ملاطفتنا ومآنستنا والبحث وراء ما نحتاجه مما يضمن لنا الراحة, بل في كثير من الأحيان نبدي له القلق والغضب من شدة ما نالنا من التعب وهو يقابل ذلك بالبشاشة والتبسم بارك الله فيه من كريم بن كريم بن كريم وبارك الله غاية البركة في من اختاره لمرافقة سيدنا رضي الله عنه وهو الإمام العلامة العالم الشيخ سيدنا الحاج سعيد النورتال أبقاه الله وأيده لما يحبه ويرضاه قال الشاعر في مدح أمثال هؤلاء الناس :

تـــــراه إذا مــــا جئتـــــه مـــــتهللا   كأنك تعطيه الــذي أنــت ســائله[1]

وقال شاعر آخر :

وإذا الفتى أودى وولـــي عمـــره   كفل الثنـــاء لـــه بعمـــر ثـــان[2]

وقال شاعر آخر :

على مثل ليلى يفتــل المـــرء نفســه   و يحلو له مرّ الحيــاة ويعــذب[3]

وقال شاعر آخر :

ومـــن عجـــب أن أحـــن إلـــيهم   وأســـأل شـــوقا عـــنهم وهـــم معـــي

ومسكنهم عيني وهم في ســـواها   وتشتاقهم نفسي وهـــم بـــين أضـــلعي[4]

والذي يسمع الناس بأعلى صوت كلام سيدنا مترجما بكلام الفلان هو بيرن يردم الذي تقدم ذكره فقد شارك هذا الرجل مشاركة في خدمة سيدنا لا تنسى والذي كان يشتغل بخدمة سيِّدنا هو السيِّد مختار بابو الذي تقدم ذكره أيضا وما من قرية يحلها ليلا أو نهاراعلى كثرتها وتقاربها إلاّ وترى أهلها يحملون غلالا وأقداح اللبن والحليب والقهوة لأصحاب سيِّدنا وإذا كان الوقت مناسبا للأكل مثلا أكان الوقت ليلا أو نهارا تراهم يقدمون لسيّدنا بعد تمام الخطاب الأكل.

---

[1] سبق التعرض للبيت.

[2] البيت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي (767 ــ 876 م)انظر أحمد قبش , مجمع الحكم و الأمثال , ج 1 , ص 134.

[3]سبق التعرض للبيت .

[4] البيتان للقاضي الفاضل , انظر القاضي الفاضل , ديوان القاضي الفاضل , ص 200.

وأهل فوته بأجمعهم ذكورا وإناثا صغارا وكبارا مضرب الأمثال بمحبة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وآله وأصحابه وهم جديرون بهذا الوصف الكريم الذي يضمن لصاحبه السعادة الأبدية دنيا وآخرة وهم الأصل الثاني بعد العلويين, والمنبع الثاني للطريقة التجانية كما هو معلوم وتجد بينهم أهل العلم والدراية و المعرفة بكثرة ولهم عناية خاصة يحفظ القرآن وإجادته فترى صبيانهم يستقبلون سيدنا وجماعته بتلاوة القرآن والأمداح النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ولا عجب في ذلك ,حيث أن هؤلاء الناس هم الذين نصروا الإسلام بالسيف سيما أهل فوته تورو منهم فقد كانوا أنصارا للشيخ سيدنا الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه في جل حروبه وبالمناسبة نذكر نبذة من خبر الشيخ عمر رضي الله عنه أما عمره رضي الله عنه فقد بلغ سبعين سنة ,وابتدأ الجهاد وهو بن ثمان وخمسين 58 سنة وأقام في الجهاد 12 سنة و حضر أربعة وسبعين حربا غير الحروب التي وقعت في عهده و لم يحضرها هو بنفسه توفي رضي الله عنه بعد أن فارق هو وجماعته مدينة حمدالله التي كانت عاصمة إمارته وهي في السودان الفرنسي قرب بلدة مبت وقصد جبل دقنبري الذي أشهد فيه وكانت وفاته في 3 رمضان يوم الجمعة عام 1280 هجرية الموافق يوم 10 ابريل عام 1864 ميلادية وكان قروم من مدينة حمدالله 28 شعبان سنة 1280 أما عمر ابنه أمير المؤمنين أحمد الشيخ فقد بلغ 64 سنة واستخلف وعمره 230 سنة وأقام في الملك 41 سنة أما عمر التجاني بن الفاهم أحمد بن سعيد أمير ماسنة فقد بلغ 48 سنة لأنه استخلف وهو بن 24 سنة وأقام في الملك 24 سنة وقاتل التجاني المذكور 324 حربا حضر منها بنفسه 24 قتالا فأنظر أخي رحمك الله كيف نشأ الإسلام واستقرت الطريقة التجانية في هذه الأقطار بفضل هؤلاء الرجال الذين أفنوا نفيس أوقاتهم في السهر على الإسلام حتى استقر في هذه الأوطان بفضل الله تعالى وهذه الجهود التي تضعف كل مقاومة دونها قال الشاعر :

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن أحمد بن داود أطيب المخبر

حتى التقينا فــلا والله مــا ســمعت أذني بأحسن ممــا قــدرأى بصــري[1]

وقال آخر :

فسار مسيرالشــمس فــي كــل مــوطن وهب هبوب الريح في الشــرق والغــرب[2]

وقد تصدى سيدنا في جميع خطاباته إلى الرد على الطائفة الذين هم أتباع حماه الله الذين يزعمون أن جوهرة الكمال في الوظيفة إنما هي إحدى عشرة مرة طبق ما في الجواهر وغيره من أمهات الطريقة ولا تزيدهم الثانية عشر وقد أوضح لهم سيدنا في عدة مجالس العلة في زيادة الثانية عشر حتى رجع منهم الأكثر كما وقع مثل ذلك في السودان الفرنسي وبلدة كيهيد كانت هؤلاء الناس من أتباع الشيخ حماه الله وقد و قعت بينهم وبين الرعايا وبين الحكومة وقائع دامية فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومن بلدة كيهيد توجه سيّدنا بعد أن عبر نهر السنغال نحو بلدة ماثم, التي هي من المراكز الفوتية السنغالية و صحبه في هذا السفر إلى ماثم عدة شخصيات بارزة من أهل بلدة كيهيد, من الفقيه السيد تيرن أبو بكر الحاج والسيد عمر أحمد والسيد عبدالقادر وهذان الأخيران كانا في إعانتنا في كتابة الإجازات وقد استمرت صحبتهم لسيدنا حتى وصلوا بلدة شلن جزاهم الله خيرا , وبعد أن اجتزنا عدة قرى وقع فيها مثل ما ذكر وصلنا بلدة ماثم ليلا بعد العشاء ووجدنا أهل ما ثم خاصة وعامة في انتظار سيدنا, فنزل رضي الله عنه ضيفا مكرما عند السيد جلي تيام الفلاتي وصار محل هذا السيد مقصد الزوار آناء الليل وأطراف النهار, وقد عدد سيدنا رضي الله عنه مجالسه الوعظية بهذه البلدة بلدة

---

[1] ذكر في السير أن أبو السعادات بن الشجري أتى الزمخشري , فأثنى عليه و أنشده البيتين , انظر الذهبي لا, سير أعلام النبلاء , ج 20 , ص 153.

[2] البيت من قصيدة عيون المها , لعلي بن الجهم بن بدر أبو الحسن (803 ــ 863 م) كان معاصرا لأبي تمام , انظر المرزياني ,معجم الشعراء , ص 92.

ماثم حتى أقبل عليه الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم وفعل في ماثم من الخدمة الإسلامية مثل ما فعل بإخواتها وفي كل يوم بل و في كل ساعة تبارك الله يزداد نشاطا في سبيل خدمة سيل الله تعالى .

ومكثنا في ماثم عشرة أيام لكن زار سيدنا خلال هذه المدة بعض القرى القريبة من ماثم كقرية مقامة بقطر موريتانيا إذ من المعلوم أن موقعها على ضفة نهر السنغال كأختيها بوقي وكيهيد وزار أيضا عدة قرى أخرى قريبة من مأثم كقرية كنل Kanel و هي أشهرها وقد لحقه خلال هذه المدة في ماثم السيد الحاج محمد كن الفوتي الذي يسكن في عاصمة دكار و قد كان اجتمع سيدنا قبل بمدينة أندر وإجتمع به ثانية في بلدة بودور, ثم بعد ذلك توجه لفدي وهي بلدة تقع بفوته ليهيأ جماعته لمقابلة سيدنا عند مروره بهم وقد قام بها تعهده أحسن قيام وهو رجل كريم حليم ذو بشاشة وحسن خلق وقد رافق سيدنا في جميع أسفاره من ماتم حتى انتهى إلى بلدة أنجم, وقد تركناه هنالك وبلدة انجم قريبة من مركز بدور الذي هو أكبر مركز لفوته تورو و بلدة ماثم شديدة الحرارة غير أنها أقل حرارة من بلدة كيهيد السابقة الذكر وقد تباحثنا في هذه البلدة بلدة ماثم في من كان فرضه الوظيفة هل يسوغ له بعد تمام وظيفته أن يفارق الجماعة و يقوم من ذلك المكان قلت لهم هو مختار رفقها غير ميبر أدبا لأن حضور النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بعد تقرره صارت مفارقة الجماعة في سوء الأدب بمكان بالحصة الذكرية التي حضرها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نفسها عبارة , يعني أن الحضور فيها مع الجماعة نفسه عبادة وأعظم بها من عبادة فإنهم ذكروا أن الجلوس مع الوليّ قدر حلب شاة فيه من الثواب الجزيل ما فيه فضلا عين الجلوس في محل تحقق فيه حضور سيد الأنبياء والرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

إذا علمت هذا فكيف يضيع العاقل هذه الحصة الثمينة التي تفضل الله بها عليه بمحض فضله وجوده وكرمه الواسع ذلك الفضل من الله ومن بلدة مأتم إنتهى سفر سيدنا

للناحية الشرقية يعني أنه لم يصل بلدة باكيل التي موقعها الجغرافي أنها في جنوب ماثم الشرقي وقريبة من الحدود بين السودان الفرنسي وقطر السنغال بل من ماثم توجه نحو الناحية الغربية أعني جهة بوقي وبدور وهي الطريق التي سلكناها عند التوجه الأول إلى فوته وفي كل عشية قبيل الغروب ونحن في بلدة ماثم نخرج من محلنا ونذهب إلى ناحية النهر أنا والسيد محمد يحي الفولاتي تلميذ السيد الحاج محمد بن سعيد الفلاتي صاحب مدينة قوناس أذهب أنا وهذا السيد الصالح نقضي زمنا على ضفة النهر شاجا وقد ذكرنا هذا النهر مع ما قيل في نهر النيل .

قال الشاعر :

قلـــت مســـتعطفا لســـاق ســـقاني	من طلا نيل مصر أطيب كـــأس
أنـــت أشـــهى إلـــي منـــه لكـــن	قلبـــه لـــيّن وقلبـــك قـــاس[1]

وذلك من التورية بمكان ما لقلب معناه القريب المتبادر هو الضمير ومعناه البعيد المقصود للشاعر هو قلب حروف الكلمة ,ومن بلدة ماتم توجه سيدنا وجماعته صوب الغرب قاصدا بدور فسان لوي وقد تعتبر برنامج السفر من مأتم إلى بدور فعوضا أن يكون نهارا كما سلف من بد ور إلى بلدة كيهيد ومن المذكورة إلى ماثم تعب الناس من شدة الحرارة فصار السفر ليلا بعد صلاة العصر أو إذا تأخرنا بعد صلاة المغرب .

وقد زار سيدنا من ماثم إلى بدورعدة قرى ىسيأتي ذكرها واحدة واحدة ومن أشهر هذه القرى بلدة شلن نزل فيما سيدنا ضيفا مكرما عند السيد الشريف بن السيد بن الشريف أحمد وكذلك بلدة هوري غندي نزل فيها سيدنا عند السيّد أحمد الفلاتي وقد اجتمعنا في بلدة هوري فندي المذكورة كما اجتمعنا في بلدة كيهيد من قبل بالسيد العالم محمد عبدالله بن لرابط بن أحمد بن الشيخ سيّدنا محمد الحافظ العلوي الشنجيطي رضي الله عنه

[1] سبق التعرض للبيتين.

واجتمعنا أيضا بابن عمه السيد السالك بن الخليفة سيدنا محمد الطلبة أيده الله وأبقاه واجتمعنا أيضا بهما اجتماعا ثانيا في بلدة بدوراسيا لزيارة سيدنا رضي الله عنه ومن هوري فندي أتينا إلى بلدة دمت التي لا يفصلها من بلدة بوقي إلا نهر السنغال وقد نزل سيدنا في بلدة دمت عند رئيس القوم وهو السيد محمد صال شهر بامير تورو ومن دمت توجه سيدنا إلى بلدة بدور ومر بعدة قرى في طريقه منها بلدة أنجم التي اجتمعنا فيها بالسيد الحاج محمد كن مرة ثانية أرسله سيدنا لقضاء بعض المآرب وتركناه هنالك متوجهين إلى بلدة بروز ولما جئنا البلدة المذكورة نزل سيدنا بها ضيفا مكرما معظما عند السيد محمد الحافظ والداع العلوي الذي مر لنا ذكره أما مضيفنا الأول عند مجيئتنا لبلدة بدور, وهو السيد الحاج بابا آندينق وهو مقدمها الكبير وجدناه في هذه المرة غائبا وقد كان يذكر لسيدنا أولى أنه يريد الذهاب لبلدة فاس لزيارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه ولهذا السيد ولدا نجيا مبارك يسمى الشيخ التجاني وهو الذي كان في خدمة سيدنا عند الضيافة الأولى التي كانت في دارهم كما قلنا وفي المرة الثانية رغم غياب والده أراد نزول سيدنا عندهم لكن سبقت يد السيد محمد الحافظ ولداع لإجتناء هذه الثمرة بارك الله فيهما جميعا وجزاهما ووقاهما خيرا وقد جاءت طائفة من العلويين في بلدة بدور في دار السيد محمد الحافظ العلوي المذكور لزيارة سيدنا بمجرد سماعهم بخبره كما هو شأنهم في المبادرة لإجتناء الثمار قبل الفوات .

ومن بلدة بدور توجه سيدنا إلى بلدة دقنا ومن المعلوم أن بلدة دقنا هي أول قرية من فوته تورو وآخر فوته تورو المذكورة هي بلدة بوقي سالفة الذكر ومن دقنا توجه سيدنا رأسا إلى مدينة سان لوي وقد انتهت بذلك رحلة فوته والآن ما بقي لنا إلا أن تسرد القرى التي زارها سيدنا واحدة و احدة كما وعدنا بذلك آنفا, مع بيان المراكز الحكومية التي ترجع إليها هذه القرى والقطر كذلك كما قدمنا أن فوته على قسمين منها ما هو تحت إدارة حكم موريتانيا ومنها ما هو تحت إدارة حكم السنغال وهي الفوته

الجنوبية ومن بلدة بدور توجه سيدنا إلى مدينة اندر وقد استقر قليلا ببلدة دقنا التي تقع على ضفة نهر السنغال وقد دخلنا مدينة اندر عشية ,ونزل سيدنا ضيفا مكرما عند السيد محمد برادة الفاسي الذي تقدم ذكره ومن أندر توجه سيدنا إلى دكار رأسا غير أنه مرّ ببلدة تواون حيث تودع مع الخليفة السيد أبي بكر سه بن الحاج مالك سه ومرأيضا ببلدة تيس THIES حيث التقى بالسيد الحاج منصور سه ثم دخل دكار في اليوم نفسه ثم شرع في بلدة في إتمام الشؤون السفرية حيث تاقت نفسه وأنفس أتباعه إلى العودة إلى الوطن الجزائري العزيز الذي غبنا عنه ما يزيد على الثلاث سنوات من عام 1367 هـ 1948 م إلى عام 1370 هـ 1951 ولا يخف على القارئ طول هذه المدة وقد اجتمع بدكار بالعلامة العارف بالله السيد الخليفة سيدنا محمد الطلبه العلي حفيد سيدنا محمد الحافظ العلوي الشنجيطي وبولده المبارك الفقيه الأديب السيد المرابط والعلامة السيد عبدالرحمن السالك العلوي وبكثير العلويين جاؤوا لوداعه الوداع كالعلامة الرفيق القديم السيد محمد عال بن فتى العلوي وكذا أخوه السيد محمد الأمين وجاء أيضا لوداعه العلامة السيد الحاج إبراهيم نياص وولده الشيخ التجاني وكان نزول سيدنا في هذه المرة الأخيرة في دكار بدار السيد الأديب الحاج عبد العزيز سه الذي لا يزال يواصل أنواع الإكرام والحفاوة مدة إقامة سيدنا بداره ولا يزال يتردد عليه السيد الحاج أحمد اللوح أما العلامة السيد الحاج سعيد الفورتال فلا تسأل عما قام به من الخدمة التجانية في مختلف الأنحاء وصفوف المصالح وكذا السيد الحاج عمركن صهر السيد الحاج إبراهيم نياص وكذا السيد الشريف مكي بن الشريف يونس وجاء أيضا لوداعه الوداع الأخير الأديب الواعظ السيد الحاج عمر الكرزازي وقد غادر سيدنا مدينة دكار على متن الطائرة الكبرى ذات الأربعة محركات ليلا على الساعة الحادية عشرة وربع وجاء يشيعه إلى مطار عاصمة دكار هؤلاء السادة الكرام : السيد الحاج سعيد النورتال والسيد الحاج منصور سه وأخوه الأكبر الحاج عبد العزيز سه والسيد أحمد اللوم ، العلامة السيد الحاج إبراهيم

نياص والسيد الحاج عمركن ،والشيخ التجاني ابن السيد الحاج ابراهيم نياص وكثير من السادة الفلان والأولوفين والعلامة السيد محمد عال بن فتى العلوي وأخوه السيد محمد الأمين وقد أدركنا رمضان المعظم سنة 1370 في دكار صمناه يوم الأربعاء ثبت بالرؤية العادلة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه وسلم

وصول سيدنا رضي الله عنه إلى مدينة الدار البيضاء :

قلنا أن الطائرة غادرت عاصمة دكار ليلا على الساعة الحادية عشرة وربع فما جاءت الساعة السابعة صباحا حتى أصبحت في مطار الدار البيضاء وصلناها سالمين غانمين محفوفين بكل خير وكرامة وبمجرد نزول سيدنا رضي الله عنه في المطار المذكور وجد في انتظاره و فدا عظيما من الشخصيات الغربية البارزة من مختلف البلاد من فاس ومراكش والرباط وخنفيرة وتداس, ويرأس هذا الوفد العظيم ابن عم سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا محمود التجاني رضي الله عنه الذي قدم مع رفيقه الأديب الصالح والسيد محمد بن عبد القادر الماضوي المشهور بقنيتر أما في أهل الدار البيضاء فقد جاء لملاقاة سيّدنا بالمطار المذكور المقدم البركة العلامة السيد أحمد السباعي مقدم الزاوية التجانية بدرب السلطان والتاجر السيد محمد بن إبراهيم السباعي المشهور بابن أبيه والشريف مولاي أحمد المؤذن بالزاوية المذكورة وسيدنا محمد الجوجي المتوفى الفقيه العلامة سيدنا محمد الحجوجي والحاج محمد امهير ومن أهل مراكش العلامة السيد أحمد التطيقي بن العارف بالله العلامة الشيخ سيدنا الحاج محمد التطيقي رحمه الله والسيد الفقيه سيدنا أحمد اكنسوسي حفيد العلامة الشيخ سيدنا محمد الكنسوسي, دفين عاصمة مراكش والسيد مولاي أحمد البلوش ومن أهل فاس العليا العلامة الفقيه المقدم البركة بالزاوية التجانية الكبرى سيّدنا الحاج ادريس العراقي إمام الزاوية ومقدمها ومدرسها بفاس ولهذا السيد من المآثر والمناقب ما شاهده فيه ومنه والسيد الحاج محمد بن المليح و السيد المدني والسيد الحسين الدويراني[1] ومن أهل رباط الفتح السيد الحاج قاسم جسوس من خنيفرة

[1] أحماد بن الحسين الدويراني البركوكي(1307 هـ) قائد قبيلة دويران بمراكش ,انظر أحمد بن الحاج العياشي سكيرج(1878 ــ 1944 م) , رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان , ترجمة محمد الراضي كنون , ص 205.

البطل الشهير والملاذ الكبير السيد القائد محمد أمهروق[1] ومن تداس والسيد الحاج حماد بن محمد الزموري العضو بالغرفة الفلاحية ومن أهل مدينة تلمسان بقطر الجزائر الفاضل السيد الغوبي بن ثابت ذلكم المحب الصادق ومن بلدة المشرية السيد الحاج محمد بن زيان والسيد الحاج التجاني بن زيان وهذان الرجلان الكريمان الفاضلان من أصهار سيدنا ببلدة المشرية من آل السيد الحاج الطاهر بن زيان والد زوجة سيدنا المتوفي رحمه الله بالمشرية, ولا تسأل عن أيام إقامة سيدنا بالدار البيضاء بالزاوية التجانية بدرب السلطان فكانت أيام عيد نظرا لما وقع فيها من الإحتفالات والفرح والسرور والابتهاج بقدوم سيدنا على السادة التجانيين من أهل الدار البيضاء فقد أبدوا شواهد الإكرام وذلك ما هو جدير بالذكر وقد تلى الفقيه السيد أحمد السباعي المقدم بالزاوية خطابا بعد الفراغ من الوظيفة و الهيللة يوم الجمعة شرح فيه للحاضرين من الأحباب قيمة رحلة سيدنا وغيبته هذه المدة الطويلة بالجنوب الإفريقي وأطال النفس في بيان المنافع الإسلامية الدينية والتجانية التي قام بها سيدنا في هذه المدة كلها حتى أنه ذكر في خطابه أنه مما تفاعل به أن سيدنا رضي الله عنه دخل الزاوية والسيد المقدم في أثناء تلاوة وقوله تعالى:" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا "[2].

ولعمري أن هذه الآية دليل ودلالة واضحة على يمن هذه الزيارة العمرية وبعد تمام الخطاب تقدم الناس بانتظام للسلام على السيد مقبلين يده الكريمة وكان دخولنا إلى الدار البيضاء صبيحة يوم الخميس 2 رمضان المعظم سنة 1370 الموافق ليوم 7 جوان 1951 . وقبل الذهاب إلى مراكش استدعى سيدنا لزيارة مراكش السيد أحمد النظيفي المتقدم وكذلك استدعاه لزيارة بلدة خنيفرة الشهم البطل السيد القائد محمد مهروق واستدعاءه إلى بلدة تداس السيد الحاج حماد بن محمد مالزموري وبعد إقامة يومين بالدار

[1] القايد أمهروق(ت 1914 م) أحد أبناء موحا الزياني, انظر عبد الكريم غلان , قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي , دار الغرب الإسلامي 2005 ,ص 208.

[2] المائدة 03.

البيضاء سافر سيدنا إلى مدينة ورباط الفتح والتي كان نزوله فيها بزاوية والهمام العلامة القطب الشهير الشيخ سيدنا العربي بن السائح رضي الله عنه خليفة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وقد استقر سيدنا ضيفا مكرما معظما محترما بأنواع الحفاوة والتعظيم والإكرام هو وحاشيته المباركة الميمونة بالزاوية الميمونة المذكورة وقد اجتمع سيدنا بالرباط, كما اجتمع به سابقا في مطارالدار البيضاء بالسيد الأمجد حميد الشيم الشريف السيد الحاج اللقائي بن سيدنا الصغيربن العلمي السائحي أخو سيدنا الحاج عبد المالك المرحوم ,وقد اجتمع سيدنا بهذا السيد قبل هذا التاريخ بالقاهرة وكلفه بأثاث يذهب بها إلى زاوية عين ماضي فقد قام هذا السيد النبيل جنده الخدمة أحسن قيام والسيد الحاج اللقاتي المذكور محل إقامته الآن بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وإنما جاء لقطرالجزائر لصلة الرحم الواجبة شرعا وعادة وأكرم به من سيد كريم بن كريم بن كريم .

وقد توارت الوفود من جلة أعيان مدينة الرباط لزيارة سيدنا بضريح سيدنا العربي بن السائح رضي الله عنه وهذه الزاوية المباركة تجلت فيها محاسن الإسلام ولطاف المميزات الدنيوية والآخروية حتى إنهم يصلون بها التراويح مرتين بعد صلاة العشاء وقبيل الفجر ويختمون بالشفع والوتر وبعد قليل يصلون رغبية الفجر وصلاة الصبح وبعدها الوظيفة وبعدها تلاوة الحزب القرآني وبعد صلاة الظهرتتلى أحاديث الموطأ يسردها على القوم العلامة .

وبعد صلاة العصر تتلى الوظيفة وهكذا الأمر والزوار تفد أفواجا أفواجا لزيارة ضريح سيدنا العربي بن السائح رضي الله عنه حتى إنه من الكرامات المأثورة عن بعض الإخوان التجانيين كان بصدد الدعاء أمام الضريح الشريف فسمع بصوت مرتفع كلمة آمين .

وقد استدعى سيدنا لتناول الفطورعنده ببلدة السلا السيد القائد الحاج قاسم القداري الذي أسدى لسيدنا وجماعته من أنواع الكرم ما هو جدير بالذكر ولا يزال ولده الصالح السيد

الحاج أحمد القداري يأتي ويتردد على سيدنا بزاويته بسيدي العربي مدة إقامته بالرباط وكذلك ممن استدعاه للفطور بمحله الخاص مقدم الزاوية التجانية بالسلا السيد الفقيه الحاج محمد الزواوي بن المكي الزواوي وهو رجل صالح ذو أخلاق كريمة وممن استدعاه أيضا بالرباط السيد محمد بن سالم الصانع صاحب المطبعة العربية وكذلك استدعاه فضيلة السيد الهمام الحاج محمد حبسوس المندوب العام للبنك المغربي ,وهو أخو السيد الحاج حبسوس الذي لا يزال يصاحب سيدنا في قضاء مآربه خلال إقامته بالرباط ومن مدينة الرباط توادع سيدنا مع السيدين السيد الحاج محمد بن زيان والسيد الحاج التجاني بن زيان الذين قدما من المشرية للقاء معه بالدار البيضاء ورجع السيدان إلى بلادهما ,حيث ينتظران قدومه الشريف عليهما وتوادع أيضا مع السيد الحاج محمد بن السعيد الماضوي حيث ينتظر سيدنا ببلدة قرسيف محل سكناه وغادر سيدنا عاصمة الرباط قاصدا دارالقدارى التي تبعد على الرباط بحوالي 95 كم, وصحبه في هذا السفر الميمون نجد القائد الغدوري الأديب الظريف السيد الحاج أحمد والسيد الغوث بن ثابت التلمساني والسيد الحاج اللقاتي بن العلمي السائحي فمررنا في طريقنا ببلدة القنيطرة التي يسميها الفنرسيون بورليوت Port-Lyauty مررنا ببلدة سيدي يحي ,حتى وصلنا عشية يوم الخميس دار القائد القداري التي هي عبارة عن قصر شيد وروضة أنيقة وقد جاء الأحباب القاطنون بقرب دار القداري للسلام على سيدنا وقد زار سيدنا الزاوية التجانية عشية يوم الجمعة حيث قرأنا فيها مع الأحباب الوظيفة والهيللة ، أما السيد الحاج قاسم القداري مضيف سيدنا بالسلا قد تركناه هنالك لكونه مريضا شفاه الله تعالى شفاءا عاجلا وهو من كبار الأعيان التجانيين وأهل الحل والعقد بالمغرب الأقصى زاده الله فخرا وشرفا وله ولدان غير السيد الحاج أحمد المذكور وهما السيد العربي والسيد بوسلهام وقد أجاز سيدنا هذا الأخير لما توسم فيه من الأهلية أما السيد الحاج أحمد القداري فهو في غاية النشاط في التردد على سيدنا لزيارته والقيام بما يسند إليه والخدمة وهو من النجباء

الأفاضل وقد جاء السيد القائد محمد امهروق لزيارة سيدنا خلال إقامته بدارالقداري والغرض من هذه الزيارة هو استقدام سيدنا لكل سرعة ممكنة إلى محله الخاص ليحضى بضيافته وهذا السيد محل سكناه وإمارته بغرب بلدة خنيفرة بطريق مكناس وقد جاء لأصحاب التجانيون الذين يسكنون بدار القداري صباح اليوم الأخير لقراءة الوظيفة مع سيدنا بهذه الروضة الجميلة و كان ذلك باستدعاء من السيد الحاج أحمد نجل القائد القداري رجاء البركة وابتغاء الخير إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ودار القداري زيادة على هذه الروضة الأنيقة و البستان الجميل هي بلدة صغيرة تقع وسط زراعات القمح و الشعير لما لهؤلاء الناس من العناية بشؤون الزراعة والفلاحة بأنواعها وعلى اختلاف أطوارها ولهم أيضا عناية بتربية المواشي من بقر وغنم .....

ودار القداري مشهورة بمحبة سيدنا الشيخ رضي الله عنه و آله الكرام وذريته والأئمة الأعلام حتى أنه يوجد عندهم من ثياب سيدنا محمود التجاني يحفظونه لديهم للبركة وابتغاء خير مآثر الصالحين .

وقد افترق سيدنا من دار القداري مع السيد الحاج اللقاتي السائحي نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وكذا مع السيد الغوث بن ثابت التلمساني وقد توجه السيدان إلى ناحية قطر الجزائر تصحبهما السلامة والعافية .

وقد غادر سيدنا رضي الله عنه على متن سيارته الفخيمة دار القداري على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال يوم 12 رمضان المعظم سنة 1370 ومعه العبد الحقير أحمد العناية ومحمد والحاج عثمان عمر قاصدا بلدة عين الجمعة بنواحي مكناس التي بها محل القائد بن عيسى بن محمد وقد مررنا في طريقنا بمشاع للزراعات الأرزية والتي ذكرتها في الأراضي الإفريقية الغربية والشرقية والاستوائية حيث تكثر هذه الزراعة بالخصوص ورأينا الناس بصدد حصاد القمح والشعير فترى أكوام القمح والشعير كامل هذه المسافة التي تبلغ تقريبا ثمانين كلوميترا ولما انتهت السيارة بمحل دارالسيد القائد بن عيسى بن

محمد ابردان القرواني وجدنا في انتظار سيدنا السيد القائد المذكور ومعه السادة السيد الحاج حماد بن محمد الزموري مقدم الطريقة التجانية ببلدة تناس والعضو بالغرفة الفلاحية برباط الفتح والسيد المقدم محمد المكي بولهند بلغازي مقدم الطريقة التجانية بولماس من نواحي زيان والسيد الشاوش بوطيب بن الغازي رئيس الإستئناف بالخمسينات من نواحي زمور السيد حماد بن القرشي العضو بالجمعية الإحتياطية ببلدة تداس من نواحي زمور والسيد محمد بن ادريس من بلدة السلا والسيد محمد المغاردي من مكناس الزيتون وغير هؤلاء السادة الكرام زادهم الله شرفا واحتراما وقد مررنا في طريقنا إلى بلدة عين الجمعة ببلدة سيدي سليمان التي بها عدة بناءات من الطراز الحديث, و قد مررنا في طريقنا من دار القداري إلى عين الجمعة بغابات الزيانيين وزراعات العنب و القبائل التي بدار القداري وبأحوازها هم أصلهم من العرب الوافدين من المغرب وأما القبائل التي بقرب بلدة عين الجمعة فهم قبائل فراون وهم من البربر لهم لغة خاصة وقبائل الحاجب يقال لهم بنو مطير وأما قبائل بلدة خنيفرة ونواحيها فيقال لهم زيان وهذه القبائل كلها تسمى بقبائل الشلوم.

و من عين الجمعة توجه سيدنا إلى بلدة خنيفرة قد مر ببلدة مكناس عاصمة البربر ولعمري إنها مدينة حازت من الصيغة الدينية الإسلامية ما يتجلى هيكلها الشريف وزرنا الجامع الأعظم لهذه المدينة الفخيمة وقد اجتمع سيدنا من ساداتها بالسيدين الكريمين السيد الحاج المكي بن القاضي ناظر الزاوية التجانية بمكناس وبالسيد الحاج التهامي صهر السيد الحاج المكي المذكور وكذلك اجتمع بالسيد عبد السلام ولد المقدم حمى دعيشة الزموري وقد ألح السيدان السابقا الذكر على سيدنا أن يقضي عندهم بمكناس ليلة بمناسبة رمضان المعظم وفرحا بقدومه الشريف المنتظر منذ وقت طويل , فوعدهما بالرجوع إليهما مرة أخرى وتابع سيره إلى ناحية خنيفرة وقد وجد السيد القائد محمد امهروق في انتظاره بمكناس بارك الله فيه من رجل نبيل كريم وفي نفس ذلك اليوم وصلنا خنيفرة

عشية حيث نزل سيدنا بدار السيد القائد أمهروق حيث اجتمع بوفود الأحباب التجانيين جاؤوا للسلام عليه وللأخذ والتجديد فقضينا في بلدة خنيفرة ليلة وفي الغد يوم 14 رمضان سنة 1370 توجه سيدنا مصحوبا بحاشيته والقائد امهروق قاصدا حيث يقيم القائد السيد امهرو ق المسمى " جنان الماس" و هو سكنى القائد امهروق الخاص به وقد اخترقنا في طريقنا إلى هذا المحل الفخيم والنزل العظيم وشوامخ الجبال حيث تنهمر المياه وتنفجر العيون المائية العذبة أما جنان الماس محل سكنى القائد امهروق فهو عبارة عن رياض وحدائق حيث توجد القصور الجميلة وفي صحن هذا القصر المشيد تحت ظل الأشجار ترى العيون الدافقة بالمياه العذبة وتسمع خرير المياه المتوافرة بلا انقطاع ومن آونة إلى أخرى ترى النسيم يعبث بغصون الأشجار التي تميل فوق وابل المياه والطقس في هذه النواحي جيد جميل له الأثر البين في الحالة الصحية الإنسانية وبقرب هذا القصر العظيم الزاوية التجانية والتي تقام بها الصلوات الخمس والوظيفة صباحا ومساءا والحزب القرآني كذلك وبمجرد حلول سيدنا بهذه الديار وجد الفرسان فوق خيولهم يكتنفون الطريق يمينا وشمالا وتسمع من آونة إلى أخرى الطلقات النارية تخرج من أفواه البنادق كل ذلك فرحا بقدوم سيدنا إليهم والذي يدير شؤون هذا الاستقبال العظيم هو أخو القا ئد امهروق السيد بوعزة امهروق وقد قوبل سيدنا بأنواع الحفاوة والإكرام والإحترام والإعظام خلال إقامته في جنان الماس في ضيافة الشهم البطل السيد القائد محمد امهروق الذي هو جدير بأن يوصف بكل وصف كريم و الإمارة بهذه العائلة المهروقية تبلغ مدة ثلاثمائة سنة يتوارثونها الواحد تلو الآخر أما المحبة في جناب الشيخ سيدنا رضي الله عنه وآله الكرام وأصحابه الأعلام فحدث عن البحر ولا حرج ولا يفوتنا ذكر بعض الأعيان من السادة التجانيين الذين التقوا بسيدنا ببلدة خنيفرة وهم المقدم السيد أثاهد الأنصاري ابن العربي الأنصاري والمقدم السيد سعيد السويسي والمقدم السيد المحجوب السويسي والسيد مولاي عبدالله والسيد الشيخ الغالي والسيد الحاج حدو يوسف والسيد

الحاج محمد أعراب والسيد محمد الماس والسيد أد حلو أما الذي قام بأمر الضيافة ببلدة خنيفرة هو السيد عبدالقادر بن المعطي وقد مر لنا أن قلنا أن القبائل التي تعمر هذه الأرض هم قبائل زيان من البربر الشلوم ولهم عناية بتربية المواشي والخيول وأمر الزراعة .

وصف جنان أمّاس[1] :

هذا البستان الجميل عبارة على رياض حاز من المحاسن و لطائف المناظر ما يبعث نشاطا جديدا في الفكر الكليل ويهون على ذوي العاهات ما حل بهم من الوهن والآلام التي ربما عجز الأطباء عن معالجتها لما لها من التمكن في تلك الأجسام ودواء نسيم هذه الروضة وأرواحها اللطيفة المسكية والعنبرية التي تمر بك من حين إلى آخر وتسمع سماعا لا يعتريه خلل خرير المياه المشاع بين الخطات الخمس[2] ذوات الصهاريج التي على شكل الدائرة والمياه الدفاقة بكيفية هندسية بديعة تريك وابلها المتواتر الذي ينصب في تلك الصهاريج وترى السواقي المفعمة بهذه المياه تقودها إلى خارج هذه الروضة حيث يستعمل لسقي غيرها من الرياض القريبة من هذه الروضة, وللمزارع المتاخمة لها وتلك السواقي للطافة وجودة صنعه كأنها أسطر قلمية رسمت في كاغط أبيض وترى العصافير تحسو من هذه المياه المرة بعد الأخرى كأنها للطافة حسوما وسرعة تنقلها القلم في يد الكاتب سريع, وتبصر من حين إلى آخر غصون الأشجار الجوزية تميل فوق تيار المياه العذبة ميلان الخيلاء تحت السلطان الرياح التي تضعف مرة وتقوى مرة أخرى وهي تشبه بدويها الرعدي الأسد الضارية في غابها .

---

[1] أصبح الآن من المناطق السياحية في المغرب .

[2]– وهذه الخطات الخمس التي في جنان أماس أصلها من عينين تجريان بين شواهق الجبال من خارج البستان و جميع كمية الماء التي في جنان أماس إنما هي ثلث الماء الذي ينفجر من هاتين العينين .

ولعمري إنها لجنة أنيقة تنفجر فيها المياه وتنهمر فيها مساكن طيبة يجد فيها الضيف الكريم صنوف الراحة وأنواع التكريم ما يسليه من ألم الإغتراب ويذهب عنه ما ناله من نصب السفر حتى يصير لا يفكر فيما ناله بل تراه شغوفا بما هو فيها ويقول الشاعر :

والريح تعبث بالغصـــون وقــد جـــرى ذهب الأصيل على لجـــين المـــاء[1]

وتجد السبل ومجازات المرور تحت ظل هذه الأشجار في جودتها وشدة بياضها كأنها مستطيلة وضعت سطيح هذه الروضة الكريمة وترى بناءات هذا القصر الملكي الجميل عديم الشكل والنظير كأنها أكوام ثلجية وضعت بوضع البيوت يتخللها شيئا من الرخام بأصنافه وأنواعه والجليز الظفري كذلك وفي هذا القصر علو يشرف على هذه الروضة الجميلة وترى أقواس هذا القصر تحيط بهذه الروضة من كل جانب وناحية مما زاده بهجة وجمالا وقبل دخول هذه الروضة تمر بسبيل ظلي بإحدى جوانبه ساقيه يجري عذبها الزلال فوق حائط صغير وتجد في هذه المساحة الأولية بيوت الخدمة من أصحاب القائد السيد محمد امهروق صاحبه هذه المملكة البديعة في شكلها ,المفردة في نوعها الفذة في طور ما والذي زاد هذه الديار شرفا وجمالا وعظمة وكمالا زيادة على المحاشر الظاهرية هو متصف به سكانها من الكرم وطاقة الأخلاق وجمال المعاملة ما ينسيك في الأهل والأقارب لولا الرابطة الدموية العريقة التي يخضع لسلطانها كل البشر, فاطوعنك بساط الغربة إذا [2] كانت بين أولئك الكرام فهم الأقارب وذو الأرحام وإذا شعرت بشيئ من القساوة بسبب هذا النعيم وتلك الزخارف فعليك بملازمة الزاوية التجانية التي بقرب هذا القصر تجد فيها الترياق وسالمة من كل ما يتوقع مقيما الصلاة مقامة والوظيف التجانية صباحا ومساءا ما يصقل لك المراءة القلبية ويذهب كل قساوة واتخذ ما بقي عند القلق

---

[1] البيت لشاعر الطبيعة أبو إسحاق بن خفاجة , انظر التلمساني أحمد بن محمد المقري , نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ,تحقيق إحسان عباس ,دار صادر بيروت 1968.

[2]– كأنها الأنجم النيرة بين السحب الصواري فيخالها الراوي أنها تسير

الإضطراب الذي لا مناصة فيه لكل إنسان مادام في قيد الحياة وترى الأنوار الكهربائية في الليل بأشكاله المتنوعة كأنها كواكب ذرية أو ثمار متباينة معلقة في هذه الأشجار وترى الرياح تميلها كأنها شهب تسعى بيد أنها لخير وترى الفرش والبسط في سطح هذه المساحة لشدة جمالها وجودها وكأنها روضة من الأزاهير مصفرة لذلك الشكل البديع وتكتنفها من كل الجوانب الفرش المرتفعة والوسائد التي تشبه الربوات المخضرة في فصلها النسوي وترى الجلاس الكرام بثيابهم البيض كالحمام تدار بينهم كؤوس الأتاي يتذاكرون ويتناجون ينتقون لطائف الكلام وجرائد الخطاب تراهم في جزع إذا حانت نوبة العبادة يهرعون إليها ويفرون إلى الله بكليتهم وحسن طيبتهم كأنهم لا شعور لهم بهذا النعيم وهذه الملاهي والشهوات النفسية التي هي جديرة بأن تشغل غيرهم لولا الهداية الإلهية والعناية الرئيسية وتسمع من حين إلى آخر أغاني الطيور التي تأتيك بها أمواج النسيم من مداهم الكريم الذي بين أحضان الغصون ما يخلد لك في السمع الذكريات اللطيفة التي تكتب في الصفحات القلوب بأقلام والتسصر والتحزن والأمر بيد الله لا مغضب لحكمه وهو السمع البصير .

إذ الدنيا بتمامها آيلة إلى الفنى والعدم كما بدأتم تعودون وهذه الروضة بقصرها المشيد توجد بين أحضان الجبال الشوامخ حيث يوجد الهواء الجيد والطقس اللطيف الصالح لصحة الإنسانية فهو عبارة عن مستشفى بلا طبيب والمسافة بين خنيفرة وجنان أماس تبلغ 26 كلم وكل هذه المسافة والمسافر يسير بين أحضان الجبال الشامخة ,وترى الطريق يخترق الأشجار فينة بعد أخرى [1] حتى الوصول وقد أبدى السيد القائد محمد أمهروق خلال إقامة سيدنا عنده أنواع الحفاوة والتكريم ما يضيق عن ذكره القرطاس ويعجز اللسان عن تعداده ولا غرابة في ذلك حيث كان الكرم عريقا في هذه العائلة بتوارثونه جيلا بعد جيل وترى السيد امهروق للطافة أخلاقه وجودة طبعه الكريم كأنه هو الضيف

في منزله وكذلك أخوه السيد بوعزة هو الذي يدير شؤون هذه الحركة المنزلية فيما يخص الضيافة نيابة عن أخيه وكل واحد من هؤلاء الناس ينسيك في أخيه[1] لما جبلوا عليه من كرم الأخلاق ولا يفوتنا أن نقول أنك تسمع في هذه الروضة من حين إلى آخر فرقعة تحدثها الطيور الكبرى التي تعمر سطوح هذا القصر حتى يخالها السامع أنها ضرب طبل وذلك بضرب مناقرها بعضها ببعض فترى عشش هذه الطيور فوق سطوح هذا القصر كأنها أكوام حطب من النوع الرقيق وقد زار سيدنا أيضا محل السيد بوعزة أمهروق و ذلك باستدعاء من صاحبه وهذا المحل يبعد من أماس قدر الميل وزرناه ليلة من ليال رمضان وقد فاض علينا من إكرامه ما هو جدير به ومن عجائب خواص النبات أننا كنا تنفسح عشية في مناكب هذا الجبل الذي بقرب القصر المهروقي حتى عثرنا على نوع من النبات يقال له عند البربر " ترهلا"[2] فناولني السيد بن نجهة أحد رفاق سيدنا ابنعمر غصنا من هذا النوع النباتي فقال لي أن سيدنا الشيخ التجاني ورضي الله عنه أخبر بأن من اللازم شرب ماء هذا النبات أربعين يوما (لعلها متوالية) لم يبق في جسده داء ومن عجب العجاب أن المقدم البركة المرحوم سيدنا حسن بن احميدة التونسي المتوفي بحاضرة تونس كان أوصاني بأن نأتيه بشيئ من هذا النبات لما كنت زائرا مسقط الرأس قرية عين ماضي سألت عن هذا النبات فلم أجد من يعرف هذا الاسم ,حتى عثرت عليه في جبال قبائل زيان وهو موجود عندهم بكثرة وهو أكثر نسبة بالنعناع وقد زار سيدنا أيضا محلا يقال له " الحاجب" وهذا المحل في غاية ما يكون من شدة برودة الطقس فهو أكثر برودة من نواحي جنان أماس وقد كان ضيفا فيه عند القائد السيد المختار والقبائل البربرية التي قرب الحاجب هم بني لمطير كما أسلفنا ذكره وتوجه سيدنا يوم السبت 18 رمضان 1370 إلى ناحية المنت حيث توجد زراعة سيدنا ونواحي المنت تكثر فيها زراعات القمح

---

[1] عبارة دارجة كثيرا تقال عندما تجد أمرا أعظم من سابقه .

[2] نبتة ترهلا أو باكرمان , ذكرفي ضياء النبراس , انظر عبد السلام بن محمد العلمي الحسني , ضياء النبراس في حل مفردات التذكرة بلغة فاس, حرف الميم , ص 918.

والشعير وهو محل لائق لتربية الحيوانات لكثرة المراعي التي به وقد مررنا في طريقنا إلى المنت ببلدة خنيفرة التي يمر بها وادي أم الربيع وأصل هذا الوادي أنه من عين نابعة قرب خنيفرة وبلدة خنيفرة أبنيتها كلها حمر فيحق أن تسمى بالبلدة الحمراء ولا تجد فيها بناءا أبيضا ما عدا الزاوية التجانية فإنك تراها بيضاء بمنارتها ولهذه النواحي كلها طقسا جيدا للغاية وتغلب عليه البرودة نظرا للجبال التي تكثر به إلا خنيفرة فإن طقسها أميل إلى الحرارة من البرودة و بعد سير استغرق حوالي الساعتين والربع في السيارات وصلنا المحل المعروف بالمنت فوجدنا الفرسان فوق خيولهم ماسكين البنادق ينتظرون قدوم سيدنا فلما انتهت السيارات أخذت الطلقات النارية تخرج من أفواه البنادق ووجدنا القوم أعدوا خيمتين للنزول وبعد ذلك أخذ القوم يسلمون على سيدنا وأصحابه وبعد نهاية السلام افتتح سيدنا مجلس بوعظ وارشاد وبعد ذلك تليت شروط الطريقة على الحاضرين فمنهم من أخذ ومنهم من جدد الطريقة النتقى سيدنا بصاحبه السيد عيسى بن عمر الربان المكلف برعاية زراعته كل هذه المدة التي غاب فيها سيدنا بالسوادين بورك فيهم لا يزال السادة السيد الحاج حماد بن محمد الزموري مقدم الطريقة التجانية ببلدة تداس والسيد الشاوش بوطيب بلغازي والسيد حماد بن القرشي في صحبة سيدنا من بلدة عين الجمعة إلى أن انتهت بهم النوبة إلى نواحي هنت ثم توادعوا معه قاصدين بلدهم تداس وهم يرجون أن يقضوا عيد الفطر مع سيدنا في جنان أماس عند القائد السيد محمد أمهروق بارك الله فيهم من أصفياء وتصحبهم السلامة وأيضا تفارق مع سيدنا بهذا المحل رفيقا السيد محمد بن عبدالقادر بنجمة الذي توجه إلى ناحية الدار البيضاء فأنعم به من صاحب وأكرم به من صديق وقد زار سيدنا بالمنت محل السيد ابن حمو ولد محمد ولد عبه باستدعاء للضيافة فأكرمه غاية الإكرام بارك الله فيه من كريم ولهذا السيد المضيف ولد مبارك اسمه محمد ولد عب فهو سمي جده .ثم توجه سيدنا من بلدة خنيفر يوم 21 رمضان 1370 إلى مراكش غير أنه قضى ليلة ببلدة ابني ملال في ضيافة الباشا السيد

الحاج أحمد بن المرحوم الباشا بجمعة الذي أسدى إليه حفاوة لا تنسى وقد اجتمع سيدنا في بلدة ابني ملال بالسيد أحمد بن سالم الذي كان يسكن عين ماضي في القديم وكذلك وقع الاجتماع بعبد الله بن عبد الرحمن المغربي الذي كان مكلفا بأمور زاوية عين المزاب.

واجتمع بكثير من الشخصيات التجانية ومن بني ملال توجه سيدنا إلى بلدة دمنات التي قضى بها القيلولة بدار الفقيه العلامة المرحوم الشيخ سيدنا الحاج محمد الحجومي جما غفيرا من الأحباب من بينهم أولاد الفقيه المذكور في انتظاره بساحة الزاوية التجانية وبمجرد نزوله من سيارته مع القائد محمد امهروق دخل الزاوية التجانية وزار ضريح الفقيه والحجوجي رحمه الله الذي يوجد في مكان مرتفع من الزاوية وقد خطب سيدنا بمحضر هؤلاء الأصحاب خطابا بليغا أسدى فيه النصيحة للحاضرين وقد أثنى غاية الثناء على الفقيه المتوفي وذكر من مزاياه ومناقبه ما ترك العيون تنهمر بالدموع ترجمة العلامة سيدنا الحاج محمد الحجوجي رحمه الله هو العالم العلامة الدراكة الفهامة أبو عبد الله محمد ابن محمد بن المهدي بن محمد الحسني ولد بفاس سنة 1298 وتوفي ببلدة دمنات يوم الأحد ثاني جمادى الثانية 1370 و له عدة مؤلفات خصوصا في الحديث تبلغ 91 تأليفا منها الحلل السندسية المحلية للفوائد الجليلة البهية على الشمائل الترمذية وهي حاشية على شرح العلامة جسوس القباسي على متن الشمائل في 6 مجلدات, ومنها المنح الوهبية في شرح تلخيص الشمائل النبوية للحافظ العراقي في مجلد ضخم ومنها بغية السائل في تخريج أحاديث الشمائل في مجلد ومنها منحة الوهاب في تخريج أحاديث الشهاب للحافظ القضاعي في مجلد واحد ومنها ارتساء المقيم الشاعي لفهم أحاديث القضاعي في مجلدين في فتح القدير في شرح تاريخ الصغير للبخاري في 5 مجلدات أما تأليفه في الطريقة التجانية فمنها أتحاف أهل المراتب العرقانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية في 8 أجزاء ومنها نخبة الأتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني رضي الله عنه

بجميل الأوصاف ومنها فتح المنان في مراعاة حقوق الإخوان وآخر ما كتبت يده الشريفة فيض فضل الله الممدود في شرح مسند أبي داود أما أولاده فهم السادة : السيد مولاي أحمد مولاي العربي ومولاي محمد وسيدي محمد ومولاي عبد السلام ومناقب هذا الرجل العظيم تحتاج إلى مجلدات رحمه الله رحمة واسعة وكنت أعرفه أيام اقامته بفاس الإدريسية العلية قبل استقراره ببلدة دمنات .

وقد رغب أهل دمنات غاية الرغبة وألحوا في سيدنا غاية الإلحاح بأن يقضي عنده تلك الليلة فلم يظفروا بذلك وقد وعدهم وعدا صادقا بالرجوع إليهم مرة ثانية وسافر سيدنا في نفس اليوم إلى مراكش التي دخلها يوم 22 رمضان 1370 وقد نزل ضيفا مكرما بعاصمة مراكش عند السيد أحمد ابن العلامة الشيخ سيدنا الحاج محمد النظيفي شهير الذكر وطيب النشر بطيبه الفائح وصفاته الفريدة التي برهنت عنها الجريدة وقد ترك سيدنا النظيفي يرحمه الله ورضي عنه ومن أولاد هؤلاء السادة وهم السيد أحمد المذكور والذي هو كبيرهم والقائم بشؤون الزاوية ولهذا السيد من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ما هو جدير بالذكر والثناء عليه وسيدنا الطيب وسيدنا محمد القرشي الساكن في بلدة دمنات وهو دائما يتردد على مراكش وسيدنا عبدالسلام وسيدنا عبد الواحد وسيدنا محمد الكبير وكلهم صالحون مقتفون لأثره لفهم الصالح زادهم الله خيرا وشرفا وقد أفاض سيد أحمد النظيفي من حفاوته وكرمه ما أفاض خلال إقامته رضي الله عنه عليه وداره الكريمة وزاوية الشيخ النظيفي رحمه الله رحمة واسعة عامرة غاية العمران بالذكر وصلوات الخمس والوظيفة التجانية صباحا ومساءا والحزب القرآني كذلك ,وهناك بعض الفقهاء ممن يقوم بدرس في الشمائل بعد وظيفة الصبح وقد استدعى سيدنا أيضا استدعاه الرابطة النسبية ابن عمه الأبر سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا محمود التجاني رضي الله عنه وكان محل الاستدعاء زاوية الشيخ العلامة العارف بالله سيدنا الحاج محمد الكنسوسي ورضي الله عنه الموجودة بحومة المواسن وتسمى الزاوية باسم الحكومة وكان الإستدعاء حافلا معمورا

بأنواع الحفاوة وجزيل الإكرام ومعه حضر هذا الإستدعاء وأكل في المائدة مع سيدنا حفيد الشيخ سيدنا الكنسوسي الفقيه السيد أحمد بن يوسف وقد تذاكر مع سيدنا مذكرة علمية تدل على باعه الطويل في المعلومات وإمام زاوية الشيخ الكنسوسي رضي الله عنه بعد السيد الحاج أحمد وهو المدرس بها وممن اجتمعنا به أيضا هنالك من الإخوان الفاضل السيد مولاي عبد الرحمن بن مولاي الطاهر العلوي ،والسيد نصر وغير هؤلاء من الإخوان الذين التقوا بسيدنا عند دخوله للزاوية ورحبوا به غاية الترحيب .وعاصمة مراكش تحوي الكثير من حفاظ القرآن حتى أن منهم من يختم شهر رمضان المعظم في أربع وعشرين ساعة من كتاب الله تعالى يشرع في الفجر ويختمها في الفجر القابل وهكذا حتى يتم الشهر المبارك فيتحصل على 30 ختمة من كتاب الله العزيز ومنهم من يختم القرآن خمسة عشرة مرة ومنهم و منهم، فلهم عناية نادرة بتلاوة كتاب الله خصوصا بشهر رمضان وما من زاوية من زوايا الشيخ أو جامع أو مسجد إلا وتصلى فيها التراويح بعد العشاء كما هي العادة والأوطان الإسلامية وأهل المغرب يرغبون التهجد في آخر الليل بعد السحور ثم يختمها بالتهجد السري بصلاة الشفع والوتر وبعد ذلك بقليل يصلون الفجر والصبح، ثم بعد ذلك الوظيفة في الزوايا التجانية وبعد الحزب وسمعنا في عاصمة مراكش بجوامع الجهوية نحو العشرين إن لم ترد عن هذا العدد لا تقتصر عنه وأقدم هذه الجوامع هو جامع الكتيبيه الذي به تلك المنارة الجميلة والتي ترى على ما قيل على مسافة الخمسين كلم وهذا الجامع بقرب ساحة الجامع المسمى جامع الفناء ,ومدينة مراكش عاصمة تجارية كبرى بها كثير من الأسواق المشحونة بالبضائع المنوعة في أشكالها وقد تصل المدينة العتيقة بقليز الذي كان أميال منها وقليز هو المدينة الفرنجية الجديدة ومراكش هي باب سوس الأقصى وقد استدعى سيدنا أيضا خلال إقامته بمراكش السيد الباش الحاج التهامي الكلاوي[1] أمير العاصمة ذهب معه إلى هذا الاستدعاء السيد أحمد

[1] الحاج التهامي المزواري الكلاوي (1878 ـــ 1956 م)باشا مراكش و زعيم قبيلة كلاوة بجبال الأطلس الكبير , انظر أحمد

النظيفي وقد غادر سيدنا مدينة مراكش يوم 26 رمضان قاصدا بلدة البحيرة حيث يوجد ضريح العارف بالله المقدم البركة سيدنا أحمد محمود شيخ, الشيخ أحمد النظيفي وبلدة البحيرة توجد على مقربة ضمن مراكش في أحوازها وهي بالرحامنة وقد صحبه في هذه الرحلة السيد أحمد النظيفي وعدة أشخاص وقد وجد سيدنا طائفة الأصحاب بالبحيرة في إنتظاره وقد حيوه عند نزوله نخبة السلطان فقالوا بصوت واحد : " الله بارك في عمر سيدنا ، الله ابارك في عمر سيدنا ....الخ" وقد مضت بالبحيرة ليلة لاتنسى بما وقع فيها من عظيم الإكرام والحفاوة بسيدنا وأصحابه وصلينا المغرب في الزاوية أعني بالقبة التي تحوي الضريح المذكور ولعمري أنه لمقام عظيم تجلت فيه الأنوار الإلهية ما يشاهد بالبصيرة وحسن السريرة ومن البحيرة يتوجه سيدنا إلى الدار البيضاء فرباط الفتح حيث يقضي شؤونا ثم يعود إلى جنات اماس الذي سميناه جنان الإيناس حيث يقضي هو وجماعته عيد الفطر في ضيافة الكريم بن الكريم بن الكريم السيد القائد محمد أمهروق الذي جاز من جميل لا يستغرب جزاه الله خيرا ووقاه شرا.

وقد وفد سيدنا على جنان اماس [1] ليلة التاسعة والعشرين من شهر رمضان المعظم قادما من الدار البيضاء راجعا من سفره إلى مدينة مراكش عاصمة الجنوب المغربي .

عيد الفطر المبارك بجنان أماس :

فما أصبح صباح ذلك اليوم السعيد حتى شرع خدمة ذلك المتنزه العظيم والقصر الكريم في وسط الفرش الثمينة من جميع أرجاء هذه المملكة استعدادا لقبول الضيوف الكرام الوافدين على أداء التحية الموسمية حسب العوائد السابقة خصوصا وسيدنا مقيم فيه فقد وفدت جموع البربر من قبائل زيان وغيرها لأداء التحية العيدية والزيارة ,الأمر الذي أدخل سرورا عظيما على القوم فقد اجتمع لهم عيدان عيد الفطر المبارك وزيارة سيدنا

متفكر , نظم القوافي في الباشا الكلاوي إبان ولائه للعرش العلوي .المطبعة الوطنية مراكش 2007, ص 202.

[1]– وعند قدوم سيدنا من الدار البيضاء الى خنيفرة صحب معه السيد الحاج الحبيب سه الذي جاء من السنغال بطريق الدار البيضاء قاصدا زيارة سيدنا وعنابه أمنه وجاءوا معا إلى جنان أماس .

رضي الله عنه حفيد القطب المكتوم رضي الله عنه وأرضاه وأخذت هذه القبائل على أكثرها تأخذ العهد الأحمدي أو تجدده على سيدنا اغتناما لهذه الفرصة, وقد جاءت أيضا عدة شخصيات بارزة من كبراء وأعيان بلدة خنيفرة للفوزبما فازبه إخوانهم المذروركون وقد كانت الصلاة العيدية بالزاوية التجانية والتي قرب هذا القصر وقد صلى بالناس النزيه الفقيه السيد محمد بن الحسين الذي هو الإمام الراتب بالزاوية المذكورة فما تمت الصلاة والخطبتان وختم هذا الاحتفال الديني بالفاتحة حتى ازدحم على سيدنا الناس, لإبلاغ تحياتهم إليه ثم تبادل الناس ما بينهم التحية وبعد ذلك دخلت كل هذه الجموع القصر في ضيافة القائد أمهروق فما ترى إلا كرما وأدبا فائقا وبشاشة كبيرة وبعد تمام الفطور توجه سيدنا وصحبه القوم إلى ساحة السياق التي قد هيئت من قبل فوجدنا خيمة كبيرة قد رفعت على دعائم وثيقة قد زيّن داخلها بالفرش والوسائد فدخلها سيدنا وكثير من الكبراء وقبالتها ساحة السباق والمسابقة وبإثر ذلك شرع صناديد الفرسان في المسابقة على الخيول وبأيديهم البنادق فتراهم يصطفون على النظام المعروف ، ثم يشرعون في السباق وقد غمرهم الغبار المتصاعد إلى السماء ووجوههم مكفهرة كأنهم في وطيس المعركة والذي يرأسهم هو السيد بوعزة أخو القائد أمهروق ولا زال الأمر هكذا حتى جاءت صلاة العصر فصلى سيّدنا بالناس وقرئت الوظيفة والهيللة لأن اليوم يوم جمعة وبعد ذلك مر بعض الناس منازلهم والكثير منهم رجع إلى دار القائد امهروق حيث كانوا في كرامته أيضا ولا زالت الوفود تفد على جنان أماس في أيام إقامة سيدنا وفي هذه الأيام أيام العيد لزيارة سيدنا والأخذ عنه والتجديد حتى ساعة التاريخ أعني الثامن من شوال وقد استدعى سيدنا بعض الرؤساء من أمراء البربر في نواحي شتى لزيارة ديارهم رجاء الفوز والبركة منهم القائد السيد حماد ولد وعدان الذي محلّه ببوكزين وكذلك القائد المولود بالمرابطين وبقرب المحل الذي فيه القائد حماد ولد وعددان يكثر نبات أوضم الذي تقدم أن فيه منافع جمعة وكذلك استدعاه في خنيفر السيد القسطلالي والسيد بوعزة نحوسة في آت

آخ سال والسيد محسن من دوار القائد محمد امهروق وغيرهم من النبلاء الأفذاذ بيوت الكرم والمجد .

وقد جلنا جولة واسعة بين شعاب وشعوب جبال الأطلس التي يعمرها قبائل البربر وهم في غاية التحصن والمنعة ممن يريد بهم كيدا فدل ذلك على أن هذه القبائل أمة تعودت الحروب والغارات وفيهم كثير ممن يجيد حفظ كتاب القرآن كتاب الله تعالى مع المشاركة العلمية وجوامعهم ومساجدهم وزواياهم عامرة بالذكر والصلاة والحزب الصباحي والمسائي غير أن السنة مهملة من جوانب النساء فيما يظهر هدانا الله وهداهم إلى أقوم سبيل .

أما ديار الإمارة والرياسة فهي في غاية الصيانة وكذلك ديار الكبراء والأعيان وقد هذبتهم الطريقة التجانية غاية التهذيب وعرفتهم آداب الإسلام وروح التصرف حتى أصبحوا لا فرق بينهم وبين العرب إلا في الجنسية وربما تفوقوا على كثير من العرب ممن لم تبق عنده من العروبة إلا النسبة وطقسهم تغلب عليه البرودة نظرا لإرتفاع أوطانهم على سطح البحر وكان التناسل عندهم سيره بطيئ نظرا لهذه البرودة أو لغيرها من الأسباب التي توقف تيّار هذه الناحية الإجتماعية وغالب كسبهم البقر والأغنام وطباعهم حادة يسرع إليهم الغضب مع أنهم أحرزوا على حظ وافر من البطولة والرجولة والفروسية والأقوام وهم كرماء يكرمون الغريب ويحبون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين وأهل العلم يعظمونهم غاية التعظيم ويفدونهم بالنفس والنفيس جزاهم الله خيرا وهدانا وإياهم إلى الصّراط المستقيم , ولهم ذكاء وفطنة خولت لهم المشاركة مع الناس في الحياة الحاضرة .

وقد جاء إلى جنان أماس يوم 11 شوال المبارك السيد القائد الحاج أحمد القداري مع صاحبه السيد عبدالله قادما من بلدة السلا لزيارة سيّدنا الذي طال عهد صاحبه من زيارته في أوائل شهر رمضان لدار القائد القداري والسيد الحاج أحمد الغداري صاحب

حزم ونشاط في تفقد شؤون سيّدنا جزاه الله خير جزاء وقد أكرم مثواه في هذه الزيارة إلى جنان اماس القائد السيد محمد امهروق الذي ما فتئ أن يكون مصدر لكل خير ونعمة ومضيفة.

ثم توجه سيّدنا من جنان اماس ومعه القائد محمد أمهروق زوال يوم الإثنين 11 شوال 1370 إلى محل يقال له عزيزة في ضيافة السيد القائد أبو القاسم بن مولاي بن عمر الذي يرأس قبيلة آيت عبد العزيز وعزيزة هي قرية بين أحضان الجبال الشامخة وقد اجتمع سيدنا في بلدة عزيزة بالأصحاب التجانيين الذين استقدموا سيدنا إليهم بواسطة قائدهم أبو القاسم المذكور آنفا وهذه القبيلة المسماة آيت عبد العزيز ينتسبون إلى الفروع الإدريسية الشريفة وجدهم الأعلا هو سيدنا علي بن إبراهيم دفين رأس أم ربيع وقد تلقوا سيدنا بغاية الترحيب والحفاوة والإكرام جزاهم الله خيرا وكل هذه القبيلة تجانيون لهم عناية بحفظ القرآن كتاب الله تعالى يتدارسونه بينهم وقد تذاركت مع الفقيه والنزيه سيدنا الحسين بن الغازي في مسائل من فقه الطريق تدل على ذكائه وفطنته الفذة وتكثر الغابات في جبال الأطلس ويكثر نزول الثلج إبان الشتاء حتى أنه في كثير من الأماكن يقطع السبل ويكثر في هذه الغابات النمر والخنزير الوحشي .

زيارة سيدنا لمدينة فاس :

حل سيدنا العاصمة الإدريسية يوم 17 شوال 1370 وفي 22 جويلية قادما من الرباط وبصحبته السيد القائد محمد أمهروق رئيس القبائل الزيانية ومعه أيضا السيد الحاج أحمد الغداري والمقدم بالزاوية التجانية بسلا العلامة السيد الحاج محمد الزواوي[1] والسيد الحاج حماد أقبل العضو بالغرفة الفلاحية و الفقيه السيد أحمد بن جلون من مدينة مكناس وقد كان في استقبال سيدنا بساحة البطماء من فاس العليا عدد كبيرين وجهاد وأعيان السادة التجانيين وبمجرد النزول بالبطماء المذكورة لقيه للسلام عليه هذا الجم الغفير منهم العلامة

[1] الحاج محمد الزواوي المكي بن أحمد بن المكي الزواوي .

الشريف مقدم الزاوية التجانية الكبرى بفاس السيد ادريس بلعابد العراقي ومن هناك توجه الكل إلى دار جناب العلامة المذكور سيدنا إدريس حيث وجد عدة أشخاص من الأصحاب في انتظاره منهم ناظر الزاوية الشريف سيدي محمد الكتاني وغيره من كبراء الأصحاب وقد كان السيد ادريس يسهر على نظام هذه الحفلة البديعة التي تخللتها الأمداح النبوية والأناشيد ومن قام بواجب ضيافة سيّدنا السيد الأديب الحسين الدويراني والفقيه الأجل الشريف السيد محمد البوعناني[1] والعضو المالي بالإدارة الجبائية السيد الحاج الرحماني والسيد الحاج محمد بن المليح وسيدنا الغالي الذي يسكن بالعلو القريب من الزاوية الكبرى الذي أبدعه نشاطا عظيما وهو والمقدم سيدنا إدريس في سبيل خدمة سيدنا خلال إقامته بفاس وقد حضي سيدنا وكافة أصحابه بزيارة ضريح سيدنا رضي الله عنه وقد أدى واجب الزيارة ومما تتطلبه من آداب وقد تفاهم مع حضرة العلامة المقدم السيد إدريس وناظر الزاوية التي بها ضريح سيدنا رضي الله عنه في إدخال إصلاحات هامة للزاوية الميمونة المباركة وهم بصدد تجديد شباك الضريح الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والرضوان وتزودنا بشيئ من الماء الذي غسل به الضريح الأنور وقد قام العلامة سيدنا إدريس بلعابد العراقي بجهود عظيمة في خدمة سيدنا خلال هذه الإقامة الشريفة وقد استدعاه لتناول الطعام السيد ابن سالم صاحب المطبعة والسيد بلحاج مقدم زاوية الفاس الجديد والسيد بالخير بن البشري الرباوي من أولاد سيدنا علي بن يحي الموظف بالدوانة والسيد الحاج المهدي بفاس الجديد ومن فاس توجه سيدنا إلى بلدة وجدة وقد مرّ ببلدة تازه واجتمع بمقدمها وبعض الأصحاب ومقدمها السيد عبد الواحد بن محمد القباقي ومنها تناول الفطور ببلدة قرسيف بدار المقدم السيد الحاج محمد الأزرق التاجر الفاسي وقد تناول في المساء الآتاي بدار السيد الحاج محمد بن سعيد الماضوي وقد أقيمت بدار السيد المذكور حفلة وطنية بديعة ضربت فيها الدفوف فرحا بقدوم سيدنا عليهم وقد صحبه في

[1]الأديب محمد البوعناني , ولد عام 1929 .

السفرإلى وجدة مضيفة السيد الحاج محمد بن سعيد, و دخل سيدنا بلدة وجدة مساءا وقد كان في ضيافة المقدم بالزاوية التجانية بوجدة الفاضل السيد المنورالعزاوي العدل والموظف بإدارة الأحباس بالبلدة المذكورة أقام ببلس في وجدة في حفاوة وإكرام ومن وجدة توجه سيّدنا إلى مدينة تلمسان المعروفة بمدينة الجدار عش العلماء الأعلام و الفضلاء الكرام من سلفها الصّالح .

قدوم سيدنا إلى تلمسان :

جاء سيدنا رضي الله عنه إلى تلمسان ليلا وقد كان في ضيافة السيد الغوث بن ثابت حيث وجد طوائف الأعيان والفضلاء من أهل مدينة تلمسان في انتظاره بفارغ الصبر نخص بالذكر منهم السيد الحاج محمد العشعاشي[1] والشيخ القاضي السيد شعيب بن الطالب قاضي المدينة والشريف مولاي محمد بن عبدالله نائب الشيخ المفتي وفضيلة الشيخ البدليمي السيد علي المدرس بالجامع الأعظم في المدينة والسيد الفاضل الشريف بن منصور محمد المرابط رئيس الزاوية العلوية وفضيلة الشيخ الزردومي المدرس بالمدرسة التلمسانية و السيد حماد الزياني المقدم بالزاوية التجانية بتلمسان وهو من أكابر الفضلاء وممن حظي بالإجازة في الطريقة من فضيلة سيدنا البشري التجاني وولده سيدنا محمد الكبير وسيدنا علال ابن سيدنا عمار التجاني وقد أجازه أيضا العلامة السيد الحاج محمد الحجوجي الحسنى دفين زاوية دمتات رحمه الله رحمة واسعة وعمره يبلغ التسعين سنة وله معرفة سيدنا الطاهر أبي طيبة دفين تلمسان وغيرهؤلاء من الفضلاء الكرام وقد جاءت الوفود من مختلف أنحاء الأيالة الوهرانية من عاصمة وهران وهم السادة السيد الحاج أحمد نجل العلامة الفقيه سيدنا الحاج بلقاسم بن الطيب بن كبو المقدم الكبير في

---

[1] يذكر صاحب كتاب حكم سيدي بومدين في الصفحة الثالثة أن لجنة من تلمسان تأسست يوم 17 ماي 1952للحفاظ على وقف سيدي بومدين , يرأسها محمد العشعاشي , وهو من العائلات التلمسانية العريقة المعروفة بتاريخها في المجال الخيري , انظر يحي بوكليخة , حكم سيدي بومدين شعيب الغوث و ابن عطاء الله السكندري , الناشر يحي أبو عبد الواحد أمين بوكليخة , الجزائر .2006

الطريقة التجانية بوهران و السيد الحاج المولود القلاتي و السيد المدني السنوسي والسيد الحاج محمد حمر العين والسيد ابن عودة الفاطمي و السيد الحاج محمد بن الشافي والسيد الحسني بن عديدة وغيرهم من فضلاء وهران وقد وفد أيضا من بلدة تموشنت السادة وهم : الحاج المدروقي محمد والسيد الحاج الحبيب بن بخيت والسيد الحاج محمد بن أرحو والمقدم الفاضل السيد الحاج بولنوار مقدم زاوية تموشنت والسيد محمد أبو بكر والسيد بشير السوسي وجماعة محل أترومور أبو, نخص منهم بالذكر السيد الفقيه البركة والمقدم السيد عبد القادر بن الطاهر وجماعته و السيد الفقيه الحبيب بن ويس وقد وفد من بلدة سيدي بلعباس حضرة المقدم السيد يحي الغول والسيد الصديق والفقيه العلامة السيد الحاج بن خالد بن كبو وحضرة الفقيه السيد بدوي المنتى ببلدة سيدي بلعباس وهو نجل السيد الحاج المنور الذي كان سابقا مقدما ببلدة يسبق المتوفي رحمه الله رحمة واسعة والسيد عبد السلام الصغال وقد أبدى السيد الغوث بن ثابت جهودا عظيمة في سبيل ضيافة سيدنا خلال إقامته بمحلّه ومن كمال محبته في سيّدنا وأولاده أن جاء لملاقاة سيدنا بالدار البيضاء وقت قدومه من دكّار وقد أقام حفلة بالأمداح النبوية بالأناشيد شنف بها الأسماع وتراه يسعى دائما إلى توفير أسباب الراحة لسيدنا وجماعته بداره وله ولدان بارك الله فيهما وهما السيد محمود والسيد أحمد لا زالا في خدمة سيدنا خلال هذه الإقامة بين أظهر العائلة الغوثية و قد اجتمعنا بالسيد الفقيه العلامة بن عودة المدرس بجامع وهران والذي حضي بنصيب وافر من خدمة أولاد سيّدنا وقد استدعى سيدنا خلال إقامته بتلمسان السيد الحاج بن سالم بن العطّار بمحله الخاص وكذلك استدعاه السيد الحاج محمد العشعاشي والسيد قدور الصوفي جزاهم الله خيرا وقد وفد على سيدنا من بلدة مدروقة السيد الشريف سيدي بن عبدالله القادري والسيد الفقيه الأخضر بن الطالب ومن بلدة مغنية الحاج محمد محداد وقد زار سيدنا ومعه الحاج السيد محمد العشعاشي والسيد الغوث بن ثابت والسيد أبو صالح صالح بن الحاج المختار من أولاد عبد الجليل الإدريسي

زار سيدنا وهؤلاء الجماعة وحاشيته الميمونة المحل المعروف قرب تلمسان بالوريت وأصل هذه الكلمة لو رأيت فخففت بحذف الهمزة في اللغة الدارجة وهذا المحل المتنزه عظيم عديم النظير وهو عبارة عن شعب بين الجبال الشامخة حيث يتفجر الماء العذب الزلال وتناول سيدنا وهؤلاء الجماعة الفطور وشرب الآتاي ثم ختم هذا المجلس بصلاة الظهر ثم توجهنا في نفس الزيارة لضريح القطب الكبير خليفة الشيخ التجاني رضي الله عنه سيدي الطاهر بوطيبة التلمساني رضي الله عنه وأرضاه و ضريحه معروف يقصد بالزيارة قرب تلمسان فوق جبل يشرف على الجداروهي مدينة ورأينا أيضا المنارة بالمحل المعروف بالمنصورة[1] وهي من الآثار التاريخية التي تركها أبو يعقوب المنصورالسعدي في زمن يوسف بن تاشفين ملك مراكش الذي أسس الجامع الأعظم بمدينة تلمسان الذي زرناه أيضا ومن تلمسان توجه سيدنا إلى بلدة المشرية على طريق العريشه التي اجتمع فيها ببعض الأحباب كانوا في انتظاره وقد هيؤوا له فطور الصباح وبعد إقامة لا تزيد عن الساعة في بلدة العريشه توجه سيدنا إلى المشرية حيث وجد الجموع الكثيرة في انتظاره بفارغ صبر و قد وجد السيد البشير بن زيان قائد أبي سمغون في انتظاره على مسافة 50 كلم من المشرية وقد اجتمع سيدنا بالمشرية بالسيارات العديدة في المحل المعروف مكمل بن عمار الذي يبعد على بلدة المشرية حوالي 30 كلومتر نخص بالذكر منهم بعض السادة الأعيان وهم العالم العلامة الدراكة الفهامة السيد محمد بن المرحوم السيد الحاج محمد بن الكبيرالبكري المقدم والمدرس بالزاوية التجانية بالمشرية زاده الله شرفا على شرف والسيد الحاج محمد بن زيان والسيد الحاج التيجيني والسيد الحاج أحمد بن جبار والسيد محمد بن القائد البشري المعروف بزنيت والسيد الحاج أحمد بن عاشور والسيد الحاج دحمان السنداني والسيد قدور الطاهر بن الأبرص والسيد القائد قائد بلدة المشرية

---

[1] المنصورة التي شيدها المرينيون عام 1303 هـــ و بنى مسجدها أبو يعقوب بن عبد الحق , و يشتهر بمئذنته المبنية على طراز الجامع الأموي بدمشق .

والسيد أحمد القصاوي وغيرهم من أهل البلدة وقد احتفل أهل المشرية بقدوم سيدنا عليهم احتفالا بديعا لم يسبق له نظير فلا تسمع في هذا اليوم إلا الطلقات النارية مثل الرعود المترادفة والنساء يولولن المرة بعد الأخرى فرحا بقدوم سيدنا الميمون الذي طالما تشوق له الناس وقد تداول الناس استدعاء سيدنا لمحالهم رجاء الفوز و البركة وكان نزول سيدنا شريفا بالمشرية بدار أصهاره محل الحاج الطاهر بن زيان رحمه الله تعالى وقد دامت إقامته بالمشرية يومين في زيارتها الأولى ويومان آخران في الزيارة الثانية ومن هذه البلدة بلدة المشرية توجه سيدنا إلى بلدة أبي سمغون لزيارة خلوة سيدنا الشيخ رضي الله عنه تعالى عنه وقد وقع سيدنا في أبي سمغون من أنواع الحفاوة والإكرام ما وقع له في المشرية وقد ذكرسيّدنا وجماعته الهيللة والوظيفة يوم الجمعة في جامع البلدة وتذاكر مع الناس فيما يتعلق بالذكر بعد الفراغ من الحضرة كما هي عادته في إبلاغ النصيحة للعباد في كل البلاد ومن أبي سمغون توجه سيدنا إلى بلدة الربا غير أنه قبل أبي سمغون زاربلدة الشلالة الظهراوية تناول فيها الآتاي التي مقدمها السيد الفقيه الحاج الحبيب بن كيد وقد قام أهل الربوات أحسن قيام في الاحتفال بسيدنا يوم قدومه عليهم وقد نزل ضيفا مكرما معظما في الربا عند الباش آغا البشير بن أحمد وأخيه السيد محمد بن أحمد ويوجد عند الباش آغا البشير بن أحمد صاحب الربا برنوس لسيدنا الشيخ رضي الله عنه يتبركون به وقد بذل سيدنا النصيحة في خطبه[1] .

---

[1]هنا تم متن الرحلة المخطوطة , و الواضح أن هناك تتمة لها , لكن هذا ما توفر لنا من مخطوط .

الخاتمة

الخاتمة :

تم بعون الله بحثنا و المتمثل في تناول المخطوط الموسوم بـ: " زهرة الحدائق و البساتين في الرحلة العمرية إلى بلاد السوادين " دراسة و تحقيقا , أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء المخطوط حقه بإبراز قيمته العلمية و اعتباره إضافة لخزانة الكتب العلمية التي يزخر بها تاريخنا .

و أهم ما وصلنا إليه من خلال بحثنا مايلي :

التعرف على إفريقيا السوداء عن قرب و الدخول إلى أعماقها و رؤية الوجه الآخر للأفارقة المتعطشين للإسلام العاشقين لكل ما هو عربي المحبين لما يربطهم بهويتهم الدينية , حبا وصل حد التقديس , فرغم التجويع و التجهيل و غيرهما من ممارسات الاستعمار , لنهب خيرات هذه الأوطان , إلا أن هناك دائما رابط يربطهم بهويتهم الإسلامية لا ينقطع أبدا .

سياسة الاستعمار الفرنسي مع رجالات الطرق الصوفية المؤثرة و التي تعد الطريقة التيجانية من بين أهمها , هذه السياسة التي أصبحت تعتمد على المحاباة و الممالقة , بعدما اعتمدت على التضييق و الترهيب , و إدراكا من المستعمر للسطوة الدينية الكبرى لهذه الطرق الصوفية و تأثيرها الكبير على عقول أغلب السكان , عمدت إلى محاولة كسب هؤلاء إلى جانبها و يظهر ذلك بالتسهيلات المبذولة لرجالاتها كوسائل النقل و توفير الحماية و اللقاءات المتكررة مع الحكام الأجانب للبلدان التي تمت زيارتها سواء مستعمرات بريطانية أو فرنسية , ففي كل هذه المناطق يتم لقاء " ودي " بين الشيخ بن عمر و الحاكم العام , و هذا إن دل على شيئ فإنما يدل على رغبة المستعمر في عدم خروج الأمور عن سيطرته و ضمان أن تكون كل التحركات تحت عينه و مباركته .

لا يمكن لأحد إنكار الدور الكبير الذي لعبته الطريقة التيجانية في نشر الإسلام في مجاهل إفريقيا السوداء , وسواء من اتفق معها أو اختلف يدرك أهمية علمائها الذين نشروا تعاليم الإسلام و فتحوا قرى كاملة و أخرجوها من ظلمات الوثنية إلى نور التوحيد ,فمع ما يوجد من بعض المآخذ إلا أن هذه الحقيقة غطت على كل الحقائق,ومحاباة التيجانيين لقادة الاستعمار يدخل من باب اتقاء الضرر الأكبر والدليل على كلامنا هذا الدور البارز في الكفاح ضد المستعمر الذي لعبته الزاوية التيجانية و شيوخها قبل الثورة و بعدها,و الذين وقفوا إلى جانب التحرر و الاستقلال,وعلى سبيل المثال لا الحصر :ماقام به الشيخ ابن عمر التيجاني الموسومة الرحلة موضوع بحثنا باسمه ,ماقام به في مطلع ثورة التحرير , فقد اتصل بزعماء الثورة في الغرب الجزائري و اطلع بمسؤوليات ثورية عديدة, إلى أن اعتقل عام 1957 وسجن و عذب بعد اكتشاف مخبأ أسلحة كان يمد بها الثورة , و أذيع خبر اعتقاله يوم 18- 03-1957 بصوت الجزائر بتونس , وصوت العرب بالقاهرة ,كما أن دار الشيخ أحمد التيجاني التماسيني كانت مقرا للاجتماعات , ومنها تلك التي كان يرأسها العقيدان سي الحواس و عميروش و غيرهما من القادة [1].

و لا ننسى الشاعر محمد العيد آل خليفه ابن الزاوية بتماسين ,الذي سجن بباتنة ,ثم أفرج عنه و بقي تحت الإقامة الجبرية ببسكرة إلى أن استقلت البلاد , ونسجل كذلك ماقام به محمد العيد بن الشيخ الصغير التيجاني , وهو أحد المسؤولين في جبهة التحرير الوطني بتونس , حين فتح بيته في حي داندان على طريق باردو للطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون هناك , و كانت جبهة التحرير تعدهم للنظرة البعيدة للمستقبل[2] .

أما فيما يخص الجانب الديني فلا يكاد يختلف اثنان في الدور المشرق الذي لعبته الزاوية التيجانية في نشر الإسلام بين أبناء إفريقيا السوداء , الذين دخلوا الإسلام أفواجا.

[1] يحي بوعزيز ,ثورات الجزائر في القرنين التاسع و العشرين ,الجزء 2 ,ط2 , ص380

[2] المجاهد عمار قليل ,ملحمة الجزائر الجديدة , الجزء 2 , ط1, دار البعث قسنطينة 1991 , ص39-40

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

1) عمر موسى ،قطب العصر عمر اليافي، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق1996.

2) القاضي الفاضل، ديوان القاضي الفاضل،تحقيق عبد الرحيم بن علي لبيساتي،دار المعارف.

3) الثعالبي أبو منصور، الاعجاز والايجاز،مكتبة القاهرة .

4) ابن حمدون محمد بن الحسين، التذكرة الحمدونية، دار صادر،بيروت،ط1،1417هـ

5) أحمد عبد الوهاب شهاب الدرين النويري،نهاية الإرب في فنون الأدب ،تحقيق مفيد قميحة،دار الكتب العلمية ،ط1،2004.

6) الطهطاوي أحمد مصطفى ،شرح منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي ،دار الفضيلة

7) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ،دار الكتب العلمية 1997.

8) محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ،لسان العرب ،دار صادر –بيروت.

9) علي بن أبي طالب ،الحزب السيفي عن سيدنا علي كرم الله وجهه ،ترجمة وتحقيق محمد سيد التيجاني،مكتبة القاهرة ،ط1.

10) أبي الحسن بن عبد الله الشاذلي المغربي ،الحزب البحر ،مكتبة لبنان 1986.

11) أبو عبد الرحمن السلمي ،طبقات الصوفية ،دار الكتب العلمية 2003.

12) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، حققه عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة.

13) أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي ،شرح مقامات الحريري ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية 1992.

14) ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ،معجم البلدان ،دار الفكر –بيروت.

15) إميل ناصيف ،من أروع ما قال ابن الرومي ،دار الجيل 2006،ط1.

16) الحسن بن مسعود نور الدين اليوسي ،المحاضرات سلسلة الأدب ،دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.

17) طارق بن عوض الله ،المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة، طبعة دار الخير.

18) قيس بن الملوح ،ديوان مجنون ليلى ،تحقيق يسرى عبد الغني ،دار الكتب العلمية 1999.

19) أبو العباس أحمد بن محمد ناصر الدرعي ،الرحلة الناصرية ،تحقيق عبد الحفيظ ملوكي ،دار السلويدي للنشر والتوزيع ،ط1،2011.

20) خليل بن إسحاق الجندي المصري ،مختصر العلامة خليل في الفقه الإمام مالك ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ،دار الحزم.

21) خير الدين الزركلي ،الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين) دار العلم للملاين 2002،ط1.

22) محمد العربي بن السايح ،بغية المستفيد لشرح منية المريد ،المكتبة التيجانية .

23) محمد الحجوجي الحسني ،إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التيجانية ،مكتبة المدينة.

24) أبي البقاء العسكري ، البيان في شرح الديوان (ديوان أبي الطيب المتنبي) تحقيق إبراهيمالابياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر 1355.

25) صنعة حاتم الضامن ،شعر بكر بن النطاح ،عالم الكتب ،ط1.

26) أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ، تحقيق علي مهنا وسمير جابر ،دار الكتب العلمية 1992.

27) عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ،دار الكتب العلمية 1988.

28) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1972.

29) أبوإسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ،زهر الآداب وثمر الألباب ،شرحه زكي مبارك ،حققه محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت ط4.

30) الشريف الرضي ،ديوان الشريف الرضي ،تحقيق محمود مصطفى حلاوي ،دار صادر،بيروت 1961.

31) القاضي أحمد سكيرح الأنصاري الخزرجي،كشف الحجاب عمن تلاقى مع التيجاني من الأصحاب ،تحقيق محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني،مكتبة المدينة ط1.

32) محمود قبادو،ديوان محمد قبادو،تحقيق عمر بن سالم ،الجامعة التونسية 1984.

33) أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ،مؤسسة الرسالة ،ط2 1985.

34) محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت 1230هـ) حاشية الدسوقي على شرح الكبير ،دار الفكر .

35) أبوالأسود الدؤلي، ديوان أبي الأسود الدؤلي ،تحقيق محمد آل ياسين ،دار ومكتبة الهلال ،ط2.

36) عنترة بن شداد العبسي ، ديوان عنترة العبسي ،تحقيق مجيد طراد ،دار الكتاب العربي ،ط1 1992.

37) عبد القادر الجزائري، ديوان الأمير عبد القادر، جمع وتحقيق العربي دحو، دار النشر تالة، ط3، 2007.

38) بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق محمد الطاهر عاشور، وزارة الثقافة 2007.

39) لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، دار النشر وزارة الإعلام بدولة الكويت 1962.

40) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت 261هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

41) محمد بن السيد علوي المالكي الحسني، تحقيق الآمال فيما ينفع الميت من الأعمال مؤسسة الإمام زيد الثقافية، ط2.

42) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم، ديوان أبي العتاهية، تحقيق أنطوان قوال، دار الفكر العربي، 2003.

43) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط1، 2000.

44) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980.

45) ابن مريم التلمساني ،البستان بذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد أبي شنب ،المطبعة ثعلبية ،الجزائر 1986.

46) القاضي نور الله التستري الشهيد ،الصوارم والمهرقة في جواب الصوامق المحرقة ،صححه السيد جلال الدين المحدث ،مطبعة نهضة طهران1987.

47) محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس،تحقيق حمزة الكتاني ،دار الثقافة البيضاء.

48) سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب،دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

49) عبد الرحمن بن زيدان ،الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة ،طبع سنة 1937.

50) عبد الواحد المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق خليل بن عمران المنصور،دار الكتب العلمية ،ط1،2005.

51) صلاح الدين خليل بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ،دار إحياء التراث ،بيروت2000.

52) الفخر الرازي ،مفاتيح الغيث ، المكتبة التوقيفية بمصر.

53) همام بن غالب أبو فراس الفرزدق ،ديوان الفرزدق ،تحقيق على ناعور ،دار الكتب العلمية ،ط1 1987.

54) ابن حجر الهيذمي شرف الدين أبي عبد الله ،شرح همزية البوصيري ،حققه وعلق عليه فاطمة الراجحي ،الناشر دامعة الكويت .

55) إبراهيم الرياحي ،ديوان إبراهيم الرياحي ،ترجمة وتحقيق محمد البعلاوي وحمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 1990.

56) محمد النيفر ،عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1996.

57) محمد محمد مخلوف،شجرة النور الزكية ،المطبعة السلفية ،القاهرة 1930.

58) محمد بن مختار الشنجيطي ،ديوان ترياق الفهوم في شم رائحة مناقب القطب المكتوم ،ط2،مكتبة القاهرة 2000.

59) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي (ت 415هـ)،المنية والأمل ،تحقيق سامي التمثار وعصام الدين محمد ،دار المطبوعات الجامعية ،الإسكندرية 1972.

60) ألف ليلة وليلة ، الناشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ،ميدان الأزهر بمصر .

61) أنس يعقوب كتبي ،أعلام من أرض النبوة ،مكتبة المدينة ،ط1،1414.

62) محمد الأمين بن محمد المختار الشنجيطي(ت1393 هـ) ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان1995.

63) محمد بن أحمد بن جري الكلبي ، قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية ،تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ،طبعة جديدة ومنقحة ،دار العلم للملايين .

64) محمد الكتاني، ديوان محمد الكتاني، جمع وتحقيق إسماعيل المساوي، أطروحة دكتوراه، جامعة مراكش، 2001.

65) محمد بن محمد السرغيني، روض الجنان بها لشيخنا بن أبي عبد الله الكتاني من الخصوصية والعرفان، دار صادر، ط1، 1993.

66) أبو بكر أحمد بن علي بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ) اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد نصر الدين الألباني، طبعة الكتاب الإسلامي.

67) أحمد بن محمد العلوي الشنحيطي، روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، تحقيق الراضي كنون، منشورات الطريقة التيجانية، 1998.

68) الحسن العبادي، الملك المصلح محمد بن عبد الله العلوي، مؤسسة بنشره للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1987.

69) عمر الرياحي، تعطير النواحي في ترجمة الشيخ إبراهيم الرياحي، مطبعة بكار 1903.

70) محمد عبد الله سيد محمد، معجم المؤلفين في القطر الشنجيطي، منشورات سعيدان سوسة، ط 1996.

71) إبراهيم السولامي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1974.

72) محمد الصغير بن إبراهيم الفوتي، تاريخ استخلاف أمير المؤمنين أحمد الكبير، مخطوطات الغرب الإغريقي .

73) كنون عبد الله، الينبوع المغربي في الأدب العربي، دار الفكر، ط2.

74 ابن أجروم،متن الأجرومية في مبادئ علم العربية، ، مطبعة دار الهدى في الرياض، 1313هـ.

74) خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري، التصريح بمضمون التوضيح في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2000.

75) محمد الحجوجي، نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، دراسة وتحقيق مروان يوسف، 2007.

76) أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم، حلبة الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، 1996.

77) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

78) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ترجمة وتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، 1995.

79) سراج الدين عمر الوردي، شرح لامية ابن الوردي المعروفة "نصيحة الإخوان ومرشدة الخلان"، مكتبة الآداب والنشر والتوزيع.

80) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1986.

81) سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود، سنن أبي داوود، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط1، 2006.

82) صبري عبد الرؤوف ومحمد عبد القوي، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، أضواء السلف، الرياض، 1997.

83) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة، دار المنار، القاهرة.

84) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، 2003.

85) محمد بن أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001.

86) زهير سالم، مجلة رابطة أدباء الشام، تصدر من لندن، مقال: الصلاة 2010-04-10.

87) توفيق الطويل، الشعراني إمام التصوف في عصره، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

88) الرابطة المحمدية للعلماء، السهيلي أحد رجال مراكش، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، 2010.

89) أبو العباس شرف الدين البوصيري، ديوان الإمام البوصيري، ترجمة وتحقيق محمد سيد كيلاني، دار الفرقان، 1374هـ.

90) عبد القادر محمد سبيلا، المسلون في السنغال، سلسلة كتاب الأمة.

91) محمد بن سيدي عبد الله القاضي العلوي الشنقيطي، منحة المنان في تأييد اعتقاد الإخوان مخطوط رقم 2946، الخزانة العامة، الرباط.

92) العباس بن الأحنف، ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة.

93) جميل بن معمر العذري ، ديوان جميل بثينة، تحقيق درويش الجويدي ، المكتبة المصرية 2008.

94) أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الخصاصي، تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي ،تحقيق محمادي بن عبد السلام ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط 1997.

95) السخاوي عبد الرحمن ،المقاصد الحسنية في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ،دار الكتاب الغربي .

96) أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري ،ديوان المعاني ،دار الجيل بيروت .

97) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار ،الناشر دار الوفاء ،ط3 2005.

98) أحمد قبشم جمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ، ،الناشر دار الرشيد ،ط2 1403هـ .

99) شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (ت 776 هـ)،ديوان الصبابة ،مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع .

100) عمر بن علي بن مرشد الملقب بشرف الدين بن الفارض ،ديوان ابن الفارض ،شرحه وضبط نصوصه عمر فارقو الطباع، دار القلم بيروت.

101) علي الغراب الصفاقسي،ديوان علي الغراب الصفاقسي،تحقيق محمد الهادي الطاهر المطوي وعمر بن سالم ،الدار التونسية للنشر 1973.

102) أبو العلاء المعري ،سقط الزند ،شرح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986.

103) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،لسان الميزان ،تحقيق عبد الفتاح أبي عدة،مكتبة المطبوعات الإسلامية ط1،2002.

104) عفيف الدين التلمساني ،ديوان عفيف الدين التلمساني ترجمة وتحقيق يوسف زيدان ،دار الشرق ط1 .

105) غيلان بن عقبة العدوي التميمي ذو الرمة ،ديوان ذي الرمة ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ط1،1995.

106) غياث بن غوث بن الصلت أبو مالك الأخطل ،ديوان الأخطل ،،ترجمة وتحقيق مهدي نصر الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان.

107) عبد السلام هارون ،تهذيب سيرة ابن هشام ،طبعة مؤسسة الرسالة ،دار البحوث العلمية ،الكويت .

108) الحسن بن هاني الملقب بأبي نواس ، ديوان أبي نواس ،ترجمة وتحقيق علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان 2002.

109) أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي ،ديوان ابن زيدون ،تحقيق يوسف فرحات ،دار الكتاب العربي ،ط2،1994.

110) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي ،ديوان جرير ،ترجمة وتحقيق مهدي ناصر الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان 2009.

111) محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، ألفية ابن مالك في النحو والصرف ،مطبعة ،دار الكتب المصرية 1342هـ،.

112) علي بن محمد بن عيسى الأشموني ،منهج المسالك إلى الفية ابن مالك (شرح الاشموني)دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ط1998،1.

113) أ.ب .نيوبولد،المهدية تاريخ السودان الانجليزي المصري (1881–1899)ترجمة محمد مصطفى حسن عبد الكريم ،مركز عبد الكريم مرغني الثقافي.

114) مكي شبيكة ،السودان عبر القرون ،دار الجيل ،بيروت.

115) العلامة العلوي التيجاني ،دار الشيخين بن أب بن الطلبة العلوي الشنقيطي التيجاني ،جمعه وريتبه محمد سعيد ،نشر وتوزيع مؤسسة منير نواكشوط 1985.

116) سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ،حياة محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته ،دار الفكر ط1999،1.

117) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ،تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،دار المتنبي ،الدوحة ط1990،5.

118) أبو الحسن علي بن عبد الواحد (ابن الأثير)،أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تحقيق علي معوض وعادل احمد عبد الجواد ،دار الكتب العلمية ،ط1994،1.

119) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ،العقد الفريد ،تحقيق مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية ط1983،1.

120) أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري ،ديوان البحتري ،تحقيق يوسف الشيخ محمد ،دار الكتب العلمية ،بيروت 2000.

121) محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي ،حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ،تحقيق شمس الدين محمد بن عرفة ،دار الفكر ،بيروت.

122) إبراهيم بن محمد الحقيل ،مقالة :المسلمون في نيجيريا أكثريات مستضعفة ،2010/02/18،مجلة الألوكة الالكترونية .

123) شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي ، سير الأعلام النبلاء ،تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الارناؤوط،مؤسسة الرسالة ط1985،3.

124) عثمان بن فوديو الفلاتي ،الإسلام في نيجيريا ،تحقيق آدم عبد الله الألوري ،ط1978،3.

125) جلال الدين بن سعد الدين بن عمر القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ،دار إحياء العلوم ،بيروت ط4،1998.

126) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ،البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، دار القلم ،دمشق.

127) عبد المجيد الزنداني ،مقال :أسرار البرزخ بين البحرين والحواجز المائية ،موسوعة الإعجاز العلمي ،2010/08/05.

128) مجموعة مؤلفين ،دحض مفتريات القاديانية في ضوء الكتاب والسنة (يضم أربع مؤلفات)،إعداد وتجميع د.سعدالمرصفي ،دار القبلتين للنشر والتوزيع 2005.

129) محمد بن عبد الله بن مالك ،الخلاصة في النحو (الفية ابن مالك)ترجمة وتحقيق سليمان بن عبد العزيز العيوني ،دار المنهاج ،الرياض ،ط1،1432هـ.

130) كعب بن مالك الأنصاري ،ديوان كعب بن مالك ،تحقيق وشرح مجيد طراد ،دار صادر –بيروت 1997.

131) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ،مؤسسة الرسالة ،ط1 –2006.

132) عبد القادر البغدادي ،خزانة الأدب ولب اللباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ط4 –1997.

133) بيكباركي الخوارزمي ،شرح شواهد المفصل ،دراسة وتحقيق يوسف محمود يوسف قحال 2005.

134) محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي ،لسان العرب ،دار صادر ،بيروت ط3،1414.

135) هنري كوزبان ،السهروردي ،ترجمة عبد الرحمن بدوي ،ط2 ،دار سيناء للنشر ،القاهرة 1995.

136) المزرياني أبي عبيد الله ،معجم الشعراء ،تحقيق إبراهيم الأمرائي ،دار صادر ،بيروت ج ، ص 291.

137) فخر الدين الرازي أبو عبد الله ، التفسير الكبير ،دار الكتب العلمية ،بيروت 2004.

138) الشرنبلاني حسن بن عمار ،مراقي الفلاح بإمداد الفتاح ،شرح نور الإيضاح ،تحقيق نعيم زرزور،المكتبة العصرية 2005.

139) حقي إسماعيل الاستانبولي ،روح البيان في تفسير القرآن ،المطبعة العثمانية 1330هـ.

140) ولفرد جوزيف دللي ،العمارة العربية بمصر ،الهيئة المصرية للكتاب ، سلسلة الألف 2000.

141) محمد بن إبراهيم الحمد ،الشيوعية ،دار ابن خزيمة 2002.

142) السكندري أحمد بن محمد بن عطاء الله ، لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي ،دار البشائر 1992.

143) ابن تيمية . اقتضاء الصراط المستقيم ،مكتبة الرشد .

144) القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،تحقيق علي محمد البجاوي ،دار الكتاب العربي 1984.

145) الخطيب التبريزي ،شرح ديوان أبي تمام ،تحقيق راجي الأسمر ،دار الكتاب العربي ط2،1994.

146) محمد المعطي الشرقاوي ،ذخيرة الغني والمحتاج صاحب اللواء والتاج ،تحقيق عبد المجيد بوكاري ،دار الكتب العلمية 2009.

147) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ،ديوان كثير –زد قدم له مجيد طراد ،دار الكتاب العربي ،ط2، 1416.

148) أحمد محمد الحافظ التيجاني العارف بالله محمد الحافظ التيجاني :موسوعة أعلام الفكر الإسلامي 2004.

149) ياقوت الحموي ،معجم الأدباء وإرشادالأريبإلى معرفة الأديب ،تحقيق إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي 1993.

150) أحمد عبد الرحمن ،مقال الشيخ مجذوب ، منبر الحجاز، مجلة معهد أم درمان العلمي الالكتروني 2006/01/03.

151) حافظ إبراهيم ،ديوان حافظ إبراهيم–تحقيق الشربيني شريدة ،دار اليقين ط1،2011.

152) صدر الدين المدني ابن معصوم ،تحقيق شاكر هادي شكر ،مطبعة النعمان ،ط1 1388هـ .

153) محمد بن المختار الشنجيطي : مطلع الجمال في مولد إنسان الكمال ، المكتبة الأهلية ط3،1979.

154) محمد بن المختار الشنجيطي ،ديوان ترياق الفهوم في شم رائحة مناقب القطب المكتوم ،مكتبة القاهرة ط2،2000.

155) محمد بن المختار الشنجيطي ،كتاب الواردات الإلهية المسمى الوصايا ،تحقيق محمد إبراهيم محمد سالم ،القاهرة نشر المحقق 2004.

156) كمال عمر الأمين ،مقال عن الشيخ يوسف بقوي ،جريدة القوم ،(1988/11/07).

157) أحمد محمد أحمد حلي ،طائفة الختميةأصولها التاريخية وأهم تعاليمها، دار خضر للنشر والتوزيع ،بيروت ط1،1992.

158) التيجاني يوسف بشير ،إشراقة،دار البلد للطباعة والنشر ،الخرطوم ط6،1999.

159) عثمان سعد الدين محمد أحمد ،تاريخ المعهد العلمي بأم درمان ،شركة مطابع السودان للعملة ط1،2007.

160) محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987.

161) بدر الدين الزركشي، البحر المحيط، دار الكتبي، ط1.

162) – الشيخان بن الطلبة، ديوان الشيخان من آب بن الطلبة جمعه ورتبه محمد سعيد بن محمد، نشر وتوزيع مؤسسة منير، نواكشوط، 1985.

163) – أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في أدباء شنقيط، الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2005.

164) – أبو إسحاق بن خفاجة، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق دار صادر، بيروت، 1968.

165) – عبد السلام بن محمد العلمي الحسني، ضياء النبراس في حل مفردات التذكرة بلغة فاس.

166) – أحمد متفكر، نظم القوافي في الباشا الكلاوي إبان ولائه للعرش العلوي، الطبعة الوطنية مراكش، 2007.

167) – عبد الكريم غلان، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، 2005.

168) – يحي بوكليخة، حكم سيدي بومدين شعيب الغوث وابن عطاء الله السكندري، الناشر يحي أبو عبد الواحد، أمين بوكليخة، الجزائر، 2006.

169) – البيهقي أبو بكر الحافظ، الأسماء والصفات، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط1، 1993.

170) – بوعليش إكرام، العقيدة النظامية لأبي المعالي الحويني، مركز أبي الحسن السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار العارف للطباعة والنشر.

171) – الجزري أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق محمود خفاجي، المكتبة الإسلامية.

172) – عمرو بن ربيعة، ديوان عمرو بن ربيعة.تحقيق فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، 1996 .

173) – الأصفهاني أبو الفرج ، كتاب الأغاني.دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 ،1412.

174) – السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1952.

175) – طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد.تحقيق مهدي محمد ناصر ، مطبعة السعادة ، مصر 1952 .

176) – الشافعي، لطائف الإشارات شرح نظم الورقات، تحقيق عبد الحميد قدرس، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1950.

177) – إبراهيم إنباص، كشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس، ملتزم الطبع والنشر التيجاني علي سيمن، القاهرة، 2001.

178) – البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضبطه مصطفى ديب البغا، دار بن كثير 1993.

179) – عبد السلام السيد، موسوعة علماء العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2005.

180) – الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال والحكم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

181) – القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق يحي إسماعيل، دار الوفاء، ط1، 1998.

182) – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، ط1، 2000.

183) – السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان.

184) – أحمد سلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة، القاهرة، ج6.

185) – سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في إفريقيا، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

186) تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو) أديفرا.

187) – عتريس محمد، معجم بلدان العالم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2001.

188) – إلهام محمد علي ذهني، بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتبة الأنجلو المصري، ط1، 2009.

189) _ عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني 1981 .

190) _ مداني لبتر ، الأغواط صفحات من التاريخ و الحضارة ، دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ط 1 ، 2005.

191) مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، مكتبة النهضة الجزائرية 2004 .

192) محمد السويدي، مقدمة في دراسة، المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية 1990.

الدوريات و المجلات :

1) الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية ،الحمى الصفراء 2005/08/19.
2) –صحيفة الشرق المطبوعة ، العدد 1071بتاريخ 2014/11/09.
3) مجلة البحوث الإسلامية العدد 1420.29 .

4) ما هي الدورة الغينية؟، الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، 28–10–2011.
5) الزبير بن عون ، أصل السكان و المعالم الأثرية بالأغواط ، مشروع جائزة البحث في علم الاجتماع 2005/ 2006.

المراجع بالفرنسية:

01- Banjul newspaper reporter freed on bail pending trial، reporters without borders 13،06،2006.

02- Historical dictionary of women in sub، Saharan Africa Kathleen،e،Sheldon،pg 109.

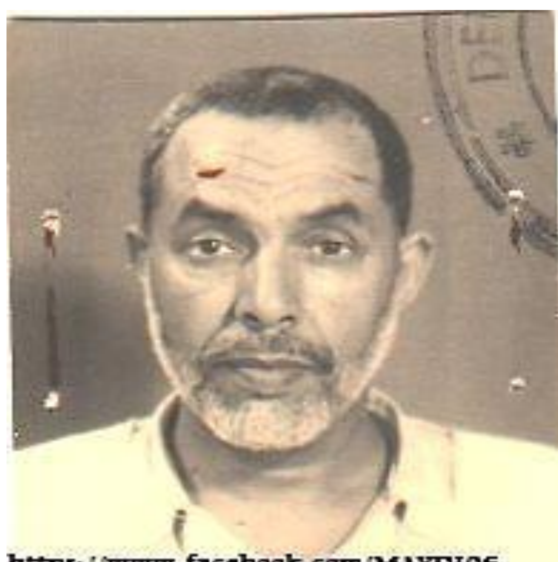
03- Liberia in prespective an orientation guide defense long institute foreign language centre، p2.

04- Adekeye Adebayo Liberia’s، civil، war: Nigeria، ECOMOG and regional security in west Africa international peace academy، 2002.

05- Charles mwalimu، the Nigerian legal sustem public law lang، 2005.

06- République démocratique du Congo land university Canada.

الملاحق



المؤلف : الشيخ أحمد لعناية دهسي *



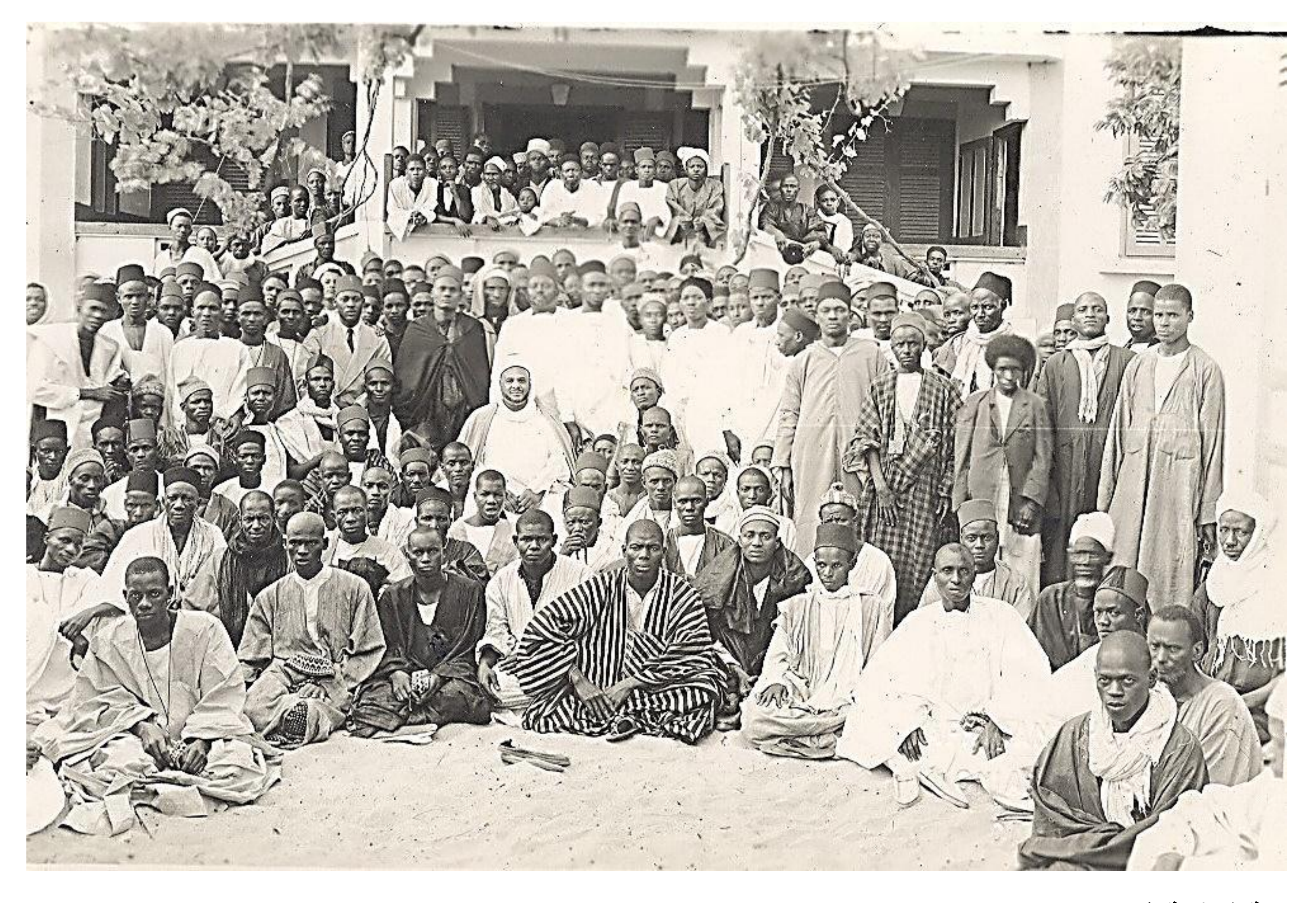
* زودتنا عائلة المؤلف بالصور مشكورين.



*** الشيخ ابن عمر التيجاني.**

---

* أرشيف الزاوية التيجانية.



صورة لمدرسة قرآنية في السنغال



*** الشيخ ابن عمر التيجاني مع بعض علماء دكار**

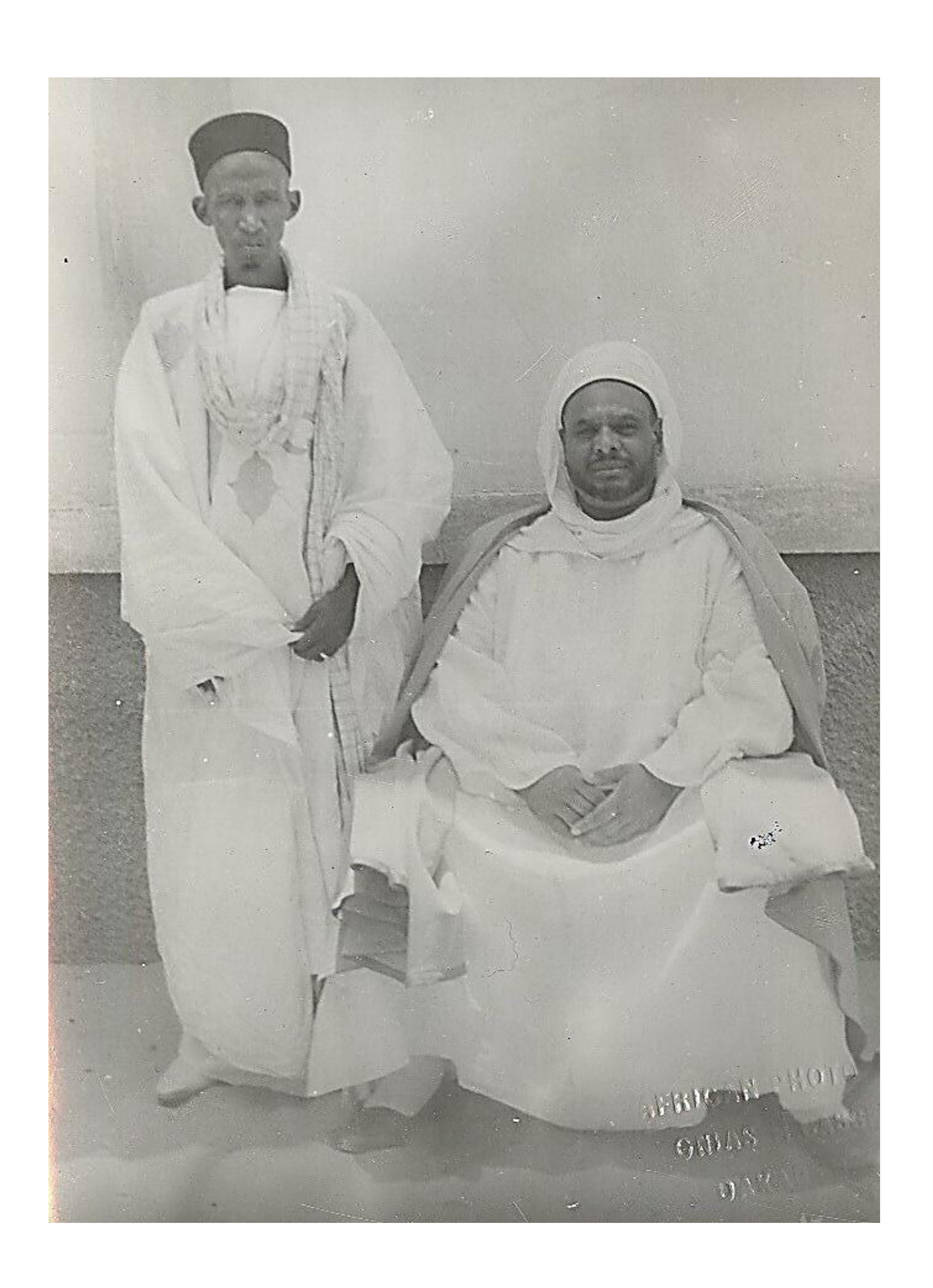
* أرشيف الزاوية التيجانية عين ماضي.



*** صورة لمدرسة قرآنية في السنغال.**

* أرشيف الزاوية التيجانية عين ماضي.

* الشيخ ابن عمر التيجاني مع الشيخ عمر ألفا



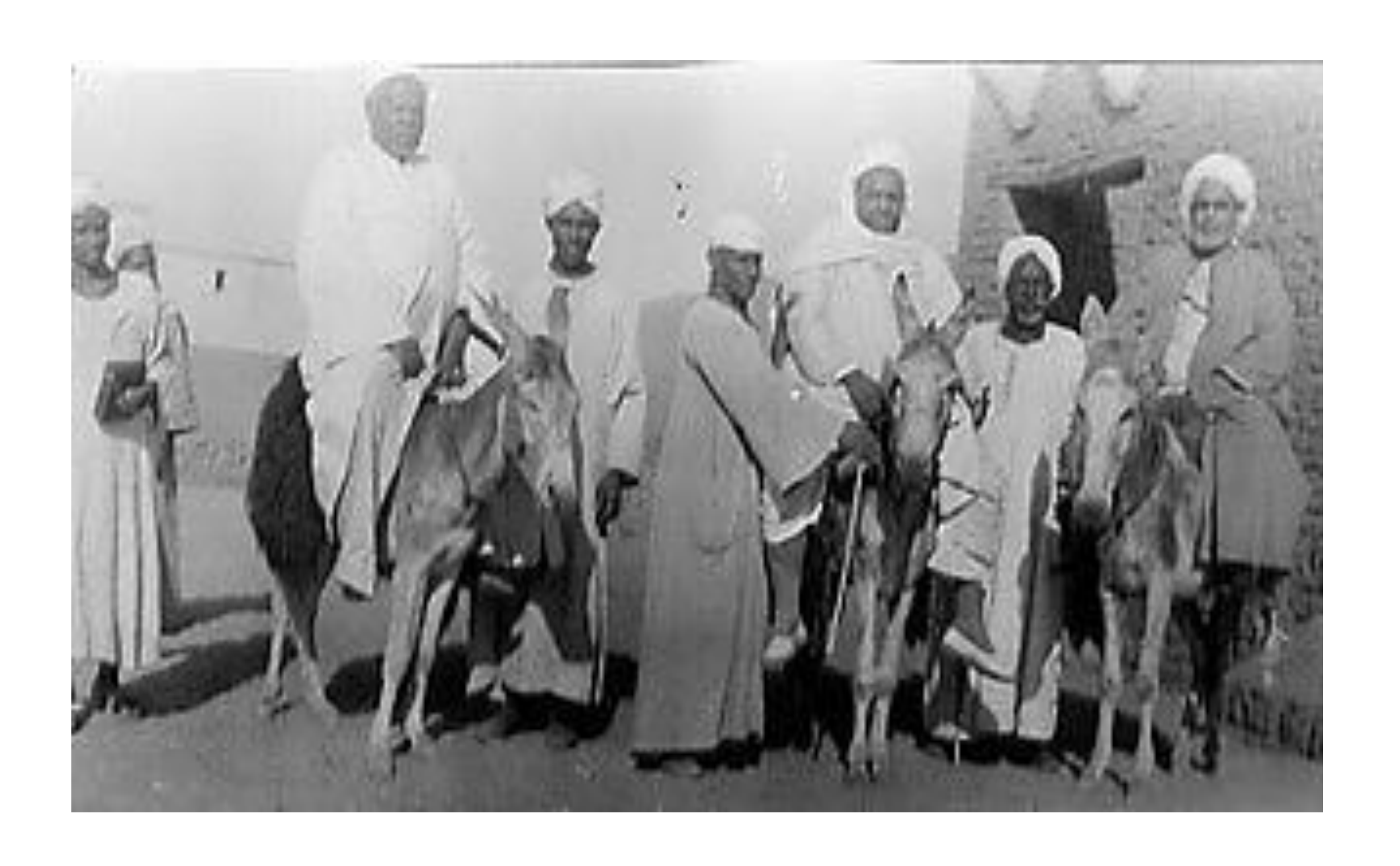
* أرشيف الزاوية التيجانية عين ماضي.



*** صورة من الرحلة جنوب مصر.**

---

* الموقع الرسمي للشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري.



*** صورة من الرحلة جنوب مصر.**

---

* الموقع الرسمي للشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري.

*** الشيخ ابن عمر التيجاني والشيخ محمد الحافظ مع علماء التيجانية.**



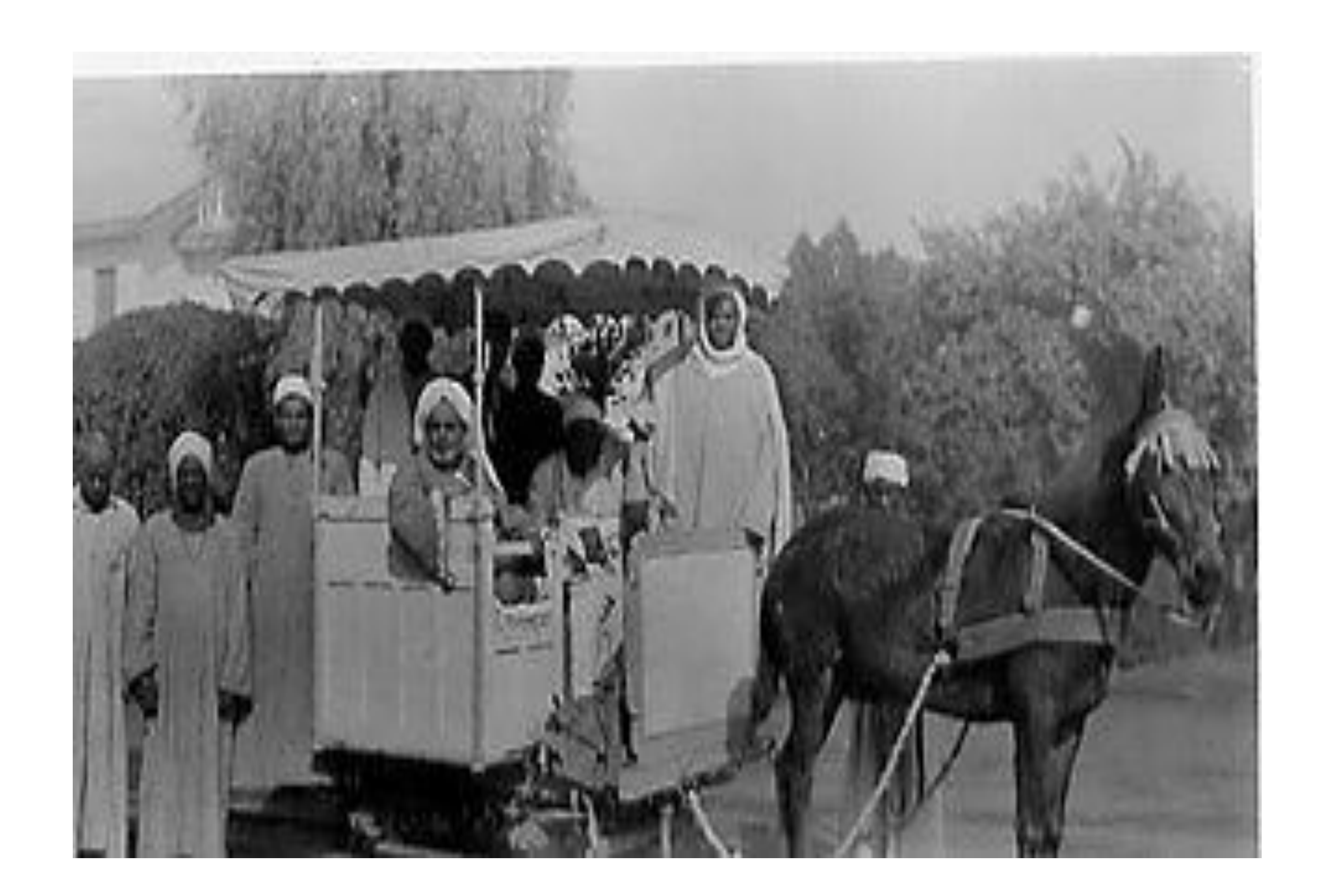
* الموقع الرسمي للشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري.

*** الشيخ ابن عمر ومحمد الحافظ يتوسطان أعيان من جنوب مصر**



* الموقع الرسمي للشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري.

*** الشيخ ابن عمر التيجاني الواقف والشيخ محمد الحافظ صورة من الرحلة جنوب جنوب مصر.**



* الموقع الرسمي للشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري.

صورة عن المخطوط

الحمد لله   صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله يصل الكتاب إلى حبيبنا ومن له خالص المحبة من قلوبنا
الفقيه الدراكة والنجم الطالع السعيد الأسعد المقدم سيدي محمد
ابن سالم حفظه الله وأيده من كل ظالم سلام الله عليك [illegible]
ورحمة الله تعالى وبركاته مباركة حسنى وبعد فقد وصلنا
جوابك الرفيع وفهمنا منه لذيذ خطابك البديع فلله الحمد على
سلامتكم وعافيتكم ومن جملة ما فيه أنك سألتنا عن أمور
[illegible] وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه أن قولك على جوهرة
الكمال 66 مرة فيه جميع المطالب الدينية والدنيوية
والتوجه بها يكون في جوف الليل لأنه أقرب إلى القبول
وليس لها زمن معروف بسؤالك المقدم الذي لقنني إياها
وزعم أن لا وإلا النية فيه قصد الشيء المأمور به [illegible]
ما هي فهي محلها القلب لكن مقصد الأوراد من شروط الكمال
ما فيها إلا زيادة الخير ولا حرج في تركها بدليل قول سيدنا رضي الله
عنه للذي سأله على مفتاح الورد قل أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والشروع في وردك فلم يذكر له غير هذا
ولك أن تشاء أن تتعوذ وتتلو قوله تعالى إن الله وملائكته
يصلون على النبيء الآية لبيك اللهم ربي وسعديك والخير كله
في يديك وها أنا عبدك الضعيف الذليل الحقير [illegible] بين يديك
أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا [illegible]
ولرسولك صلى الله عليه وسلم كل ذلك من محض فضلك وجودك وكرمك
إن تذهب له كذا والتعوذ والبسملة والفاتحة وتشرع في
الجوهرة فإنها سريعة في الإجابة وأما الخواص مثل
الصلاة الغيبية وياقوتة الحقائق ونحو ذلك فإنه يجوز
ذكرهما قبل الصبح وبعد طلوع النهار [illegible] وقت تشاء
فيداومها على الورد [illegible] اللازم إلا أن تكون في الأسماء
الأذكار [illegible] فإنها إن تأخرت عنك [illegible] يتضرر العامل
ضررا عظيما كما هو مقرر في الجواهر في الرسالة وأما
قولك على من فاته شيء من صلاة الجمعة لعذر شرعي
فلا يخلو من أمرين إما أن يزول عذره قبل الغروب فهذا
لابد له الذكر ولو مع [illegible] الجماعة وكذا من أدرك منها البعض
مع الجماعة فلابد له من كمال [illegible] [illegible] أو على القدر
الذي اصطلحت عليه البلد وأما إن زال العذر بعد
الغروب فهذا لا قضاء عليه لأن فرضية الجمعة تنتهي بها
الغروب ثم إن كان فاته لعذر [illegible] في الوقت
فلا بأس [illegible] أن يكتب له أجره بفضل الله تعالى
إنما الأعمال بالنيات ونية المؤمن خير من عمله
وإن فوته لغير عذر فقد فوت على نفسه خيرا
كثيرا وأما [illegible] فإنما تقصدونا [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد
والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي الى صراطك
وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم
عن امير المؤمنين ابي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة
فهجرته الى ما هاجر اليه متفق على صحته رواه امام المحدثين ابو عبد
الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي
البخاري وابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري
النيسابوري رضي الله عنهما في كتابيهما الذين هما اصح الكتب
المصنفة

الحمد لله الذي امر العباد بالسير في ارجاء البلاد فقال
ولم يزل قائلا عليما وآمرا حكيما قل سيروا في الارض فانظروا
ليطلع عباده على عجائب الاكوان في اختلاف الاماكن والبلدان وغرائب
آياته اللسان والالوان الدالة على وجوده واذا نادوا احد المنعم بالتاء
في موجوداته الغامرة على كرمه وجوده منهاج الدليل والبرهان ليتذكروا
الآلاء ويشكروا نعمائه وليعتبروا والصلاة والسلام على سيد
محكم آياته وغالب اجناد ملته من جنسي الابيض والاسود
دعوته سائر الاقاليم فكانت بين البشر حياة بعد الموت
وتداركا بعد الفوت وجنة مفتحة الازهار تجري من تحتها
الانهار بعد سعير الجهل وحمرات الجحيم [illegible]
وعلى آله واصحابه والتابعين الذين [illegible]
الممالك والمستفاوات بانوارهم دياجي الليالي [illegible]
اشرقت شموس الهداية من جبينهم وخضعت
الملوك العنادية والجبابرة بفضل جهودهم
لسعيهم حتى اعطى الجزية لاهل الاسلام [illegible]
من كان يأخذها [illegible] الاجلال والاكبار صلاة
ما دامت الرياح تجري في اركان الارض والفلك
البحور في الطول والعرض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العناية [illegible] ان [illegible]
[illegible] واكمل ما [illegible]
الصناعة العلمية الذين [illegible] افكارهم [illegible]
[illegible] اقلامهم [illegible] الجزيل [illegible]

الحسنة خلدها له التاريخ ولا تقدر الا عن امثاله من الكرام رضي الله عنه وارضاه ومما يدل على رسوخ قدمه الصالح في مقام التعبد والتحنث انه يوجد الى الآن في علو القرية في احد مساكنها خلوة يقال انها خلوة سيدي بلقاسم من كبار الاولياء وفي سقفها حبل من جوط كان يجعله سيدي بلقاسم رضي الله عنه في عنقه وقت التهجد ليلا ليذهب عنه النوم والحبل الى الآن موجود ايضا والذي ظاهره تبرعا ايضا وخلد مجدها هو وجود الضريح الحجيج الحبيبي على صاحبه افضل التكريم والرضوان في الكرم المقام الشريف الذي حوى دفعة سيدنا ومولانا احمد التجاني رضي الله عنه سيدنا محمد الحبيب واحفاده الكرام رضي الله عنهم اجمعين ومنه ممن دفن سيدنا ومولانا محمد الكبير سيدنا رضي الله عنه سيدتنا زفيتة رضي الله عنها التي تزوجها سيدنا احمد عمار وانه عمقها واتت منه ببنت وهي سيدتنا فاطمة العمرية رضي الله عنه التي كانت مضرب الامثال في الصلاح وجليل الاحوال وقد تزوجها سيدنا محمد الكبير رضي الله عنه ابن سيدنا البشير غير انها لم تخلف عقبا وفي هذا المقام العظيم جثمان سيدنا احمد الاكبر بن سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه الذي مات قبل والده وهو مع والده في قبر واحد وكانت وفاة سيدنا محمد الكبير ابن سيدنا رضي الله عنه عام ١٢٣٨ او بعدها بيسير وتوفي سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ابن سيدنا رضي الله عنه سنة ١٢٦٩ وتوفي سيدي احمد عمار بن سيدنا محمد الحبيب سنة ١٣١٥ وتوفي سيدي البشير بن سيدنا محمد الحبيب اواخر سنة ١٣٢٧ وتوفي سيدي علال بن سيدي احمد عمار سنة ١٣٣٩ وتوفي سيدي محمد الكبير بن سيدي البشير سنة ١٣٥٠ الساعة السادسة ابن نجمي من صبيحة الجمعة ١٨ ربيع الثاني وصار الخلافة الى صنوه اخيه سيدي محمود المتوفى سنة ١٣٥٣ وكل هؤلاء رضي الله عنهم في الضريح مع سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه ما عدا سيدي احمد عمار رضي الله عنه فانه في زاوية كوردان المعمورة وضجيعه ولده سيدنا محمد الطاهر المتوفى سنة ١٣٦٨ هجرية ومقام سيدنا احمد عمار رضي الله عنه في زاوية كوردان التي تبعد من قرية عين ماضي بسبعة اميال من الطريق الشرقي داخل البستان وبسطه الكريم لشجرة اصلها ثابت فيه وفرعها في السماء يقرب سيدي احمد عمار خارج المقام قبور الشريفات بنات سيدنا علال رضي الله عنه واولاده الذين ماتوا في سن الشباب كسيدي التجاني وكذلك قبر الشريفة سيدتنا بيري بنت سيدنا البشير رضي الله عنه وقبر سيدي احمد بلعباس ابن سيدي محمد الطاهر الذي لم يكن بين وفاته ووفاة والده الا نحو ١٢ يوما فقط وسيدي محمد الطاهر من الغرس تمره وزاويتنا كوردان تمتاز المدارس في خلف العيان الفاضلة جنتها ابتنتها الشك محكمة من بعد

(1) يقع ضريح سيدنا [illegible] ووفاة سيدنا محمد الطاهر والد سيدنا احمد بلعباس وكان بمكة المكرمة [illegible] الزاوية والمطاف [illegible]

الأقطار الإفريقية التي شملتها الرحلة

الفهرس

الفهرس:	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الدراسة	06
المبحث الأول	07
المطلب الأول: نظرة عامة على بلدة عين ماضي	07
المطلب الثاني: ترجمة الولي الصالح أحمد أبي العباس التيجاني	10
المطلب الثالث: فقه الطريقة التيجانية	19
المبحث الثاني:	21
المطلب الأول: ترجمة المؤلف	21
المطلب الثاني: الرحلة تسميتها وأسباب القيام بها	24
المطلب الثالث: نظرة عامة حول الأقطار الإفريقية التي شملتها الرحلة	27
الفصل الثاني: التحقيق	34
مقدمة	39
مسألة	41
ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء	43
ما ورد من الأذكار النبوية من أهل الفضل	43
ما جاء في الطاعون	48
الكلام على قرية عين ماضي من الناحية التاريخية	60
مبحث تعدد المساجد للجمعة عن المالكية	73
تمهيد	76
الكلام على المناخ في الأقطار الإفريقية الشمالية	79
مغادرة عين ماضي	81
فاس مدينة السعادة	95
زيارة ضريح الولي أحمد التيجاني	100
فضل الذكر والحث عليه	127
مغادرة فاس إلى الرباط	136

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن:

داهومي (البنين)	244/237/234/230/207/17.
ساحل الذهب (غانا)	230/206/50/19.
ساحل العاج (كوت ديفوار)	240/230/206/21.
الساقية الحمراء	03
سان لوي	493/190/187/182.
السلطان سليمان بن محمد	06/05.
السنغال	448/442/283/261/241/240/142/21/20.
السودان	390/365/361/356/342/333/329/307.
السوقر	79/77.
سيراليون	256294/253/244/230/204/50/19.
عين ماضي	74/63/61/60/54/53/51/11/10/06/05/04/03/01
غامبيا	240/174/50/18.
الغيشة	01
تيارت	78
فاس	92/88/06/05
قصر كوردان	03
الكاميرون	445/301/287/252/238/230/220/215/208/22.
كنصاصة	423/245/214/50/15.
كوردان	58.
الكونغو البلجيكي	423/261/260/217/214/50/20.
الكونغو الفرنسي	270/212/22.
لقني (كناكري)	293/255/251/240/203.
ليبيريا	295/256/254/230/205/50/19.
المدينة المنورة	497/52/06.
معسكر	60.

المغرب	12.
مكة المكرمة	52/06.
موريتانيا	468/466.
ميناء فريتاون	19
بماكو	433/431.
النيجر	423/421/418/240/22.
نيجيريا	415/269/257/252/298/241/221/207/50/20.

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات:

بلقاسم بن كبنو	82.
جلال الدين السيوطي	263/80/46.
جون ميليا media jean	01.
الحاج العياشي	03.
الحاج ين عمر التيجاني	358/145/74/58/27/13/11.
الحبيب سه	191/177/169/154.
الحسين الدويراني	516/496
سعيد النورتال	467/259/196/162/153/152/144/142.
سليم الحسن مزوز	105.
الشيخ الكتاني	119/104/89/04.
الطاهر بوطيبة	520/152/108/85.
الطيب التيجاني	07.
الطيب الرياحي	97.
الطيب السفياني	196/118/116/108.
عبد الرحمان السهيلي	135.
عبد الرحمان بن الدهماء	53.
عبد الرحمان بن علي المكودي	93.
عبد السلام بن مشيش	126.
عبد الله العلوي الشنجيطي	105/63.
عبد الله بن الأحمر الفاسي	110.
عبد قادر الرياحي	109/96.
العرابي الدمراوي التازي	106/03.
العربي ابن السايح	498/136/131/113/112/107/104/55/07.
علال التيجاني	07.
علي التماسيني	411/197/193/113/61/07/06.

علي التيجاني	07.
علي بن عبد الرحمان (مفتي وهران)	64.
علي حرازم برادة الفاسي	110/106/07/06.
عمران بن حصين	132.
عمرسعيد الفوتي	486/432/265/259/195/145/142/114/111/ 463/ 437/ 435.
عيسى بوعكاز	05/03.
الفقيه القصبي	19.
القاضي عياض	55.
قدور بن رويلة	01.
الكنسوسي	510/496/135/112.
ماضي بن مقرب	01
مالك بن عثمان سه	468/463/259/182.
المبروك بن أبي عافية الماضوي	03.
مجذوب مدثر	385/316.
محمد الحافظ المالكي التيجاني	471/332/326/321/313/312.
محمد الحجوجي	509/120.
محمد الحفيان العمري الشرقاوي	110.
محمد الطلبة	481/195/190/161/143.
محمد العيد التماسيني	106/07.
محمد الفلاتي	491/464
محمد الكبير التيجاني	61/60/58/57/56/07.
محمد الكردي	06.
محمد المرغني	317/330.
محمد المنسوسي	136/134.

محمد بن أبي نصر الفاسي	108.
محمد بن الحسن الوداني	114/109.
محمد بن العبدلاوي	197/193/192/119.
محمد بن العربي الدمراوي	62/06.
محمد بن العيمش	03.
محمد بن المشري	109/62/53/07/06/03.
محمد بن حمو التيجاني الماضوي	05.
محمد بن عبد الكريم السمان	06.
محمد بن علي السنوسي	85.
محمد بن مختار الشنجيطي	109/99.
محمد حفيظ المالكي	98.
محمد عال بن فتى العلوي الشنجيطي	474/469/197/143.
محمد فال بن باب العلوي	484/472/471
محمود التيجاني	07.
محمود الحبيب	64/61/60/57/56.
محمود قبادو	63/62.
المختار بن وديعة التماسني	
المفضل السقاط	108.